سلام الله علیها
نورفاطمه زهرا
کتابخانه دیجیتال
www.noorfatemah.org

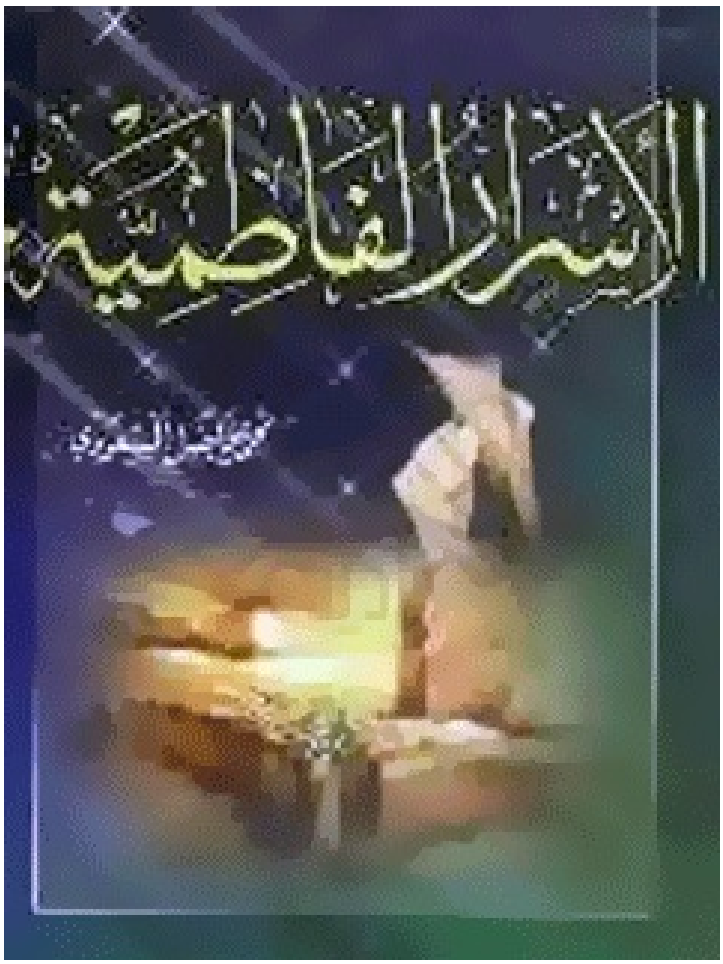

www.noorfatemah.org

www.noorfatemah.org

الاسرار الفاطميه

كاتب:

محمدفاضل مسعودی

نشرت فی الطباعة:

الزائر الروضه المقدسه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

www.noorfatemah.org

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الاسرار الفاطميه ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
الاهداء ----- ۱۲
تقريض ----- ۱۲
تقديم ----- ۱۲
المقدمة ----- ۱۷
التمهيد ----- ۱۸
حقيقة التوسل والإستغاثة بالزهراء ----- ۱۸
حقيقة السر المستودع فی فاطمة ----- ۲۱
اشاره ----- ۲۱
كتمان الأسرار ----- ۲۲
فاطمة حجة الله الكبری ----- ۳۱
اشاره ----- ۳۱
معنی الحجة؟ ----- ۳۲
شرعية الحجة ----- ۳۳
كيف كانت فاطمة حجة علی الأئمة ----- ۳۴
اصل يوم العذاب ----- ۳۸
فی ظلامات فاطمة ----- ۳۸
لماذا هذا البحث (أصل يوم العذاب...) ----- ۳۹
ما معنی أصل يوم العذاب ----- ۴۰
مقامات الزهراء وفيه ----- ۴۱
اشاره ----- ۴۱

مقامها عند الله تعالى ----- ۴۱
مقامها عند الملائكة ----- ۴۲
مقامها عند الأنبياء والنبى محمد ----- ۴۲
مقامها عند الأئمة ----- ۴۲
مقامها عند العلماء والمحدثين ----- ۴۳
مقامها يوم القيامة ----- ۴۵
ظلامات فاطمة الزهراء ----- ۴۵
تمهيد ----- ۴۶
فاطمة وعلاقتها بأصول الدين ----- ۵۵
اشاره ----- ۵۵
موانع تصحيح العقيدة ----- ۵۶
فاطمة وعلاقتها بالتوحيد ----- ۵۷
فاطمة وعلاقتها بالنبوة ----- ۵۹
فاطمة والعدل الإلهى ----- ۶۱
فاطمة وعلاقتها بالإمامة ----- ۶۲
فى خلقتها النورانية ----- ۶۵
فى بدء خلقتها ----- ۶۵
فى عرض ولايتها على الأشياء ----- ۶۵
فى سبق دخولها الجنة ----- ۶۶
فى كونها فى خطيرة القدس ----- ۶۶
فى جواز دخولها مسجد النبى ----- ۶۶
فى سكونتها معهم فى الجنة ----- ۶۶
فى كونها ركنا لعلى ----- ۶۶
فى إصابة نور الله لها ----- ۶۶

فی کونها خیر خلق الله تعالی ----- ۶۷
فی اختیار الله تعالی ایاها علی النساء ----- ۶۷
فی وجوب إطاعتها علی الکائنات ----- ۶۷
فی رکوبها یوم القیامة ----- ۶۷
فی تکلمها فی بطن أمها ----- ۶۸
فی کونها تحت قبة العرش ----- ۶۸
فی ثواب ----- ۶۸
فی نزول حنوطها من الجنة ----- ۶۸
اشتراکها معهم فی الحرب والسلم ----- ۶۸
اشتراکها معهم فی تکون المیزان ----- ۶۹
اشتراکها معهم فی قصة سفینة نوح ----- ۶۹
توسل زکریا بها ----- ۶۹
تحیة الله تعالی إیاها معهم بتفاحة ----- ۷۰
عرض حبها علی البریة ----- ۷۰
اشتراکها معهم فی الصلوات ----- ۷۰
فاطمة والمعاد ----- ۷۱
فاطمة و حدیث الکساء الشریف ----- ۷۳
حدیث الکساء الشریف ----- ۷۳
اشاره ----- ۷۴
فاطمة و حدیث الکساء الشریف ----- ۷۵
حدیث الکساء و آیة التطهیر ----- ۷۵
اشاره ----- ۷۵
مفهوم أهل البیت عند أهل اللغة ----- ۷۵
سند هذا الحدیث ----- ۸۰

مضامين هذا الحديث المختلفة ----- ۸۰
فاطمة سيدة نساء العالمين ----- ۸۳
فاطمة الزهراء علة غائية ----- ۹۰
اشاره ----- ۹۰
يا أحمد لولاک لما خلقت الأفلاک ----- ۹۱
ولولا علی لما خلقتک ----- ۹۲
ولولا فاطمة لما خلقتکما ----- ۹۳
فاطمة والولاية التكوينية ----- ۹۳
اشاره ----- ۹۳
امكان وقوع الولاية التكوينية ----- ۹۷
الولاية التكوينية لفاطمة ----- ۱۰۱
اشاره ----- ۱۰۱
الولاية التكوينية إنما يكون باذن الله تعالى ----- ۱۰۲
فاطمة ام ابيها ----- ۱۰۴
فلسفة تسبيح فاطمة الزهراء ----- ۱۰۹
اشاره ----- ۱۰۹
تشريع التسبيح ----- ۱۱۰
كيفية التسبيح ----- ۱۱۳
التسبيح من شعائر الدين ----- ۱۱۴
الشعار وحامله ----- ۱۱۵
الزهراء تعلمت التسبيح من النبی ----- ۱۱۶
معرفة فاطمة ----- ۱۲۰
اشاره ----- ۱۲۰
مستويات معرفة فاطمة ----- ۱۲۲

المعرفة التاريخية لها ----- ۱۲۳
اشاره ----- ۱۲۳
ولادة فاطمة ----- ۱۲۳
تحقيق و تبيين ----- ۱۲۵
شهادة الصديقة فاطمة ----- ۱۲۵
الهموم المتراكمة ----- ۱۲۶
العيادة المبغوضة ----- ۱۲۷
وصية فاطمة ----- ۱۲۷
لحظات عمرها الأخيرة ----- ۱۲۸
التشييع والدفن ----- ۱۲۹
وقوف الإمام على قبرها ----- ۱۲۹
تاريخ وفاتها ----- ۱۳۰
المعرفة المناقبية لها ----- ۱۳۱
اشاره ----- ۱۳۱
معاجزها فى حياتها ----- ۱۳۱
اخلاقها ----- ۱۳۵
المعرفة العلمية والفكرية لها ----- ۱۳۷
اشاره ----- ۱۳۷
يمكن معرفة شخصيتها... ----- ۱۳۷
يمكن ان نعرف شخصيتها... ----- ۱۳۸
و تستطيع معرفة فاطمة و شخصيتها... ----- ۱۳۹
المعرفة النورانية لها ----- ۱۴۰
فاطمة و ليلة القدر ----- ۱۴۰
فلسفة اسماء فاطمة الزهراء ----- ۱۴۴

اشاره ----- ۱۴۴
معانی اسماء فاطمهٔ الزهراء ----- ۱۴۷
اشاره ----- ۱۴۷
فاطمهٔ ----- ۱۴۷
الصدیقهٔ ----- ۱۵۱
المبارکهٔ ----- ۱۵۲
الطاهرهٔ ----- ۱۵۵
الزکیهٔ ----- ۱۵۶
الراضیهٔ ----- ۱۵۶
المرضیهٔ ----- ۱۵۸
المحدثهٔ ----- ۱۵۸
اشاره ----- ۱۵۸
مصحف فاطمهٔ ----- ۱۶۰
مصحف فاطمهٔ فی الأحادیث الشریفهٔ ----- ۱۶۱
الزهراء ----- ۱۶۲
البتول ----- ۱۶۴
فدک عنوان الولایهٔ ----- ۱۶۶
اشاره ----- ۱۶۶
اخراج عمال فاطمهٔ من فدک ----- ۱۶۸
خطأ الخلیفهٔ الأول ----- ۱۶۹
بطلان دعوی عدم توریث الأنبیاء ----- ۱۷۰
احتجاج فاطمهٔ الزهراء ----- ۱۸۱
اشاره ----- ۱۸۱
کلامها مع نساء المهاجرین والأنصار عند ما یعدنها ----- ۱۸۵

اهداف خطبة الزهراء ----- ۱۸۶
فاطمة و علاقتها بالحسين ----- ۱۸۹
اشاره ----- ۱۸۹
الولادة الميمونة ----- ۱۹۰
اخبار فاطمة بقتل الحسين ----- ۱۹۰
اول مأتم للحسين ----- ۱۹۱
حب فاطمة للحسين ----- ۱۹۲
الحسين وحجر فاطمة ----- ۱۹۲
فاطمة يوم القيامة ----- ۱۹۳
پاورقی ----- ۱۹۴

الاسرار الفاطميه

اشارة

سرشناسه : مسعودی محمدفاضل گردآورنده عنوان و نام پدیدآور : الاسرار الفاطميه تاليف محمدفاضل المسعودی تقديم عادل العلوی مشخصات نشر : قم‌الزائر الروضه المقدسه لندن رابطه الصداقه الاسلاميه ۱۴۲۰ق = ۱۹۹۹م = ۱۳۷۸. مشخصات ظاهری : ص ۵۳۵ شابک : ۹۶۴-۶۴۰۱-۱۷-۱ ؛ ۹۶۴-۶۴۰۱-۱۷-۱ وضعيت فهرست نويسی : فهرستنويسی قبلی يادداشت : عربی يادداشت : چاپ دوم ۱۴۲۰ق = ۲۰۰۰م = ۱۳۷۹؛ ۲۵۰۰۰ ريال يادداشت : کتابنامه به‌صورت زيرنويس موضوع : فاطمه زهرا(س ، ۱۳؟ قبل از هجرت - ۱۱ق -- احاديث موضوع : احاديث شيعه -- قرن ۱۴ شناسه افزوده : آستانه مقدسه قم انتشارات زائر رده بندی کنگره : BP۲۷/۲۸/م۱۵الف۵ رده بندی ديويی : ۲۹۷/۹۷۳ شماره کتابشناسی ملی : م۷۸-۱۳۷۰۹

الاهداء

إلی مصباح الهدی وسفينة النجاة... إلی الموعود بشهادته قبل ولادته... إلی الذی بکاه رسول الله حين ولادته... إلی الذی قضی ضمآن بجنب الفرات... إلی الذی بکت عليه ملائکة السماء... إلی خضيب الشيبة بالدماء... إلی ساکن طفوف کربلاء... إلی من تطلب بدمه سيدة النساء بعرصات يوم القيامة... «لابدّ ان ترِدَّ القيامةَ فاطمٌ وقميصها بدم الحسين ملطخ» إلی خامس اصحاب حديث الکساء... إليک يا سيدی يا أبا عبدالله الحسين بن علی (عليه السلام)... أرفع لک هذا المجهود القليل راجياً من الله القبول... والغفران لی ولوالدی ولمن ينتفع بهذا الکتاب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتی بقلب سليم... محمد فاضل المسعودی [صفحه ۶] بسم الله الرحمن الرحيم [صفحه ۷]

تقريض

تزيينا لکتابنا وتبيينا لعام الطبع طلبنا من الخطيب سماحة الشيخ محمد سعيد المنصوری «حفظه الله ورعاه» ان يتفضل علينا بتوشيح لکتابنا الأسرار الفاطمية وتأريخ يعرف به زمان طبعه فاستجاب لنا سماحته بهذه المقطوعة الشعرية المشتملة علی معانی لطيفة وخفيفة علی الطبع والذوق امد الله فی عمره الشريف ووفقنا الله واياه وصالح المؤمنين لخدمة الائمة الأطهار لا سيما فاطمة الزهراء عليها السلام أنالنا الله شفاعتها يوم القيامة وصلی الله علی محمد وآله الطيبين الطاهرين. (محمدٌ) بالاسرارِ جاء ولم يجیء الينا بأسرارٍ سواهُ مؤلفُ علی أنّها بالفاطميةِ عُرّفَت وکلُّ الذی يُعزی لفاطمةَ يُعرفُ وهذا کتابٌ فی سليلةِ (احمد) ومِن ذُکرُها الذکرَ الجَميل المُشرِّفُ بهِ قَد جَلی بالبحثِ عَن کلّ غامضٍ وعرّف عمّا فيهِ حارَ المعُرِّفُ ايانَ وفی «مُستودَع السر» ما به تُقرطُ اذانُ الوری وتُشنَّفُ فأبوابُهُ باباً فبَاباً وبحثُهُ لأبينُ مِن فجرٍ ضحَوُکٍ وألطَفُ کتابٌ بهِ ما لَيسَ يحويه غيرُهُ وکلُّ علی قدرٍ من الدوح يَقطفُ وفکرتُهُ فيما نری من بَيانِه يميلُ اليها العبقَری المُثقَفُ وفاطمةٌ مهما نقوُل بشأنها فتلکَ من الأقوال اسمی واشرفُ فطوبی لمن مالا اليها بوّدِهِم وويلٌ لمن قالوا وفی القوَلِ اسرفُوا فظلوا طريقا کان فيه نجَاتهم اظلّم عنهُ الهَوی والتَعجرفُ فيانِعمَ ما دبجّتَ يا نَجلَ «فاضِلٍ» بِمَن قد اتی فِيها من «الله» مصحفُ غدا سوف يأتيکَ الجزاءُ مضاعَفاً فأرّخهُ «ان نعم التقُی والتعففُ» ۱۴۱۹ هجری [صفحه ۹]

تقديم

العلامة آية الله سماحة السيّد عادل العلوى بسم الله الرحمن الرحيم الدرّة البهيّة فى الأسرار الفاطميّة الحمد لله فاطر السماوات والأرضين، خالق فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، والصلاة والسلام على أبيها محمد الأمين، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب الله وخاتم النبيّين، وعلى بعلها أمير المؤمنين علىّ سيّد الأوصياء وإمام المتّقين، وعلى أولادهما الأئمة الميامين أهل البيت الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكرى فضائلهم من بدء الخلق إلى قيام يوم الدين. قال تعالى فى محكم كتابه الكريم ومبرم خطابه العظيم: (إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أهْلَ البَيْتِ ويُطَهّركم تَطهيراً) [۱] . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هى أعظم. فاطمة ابنتى خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً» [۲] . الحديث عن الزهراء عليها السلام إنّما هو حديث عمّا سوى الله سبحانه، فهى الكون [صفحه ۱۰] الجامع بل الحديث عنها حديث عن الله سبحانه لوحدة الرضا والغضب بينهما، فإنّه سبحانه يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، والله المحسن وهو الجميل ومطلق الجمال والحسن، وإنّه يحبّ الجمال، ولو كان الحسن والجمال شخصاً لكان فاطمة، بل هى أعظم، فهى جمال الله وحسنه، وإنّها الحوراء الإنسية، فهى خير أهل الأرض عنصراً، فإنّها نور الله جلّ جلاله اشتُقّت من نور أبيها وبعلها، وفارقتهما فى القوس النزولى، فكان أبوها وبعلها فى صلب آدم إلى عبد المطلب وأبى طالب، وبقيت هى فى العرش الإلهى فى مشكاة تحت ساق العرش، ثمّ انتقل إلى الجنّة، وبقى فى رياضها محبوراً، ثمّ أودعه الله فى شجرة من أشجارها وفى ثمارها وأغصانها، حتى إذا عرج النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله إلى السماء ودخل الجنّة، وأكل من تفّاحها ورطبها، فتناول من ثمار الجنّة ومن شجرة فاطمة عليها السلام فتحوّلت نوراً فى صلبه، ثمّ هبط إلى الأرض، فواقع خديجة الكبرى لتحمل منه فاطمة الحوراء الإنسيّة، ومن ثمّ كان النبىّ يشمّ منها رائحة الجنّة. ففاطمة عليها السلام من صلب خاتم النّبيّين وأشرف خلق الله أجمعين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله مباشرة ومن دون واسطة، دون غيرها، فكانوا من صلب آدم عليه السلام. فهى خير أهل الأرض عنصراً، وأشرف بعد أبيها وبعلها مقاماً، وأكرم منزلاً. فخلقت من نور محمّدى علوىّ قبل خلق آدم بآلاف من السنين، خلقت حوريّة فى صورة إنسيّة، ثمّ تكوّنت نطفتها فى أعالى الجنّة، ونطقت وتحدّثت فى بطن أُمّها، وقال جبرئيل عنها أنّها النسلة الطاهرة الميمونة، وسجدت ونطقت بالشهادتين عند ولادتها، فهى المباركة الطاهرة الصدّيقة الزكيّة الرضيّة المرضيّة المحدّثة الزهراء البتول الحرّة، العذراء الحوراء النوريّة السماويّة الحانية، أُمّ الحسنين، أُمّ أبيها، أُمّ الأئمة النجباء، فهى الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى. ومن عرفها حقيقةً فقد أدرك ليلة القدر. والمعرفة أساس الحياة وروحها، فمن لا معرفة له ـ كالكافر ـ فلا حياة له، وكان ميّتاً يمشى بين الأحياء. وبالمعرفة يتمّ الإيمان ويزداد بزيادتها، وإنّها تأخذ حيّزاً كبيراً فى الحياة الإنسانيّة بكلّ أبعادها وجوانبها، حتّى الشريعة المقّدسة التى هى عبارة عن قوانين الحياة التشريعيّة من أجل السعادة الأبديّة، فالمعرفة لها الحظّ الأوفر على [صفحه ۱۱] مستوى الأُصول والفروع والأخلاق، وإنّما يفضّل الناس بعضهم على البعض فى المقياس الإلهى بالمعرفة ولوازمها كالإيمان والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح، كما جاء فى الحديث الشريف: «أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة» [۳] . فلا يمكن من حطّ قيمة المعرفة والاستهانة بها مطلقاً، بل جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرفت دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له» [۴] . فأصل كلّ شىء وأساسه هو المعرفة، حتّى قال أمير المؤمنين علىّ عليه السلام لكميل ابن زياد: «يا كميل، ما من حركة إلّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة» [۵] . ولا تكون المعرفة تامّة إلّا بإدراك القضايا وفهمها، دركاً صحيحاً وفهماً كاملاً، بدراسات حقّه ميدانيّة وتحقيقيّة، والتى يبتنى صرحها الشامخ على ضوء البراهين الساطعة والاستدلالات العقليّة اللامعة، والحجج العمليّة الواضحة. فالمعرفة يعنى الدراية الكاملة والفهم العميق والدرك الصحيح، وقيمة الإنسان بمعرفته. يقول الإمام الباقر لولده الصادق عليه السلام «يا بنى، إعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإنّ المعرفة هى الدراية للرواية». فالرواية نقل الحديث الشريف عن المعصومين عليهم السلام، والدراية تفقّه الحديث وفهمه: «وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان». و «حديث تدريه خيرٌ من ألف حديث ترويه». و«قيمة كلّ امرىء وقدره معرفته». فالواجب علينا أن نفهم القرآن والروايات بتفهّم وعمق، وتدبّر وتفكّر، وإلّا فهمّة السفهاء الرواية، وهمّة العلماء الدراية. فلا بدّ لكلّ ذى لبّ أن يعرف الأشياء على ما هى عليها

بحسب الطاقة البشريّة، [صفحه ۱۲] وأولى شيء بالمعرفة، وإنّه مقدّم على كلّ المعراف والعلوم هو معرفة اُصول الدين بالبرهان واليقين، وبدءاً بالمعرفة الجلاليّة ثمّ الجماليّة ثمّ الكماليّة. ومن الاُصول معرفة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، فمن عرفها حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر التى هى خيرٌ من ألف شهر. ألا إنّها سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها. فمن يعرفها؟! وعلى معرفتها دارت القرون الاُولى، وما تكاملت النبوّة لنبيّ حتى اُمر بفضلها ومحبّتها [۶] . ومن الواضح أنّ المعرفة الكاملة والتامّة لا تكون إلاّ بعد الإحاطة بالشيء، ومن يقدر على أن يحيط بفاطمة الزهراء عليها السلام إلاّ من كان خالقها ومن كان كفواً لها، فلا يعرفها ويعرف أسرارها إلاّ أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ورسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فإنّ الخلق كلّهم حتّى الأنبياء والملائكة والجنّ والإنس فطموا وقطعوا عن كنه معرفتها والإحاطة بها، فلا يعرفها حقّاً إلاّ الله ورسوله ووصيّه عليهما السلام. ففاطمة الزهراء وديعة المصطفى وحليلة المرتضى مظهر النفس الكلّيّة على أتمّ الوجوه الممكنة فهى الحوراء بتعيّن إنسى، مطلع الأنوار البهيّة، وضياء المشكاة النبويّة، صندوق الأسرار الإلهيّة، ورعاء المعارف الربّانيّة، عصمة الله الكبرى، وآية الله العظمى. لا ريب ولا شكّ أنّ فاطمة أحرزت مقام العصمة الإلهيّة الكبرى، كما عليه الإجماع القطعى وذهب إليه الأعاظم من عباقرة العلم والمعرفة، كالشيخ المفيد والسيّد المرتضى. كما تدلّ الآيات الكريمة والروايات الشريفة على ذلك، يكفيك شاهداً آية التطهير، وما أدراك ما آية التطهير، فمن أنكر ذلك فهو كالأعمى الذى ينكر نور الشمس. والعصمة من اللطف الإلهى الخاصّ ويعنى القوّة النوريّة الملكوتيّة الراسخة فى نفس المعصوم عليه السلام، تعصمه وتحفظه من كلّ شين، كما تزيّنه بكلّ زين، فيعصم من [صفحه ۱۳] الذنوب والمعاصى والآثام والسهو والنسيان والغفلة، وما شابه ذلك، ومن كان معصوماً فى دهره لا يصدر منه الشين مطلقاً. وفاطمة الزهراء عليها السلام إنّها المعصومة بعصمة الله سبحانه، كما عصم اولادها الأئمة الأطهار، فإنّ عصمتهم كعصمة القرآن، فهما الثقلان بعد رسول الله لنت يفترقا فى كلّ شيء من البداية وحتّى النهاية، ومنها العصمة. مفطومة من زلل الأهواءِ معصومةٌ من وصمة الخطاءِ فهذا من عقيدتنا الحقّة فى الزهراء عليها السلام، ولمّا كان الأذان والأقامة للصلوات اليوم إعلان وإعلام فى بيان العقيدة، ولمّا كانت الحياة عقيدة وجهاد، فلا مانع، بل من الراجح أن يعلن الشيعى المخلص عن عقائده الصحيحة فى أذانه وإقامته للصلاة، فيعلن للعالم فى كلّ يوم إنّه يؤمن بتوحيد الله، كما يؤمن برسول الله ونبوّته، ويؤمن بولاية علىّ أمير المؤمنين حجّة الله ويؤمن بإمامته وإمامة أولاده الطاهرين، كما يشهد بعصمة الزهراء وطهارتها، أى فى أذانه وإقامته، يخبر عن معتقده فى المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. فيقول فى أذانه وإقامته بعد الشهادة الثالثة، الشهادة الرابعة لا بقصد الجزئيّة، فتقول فيها ما تقول فى الشهادة الثالثة، ولا أظنّ أن يخالفنى فى ذلك واحد من الفقهاء والعلماء إلاّ من يجهل المبانى الفقهيّة، وما جاء وراء الفقه من المعانى الدقيقة. فيجوز أن يقول المؤذّن والمقيم بعد الشهادة الثالثة: (أشهد أنّ فاطمة الزهراء عصمة الله) [۷] مرّتان أو مرة واحدة أو يلحق ذلك بالشهادة الثالثة بعد قوله: (أشهد أنّ عليّاً وليّ الله وأنّ فاطمة الزهراء عصمة الله)، فتدبّر. وممّا يدلّ على مقامها الشامخ وعصمتها الذاتيّة الكلّيّة كما فى الأنبياء [صفحه ۱۴] والأوصياء عليهم السلام أنّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها ـ كما ورد مستفيضاً عند الفريقين السنّة والشيعة ـ فإنّ الله سبحانه لم يغضب لنبيّ من أنبيائه: (وذا النون اذ ذهبا مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ). ولكن يغضب لغضب فاطمة عليها السلام. ثمّ لا تجد معصوماً تزوّج بمعصومة إلاّ أمير المؤمنين علىّ عليه السلام، ولولاـ علىّ لما كان لفاطمة كفوّ آدم ومن دونه، فإنّ المعصومة لا يتزوّجها إلاّ المعصوم، فإنّ الرجال قوّامون على النساء، فلا يكون غير معصوم قوّاماً على المعصومة، ومن خصائص أمير المؤمنين التى لا يشاركه فيها أحد حتّى رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله هو زواجه من المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو الزواج المبارك فى عالمى التكوين والتشريع، وإنّه من زواج النور من النور، كما ورد فى الأخبار، فالمعصومة لا يتزوّجها إلاّ المعصوم عليها السلام. وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين فى الدنيا والآخرة، كما تشهد بذلك آية التطهير والمباهلة وحديث الكساء وأصحابه الخمسة المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة عليهم السلام. وربّما قدّم المباهلة النساء والأبناء على الأنفس للإشارة إلى أنّ الأنفس فداها. «فداها أبوها». وإنّما يعرف هذا وأمثاله بالمعرفة المعنويّة الذوقيّة التى يحصل عليها العارف بالشهود والكشف بعد صيقلة الروح والقلب، لاـ بالمعرفة المفهوميّة

الاستدلاليّة من البرهان والكسب وحسب، وليس العيان كالبيان. وما يسطّر القلم فى معرفة فاطمة إلّا وشحات من بحر معرفتها، وإنّما عرفناها وعرفنا الأئمة الأطهار بما نطق به الثقلان القرآن وأهله، وإلّا فقد فطم الخلق عن كنه معرفتها، فمن يعرفها ويعرف اسرارها؟ وما يقال فى هذا المضمار ليس إلّا ما عند الكاتب، لا ما عند المكتوب عنه، فالاسرار الفاطميّة ليس إلّا من سرّ الكاتب وسريرته لا من أسرارها وحقيقتها، فإنّ حقيقة فاطمة عليها السلام حقيقة ليلة القدر، حقيقة [صفحه ۱۵] الكون وما فيه. والله سبحانه خلق عالم الملك ـ وهو عالم الناسوت ـ على وزان عالم الملكوت ـ وهو عالم الأرواح ـ والملكوت على وزان الجبروت ـ وهو عالم العقول ـ حتّى يستدلّ بالملك على الملكوت، وبالملكوت على الجبروت. ثمّ بين العالم العلوى والعالم السفلى قوساً نزوليّاً وصعوديّاً، وقد عبّر عن القوس النزولى فى نزول فيض الله ورحمته على الكون بالليل والليالى، كما عُبّر عن القوس الصعودى باليوم والايام. وعصمة الله فاطمة الزهراء عليها السلام كما عبّر عنها بليلة القدر، كذلك هى يوم الله. والإنسان الكامل هو القرآن الناطق، ففى ليلة القدر نزل القرآن، ونزل أحد عشر قرآناً ناطقاً فى فاطمة الزهراء فهى الكوثر، وهى الليلة المباركة، وليلة القدر خيرٌ من ألف شهر، أى ألف مؤمن، فإنّها أُم الأئمة الأبرار وأُمّ المؤمنين الأخيار، والملائكة من المؤمنين الذين حملوا علوم آل محمد عليهم السلام وأسرارهم، وروح القدس فاطمة يتنزّلون فى ليلة القدر بإذن ربّهم من كلّ أمرٍ سلامٌ هى حتى مطلع الفجر قائم آل محمد عليه السلام [۸] . وليلة القدر قلب الإنسان الكامل الذى هو عرش الرحمان، وإنّه أوسع القلوب، فروح الأمين فى ليلة مباركة يتنزّل بالقرآن فينشرح صدره، فليلة القدر الصدر النبوىّ الوسيع، ومثله يحمل القرآن العظيم دفعةً واحدةً فى ليلةٍ واحدة، ثمّ طيلة ثلاث وعشرين عاماً ينزل تدريجاً. فليلة القدر الذى حمل القرآن دفعة واحدة فى معارفه وحقائقه ولطائفه هى فاطمة الزهراء عليها السلام، وما من حرف فى القرآن إلّا وله سبعون ألف معنى، وإنّ فاطمة عليها السلام لتعرف كلّ هذه المعانى فمن عرفها حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، فهى القلب اللامع الذى يتجلّى فيه الغيب الجامع. فهى درّة التوحيد وحقيقة القرآن المجيد، بل وحقيقة النبوّة والإمامة، وما يجمع بينهما وبين التوحيد، أى حقيقة الولاية. [صفحه ۱۶] فمن يقدر على الإحاطة بمعرفة فاطمة الزهراء عليها السلام بما هى هى، وبما تحمل فى ذاتها وصفاتها من الأسرار وسرّ السرّ، هيهات هيهات، لا يعرفها حقيقة إلّا مصوّرها وبارؤها وابوها وبعلها عليهما السلام، ولمثلها يقوم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله إجلالاً ويقبّل صدرها ويدها، ويشمّ منها رائحة الجنّة، ولا يخرج من المدينة حتّى يودّعها ولا يدخل حتّى يسلّم عليها أوّلاً. وليس كلّ هذا باعتبار العاطفة الأبويّة، بل لما تحمل من الفضائل النبويّة والأسرار العلويّة. فمن هى؟ هى التى كانت مفروضة الطاعة على جميع الخلق من الجنّ والإنس والطير والوحوش. هى التى لا يذكر الله الحور العين فى كتابه وفى سورة الدهر عندما يذكر منقبة من مناقبها إجلالاً وتكريماً وتعظيماً لها. هى الكوثر التى خصّها الله بالخلق النورى من بين النساء، وبالمهدى من آل محمد صلى عليهم السلام، وبالذرّية المباركة الطاهرة، بالحسن والحسين و الأئمة المعصومين عليهم السلام. هى التى اشتقّ اسمها من اسم الله فكان فاطراً وكانت فاطمة، وإنّها صاحبة السرّ المستودع، ولها من المناقب والفضائل ما لايمكن للبشر أن يحصيها، وإذا كانت ضربة علىّ عليه السلام يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين أو افضل، فمن يقدر أن يعدّ عبادتهم؟ وفاطمة كفو لعلىّ عليهما السلام، فلها ما لعلىّ فى كلّ شىء إلّا الإمامة، كما كان لعلىّ ما لرسول الله إلّا النبوّة. والمرأة إذا لم تكن نبيذة، فإنّ لها أن تصل إلى مقام الولاية العظمى، فتكون أفضل من الأنبياء كفاطمة الزهراء عليها السلام، فهى حلقة وصل بين النبوّة والإمامة، فهى نور المُهج وحجّة الحجج... وهى بضعة المصطفى وبهجة قلبه، من سرّها فقد سرّ رسول الله، ومن آذاها فقد آذى رسول الله، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله، ومن آذى الله ورسوله، فعليه لعنة الله أبد الآبدين، وكذلك لمن أغضبها وغضبت عليه، فارجع إلى التأريخ لتعرف على [صفحه ۱۷] من غضبت فاطمة؟ وماتت وكانت واجدة عليهم؟ أصفاها الله وطهّرها تطهيراً، فهى سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وإنّها أوّل من تدخل الجنّة، وتمرّ على الصراط، ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين. هى زينة العرش الإلهى كزوجها الولىّ والوصىّ، وهى أعبد الناس، حبّها ينفع فى مئة موطن من المواطن، أيسرها الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، ومن أحبّها فهو فى الجنّة، ومن أبغضها وآذاها فهو فى النار. فالويل كلّ الويل لمن ظلمها وظلم بعلها وذرّيتها وشيعتها، الويل كلّ الويل لمن غصب حقّها وكسر

ضلعها وأسقط جنينها ولطم خدّها وأنكر فضلها ومناقبها ومثالب أعدائها. ثم لو تلونا وقرأنا زيارة الجامعة الكبيرة [۹] الواردة بسند صحيح عن الإمام الهادى عليه السلام، والتى تعدّ فى مضامينها من أفضل وأعظم الزيارات، لوجدنا أنّها تذكر وتبيّن شؤون الإمامة بصورة عامّة، لنعرف الإمام المعصوم عليه السلام بمعرفة مشتركة لكلّ الأئمة الأطهار عليهم السلام، فكلّ واحد منهم ينطبق عليه ما جاء فى فقرات الزيارة ومفرداتها. إلّا أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لا تزار بهذه الزيارة، فلا يقال فى شأنها أنّها موضع سرّ الله وخزانة علمه وعيبته، فهذا كلّه من شؤون حجّة الله على الخلق، وفاطمة الزهراء عليها السلام هى حجّة الله على حجج الله، كما ورد عن الإمام العسكرى عليه السلام: «نحن حجج الله على الخلائق، وأُمّنا فاطمة حجّة الله علينا». ولهذا يقول صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف: «ولى أُسوةٌ بأُمّى فاطمة». فالأئمة أُسوة الخلق وقادتهم، وفاطمة أُسوة الأئمة عليهم السلام. إنّها عليها السلام تساوى أبيها فى خلقه النورى، وقال فى حقّها: «فاطمة روحى التى بين جنبىّ». وربما الجنبان إشارة إلى جنب العلم وجنب العمل، فهى تحمل روح النبىّ بعلمه [صفحه ۱۸] وعمله، وكلّ كمالاته العلميّة والعمليّة إلّا النبوّة، فهى الأحمد الثانى، وهى روحه التى بين جنبيه. ويحتمل أن يكون إشارة الجنبين إلى النبوّة المطلقة والولاية العامّة، فقد ورد فى الخبر النبوىّ الشريف: «ظاهرى النبوّة، وباطنى الولاية». مطلقاً التكوينية والتشريعية على كلّ العوالم العلوية والسفلية، السماوية والأرضية، كما ورد: «ظاهرى النبوذة، وباطنى غيبٌ لا يدرك». وأنفسنا فى آية المباهلة تجلّت وظهرت وكان مصداقها الخارجى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فالزهراء عليها السلام يعنى رسول الله وأمير المؤمنين، فهى مظهر النبوّة والولاية، وهى مجمع النورين: النور المحمّدى والنور العلوىّ، وكما ورد فى تمثيل نور الله فى سورة النور وآيته: (اللهُ نورُ السَّماواتِ وَالأرضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ). بأنّه كالمشكاة، وورد فى تفسيرها وتأويلها أنّ المشكاة فاطمة، وفى هذا المشكاة نور رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، ثمّ نور على نور وإمام بعد إمام، يهدى الله لنوره من يشاء. فالنبوّة والإمامة فى وجودها النورى، وهذا من معانى (السرّ المستودع فيها) [۱۰] ، فهى تحمل أسرار النبوّة والإمامة، كما تحمل أسرار الكون وما فيه، تحمل أسرار الأئمة الأطهار وعلومهم، تحمل أسرار الخلقة وفلسفة الحياة، ولولا مثل هذا المعلول المقدّس لما خلق الله النبىّ والوصىّ كما ورد فى الحديث الشريف المعراجى: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علىّ لما خلقتك، ولو لا فاطمة لما خلقتكما». [صفحه ۱۹] ولا فرق بين الأحد والأحمد إلّا ميم الممكنات التى غرق فيها كلّ شىء... والأُمّ تحمل جنينها وولدها، وفاطمة أُمّ أبيها، فهى تحمل النبىّ فى أسرار نبوّته وودائعها، كما تحمل أسرار الممكنات فى جواهرها وأعراضها، وبنورها الزاهر ازدهرت السماوات والأرض، فالله الفاطر فطر الخلائق بفاطمة الزهراء وبنورها الأزهر... ولمثل هذه الخصائق القدسيّة كان النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله يقول: فداها أبوها. مشكاة نور الله جلّ جلاله زيتونة عمّ الورى بركاتها هى قطب دائرة الوجود ونقطة لمّا تنزّلت أكثر كثراتها هى أحمد الثانى وأحمد عصرها هى عنصر التوحيد فى عرصاتها فاطمةً خيرَ نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمرِ فضّلك الله على كلّ الورى بفضل من خصّ بآىّ الزمرِ زوّجك الله فتىً فاضلاً ـ أعنى علياً خير من فى الحضرِ وأخيراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال «فاطمة بهجة قلبى، وابناها ثمرة فؤادى، وبعلها نور بصرى، والأئمة من ولدها أُمناء ربّى، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى» [۱۱] . هذا وقد غمرتنى الفرحة والبهجة عندما لمست أناملى الداثرة ما خطّه يراع فضيلة مروّج الأحكام حجّة الأسلام الكاتب المعتمد المؤلف السند الخطيب الكامل الشيخ محمد فاضل المسعودى دام وفّقاً. وقد أبدع سماحته فى سفره هذا القيّم (الأسرار الفاطميّة)، وملأ فراغاً فى المكتبة الإسلامية العربية، من معرفة نورانية حول السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بقلم سلس وبيان جميل، وتصوير رائع، وقد حاول أن يؤدّى ما هو الحقّ فى كلّ فصل من فصوله، فللّه درّه وعليه أجره وكثّر الله من أمثاله. [صفحه ۲۰] كان سماحته يحضر عندى كفاية الأُصول وأبحاثنا الفقهيّة ـ خارج الفقه (الاجتهاد والتقليد) ـ ولا يزال بحمد الله يحضر حضور تفهّم واستيعاب فى جمع من طلبة العلوم الإسلامية فى حوزة قم العلمية من جاليات مختلفة. وقد سألت الله فى سنين من حياتى فى ليالى القدر أن يوفّق جميع أهل العلم، لا سيّما أولئك الذى حضروا عندى دروسهم الحوزوية، أن يوفّقهم لخدمة الدين والمذهب فى كلّ المجالات العلمية والعملية، بأقلامهم وألسنتهم، بالتأليف والتصنيف والتدريس والتبليغ والخطابة والإمامة فى

المحاريب، وغير ذلك من المسؤوليات الدينيـة والاجتماعية الملقاة على عاتق علماء الدين ورجال العلم، أعزّهم الله فى الدارين. وأرى اليوم مرّةً اُخرى قد أثمرت الجهود، ولم تذهب الأنعاب ضياعاً، بل بين حين وحين تؤتى الشجرة الطيّبة اُكلُها، بل الحوزة المباركة هى البركـة والخير المستمرّ والمستقرّ، وإنّها الكوثر العـذب والمنهل الصافى والينبوع المتـدفّق... والشـيخ الكاتب قد أجاد فى هذا الكتاب الرائع بتعريف جملة من أسـرار سيّدة النساء فاطمة الزهراء علهيا السلام، وما أروع ما كتب وما أجمل ما اختار، لاسيّما وهذه الهجمات المدسوسة بين حين وحين تتغلغل فى صـفوفنا، من قبل الاسـتعمار والاسـتكبار العالمى، ضدّ مقامات أهل البيت عليهم السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والعجب أنّها تصدر تارةً من أبناء المذهب، وممّن ينتسب إلى الذرّية الطاهرة!! ليفرّق بيننا ويمزّقنا كى يسود علنيا وينهب خيرات بلادنـا ومآرب اُخرى. ألا أنّهم أرادوا أن يطفئوا نور الله، والله متمّ نوره ولو كره المشـركون والكافرون، وإنّه يؤيّـد دينه برجـال تطفـح من أقلامهم الإسـلامية عبقات الولاء والإخلاص، ويتـدفّق منها المودّة الخالصّـة فى قربى الرسول الأعظم صـلى الله عليه وآله. أسـأل الله سـبحانه أن يسـدّد خطـاهم، ويبارك لهم فى حياتهم العلميـة والعمليـة، ويوفّقهم لما فيه من الخير من طلب العلم النافع والعمل الصالح وخدمة الدين ونشـر معارف الإسـلام وحقائق المذهب الناصعة. عهدى إليهم أن لا أنساهم من الدعاء وأملى بهم أن لا ينسونى من صالـح دعواتهم الطيبة. [صـفحه ۲۱] بطوبى لـك يـا قرّة العين بما كتبت يراعك المباركـة، وسـتلقى الأجر من اُمّنا فاطمة الزهراء عليها السـلام، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلّا من أتى الله بقلبٍ سـليم، والسلام عليك وعلى أعزّائى طلّاب العلوم الدينية ورجال العلم والفضيلة، وعلى كلّ مؤمن ومؤمنة، ودمتم بخير وسعادة، وتقبّلوا تحيّات [۱۲] . العبد عادل العلوى قم المقدّسة ـ الحوزة العلميّة

المقدمة

بسـمه تعالى الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين حبيب اله العالمين ابى القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، اللهم صلِّ على الصديقـة فاطمة الزكية حبيبة حبيبك ونبيك وأمُّ احبائك وأصـفيائك التى انتجبتها وفضـلتها واخترتها على نساء العالمين، اللهم كُن الطالب لها ممن ظلمها واسـتخف بحقها وكن الثائر اللهم بدم اولادها اللهم كما جعلتها أمُّ أئمة الهدى وحليلة صاحب اللواء والكريمـة عند الملاء الأعلى فصلِّ عليها وعلى امها صـلاة تكرم بها وجه أبيها محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم وتقر بها اعين ذريتها وأبلغهم عنى فى هذه الساعة وفى كل ساعة افضل التحية والسـلام واردد على منهم السـلام انك جواد كريم. وبعد فانه لا يخفى على المتتبع لسـيرة وحيـاة أهل البيت عليهم السـلام انه قـد كُتِبت فيهم الكثير من الكتب وبالخصوص فى شخصـية فاطمـة عليها السلام ومعرفتها حيث دارت فى مجمل بحوثها على طريقة السرد التأريخى او المقارنة الموضعية ـ بين حياتها سلام الله عليها وبين باقى النساء المؤمنات اللآتى ذكرهن القرآن الكريم ـ أو على طريقة الاسـتنتاج والتحليل الواقعى والموضوعى لجميع مواقفها الاسـلامية التى اتخذتها خلال مسيرتها الحياتية والتى كانت مليئة بالدروس والعبر والعظات الإنسانية البليغة. على أن هذا الكتاب الذى بين يديك أيها القـارىء الكريم قـد جـاء ليمثـل مجموعـة السبل التى لابـد من الكتـاب أو المؤلف أن يجمعهـا ويصـبها فى قـالب حسن وهو يعرض شخصـية مثـل شخصـية الصديقـة الطاهرة فاطمـة عليها السـلام، حيث فيه الأسـرار الغمضـة التى جاءت على شـكل عناوين لبعض هـذه البحوث مثل: حقيقـة السـر المسـتودع، أصل يوم العذاب، فاطمة حجة الله الكبرى، وأيضا فيه المقارنة الموضوعية، والإسـتنتاج العلمى، والتحليل المثمر، وكما سـيظهر لك من خلال قراءة هذه البحوث والمحاضـرات. [صـفحه ۲۴] على أننى اُنبـه القـارىء العزيز أننى قد وضـعت فى الكتـاب بعض المواضـيع التى ذكرتهـا بعض الكتب من باب اتمام الفائـدة فى الكتاب على امل ان يكون شاملاً لكثير من القضايا الحساسة والعقائدية فى حياة فاطمة سلام الله عليها، وليرجع اليها الكاتب والخطيب والباحث حين تعوزه المصادر والكتب، وقد توجت كل بحث فى بدايته بقصـيدة شـعرية فى حياة فاطمة عليها السلام لتكون محطات ادبية فاطمية يستفيد منها القارىء اثناء ترحاله من بحث إلى آخر، لـذا جاء هذا الكتاب ليمثل مصـباحاً جديداً فى معرفة فاطمة عليها السـلام انشاء الله راجياً أن أكون قد أديت بعض الحق الذى علىّ فى توضـيح بعض القضايا العقائدية فى شخصـيتها الاسـلامية الفذة، والحمد لله رب العالمين. محمد فاضل المسعودى

قم المقدسة ۱۸ ذی الحجة ـ عید الغدیر المبارک [۱۳] . ۱۴۱۹ هـ [صفحه ۲۵]

التمهید

(اللهم أنی أسألک بحق فاطمة وأبیها وبعلها وبنیها والسر المستودع فیها...) قبل الدخول فی مضامین هذا الدعاء لابد من الإشارة إلی عدة أسئلة مهمة تتعلق بسند هذا الحدیث، وهل ورد فیه سند؟ وفی أی کتاب مذکور؟ وهل جاء هذا الحدیث علی لسان المعصوم أم لا؟ کل هذه الأسئلة لابد من الإجابة علیها قبل الدخول فی صمیم هذا البحث، فنقول: أن هذا الحدیث لم نرَ له سنداً فی أی کتاب من الکتب المتداولة ولم یروَّ عن أی معصوم من أهل بیت العصمة، ولکن وجدناه مکتوباً فی کتاب فاطمة بهجة قلب المصطفی تحت عنوان (دعاء التوسل بها علیها السلام) حیث رواه مؤلف الکتاب الشیخ الهمدانی بقوله: سمعت شیخی ومعتمدی أیة الله المرحوم ملّا علیّ المعصومی یقول فی التوسل بالزهراء علیها السلام «الهی بحق فاطمة وأبیها وبعلها وبنیها والسر المستودع فیها... [۱۴] ». وأیضاً وجدنا هذا الدعاء ضمن الوصایا المهمة التی أوصی بها آیة الله المرعشی النجفی أبناءه بالمداومة علی قراءته وبالخصوص ابنه الکبیر حیث یقول: (وأوصیه ـ أی ابنه الأکبر ـ بمداومة قراءة هذا الدعاء الشریف فی قنوتات فرائضه... اللهم أنی أسألک بحق فاطمة وأبیها وبعلها وبنیها والسر المستودع فیها أن تصلی علی محمد وآل محمد وأن تفعل بی ما أنت أهله ولا تفعل بی ما أنا أهله...» [۱۵] . [صفحه ۲۶] بما أعظمه من دعاء بحیث یذکره السید المرعشی النجفی رحمه الله فی ضمن وصایاه المهمة التی أوصی بها، وأی فضیلة لهذا الدعاء والتوسل بحق الزهراء علیها السلام کی یَکونَ من أهم الأدعیة فی قنوتات فرائض السید المرعشی رحمه الله. لابد له من کرامة عظیمة وأهمیة جلیلة بحیث لا یترک من الوقوف معه والإستضاءة من نوره وبیان مضامینهُ وتجلیت حقائقه لکی نعرف فاطمة حتی معرفتها وعلی القدر المتیسر منه. وهذا الحدیث وان لم یکتب له سند فی کتب الحدیث، ولکن جاء مضمونه مطابقاً لکثیر من الروایات الشریفه المأثورة فی حق الصدیقة الکبری فاطمة علیها السلام، وعلی مضمونه وحقائقه توجد أدلة وشواهد تؤکد حقیقته وان لم یرد فی کتب الأدعیة، ولکن یکفی فی نقله علی ما استفدناه من الکتابین المذکورین اللذین ذکرا هذا الدعاء، ومن باب التسامح فی أدلّة السنن یهون الخطب فی سنده، وعلی ضوء ما تفهمه من هذا الدعاء سوف یکون حدیثنا حوله فی بحثین: البحث الأول: التوسل والإستغاثه بالزهراء علیها السلام. البحث الثانی: حقیقة السر المستودع فی فاطمة علیها السلام. [صفحه ۲۹]

حقیقة التوسل والإستغاثة بالزهراء

التوسل بفاطمة علیها السلام للخطیب الشیخ محسن الفاضلی توسَّلت بالحوراء فاطمةَ الزّهرا لتلهمنی حتی أقولَ بها شِعرا فجاء بحمدِ الله ما کنت أبتغی فأبدیتُ للمعبودِ خالقی الشّکرا أجل هی روح المصطفی کُفءُ حیدرٍ وأمُّ أبیها هل تری مثلَه فخرا أول المثلِ الأعلی بکلَّ خصالها جلالاً کمالاً عفّةً شرفاً قدرا حوت مَکوُماتٍ قطُّ لم یحو غیرُها فمن بالثّنا منها ألا قُلْ لَنا أحری وسیلتُنا والله خیرُ وسیلةٍ بحقٍّ کما وهی الشفیعةُ فی الأخری أیا قاتَلَ اللهُ الذی راعها وقد علیها قسی ظلماً وروّعها عصْیرا وسوّد متنیها وأحرقَ بابَها وأسقطها ذاکَ الجنینَ علی الغبرا أیا مَن توالیها أتنسی مُصابَها وتَسلو وقد أمست ومقلتُها حمرا من الضّربِ ضربِ الرّجس یوم تمانعت بأن یذهبوا بالمرتضی بعلِها قَسرا وعادت تعانی هظمَها ومصابَها بفقدِ أبیها وهی والهفتا عَبری الی أن قضت روحی فداها ولا تَسل عن أحوالها والله من کلّنا أدری [صفحه ۳۱] حقیقة التوسل والاستغاثة بالزهراء منذ أن خلق الله البشریة وبالتحدید منذ أن خلق أدم وحواء جعل لهم وسیلة یتوسلون بها إلیه لقضاء حوائجهم خصوصا أن ابینا آدم علیه السلام عندما أذنب بترک الأولی قد توسّل إلی الله تعالی بغفران ذنبه «ترکه الاولی» وکان من جملة ما توسل به الکلمات التی تلقاها من الله تعالی وتاب بها علیه تبارک وتعالی ولقد فسرت هذه الکلمات بأصحاب الکساء الخمسة محمد وعلی وفاطمة والحسن والحسین صلوات الله وسلامه علیهم اجمعین کما جاء ذلک فی تفسیر قوله تعالی (فتلقی آدم من ربه

كلمات فتاب عليه إنّهُ هو التواب الرحيم) [۳۱] ، إن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمة مكرمة، فسأل عنها فقيل له: هذه أسماء أجل الخلق منزلة عند الله تعالى والأسماء هى: محمد وعلى وفاطمة والحسين عليهم السلام فتوسل آدم عليه السلام إلى ربه بهم فى قبول توبته ورفع منزلته. به قد أجاب الله آدم إذ دعا ونثجى فى بطن سفينة نُوحُ قومُ بهم غفرت خطيئة آدم وهُمُ الوسيلة والنجوم الطُلّع [۱۷] . وعلى هذا الأساس كان التوسل بأولياء الله وأحبائه من الأمور المتعارفة والمتسالمة عليها عند المسلمين بل يتعدى ذلك إلى غير المسلمين فنحن نجد ان الكثير من الديانات الأخرى غير الأسلامية تتوسل بشىء ما للتقرب إلى الله تعالى أو إلى الآلهة التى يعتقدون بها وهذا ما وجدنا فى مشركى قريش حيث كانوا يعبدون اللات والعزى ليقربونهم إلى الله زلفى وكما صرح بذلك القرآن الكريم فى بعض آياته، وعلى كل حال فقد وردت عدة آيات قرآنية تؤكد هذه المسألة فى القرآن الكريم منها قوله تعالى: [صفحه ۳۲] (وابتغوا إليه الوسيلة) [۱۸] ، حيث كان القرآن موافقاً فى هذه المسألة لعقلاء أنفسهم وهذا ما نجده فى طلب حوائجهم من الذين هم فى موضع القيادة أو المسؤولية فيسألونهم قضاء حوائجهم وهم أما زعيم أو رئيس أو حتى رجل كريم... وهذا ليس من الشرك فى شىء، فهذا مما يساعد عليه العرف العقلائى فنحن عندما نذهب إلى الطبيب نلتمس لديه الشفاء والعلاج وصولاً إلى الصحة والسلامة، وما الطبيب الحقيقى إلّا الله تعالى فهل هذا يعتبر شركاً بالله عز وجل؟ ويدل على هذا الأمر ماروى فى قصة أبناء يعقوب على لسان القرآن الكريم عندما أدركوا انهم قد ارتكبوا ذنوباً كثيرة بحق أخيهم يوسف حيث جاءوا أباهم يعقوب قائلين: (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين) [۱۹] على أساس أن أباهم هو وسيلة الغفران لهم من قبل رب العالمين (وابتغوا إليه الوسيلة). وعلى هذا الأساس كان التوسل أمراً دينياً قد تعارف عليه الناس منذ أن خلق الله البشرية وقد جاء الأسلام ليؤكد على ضرورة هذا الأمر وذلك من خلال إتخاذ الوسيلة التى نتوسل بها إلى الله تعالى، ولم نجد من وقف ضد هذا الأمر ـ أى التوسل ـ إلّا ما أسسه ابن تيمية وتلاميذه فى القرن الثامن الهجرى، وتلاه فى عقائده الباطلة والتى لا تتملك دليل منطقى برهانى محمد بن عبد الوهاب الذى أسس أضل واطغى جماعة على الدين الأسلامى ألا وهى الوهابية العمياء فأعتبر التوسل بأولياء الله تعالى من الأنبياء والأوصياء وعباد الله الصالحين بدعة ـ تارة ـ وعبادة للأولياء أنفسهم تارة أخرى. وقد خالفت الوهابية كل المرتكزات العقلائية فى هذا المضمار وخصوصاً نحن نؤمن بأن القرآن الكريم قد أكد على حقيقة اتخاذ الوسيلة وبأشكال متعددة، وليس هذا على ما يدعيه محمد بن عبد الوهاب نوعاً من أنواع الشرك بالله تعالى، والقرآن الكريم نفسه أكد على ضرورة اتخاذ الوسيلة إلى الله تعالى. والتوسل يكون على قسمين أو صورتين: [صفحه ۳۳] ۱ـ التوسل بالأولياء أنفسهم، كأن نقول: (اللهم أنى أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن تقضى حاجتى). ۲ـ التوسل بمنزلة الأولياء وجاههم عند الله تعالى كأن نقول (اللهم أنى أتوسل إليك بجاه محمد وحرمته وحقه أن تقضى حاجتى). أما الوهابية فإنهم يُحرمون الصورتين معاً، فى حين أن الأحاديث الشريفة وسيرة المسلمين تشهدان بخلاف ما تدعيه الوهابية وتؤكدان جواز الصورتين معاً [۲۰] فلقد جاء الحديث الشريف عن عثمان بن حنيف ليؤكد على هذه الحقيقة حقيقة جواز التوسل بأولياء الله تعالى حيث يقول: «إن رجلاً ضريراً أتى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أُدعُ الله يعافينى. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن شئتَ دعوت، وأن شئت صبرت وهو خير؟ فقال: فادعُه ـ فأمره ـ ان يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء: اللهم أنى اسئلك واتوجّه إليك بنبيك نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى الله فى حاجتى لتقضى!، اللهم شفعه فىَّ. قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضرّ. ويعتبر هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة السند وقد أثبتته كتب العامة قبل الخاصة حتى ابن تيمية نفسه اعتبر ناقل هذا الحديث ثقة [۲۱] . أن هذا الحديث من خلال التأمل الدقيق فى ألفاظه يظهر معناه واضحاً جلياً. حيث دل على ان الإنسان له أن يتوسل إلى الله تعالى بالذين جعلهم أدلاء على مرضاته وسبل نجاته ألا وهم الأنبياء وأفضلهم وأحسنهم خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، والتوسل يكون بجرمتهم وكرامتهم وحقهم على الله تعالى. أما التوسل بالأنبياء وبحقهم فهذا ما جاء على لسان الحديث المروى فى وفاة فاطمة أُمّ أمير المؤمنين حيث يقول الحديث «لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها [صفحه ۳۴] فقال: رحمك الله يا أمى بعد أمّى ثم دعا

رسول الله أسامَـةَ بن زيـد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وأخرج ترابه فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه، ثم قال: والله الذى يُحى ويميت وهو حيٌّ لا يموت إغفر لأمى فاطمـة بنت أسـد، ووسع عليها مـدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى [۲۲] . أمـا مـا ورد فى التوسل بالنبى نفسه، فقد روى جمع من المحدثين ان اعرابياً دخل على رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وقال: «لقد أتيناك ومالنا بعيرٌ يئط ـ أى مثل صوت البعير ـ ولا صبى يغط ـ وهو صوت النائم ـ ثم أنشأ يقول: أتيناك والعـذراء تدمـى لبانُها وقد شـغلت أم الصبـىّ عـن الطفلِ ولا شـىء مما يأكـل الناس عنـدنا سوى الحنظل العامى والعلهز الفسْلِ وليس لنـا إلا إليـك فرارُنـا وأين فرارُ النـاس إلا إلى الرسـلِ فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَجُر رداءه، حتى صعد المنبر فرفع يديه وقال: اللهم اسقنا غيثاً... فما ردا النبى حتى ألقت السماء... ثم قال: لله دَرُّ أبى طالب لو كان حياً لقرت عيناه من ينشدنا قولَهُ؟ فقام على بن أبى طالب عليهما السلام وقال: كأنك تريدُ يا رسول الله ـ قَولَهُ: وأبيض يُستسـقى الغمامُ بوجهه ثِمال اليتـامى عصـمَةٌ للأرامل يطوف به الُهلاك من آل هاشم فهم عنـده فى نعمـةٍ وفواضل فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أجـل فانشـد على عليه السـلام أبياتاً من القصـيدة، والرسول يسـتغفر لأبى طالب على المنبر، ثُم قام رجل من كنانة وأنشد يقول: لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبى المَطَر [۲۳] . ولنعم ما قال سواد بن قارب فى القصيدة التى يتوسل بها بالنبى محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم وأشـهـد أن الله لا ربَّ غيـرُه وانك مأمـون على كل غائـب وانك أدنـى المرسـلين وسيلـة إلى الله يابن الأكرمين الاطائب [صـفحه ۳۵] فمرنا بما يأتيـك يا خيـر مُرسلٍ وان كان فيما فيه شـيبُ الدوائـب وكن لـى شفيعاً يوم لا ذو شـفاعةٍ بِمُضـض فتيلاً عن سواد بن قاربِ [۲۴] . أمـا التوسل بأولياء الله تعالى فهـذا ما اثبتته الكتب الكثيرة وخاصـة الموجودة فى كتب العامـة حيث ورد فى كيفيـة استقساء المسـلمون بعم النبى «العبـاس» واستسـقى عمر بن الخطـاب بالعبـاس عام الرمادة، لما اشـتَدّ القحط فسقاهم الله تعالى به، وأخصبت الأرض ـ فقال عمر هذا ـ والله ـ الوسيلة إلى الله والمكان منه. وقال حسّان: سأل الأمام وقـد تتابع جـد بنا فسـقى الغمام بغُرّة العَبـاسِ عم النبى وصـفـو والِدهِ الذى وَرث النبى بذاك دون الناس أحيى الأله به البلاد فأصـبحت مخضـرة الأجانب بعد اليأس ولما سـقى الناس طفقوا يتمسـحون بالعباس ويقولون هنيئاً لك ساقى الحرمين [۲۵] . اقول: بعد هذا البيان يظهر لنا ان التوسل بالأولياء الصالحين مما جرت به السـنة الشـريفة فضـلا عن القرآن الكريم نفسه، وعلى هـذا الأساس جاء هذا الدعاء المروى عن علمائنـا الأفاضـل: «اللهم إنى أسألك بحق فاطمـة وأبيها وبعلها وبنيها... والـذى يظهر من خلال اسـتقراء الروايات المأثورة فى حق الزهراء أن هـذا الـدعاء وارد فى حق التوسـل بالصديقـة الطـاهرة الزهراء عليها السـلام فتارة نجـد بعض الأحاديث تبين كيفيـة التوسـل بالزهراء وتارة أخرى تبين كيفيـة الاسـتغاثة بالصديقـة الشـهيدة سـلام الله عليها. فقـد ورد عن لسان العلامـة المتبحر المجلسـى ما نصه: وجـدت نسـخة قديمة من مؤلفات بعض أصـحابنا رضـى الله عنهم ما هذا لفظه: هذا الدعاء رواه محمد بن بابويه رحمه الله، عن الأئمة عليهم السـلام وقال: ما دعوت فى أمر إلّا رأيت سـرعة الإجابـة وهو... (يا فاطمـة الزهراء يا بنت محمـد، يا قرة عين الرسول، يا سـيدتنا ومولاتنا، إنّا [صـفحه ۳۶] توجهنا واستشـفعنا، وتوسـلنا بك إلى الله، وقـدمناك بين يـدى حاجتنا، يا و جيهـة عنـد الله أشـفعى لنا عند الله...) [۲۶] . وروى فى كيفية التوسل بالزهراء، أن تصلى ركعتين، فاذا سلمت فكبر الله ثلاثاً، وسبح تسبيح الزهراء عليها السلام واسجد وقل مائـة مرة: يا مولاتى، يافاطمـة أغيثينى، ثم ضع خدّك الأيمن، وقل كذلك، ثم عد إلى السـجود وقل كذلك، ثم خدك الأيسـر على الارض وقل كـذلك، ثم عـد إلى السـجود وقل كـذلك مائة مرة وعشـر مرات، أذكر حاجتك تقضـى [۲۷] أما صـلاة الاستغاثة بـالبتول فهو نفس العمـل السـابق إضافـة إلى ذلك تقول فى السـجود: (يا آمناً من كلّ شـىء وكل شـىء منك خائف حـذر، أسألك بأمنك من كل شـىء وخوف كلّ شـىء منك، أن تصلى على محمد وآل محمد، وأن تعطينى أماناً لنفسى وأهلى ومالى وولدى حتى لا أخاف أحـداً ولا أحـذر من شـىء أبـداً، إنك على كل شـىء قـدير). والـدعاء الذى افتتحنا به البحث يؤكد على مسألة مهمة أخرى وهى حق فاطمـة عليها السـلام والـذى يهمنا فى هـذا المقام هو معرفـة حق فاطمة وما المقصود منه، والذى نراه بعد تتبع بعض روايات أهل البيت عليهم السـلام أنّ حق أهل البيت عظيم وحقوقهم كثيرة، ولكن الأهم من هـذا كله هو معرفة الحق الأكبر، والذى عبرت عنه

الروايات حق المعرفة، وبعبارة أخرى أهم حق هو معرفة كونهم عليهم السلام مفترضوا الطاعة وهذا ما أشارت إليه الكثير من الروايات المروية فى المقام. حيث فسرت حق الأئمة تارة بأنهم حجة الله على الخلق والباب الذى يؤتى منه والمأخوذ عنه، وأنهم مفترضوا الطاعة، وهكذا بالنسبة للأئمة عليهم السلام، أمّا الصديقة الشهيدة، فحقها كبير على الناس وخصوصاً الأنبياء، حيث ورد أنه ما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، وكذلك ورد أنها مفترضة الطاعة على جميع البشر وهذا حقها الأكبر [صفحه ۳۷] على الناس حيث يقول الحديث: «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة، على جميع من خلق الله من الجن والأنس والطير، والوحش، والأنبياء، والملائكة» [۲۸] على أنه كلما ثبت من حقوق للأئمة عليهم السلام فهو ثابت للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام وخصوصا نحن نعلم انه ورد عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام انه قال: (نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة حجة الله علينا). اذن من خلال هذا الموضوع نفهم ان لحقيقة التوسل بالصديقة الشهيدة عليها السلام لقضاء الحاجات بوجاهات عند الله دوراً مهماص فى ترسيخ عقيدة الإنسان المؤمن بها حيث بعد قضاء الحاجة على يديها يجد المؤمن ايماناً راسخاً بها هذا من جهة، وان حقيقة التوسل بها يضعناً أمام جملة من الحقائق لابد من الوقوف معها والتأمل فى مغزاها من جهة أُخرى. وأوَّل هذه الحقائق المنزلة العظيمة والجليلة والفريدة التى كانت تتمتع بها بضعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم مما جعلها موئلاً لكل مستغيث ومقصداً لكل طالب حاجة ضاق بحاجته ذرعاً وهو لا يدرى باب من يطرق حتى تقضى حاجته وتجاب استغاثته، فاذا بالإمام الصادق عليه السلام يقول لنا: عليكم بالزهراء، استغيثوا بأسمها ونادوا مولاتكم فاطمة، وحينئذ تقضى حاجتكم، وتنالون مطلبكم ويكفى فى مقام بيان منزلتها انها كانت المرجع لأبيها حيث كنّاها النبى صلى الله عليه وآله وسلّم بأُمّ أبيها، وانها كانت بضعة منه فمن أغضبها فقد أغضبه صلى الله عليه وآله وسلم ويكفى فى منزلتها أيضاً أنها سيدة نساء أهل الجنة،بل سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فى الدنيا والآخرة، وأنها أم الأئمة المعصومين وانها حليلة سيد الأوصياء على بن أبى طالب عليه السلام. وأما الحقيقة الثانية التى أثبتتها أحاديث التوسل بالصديقة الشهيدة، هو مسألة الشفاعة، ولما لها من الأهمية الكبرى فى حياة الفرد المؤمن، حيث نجد مسألة الشفاعة لها دور كبير فى بعث الأمل فى روح المذنبين وأن لهم أملاً يظهر خلال الدنيا على نحو التوسل وفى الآخرة على نحو الشفاعة وهذا ما أكده القرآن الكريم فى كثير من آياته [صفحه ۳۸] حيث يقول سبحانه وتعالى: (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) [۲۹] ، (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له) [۳۰] ، (لا يمكلون الشفاعة إلّا من اتخذ عند الرحمن عهداً) [۳۱] فإذا كان الله سبحانه وتعالى يأذن لبعض عباده بأن يشفعوا لغيرهم من الناس فمن أولى من بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الخصوصية. والحقيقة الأخرى التى كشفت عنها روايات التوسل والأستغاثة بالصديقة الشهيدة هى مسألة تسبيح الزهراء عليها السلام، ذلك التسبيح الذى علمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأبنته بأن تكبر الله سبحانه أربعاً وثلاثين وتحمده ثلاثاً وثلاثين وتسبحه ثلاثاً وثلاثين، عندما جاءته والإمام على بن أبى طالب عليه السلام تشكو له صلى الله عليه وآله وسلم إجهادها ونصبها ومعاناتها فى عمل البيت، فطلبت منه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعينها بخادمة تكون معواناً لها، فكان أن علمها هذا التسبيح الذى عملت به سلام الله عليها وعنها أخذ المؤمنون يسبحون به ويتعبدون بعد كل صلاة، وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد ان تصبح الزهراء عليها السلام حاضرة فى كل صلاة يؤديها مؤمن، إذ كلما تَعَبدَّ بهذا التسبيح متعَبِد تذَكرّ الزهراء ومكانتها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن الله سبحانه وتعالى. [صفحه ۴۱]

حقيقة السر المستودع فى فاطمة

اشاره

عبد الحسين صادق العاملى أنائحة مثلى على العرصةِ القَفرا تعالى أُقاسمكِ المناحةَ والذكرى حديث الجوى ياورقُ يرويه كلُّنا

عن العَبرةِ الوطفاءِ والكبدِ الحرّى كلانا كئيبٌ يُتبعُ النـوحَ أنّـةً إذا ماوعاها الصـخرُ صدّعتِ الصـخرا خذى لكَ شـطراً من رسـيسٍ مبّرح ولى منُهُ يـاذاتَ الجناحِ ذرى شـطرا خلاـ إنّهـا تبكى ومـافـاضَ دمْعُهـا وأرسلتُها مـن ذمقلتـى أدمعاً حمرا فلاـ جمرُ أحشـائى يجـفـفُ عبرتى ولا عبرتى فى صوبها تتخمـد الجمرا وقائلةٍ وهـىَّ الخليـةَ من جـوىً معرّسُهُ أضـحى فى الحيازَم والصدرا رويدكَ نهنْهْ عـن غـرامِـكَ واتخـذْ شـعاريكَ فى الخطبِ التجلـدَ والصـبرا فقلتُ ولكـنْ فـاتـنى الصـبرُ كلّهُ لرزءٍ أُصـيبـتْ فيهِ فـاطمـةُ الزهرا غـداةَ تبـدّت مستـباحـاً خباؤهـا ومهتوكةً حُـب الخفارةِ والسـترا على حينَ لاعينُ النـبـى أمامهـا لنُبصـر ماعانتـهُ بضـعتـهُ قَسـرا على حينَ لا يفُ الرسـولِ بمنتضـى الغرارِ ولـم تنـظر لرايتـهِ نشـرا بنحلتها جائتْ تطالُب معشـراً بـدا كفرهمْ من بعدِ ما أضـمروا الكفرا عَموُا عنْ هواها ثمّ صـمّـوا كثيرُهم كأنّ بسـمع القوم من قولِهـا وَقـرا لقدْ أرعشت بالوعظِ صـلَّ ضغونِهمْ فثاروا لها والصلُّ إنْ يرتعشْ يضرا فلو أنهـمْ أوصـى النبـى بظلمـهمْ لها ما استطاعوا غيرَ ما ارتكبوا أمرا وأنّـى وهمْ طوراً عليها تراثَهـا أبوا وأبوا منها البُكـا تـارةً أُخرى وهـمْ وشـموها تـارةً بسـياطهـمْ وآونةً قدْ أوسـعوا ضلعَهـا كسـرا وخلى حديـثَ البابِ ناحيةً فـمـا تمثلتُـهُ جرتْ مقلتـى نهـرا بنفسـى التـى ليلاً توارتْ بلحدهـا وكـان بعينِ الله أنْ دُفنـتْ سرّا بنفسى التـى أوصتْ باخفاءِ قبرهـا ولولاهُم كانـتْ بأظهـارِهِ أحـرى

كتمان الأسرار

أكـد القرآن الكريم فى كثير من آيـاته المباركـة على اطلاع البارى عزّ وجل على خائنـة العين وما تخفى الصـدور، ويعنى هـذا أن الله يعلم السـر وما أخفى، وهو ما أضـمره الإنسان وأسـرّه ثمّ نسيه (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) [۳۲] ، وايضاً جاء قوله تعالى (وأسـروا قولكم أو اجهروا به، أنه عليم بـذات الصـدور) [۳۳] ليؤكـد هـذه الحقيقة، حقيقة السـر الذى يكتمه الأنسان على غيره ولكن لا يخفى على الله تعـالى أى سـرٌ لأـنّ الله تعـالى خـالق الإنسان فى هـذا العالم وإلى ذلك أشار القرآن (قل أنزله الـذى يعلم السـر فى السـموات والأرض، إنه كان غفوراً رحيما) [۳۴] ، فيعلم الله تعال حقيقة أسـرار الناس وما يكتمون، إلّا أنّه هناك اسـرار مودعة من قبل الله تعالى عند كثير من الأولياء وخصوصاً الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين حيث أمرهم بحفظها ولا يظهروها إلا لمن هو أهل لها، ولنعم ما قيـل فى الشـعر المنسوب الى مولى الموحـدين أمير المؤمنين على بن أبى طـالب عليه السـلام حيث قال: لا تَفْشِ سِرَّا ما اسـتطعت الى امرىءٍ يُفشِى اليك سَرَ سَرَائر يُستودَعُ فكمـا تـراه بِسِرّ غيـرك صانعاً فكذا بِسِرّكَ لا محالـة يصنع وإلى ذلك أشار الفرزدق: لا يكْتُم السّرَّ إلا من له شَرفُ والسِّرُّ عند كرام الناس مكتُومُ [صفحه ۴۴] السِّرُّ عندى فى بيت له غلقٌ ضلت مفاتيحه والباب مَردُومُ اذن الأسرار المودعة من قبل الله تعالى عند الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين هى أمانات وكما ورد فى المثل الذى يقول «السر أمانة فانظر عند من تضع أمانتك». وقال الله تعالى: (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) [۳۵] . وأسرار الله تعالى كلها أماناته فى أرضه وقلوب أوليائه ولا إجازة لهتكها وكشف قناعها إلا بين يـدى صاحبها الذى هو أهلٌ لها وهذا أمرٌ أمر الله تعالى به عباده المخلصين من الأنبياء والأولياء ـ عليهم السـلام ـ وبالغ معهم، وأمرهم ايضاً ان يأمروا بـذلك المؤمنين ويبالغوا فيه، حتى قالوا «افشاء سـر الربوبيـة كفر وهتك استار الألوهية زندقة» وقالوا «لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها، فتظلموها، ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الشفيق يضع الـدواء موضع الـداء». وقـالوا فى الشـعر المنسوب الفارسـى «فمن منع الجهـال علمـاً أضاعه ومن منع المسـتوجبين فقـد ظلم»، وأقوالهم الشاهدة بذلك واشاراتهم الدالة عليه أشـهر وأظهر من أن تخفى على أحد، ومع ذلك نحن نذكر بعض ذلك استظهاراً لك ولغيرك لئلا يهمله أحد ويوقع نفسه فى الهلاك الأبدى والشـقاء السرمدى، حيث جاء قوله تعالى تعليماً لعباده وتأكيداً لهم فى أداء الأمانة التى هى أسـراره إلى أهلهـا (أنـا عرضـنا الأمانـة على السـموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان أنه كان ظلوماً جهولاً) [۳۶] . والمراد انه يقول: الذى هم الملائكة والجن والحيوانات والوحوش الطيور وغير ذلك ـ أو على استعداد كل واحد من السماوات والأرض والجبال بنفسـها، لانها عند الأكثرين شاعرة بذاتها ـ لاجل ايداع أمانتنا التى هى أسرارنا فما وجدنا أهلاً لها ومستعدين لحملها لعدم قابليتهم وضعف استعدادهم لأن حمل الشيء وقبوله موقوف على قابليه ذلك الشيء واسعداده ووجدنا الإنسان أهلاً لها ومستعداً

لحملها فأمرناه بحملها وأشرنا إليه بقبولها لأنّه كان «ظلوما جهولاً» أى بسبب أنه كان مستعداً لها ومستحقاً لحملها «بظلوميته وجهوليته». [صفحه ۴۵] فكأنه يقول: ان السبب الأعظم والمُمَد الأعلى فى أهليته لهذه الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال ومافيها من المخلوقات كان «ظلوميته وجهوليته» لانه لو لم يكن مستحقا لحملها ومستعداً لقبولها لكان كغيره من الموجودات لعدم هاتين الصفتين فيه، وعلى هذا التقدير تكون صفتا «الظلومية والجهولية» مدحاً له «يعنى للإنسان» لا مذمة كما ذهب إليه أكثر المفسرين [۳۷] ، ولا شك انه كذلك واللام فى «لانه» لام التعليل لا غير، ليعرف به هذا المعنى والمراد بالإنسان نوعه وبالحمل استعداده للحمل وقابليته له. وهذا هو المعنى المطابق للامانة والعرض والحمل والقبول والإباء اجمالاً لاغير، وإلّا الأمانة ما كانت شيئاً محسوساً معروضاً على كل واحد من الموجودات حساً وشهادة ولا كان آباؤهم عنها قولاً وفعلاً، كما يرسخ فى اذهان المحجوبين عنها. اذن بما أنه تعالى مع عظمة شأنه وجلالة قدره لم يضع ويدع الأمانة إلا عند أهلها، ولم يأذن بها إلا إلى صاحبها فلا ينبغى ان يفعل غيره بخلاف ذلك وإلا يكون مخالفاً لأمره سالكاً غيره طريقه وايضاً لو لم تكن رعاية الأمانة عنده عظيمة ما مدح بنفسه للراغبين أمانته، وما سلكهم فى سلك المصلين الصلاة الحقيقية، وما جعلهم من الوارثين (قد افلح المؤمنون الذى هم فى صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون) إلى قوله تعالى (اولئك هم الوارثون الذى هم يرثون الفردوس هم فيها خالدون) فحيث مدحهم على ذلك وسلكهم فى سلك هؤلاء المعظمين بل قدمهم عليهم وجعلهم من الوارثين «الذين يرثون الفردوس» فعرفنا ان رعايتها «يعنى رعاية الأمانة» معتبرة وقدرها جليل وشأنها عظيم وبالجملة الخيانة فى هذه الأمانة هى أيداعها عند غير أهلها، وامساكها عن أهلها، وكلاهما غير جائز وإليه أشار جل ذكره فى قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون) أى «لا تخونوا الله والرسول» بأيداع أسرارهم عند غير أهلها «وأنتم تعلمون» عاقبة الخائن وصعوبة عذابه وشدة عقوبته: (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) اى ذلك القول «وصاكم به [صفحه ۴۶] لعلكم تتقون» عنها أى تحترزون عن الخيانة بعد ذلك وتعظمون مكانتها. جعلنا الله من الحاملين أمانته والراعين عهده، الموفين به الوارثين جنته، بمحمد وآله أجمعين. واذ فرغنا من كلام الله تعالى، فلنشرع فى كلام الأنبياء عليهم السلام ومنها قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم «من وضع الحكمة فى غير أهلها جهل، ومن منع عن أهلها ظلم» «ان للحكمة حقاً، وان لها أهلاً: فأعط كل ذى حق حقه» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «ان من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه غلا أهل المعرفة بالله، فاذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله» وغير ذلك من الأقوال المعلومة لأهلها. والغرض انه صلى الله عليه وآله وسلم أمر بذلك وفعل بنفسه، لأنه إذا أراد إيداع مثل هذه الأسرار فى قلوب أصحابه وخواصه كان يخلو بهم ويقول فى آذانهم، كما فعل بأمير المؤمنين على عليه السلام وأخبر عنه أمير المؤمنين بقوله «تعلمت من رسول الله ألف باب من العلم، وفتح الله تعالى لى بكل باب ألف باب» وإلى كتمانه واخفائه بنفسه عن الأغيار أشار أيضاً بقوله «اندمجت على مكنون علم، لو أبحث به لا ضطربتم اضطراب الارشية فى الطوى البعيدة». والى ثمرة أظهاره ـ أعنى من الفساد ـ أشار أيضاً وقال «والله لو شئت أن أخبر بكل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ولكنى أخاف أن يكفروا برسول الله» وهذا أمر منه بأخفاء اسرار الله وكتمانها وكناية عن أخفائها ولهذا لما قال له الخصم «أنت تتكلم بالغيب» قال ويحك! ان هذا ليس بغيب، ولكنّه علم تعلمتُ من ذى علم» أراد به النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وكما فعل بسلمان ايضاً، أى جعله صاحب سّر وقال فيه: «سلمان منّا أهل البيت» أى من أهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا من أهل بيت النسوان والصبيان والاهل والاولاد، وقال تأكيداً لهذا المعنى «لو علم أبو ذر ما فيبطن سلمان من الحكمة لكفره!» وروى «لقتله!» وكلاهما صحيح فأنظر إلى عظمة السر المودع عند سلمان، وعلى المبالغة فى كتمان أسرار الله تعالى حيث عرفت أنّ كبار الصحابة كانوا يخفون بعضهم عن بعض حتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولعظمة أن سلمان وقربه إلى حضرة الرحمان قال عليه السلام «الجنة أشوق الى سلمان من سلمان الى الجنة» وكذلك لجلالة قدر أويس القرنى رحمه الله لا طلاعه على أسرار الله تعالى كشفا وذوقا، قال صلى الله عليه وآله وسلم فى حقه حيث كان [صفحه ۴۷] يستنشق من طرف اليمن روائح أنفاسه الشريفة من حيث الباطن أو الظاهر: «أنى لأستنشق روح الرحمن من طرف اليمن» وورد «من ناحية اليمن» و «من قبل اليمن» وقد سأله

سلمان عن هذا الشخص فقال له عليه السلام: «ان باليمن لشخصاً يقال له: «أويس القرنى يحشر يوم القيامة أمة وحده يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر، ألا من رآه منكم فليقرأه عنى السلام، ليأمره أن يدعو لى». وإلى غلبة هذه الأسرار بالنسبة إليه فى بعض الأوقات قال: «لى مع الله وقت لا- يسعنى فيه مقرب ولا- نبى مرسل» والمراد أنّ لى مع الله حالات وأوقات لا- يمكن ان يطلع عليها أحد، لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا غيرهم من المخلوقات، وكأنه يشير الى أنه ما تنكشف عليه هذه الاسرار ولا تتجلى له هذه الأنوار إلّا عنده تجرده عن جميع التعلقات الروحانية والجسمانية - حتى النبوة والرسالة - وعن جبرئيل وابلاغه أيضاً لقوله عليه السلام: «لو دنوت أنملة لا حترقت» وبالحقيقة المعراج عبارة عن هذا المقام، إن أُريد به العراج المعنوى، وإن أُريد به المعراج الصورى فهو ظاهر وقد عبر عليه السلام عن شدة تعلقه بالنبوة والرسالة ومنعهما من الوصول إلى حضرة الحق جل جلاله وقال حين خلاصه عنهم لحظة «لا يسعنى فيه ملك مقرب أى جبرئيل وابلاغه «ولا نبى مرسل» أى النبوة ورسالتهما لأن الرسالة ابلاغ ما حصل عن النبوة وإلى هذا المقام أشار - جل ذكره - «ولن أجد من دونه ملحداً إلاّ- بلاغاً من الله ورسالاته» وأمثال ذلك كثيرة. والغرض منه أنّ إخفاء أسرار الله تعالى - خصوصاً الأسرار المتعلقة بهم - واجب من غير أهلها لأنها لا زالت كذلك أى مخفية عن غير أهلها، مودعة عند أهلها، وإذا عرفت هذا فلنرجع إلى قول الأولياء عليهم السلام أعنى اكتفينا منهم بأعظمهم وأكملهم الذى هو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومنها قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وأقواله فى هذا الباب كثيرة نذكر منها أحسنها وألطفها، وهو ما جرى بينه وبين كميل بن زياد النخعى رحمه الله الذى كان من أخص تلامذته وأعظم أصحابه وإليه تنسب خرقة الموحدين وطريقة المتحققين حين سأله عن «الحقيقة» بقوله «ما الحقيقة!» فقال له عليه السلام: «مالك والحقيقة؟» يعنى من أنت [صفحه ۴۸] والسؤال عن الحقيقة ولست بأهلها! فقال كميل: «أولست بصاحب سرك؟» قال: «بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح منّى» يعنى أنت صاحب سرى ومن أخص تلامذتى ولكن لست بأهل لمثل هذا السر والإطلاع عليه لأنه «يرشح عليك ما يطفح من» و «إلاّ كان الأمر» يضرك ويضرنى لأن ظرفك لا يحتمل فوق قدرك، وأنا مأمور بوضع الشىء فى موضعه، فقال كميل: «أومثلك يخيب سائلاً-؟» أى مثلك فى العلوم والحقائق والإطلاع على استعداد كل سائل «يخيب سائلاً» أى يمنعه عن حقه ويجعله محروماً عن مراده، خائباً عن مقصوده، ساكتاً عن جوابه؟ لا والله بل يجب عليك وعلى مثلك جواب كل واحد منهم بقدر استعداده وفهمه وادراكه مطاوعة لقوله تعالى: (أما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدّث) وأسوة نبيك صلى الله عليه وآله وسلم لقوله «كلموا الناس على قدر عقولهم» فشرع الإمام عليه السلام بعد ذلك فى بيانه وقال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، فقال كميل: زدنى فيه بياناً، قال الإمام عليه السلام: صحو الموهوم مع محو الملعوم. قال كميل: زدنى فيه بياناً، قال الإمام عليه السلام: هتك السر لغلبة الستر. قال كميل: زدنى فيه بياناً. قال الإمام عليه السلام: نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره. قال كميل: زدنى فيه بياناً، قال الإمام عليه السلام: أطف السراج، فقد طلع الصبح. وهذا الكلام يحتاج إلى شرح طويل وبسط عظيم، ولكن معنى الكلام الأخير انه يقول: اسكت بعد ذلك أى بعد هذا البيان التام والإظهار الكامل والكشف الجلى، عن السؤال من لسان العقل ومقام القلب ومرتبة السلوك، لأنه قد طلع تباشير شمس الحقيقة وظهر شعاعها فى الآفاق، ولست أنت بعد ذلك، محتاجاً إلى السؤال من لسان العقل الذى كالسراج بالنسبة للشمس. والمراد أن الشخص إذا وصل إلى مقام المشاهدة والكشف فلا- ينبغى له أن يطلب المقصود من طريق المجادلة والمباحثة لأنّ الكشفيات والذوقيات غير قابلة للعبارة والاشارة والسؤال والجواب كما أشار إليه أولا- «كشف سبحات الجلال من غير اشارة» فكأنه أمره بالسكوت والصمت والتوجه إلى حضرته تعالى حتى يدرك مقصوده بالذوق الذى هو أعلى مراتب الوصول إلى الله تعالى، وعن هذا المقام قال [صفحه ۴۹] العارف: «من عرف الله كلَّ لسانه» أى «من عرف الله» على سبيل المشاهدة والذوق «كلَّ لسانه» عن العبارة والاشارة والغرض من هذا كله ان الإمام عليه السلام اذا كان بأفشاء الأسرار اللهية من أعظم خواصه وأكبر تلامذته بهذه المثابة، فلا يجوز لغيره افشاؤها مع كل أحد من العوام والجهال، فاذن عليك بكلتمانها واخفائها عن غير أهلها اتباعاً لله تعالى ولرسوله ولإمام المسلمين كافة. ويروى عن كميل رضى الله عنه مثل ذلك أيضاً وأبلغ فى كتمان الأسرار واخفائها، كما هو مذكور فى نهج البلاغة،

وهو أنه قال رضى الله عنه: «أخذ بيدى أمير المؤمنين على عليه السلام فأخرجنى الى الجبّابة فلمّا أصحر، تنفس الصعداء، ثم قال لى: يا كميل بن زياد! «إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فأحفظ عنّى ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم، ولم يلجأ وإلى ركن وثيق. يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله، يا كميل! معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته، العلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل بن زياد: هلك خزان الاموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة؟ إنّ ههنا لعلّماً جماً ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة! بلى! أصبت لقناً غير مأمون عليه، مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله تعالى على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحقّ لا بصيرة له فى أحنائه، ينقدح الشك فى قلبه لاول عارض من شبهة: ألا! لاذا ولاذاك، أو منهوماً باللذة ـ سلس القيادة للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادخار ليس من رعاة الدين فى شىء أقرب شىء شبهاً بهما الانعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى: لا ـ تخلو الأرض من قائم الله بحججه، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته، ولم ذا؟ وأين أولائك ـ لا والله ـ الاقلون عدداً. والاعظمون عند الله قدراً، يهم يحفظ الله تعالى حججه وبيناته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، [صفحه ۵۰] وباشروا ردح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولائك خلفاء الله فى أرضه، والدعاة إلى دينه، آه، آه! شوقاً الى رؤيتهم». واذ فرغنا من كلامه فى كتمان الأسرار والمبالغة فيه بقدر هذا المقام، فلنشرع فيه من كلام الأئمة المعصومين من أولاده عليهم السلام ومبالغة فى هذه المقدمة، وان قيل: يكفى فى هذه المقدمة ما قدمتم من آية أو آيتين، وخبر أو خبرين لأنّ المقصود يحصل منهما، فلا فائدة فى التطويل وزيادة فى الكلام؟ أجيب عنه بأن المراد ليس نفس الاخفاء ولا الكتمان، بل هناك غرض آخر يفهم من البحث الاتى فى آخر هذه العجالة وهو معرفة حقيقة السر المستودع فى فاطمة وهل هو ظاهر أم مستور ستره الله عن جميع البشر إلا الأولياء الخلص، وبقية الأغراض سوف تظهر من بعد ذلك. ومنها قول الأئمة المعصومين من أهل بيت النبى ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وهو أنّه مرويٌّ برواية صحيحة عن احدهم عليهم السلام قال: «أن أمرنا صعب مستعصب، لا ـ يحتمله إلّا ملك مقرب، أو نبى مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»، وقال: «خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم بما ينكرون،ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا، أنّ أمرنا صعب مستعصب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبى مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان» [۳۸] . وروى محمد بن عبدالجبار عن الحسين بن الحسين اللؤلؤى عن محمد بن الهيثم، عن ابيه، عن أبى حمزة الثمالى، قال: «سمعت أبا جعفر «يعنى الإمام الباقر» ـ يقول: أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبى مرسل، أو مؤمن امتحنه الله قلبه للإيمان. ثم قال: يا أبا حمزة! ألست تعلم أنّ من الملائكة مقرباً وغير مقرب؟ ومن النبيين مرسلاً، وغير مرسل؟ وفى المؤمنين ممتحناً وغير ممتحن؟ قال: قلب بلى؟ ألا ـ ترى صعوبة أمرنا؟ ان الله تعالى أختار له من الملائكة المقرب ومن النبيين المرسل ومن المؤمنين الممتحن». [صفحه ۵۱] وروى محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن جابر عن أبى عبدالله يعنى الإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ أنه قال: «أمرنا سرٌّ مستور فى سّر، وسرّ مستسّر، وسرّ لا يفيده إلا سرّ وسرّ على سرّ، مقنّع بسّر» وروى ايضاً أنّه قال: «أمرنا سرّ مستور فى سرّ، مقنع بالميثاق: من هتكه أذله الله» [۳۹] وروى ابن محبوب، عن مرازم، قال «قال لى أبو عبدالله عليه السلام: «أمرنا هو الحق وحقّ الحقّ، وهو الظاهر، وباطن الباطن، وهو السرّ، وسرّ السرّ، والسر المستتر، وسرّ مقنع بسّر». وإلى كتمان هذا السر، أشار بقوله عليه السلام: «التقية دينى ودين آبائى، فمن لا تقية له، لا دين له» [۴۰] يعنى: الإتقاء والإحتراز من افشاء الأسرار الإلهية، «دينى ودين آبائى» من الأنبياء والأولياء عليهم السلام «فمن لا ـ تقية له» فى إخفائها «لا دين له» وإلى هذا أشار علماؤنا فى كتبهم وقالوا: التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج الإمام القائم الذى يظهر الدين كله ويكون من المشرق إلى المغرب على ملّة واحدة كما كان الشأن فى زمان آدم عليه السلام، فمن تركها «يعنى التقية» قبل خروجه فقد خرج مندين الإمامية، وخالف الله تعالى

ورسوله والأئمة عليهم السلام وهذا الكلام منقول من «اعتقادات ابن بابويه رحمه الله». وروى عمران بن موسى عن محمد بن على وغيره، عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: «ذكر علىّ عليه السلام التقية فى يوم عيد». قال والله لو علم أبو ذر ماذا فى قلب سلمان، لقتله!»، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما، فما ظنك بسائر الخلق؟ «ان علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبى مرسل، أو عبد مؤمن، امتحن الله قلبه للإيمان. قال: «وإنما صار سلمان من العلماء، لأنه أمرؤ منّا أهل البيت». فلذلك نسبته الينا [۴۱] وإلى هذا كله أشار الإمام المعصوم زين العابدين عليه السلام فى أبيات منسوبة إليه، وهو قوله: انى لاكتم من علمى جواهره كيلا يرى الحقَّ ذو جهل فيفتتنا وقد تقدّمنا فيها أبو حسن مع الحسين ووصّى بها قبلها الحسنا [صفحه ۵۲] يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لى: أنت ممن يعبد الوثنا! ولا ستحل رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يأتونه حسنا وعلى هذا الاساس نجد ان الأئمة من آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانوا يحملون الأسرار الربانية التى أفاضها البارى عليهم منذ أن خلقهم أنواراً وجعلهم بعرشه محدقين وإلى أن مَنَّ بهم علينا، ولكن لا يظهرون هذه الأسرار إلا لمن وجدوه أهلاً لحمل الأمانة، ومستودعاً لها، وإلى هذا الأمر ـ أعنى حمل الأسرار ـ ورد فى الزيارة الجامعة الكبيرة لأئمة المؤمنين عليهم السلام ما نصهُ: (... السلام على محال معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظه سر الله... اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسره... وأنصاراً لدينه، وحفظة لسره... ومستودعاً لحكمته...). وغير ذلك من الاقوال والزيارات الواردة والتى تصفهم عليهم السلام بأنهم المستودع لسّر الله، وان هذه الاسرار لا يعطوها إلا إلى أهلها وإلى ذلك أشار الحديث المروى عن أبى بصير قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمد، إن عندنا والله سراً منسّر الله وعلماً من علم الله، والله لا يحتمله ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، والله ما كلف الله ذلك، أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وان عندنا سراً من سر الله، وعلما من علم الله أمرنا بتبليغه فبلغنّا عن الله عزّ وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً، خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام، ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته وضعهم بفضل صنع رحمته التى صنع منها محمداً وذّريتَهُ، فبلّغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك «فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه» وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا، وحديثنا فلولا أنهم من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه، ثم قال: إنّ الله خلق أقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم، وأشمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولم يحتملوه، وكذبوا به وقالوا ساحرٌ كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولو لا ذلك ما عُبدَ الله فى أرضه، فأمرنا بالكف عنهم والستر والكتمان، فاكتموا عمّن أمر الله بالكف عنه واستروا عمن أمر الله [صفحه ۵۳] بالستر والكتمان عنه، قال: ثمّ رفع يده وبكى وقال: اللهم إن هؤلاء لشر ذمة قليلون، فاجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم ولا تسلط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم، فأنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً فى أرضك وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً [۴۲] ». أقول: يظهر من هذا الحديث عدة أمور أهمها: إنّ أهل البيت عليهم السلام عندهم أسرار قد آمنهم عليها رب العزة لا يتحملها غيرهم ولا يخرجونها إلى أحد منهم مكلفون بها وبحملها والحفاظ عليها وهذا هو معنى «حفظة سرّ الله» الوارد فى الزيارة الجامعة الكبيرة، وايضاً قوله عليه السلام ان عندنا... وعلماً من علم الله يعنى حكمة الله تعالى انهم هم الودائع لها وهذا معنى قوله فى الزيارة ومستودعاً لحكمته، وعلى هذا تكون هذه الأسرار خاصة بهم لا يخرجونها إلى غيرهم فهم أولى بحملها من غيرهم لانهم فقط الذين يحتملونها. وكذلك عندهم سّر من أسرار الله تعالى وعلماً من علم الله تعالى احتمله نبىٌ مرسل وملك مقرب وعبد امتحن الله قلبه للايمان وقد عبر الرواية ان هذه الأسرار والعلوم لا يحتملها إلا من هو مخلوق من طينتهم وهم الشيعة الحقيقيين، الذى بشرهم هذا الحديث بالدعاء من قبل الإمام عليه السلام لهم بأن تكون حياتهم مثل حياة أهل البيت عليهم السلام. إذن يظهر من هذا الحديث وأحاديث مأثورة عنهم عليهم السلام أنهم كانوا يحملون أسرار الله تعالى قد أودعها البارى عز وجل فيهم وكما بينت ذلك الفقرات الواردة فى الزيارة الجامعة، وبما أنهم ذرية الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها والتى قد أُقر بفضلها ومحبتها جميع الأنبياء والبشر

وانها كانت مفروضة الطاعة وعلى معرفتها دارت القرون الاولى، تكون عندئذ ايضاً حاملة للاسرار الالهية لانه كيف تكون حجة الله على الأئمة وكما ورد ذلك فى الحديث المأثور عن الإمام الحسن العسكرى «نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا» وهم حاملين للاسرار وهى تكون غير حاملة له؟ ولكن السؤال الذى ينقدح فى المقام هو كيف كانت مستودعاً للسر الالهى وما هو حقيقة هذا السر المستودع؟ كل هذه الأسئلة لابد [صفحه ۵۴] من ادراكها وعلى ما تحتمله لكى نعرف فاطمة ولو معشار عُشر المعرفة التى فُطمنا عنها ـ أى عن معرفة فاطمة عليها السلام. اقول: قبل أن ندخل فى تفاصيل السر المستودع وحقيقة ماهيته لابد أن نرى كيف إقتضت ات الزهراء لحمل الأمانة الالهية التى جعلها مستودعاً لها، وهذا يظهر لنا من خلال مراجعة واستقراء الاحاديث المأثورة فيها والزيارات الواردة فى علو مقامها وشأنها ونستنطقها الحال ونستقرئها الجواب لكى نفهم كيف اقتضت المشيئة الربانية ذلك، وان أول ما يظهر من الجواب على ذلك من خلال الزيارة الواردة فى شأنها فى يوم الاحد والتى تقول الزيارة: «السلام عليك يا ممتحنة إمتحنك الذى خلقك قبل أن يخلقك وكنت لما امتحنك صابرة». والذى يظهر من هذه الزيارة المخصوصة للصديقة الشهيدة انها أُمتحنت من قبل البارى عز وجل وقبل خلقها أى عندما كانت نوراً من الانوار التى خلقها الله تعالى قبل الخلق بالف عام والتى كانت بعرشه محدقة، والامتحان كان لها لاجل أظهار مقامها السامى ومنزلتها الحقيقية حيث كانت نتيجة الامتحان صابرة، والمعروف عند العرف العقلائى ان الامتحان يمتحن فيه الشخص لُيعرف مدى استعداداته وقابلياته «عند الامتحان يكرم المرء أو...»، لذا نجد من باب ان البارى عز وجل الذى هو سيد العقلاء بل هو خالق العقل أجرى الامتحان الربانى للزهراء حيث امتحنها، ونحن نعرف ان الامتحان يكون للمرء إما لزيادة منزلة ومقام أو لأجل شىء آخر، ولكن الزهراء عليها السلام إمتحنها الله تعالى لكى تكون حاملة للأسرار الالهية وذلك ما إقتضته المشيئة الربانية فيها، لذا كانت ناجحة فى الامتحان الربانى قبل خلقها حيث استحقت لقب الصابرة، اما ماهية هذا الامتحان وفى أى موضوع كان، وكيف أجراه الله تعالى عليها؟ فهذا ما أشارت إليه بعض الروايات والتى نستفيد من خلال التمعن فيها والتدقيق فى مدلولاتها انها امتحنت فى حمل الأمانة الربانية فوجدها البارى عز وجل صابرة على حمل العلم والأمانة الربانية، لذا استحقت حمل الأسرار الربانية، ولكن ينقدح السؤال المهم فى المقام ما هو حقيقة هذا السر المستودع فى فاطمة؟. أقول: قبل الاجابة على حقيقة هذا السر، أود أن أشير إلى مسألة مهمة تظهر لنا من [صفحه ۵۵] خلال عرض الروايات التى تقول ان الاسرار التى اكن يحملها أهل البيت لا يتحملها إلا نبى مرسل أو ملك مقرب أو عبد أمتحن الله قلبه للايمان، أى من خلال عرض هذه الروايات الواردة فى حمل أسرار الأئمة وانه لا يحملها إلا الممتحن ومطابقتها مع الزيارة الخاصة بالصديقة الطاهرة والتى تقول «السلام عليك يا ممتحنة» يظهر لنا من خلال هذه المطابقة ان العبد الممتحن هو الوحيد الذى يستطيع حمل الأسرار والعلوم الربانية فأفهم تغنم فان فى الأمر اشارات لا يسع المقام أن يُظهرها من خلال القلم أو الكتاب. أما حقيقة السر المستودع فيظهر لنا من خلال عدة احتمالات نحتملها فى كونها هى مفاد السر المستودع، ولا تقصد من ان ظهور هذه الاحتمالات يكون بالقطع اليقينى، كلا فان الأمر أعلى وأجل من أن يظهره قلم أو يحظر على ذهن كاتب، أو عالم، وأنما الأمر يتجاوز المقام، فان من الأسرار التى يمتلكها أهل البيت عليهم السلام ما لم يخطر على بال بشر، وكيف لا وهم الذين اصطفاهم الله تعالى ليكونوا الدالين على مرضاته وهم الصراط الاقوم، اما هذه الاحتمالات فلها شواهد ولها قرائن تدل عليها ولا يعنى انها هى السر المستودع فى فاطمة عليها السلام بل نترك ذلك للمؤمن لكى يتبحر فى عرفان الصديقة الطاهرة سلام الله عليها عسى ولعل يصل الى حقيقة الأمر، اما هذه الاحتمالات مع بعض القرائن والشواهد عليها: ۱ـ السر المستودع هو المهدى (عج): قد يكون السر هو صاحب الزمان عج الذى سوف يُظهِر الله الدين كله على يديه فى آخر الزمان، لكون ان الزهراء عليها السلام جدّته، وخصوصا نحن نعلم أن الأئمة من ولدها، فعليه قد يكون السر الذى سوف يُظهِرهُ الله فى وقته هو الإمام الحجة، ويدل على كون المهدى هو من ولد فاطمة عليها السلام، فى الحديث المروى عن أبى أيوب الأنصارى والذى من جملته كان الخطاب لفاطمة عليها السلام... عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... «ومنا سبطا هذه الأمة وسيّدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين وهما أبناك، والذى نفسى بيده منا مهدىّ هذه الأمة وهو من ولدك» [۴۳] . [صفحه ۵۶] وعن أُم سلمة، قالت:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المهدى من عترتى من ولد فاطمة» [۴۴] . وقد يرد على هذا الاحتمال بأنه اذا كان المهدى (عج) سراً من الأسرار المستودعة فى فاطمة فى ذلك الزمان ولم يعرف ولم يُظهر لأ؛دنا فان هذا القول الآن يصبح منتفى لكون مسألة الإمام المهدى والوعد الالهى فيه أصبحت من المتسالمات عند أكثر المسلمين، هذا من جهة، وكون الدعاء يقول أى أتوسل بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها... ولفظة بنيها تشمل كل أبناء الزهراء المعصومين والدعاء فى ختامه يقول والسر المستودع، فانه لا معنى ان يتوسل المؤمن بالسر المستودع الذى يكون المهدى (عج) وفى نفس الوقت يتوسل ببنيها، الذى هو منهم ومشترك معهم، وربما يجاب أنّه من باب ذكر الخاص بعد العام ليفيد الحصر أو الإختصاص؟!!! ۲ـ وقد يكون السر المستودع أشارة الى ان ولاية الله تعالى سوف تكون فى ولد فاطمة وان الأئمة المعصومين منها سلام الله عليها، وقد وردت عدة شواهد روائية تدل على أن الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام وان الولاية فيهم والإمامة منحصرة فى وجودهم المبارك وهذا ما اثبته القرآن الكريم والسنة الشريفة ويكفى فى اثبات ولايتهم ما جاء فى كتاب الغدير للعلامة الامينى، ولكن ننقل لك بعض الشواهد فى هذا الأمر المهم والتى كان منها ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل قال: «إن الله عز وجل نظر إلى الأرض ثالثة فاختار منها أحد عشر إماماً... وأمّهم فاطمة ابنتى [۴۵] . وفى حديث آخر عن جابر بن عبدالله الانصارى قال: «أشهد بالله لقد دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهنئها بولدها الحسين، فاذا بيدها لوح أخضر من زبرجدة خضراء فيه كتاب أنور من الشمس... فقلت: ما هذا يا بنت رسول الله؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله عز وجل إلى أبى، فيه اسم ابى وأسم الاوصياء [صفحه ۵۷] بعدى من ولدى، فسألتها ان تدفعه إلى لأنسخه ففعلت... [۴۶] ». وهذا الاحتمال يرد عليه بكون الدعاء، يقول بفاطمة... وبنيها والسر المستودع فيكون تكرار للقسم بالأئمة الذين هم بنيها وكذلك بالسر المستودع الذى هو الأئمة. ۳ـ السر المستودع هو أمرهم كما فى بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام: «إن أمرنا سّر مستتر وسّر لا يفيده إلا سّر وسّر على سّر وسرّ مقنع بسر». وعنه عليه السلام أيضاً: «إن أمرنا هذا مستور مقنع بالميثاق من هتكه أذله الله». وعنه عليه السلام: «أن أمرنا هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السّر وسّر السّر وسّر مستسر وسّر مقنع بالسر». فالزهراء بما أنها أم الأئمة وهى حجة الله عليهم وانها مفروضة الطاعة على جميع البشر كما ورد ذلك فى الاحاديث المأثورة تكون الأسرار التى مودعة فيها معروفة عند الأئمة وهم يحافظون عليها وقائمون بمقتضاها، أو تعلقاتها أو تبليغ دواعيها ومحافظين على هذه الأسرار ولا يظهرونها لأحد إلا من كان محتملاً لعلمهم واسرارهم ولذلك ظهر الشىء القليل منها، لسلمان وكميل وأبى ذر وغيرهم من المؤمنين الممتحنين، فامرهم هو سر الله تعالى المودع فى فاطمة عليها السلام والأئمة يحافظون على اسرار هذا الأمر وان كان تفسير الأمر فى الروايات المأثورة هو أمر الولاية، «السلام على محال معرفة اله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظة سر الله» [۴۷] . ۴ـ السر المستودع هو العلوم الربانية المودعة فى فاطمة عليها السلام، وهذا ما نستطيع فهمه من خلال الأحاديث المروية فى شأنها سلام الله عليها حيث كانت المحدّثة من قبل الملائكة وكان لها مصحف يتوارثه الأئمة واحداص بعد واحد وفيه كل ما يحتاجونه من الذى يجرى على البشر وفيه أسماء الحكام الذى يحكمون وحكموا من زمن آدم الى آخر يوم من الدنيا، وعليه نحتمل ان يكون المصحف هو السر المودع فى فاطمة وهذا فيه من الأمور التى لم يطلع عليها سوى ابناء الزهراء الأئمة المعصومين الذين يتوارثون هذا المصحف وينظرون فيه وهو من املاء رسول الله وربما من املاء الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، وهذا ما أشارت إليه جملة من الروايات الواردة فى المقام ومنها: «ما رواه الحسين بن أبى العلاء قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول عندى الجفر الأبيض قال قلنا وأى شىء فيه، قال: فقال لى زبور داود، وتورة موسى، وانجيل عيسى، وصحف ابراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما أعم أن فيه قرآنا وفيه ما يحتاج الناس الينا ولا نحتاج إلى أحد حتى أنّ فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة...» [۴۸] . وأيضاً ما رواه أبو بصير بالسند المتصل قال دخلت على أبى عبدالله عليه السلام فقلت له إنى أسئلك جعلت فداك عن مسئلة ليس هيهنا أحد يسمع كلامى فرفع أبو عبدالله عليه السلام ستراً... «وساق الحديث»... حتى أجابه الإمام قائلاً: «وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل

قرآنكم هـذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد انما هو شـيء املاها الله وأوحى اليها قال قلت هذا والله هو العلم انه لعلم وليس بـذاك قال ثم سكت ساعة ثم قال: انّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال انه العلم وما هو بذاك، قال قلت جعلت فداك، فأى شـيء هو العلم، قال ما يحدث باللّيل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة [۴۹] . وفى حديثٍ عن حمّاد بن عثمان قال سـمعت أبا عبدالله عليه السـلام يقول: «تظهر الزنادقة فى سنة ثمانية وعشـرين ومائـة وذلك لأنى نظرت فى مصـحف فاطمـة قال فقلت: وما مصـحف فاطمة عليها السـلام؟ فقال: ان الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صـلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة من وفاته من الحزن مالا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل اليها ملكا يسّلى عنها غمها ويحدثها، فشـكت ذلك الى أمير المؤمنين عليه السـلام فقال لها إذا أحسـست بذلك فسمعت الصوت فقولى لى فاعلمته فجعل يكتب كلما سـمع حتى أثبت من ذلك مصـحف قال: ثم قال اما انه ليس فيه من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون. [صفحه ۵۹] أقول: يظهر من هذا الحديث وأحاديث أخرى مأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ان مصحف فاطمة متوارث من قبل الأئمة وفيه علم ما كان ويكون إلى آخر الزمان، وفيه الحكام الـذين يحكمون والفرق التى تظهر وتبتـدع فى كل زمان، ويظهر من هـذا المصـحف انه من إملاء الإمام على عليه السـلام حيث كانت الملائكة تحدث الصديقة الشـهيدة عليها السـلام بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وتملى على علىّ عليه السـلام ويكتبه، وعلى هـذا الاساس يكون المصـحف متأخر رتبـة فى الوجود والظهور عن الاساس الـذى اسسـناه فى كون السـر المسـتودع فى فاطمـة كان بعـد امتحانها قبل الخلق وكما بيّناه فى مقدمـة البحث، فعليه يكون هـذا الاحتمال فى كون المصحف هو السر المستودع فى فاطمة عليها السلام بعيد وعلى ضوء الاساس الذى بيناه، لذا تكون العلوم الربانية ليست هى السر المسـتودع وخصوصا نحن نعلم ان ورد فى الروايـة الشـريفة عن أبى عبـدالله عليه السـلام حيث يقول: (إن عنـدنا والله سـرّاً من سـرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للأيمان والله ما كلّف الله ذلك أحـداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا...) [۵۰] . فيتبين من هذه الرواية ان عند أهل البيت بما فيهم فاطمة عليها السلام عندهم سراً من سر الله تعالى وهذا غير العلم وإلا لكان الإمام يقول العلم نفسه السر بل انه فصّل بين السر والعلم فعليه العلم غير السـر المستودع فيهم عليهم السلام. ۵ـ قـد يكون السـر هو ما أشارت الرواية المروية فى شأن الحديث القدسـى المروى عن لسان جابر بن عبدالله الاصـنارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: «يا أحمد لولاك لما خلقت الافلاك، ولولا على لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما» [۵۱] . أى إنه العلة الغائيّة لخلقكما كما يظهر من الحديث القدسـى هو وجود فاطمة عليها السلام، أما كيف يكون هذا الأمر فهـذا ما سـيتبين لنا من خلال بحث هـذا الحـديث فى موضوع [صـفحه ۶۰] مسـتقل انشاء الله. ۶ـ السـر المسـتودع هو اسم الله الأعظم. عنـدما نراجـع الروايـات الواردة فى شـأن أهـل الـبيت عليهم السـلام نجـد أن ممـا حظى به الأئمـة عليهم السـلام، دون غيرهم هو أنهم يحملون اسم الله الأعظم وهذا ما صـرحت به الاحاديث المأثورة عنهم، حيث خصـهم البارى عز وجل بهذا الكرامة العظيمة، وكما تبين لنا من الرواية المتقدمة ان السـر الذى بحوزة أهل البيت هو غير العلم والحكمة التى يتملكها أهل البيت عليهم السـلام، فقد يكون السر الـذى يملكونه هو نفسه الاسـم الاعظم لله تعـالى الـذى إذا دعى به أجاب، والـذى يـدل على أنهم عنـدهم اسم الله الاعظم جملـة من الروايات الواردة فى المقام منها ما ورد عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال: «ان اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وانما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فُخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسـرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الأسم الاعظم اثنان وسـبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله استأثر به فى علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم [۵۲] وعن النوفلى، عن أبى الحسن صاحب العسكرى عليه السلام قال: سمعته يقول «اسم الله الاعظم ثلاثة وسـبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به فأنخرقت له الأرض فيما بينه وبين سـبأ ـ أى مملكة سـبأ او مدينة سبأ حيث كان عرش بلقيس ـ فتنـاول عرش بلقيس حتى صـيره إلى سـليمان، ثم انبسـطت الأـرض فى أقـل من طرفه عين، وعنـدنا منه اثنـان وسـبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به فى علم الغيب [۵۳] . أقول: وكثيرةٌ هى الأحاديث المأثور عنهم عليهم السلام فى هذا الباب حيث خصهم الله

تبارك وتعالى بهذه الخصوصية والذى يظهر من هذه الأحاديث انهم افضل مقاماً ومنزلةً من الأنبياء السابقين، بدلالة هذه الاحاديث، وكل ما ثبت للأئمة عليهم السلام فهو ثابت للصديقة الشهيدة عليها السلام من حيث كونها أُم الأئمة الاطهار ومن كونها حجة الله على الأئمة وكما [صفحه ۶۱] سيمر بنا ذلك فى شرح هذا الحديث، وكذلك هناك عدة اشارات فى الروايات إلى مسألة أسم الله الأعظم وكيف ان الإمام على عليه السلام الذى هو كفؤ الزهراء عليها السلام كان يحمل اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب وهذا ما وجدناه فى قضية رده الشمس التى غابت فى أرض بابل حيث سأله أحد أصحابه يا أمير المؤمنين كيف رددت هذه الشمس، فقال له سئلت الله تعالى بأسمه الاعظم ان يردها عليها فردها، وكما ورد فى سورة الواقعة (فسبح باسم ربك العظيم) [۵۴] وعلى هذا الأساس فان كل ما أعطاه الله تبارك وتعالى وخص به أهل البيت عليهم السلام فهو ثابت للزهراء عليها السلام، فعليه تكون الصديقة الطاهرة حامل لاسم الله الاعظم الذى خصه الله تبارك وتعالى بأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، فيكون وعلى ما احتمله بل أرجحه على بقية الاحتمالات الاخرى ان السر المستودع فى فاطمة هو اسم الله الاعظم، والذى يدل عليه على ما استفيده من الدعاء الذى بدأنا به البحث «اللهم انى أسألك بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها...» حيث يظهر من هذا الدعاء أولاً التوسل بحق فاطمة... وكذلك التوسل إلى الله تعالى بالسر المستودع، والتوسل لا يكون إلى الله تعالى إلا بالذى يكون له شأن عند الله عز وجل، ونبتغى إليه الوسيلة، فعليه نحتمل أن يكون السر هو اسم الله الاعظم المستودع عند فاطمة عليها السلام، وأبناؤها وخصوصا هناك شواهد تدلل على ان هذا الاسم لا يخرجونه أهل البيت عليهم السلام الى أحد وكما ورد فى الحديث المروى فى شأن عمر بن حنظلة حيث قال لأبى جعفر عليه السلام: «إنى أظنّ أنّ لى عندك منزلة، قال: أجل، قال: قلت فإنّ لى إليك حاجة قال وما هى؟ قال: قلت تعلمنى الأسم الأعظم قال وتطيقه قلت نعم قال: فادخل البيت قال: فدخل البيت فوضع أبو جعفر عليه السلام يده على الأرض فأظلم البيت فارعدت فرايص عمر فقال: ما تقول اعلمك فقال لا قال: فرفع يده فرجع البيت كما كان» [۵۵] . ويوجد أيضاً شاهد آخر يدل على كون فاطمة عليها السلام تمتلك الاسم الاعظم وذلك عندما قادوا علياً عليه السلام فى يوم سقيفة بنى ساعدة للبيعة فخرجت نفسى لها الفداء تجر أذيالها [صفحه ۶۲] خلف ابن عمها وهى تقول خلو ابن عمى أو لاكشفن رأسى للدعاء، حيث يقول سلمان «فخرجت فاطمة عليها السلام فقالت: يا أبا بكر أتريد أن ترملنى من زوجى ـ والله ـ لئن لم تكف عنه لأنشرن شعرى ولأشقن جيبى، ولآتين قبر أبى، ولأصيحن الى ربى: فأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام، وخرجت تريد قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقال على عليه السلام لسلمان: أدرك أبنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنى أرى جنبتى المدينة تكفيان، والله ان نشرت شعرها، وشقت جيبها، وأتت قبر أبيها، وصاحت الى ربها لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها (وبمن فيها)، فادركها سلمان رضى الله عنه فقال، يا بنت محمد، أن الله بعث أباك رحمة فارجعى فقال: يا سلمان، يريدون قتل على، ما على عليَّ صبر، فدعنى حتى آتى أبى فأنشر شعرى، وأشق جيبى، وأصبح إلى ربى، فقال سلمان أنى أخاف ان تخسف بالمدينة، وعلى عليه السلام بعثنى إليك ويأمرك ان ترجعى الى بيتك وتنصر فى. فقالت: إذا أرجع وأصبر، وأسمع له وأطيع» [۵۶] . ويظهر من هذه الرواية ان الصديقة الزهراء عليها السلام لو أنها دعت الله تعالى لاستجاب الله دعائها، فان الإمام على عليه السلام عندما قال: (فانى أرى جنبتى المدينة تكفيان) يعنى إشارة إلى أنّها كانت عندها الولاية التكوينية وكما سنقف مع هذا البحث انشاء الله تعالى، وعلى كل حال فان الصديقة كانت تحمل الاسم الاعظم، ولا ضير فى ذلك فهى أم أبيها وأم الأئمة الاطهار الذين يحملون الأسم الاعظم الذى إذا دعى به أجاب، وهناك اشارة لطيفة فى كون فاطمة الزهراء عليها السلام لها أسم مشتق من أسماء الله الحسنى حيث وَرَدَ ذلك فى حديث الاشتقاق «هذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض، فاطم أعدائى من رحمتى يوم فصل قضائى، وفاطم أوليائى عما يعيرهم ويشينهم، فشققت لها أسماً من أسمى». وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أن الله شق لك يا فاطمة اسماً من اسمائه وهو الفاطر وأنت فاطمة» وعليه فان فاطمة وديعة المصطفى، فاطمة الانسية، الحوراء مطلع الانوار العلوية ومشكاة الولاية وأم الأئمة وعيبة العلم ووعاء المعرفة. واختتم هذا البحث فى [صفحه ۶۳] أمرٍ قد أستفدته واستنتجته من خلال بعض الروايات الواردة فى كتب الحديث كأمثال الكافى والبصائر وغيرهما، حيث يظهر من خلال

الروايات أن أمر آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمر جسيم مقنع بالميثاق لا يستطاع فهمه وادراكه وذكره وهذا الأمر هو (كما عبرت عنه الرواية ـ «أمرنا» سر فى سر وسر مستتر فى سر ولا يفيده إلا سر وسر على سّر وسّر مقنع بسر وهو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وكذلك ورد فى الحديث الشريف انه لو قد قام قائمنا لتكلم بهذا الأمر وصدقه القرآن، وكذلك وجدت ان هذا الأمر ـ وكما ورد فى الرواية ـ هو الذى جعل الملائكة مقربين وغيرُ مقربين والأنبياء مرسلين وغير مرسلين والمؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، وعليه يكون الأمر هو السر، فما هو السر؟؟؟... (إنما أمره إذا اراد شيء ان يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون). [صفحه ۶۷]

فاطمة حجة الله الكبرى

اشاره

السيد محمد جمال الهاشمى أى خطبٍ يبكى عليه خطابى ومصابُ قدْ شابَ شهدىْ بصابِ [۵۷] . آه [۵۸] يومُ الزهراء أىُّ فؤادٍ علوىٍّ عليك غيرُ مذابِ لكَ فى الدهرِ رنّةٌ رددتْها بخشوع أجيالُهُ واكتئاب فهى تارٌ تذكى القرونَ ونورٌ رفَّ لألأؤُهُ على الأحقاب وهىّ للمجدِ فيه للسا لكِ تبدوْ الصعابُ غيرَ صعاب غابَ نورُ النبى وانقطعَ الوحىُ وخارتْ عزائمُ الآراب وارتمى موكب الحياةِ وجاشتْ نزعاتُ النفاقِ فى الاحزاب فانطوى النورُ فى ظلام كثيفٍ نشرتْهُ جرائمُ الأنقلاب وانمحى الحقُّ والصراحةُ لما سادَ عهدُ الضلالِ والإرتياب موقفٌ أربكَ العصورَ فأخفتْ رأيها فى القلوبِ والأهداب غضبةُ الحقّ ثورةٌ تجرفُ الباطلَ فى موجِ عزمها الوثّاب عجبٌ أمرُها وأعجبُ منُهُ أنها تنتمى لذات نقاب [۵۹] . واذا اللبرة الجريحة ثارت لهث الموت بين ظفر وناب شمرت للجهاد سيدة الاسلام عن ذيل عزمها الصخّاب وأتتْ ساحةَ الجهادِ بايمانٍ يردُّ السيوفَ وهى نوابى [۶۰] . حاكمت عهدّها المدمى بقلبٍ واغرٍ من شجونها لَهابِ لم تدْع للمهاجرينَ وللانصارِ رأياً إلّا انمحى كاضباب [صفحه ۶۸] واستعانتْ بالحقِّ درعٌ من أمانٍ وصارمٌ منْ صوابِ رجمتهمْ بالمخزياتِ فآبوا وهم يحملونَ سوءَ المآب حججٌ كالنجمِ ينثُرها الحقُّ ويرمى الشهابَ إثرَ الشهاب فهى إما عقلٌ وإما حديثٌ جاءَ عن نصِ سنةٍ أو كتاب فتهاوتْ احلامُهمْ كصروحٍ شادها الوهمُ عالياً فى السراب آه لولا ضَعْفُ النفوسِ لما استرجعَ ركبُ الهدى على الأعقاب ولما عادتِ الامارةُ للقومِ وحازوا امامةَ المحراب واستقرتْ هوجُ العواصفِ لَّما قابلتها سياسةُ الأرهاب لأخطابُ من عاذلٍ لا جوابٌ عن سؤالٍ لاهجمةٌ من عتاب ومنذ انهارتْ الرجالُ وعادوا بتلولٍ من خزيهمْ وروابى واختفى النصُّ بالولايةِ لّما أشهرَ الكيدُ فكرةَ الانتخاب أوقدَ الغدرُ فى السقيفةِ ناراً علُقتْ فى مواكبِ الأحقاب وتلاشى الغديرُ إلّا بقايا تترامى بها بطونُ الشِعاب وتوالتْ مناظرٌ مؤلماتٌ مثلتها عداوةُ الأصحاب من هجومِ الأرجاسِ بالنارِ كىْ تحرقَ بيتَ الاكارمِ الاطياب وانكسارِ الضلعِ المقدس بالضغطِ وسقطِ الجنينِ عندَ الباب وانتزاع الوصىّ سحباً من الدارِ بتيارِ ثورةِ الأعصاب واغتصابِ الحقُ الصريحِ جهاراً باختلاف الأعذارِ للإغتصابِ [صفحه ۶۹] فاطمة حجة الله الكبرى عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام أنه قال «نَحْنُ حُجج الله على خلقه، وجّدتنا فاطمة عليها السلام حُجّةُ الله علينا» [۶۱] . يعتبر هذا الحديث من الاحاديث المهمة التى وردت عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، لذا ونحن نقف نستلهم الدروس العقائدية من سلالة بيت النبوة ومعدن الرسالة لابد لنا ان نتأمل فى هذا الحديث ونرى مدى مصداقيته فى عالم الواقع والثبوت، وبعبارة اخرى هل لهذا الحديث وجه للاستدلال به فى المحاورات العقائدية التى تخص حياة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ام لا؟ وهل هناك وجه من الصحة بحيث تكون الصديقة الطاهرة عليها السلام الحجة على الأئمة أم يتجاوز الأمر الى أبعد من ذلك؟ وما هى الثمرة لهذا الحديث إذا ثبت له الواقعية والمصداقية ومدى تأثيره على الجانب العقائدى للفرد المؤمن؟ كل هذه الأسئلة نحتاج الوقوف عليها والتأمل فيها

واستجلاء حقائقها وادراك مغازى هذا الحديث العقائدى. وهذا ما سيتبين لنا من خلال البحث الذى سنقسمه الى ثلاث امور اساسية وهى: الأمر الأوّل: معنى الحجة؟ الأمر الثانى: شرعية الحجة. الأمر الثالث: كيف كانت فاطمة عليها السلام حجة الله على الأئمة؟ [صفحه ۷۰]

معنى الحجة؟

وردت عدة تعاريف للحجة وماهيتها ولها عدة معانى لابد لنا من الوقوف عليها وعلى المعنى الذى يهمنا فى المقام والذى من شأنه ان يبين معنى الحديث الشريف بحيث لا يبقى فيه أى اجمال وفى كل الجهات المبحوث عنها فى المقام وجرت عادة أهل العلوم عندما يأتون إلى موضوع ما ويريدون أن يعرفوه بأى تعريف كان فانهم يعرفونه بالتعريف اللغوى وتعاريف الحجة. ۱ـ الحجة لغة؛ كل شىء يصلح ان يحتج به على الغير وذلك بأن يكون به الظفر على الغير عند الخصومة معه والظفر على الغير على نحوين: «أحدهما» إما بأسكاته وقطع عذره وباطاله. «والآخر» واما بأن يلجئه على عذر صاحب الحجة فتكون الحجة معذرة لدى الغير والحجة هى الدليل والبرهان. وقال الازهرى: انما سميت حجة لانها تُحَج أى تقصد لأن القصد لها واليها وكذلك معنى المحجة أى محجة الطريق وهى المقصد والمسلك [۶۲] . ۲ـ واما الحجة فى الاصطلاح العلمى فلها معنيان أو اصطلاحان: ما عند المناطقة: ومعناها «كل ما يتألف من قضايا تنتج مطلوباً» أى مجموع القضايا المترابطة التى يتوصل بتأليفها وترابطهما إلى العلم بالمجهول سواء كان فى مقام الخصومة مع أحد أم لم يكن، وبحثنا من جهة هذا التعريف المنطقى سوف يكون بربط مجموعة من القضايا وتأليفها لكى تصل إلى العلم بالمجهول وهو كيف أصبحت فاطمة حجة على الأئمة بل على الأنبياء فضلاً عن الخلق كما سيتبين من خلال البحث. وهنالك معنى للحجة لدى الاصوليين وهو «كل شىء يثبت متعلقه يثبت متعلقه ولا يبلغ درجة [صفحه ۷۱] القطع» أى لا يكون سبباً للقطع بمتعلقه، وإلّا القطع يكون القطع هو الحجة ولكن هو حجة بمعناها اللغوى أو قل بتعبير آخر «الحجة» كل شىء يكشف عن شىء آخر ويحكى عنه على وجه يكون مثبتاً له» [۶۳] ونعنى بكونه مثبتاً له: ان اثباته يكون بحسب الجعل من الشارع لا بحسب ذاته فيكون معنى اثباته له حينئذ انه يثبت الحكم الفعلى فى حق المكلف بعنوان انه هو الواقع، وانما يصح ذلك ويكون مثبتاً له فبضميمة الدليل على اعتبار ذلك الشىء الكاشف الحاكى وعلى انه حجة من قبل الشارع. كما تنقسم الحجة فى المنطق إلى قياس وتمثيل واستقراء، والحجة ما يصح الاحتجاج به وما يحتج به المولى على العبد فى مقام المنجزية ويحتج به العبد على المولى فى مقام المعذرية، ثم الحجة تنقسم بالتقسيم الاولى إلى عقلية وشرعية، والاولى هى التى يصح التعويل عليها بصورة عامة فى كل سؤال عن السبب، والثانية هى التى يصح التعويل عليها بصورة عامة فى كل سؤال عن السبب، والثانية هى التى يصح الاحتجاج بها فى الامور الشرعية، أى ما يصح التعويل عليها فى الفتاوى للفقيه، فهى بصورة خاصة وبين الحجتين نسبة العموم المطلق، فكل شرعية عقلية ولاـ عكس فان الحاكم بصحة الحجة هو العقل وكل واحد من القسمين ينقسم إلى حجة الزامية وإلى حجة ارشادية والاولى بمعنى ما يجب عند العقل التعويل عليه والالزام بما تقتضيه نفس الحجة والثانية ما يجوز التعويل عليه والارشاد ويكون من خواصها. فالحجج الالزامية العقلية كالبراهين الدالة على المبدأ والمعاد والنبوة الخ والحجج الإرشادية العقلية كاخبار العالم ورأى المتخصص وقول الخبير وتصير الزامية عند الرجوع اليها والتعويل عليها والحجج الالزامية الشرعية كالانبياء واوصيائهم المعصومين فانهم حجج الله ويجب الاخذ باقوالهم وافعالهم وتقريرهم والذى يعبر عنها القول والفعل والتقرير بالسنة [۶۴] ، وفيما نحن فيه من معرفة معنى الحجة يفيدنا فى المقام الحجة لغة ومنطقا لكونها يوصلان بالقطع بامر بحيث يصلح ان يحتج به على الغير سواء فى الدنيا أو الآخرة، وعلى ضوء الاستدلالات العقلية البرهانية. وعلى [صفحه ۷۲] ضوء التعاريف المتقدمة يكون قد لاح لنا مفهوم آخر غير الحجة وهو المحجة، والحجة تبين لك معناها من التعارف المتقدمة، أما المحجة فهى المسلك والطريق الذى يتوصل به إلى الغير والمحجة هى الطريق السليم الذى لا إعوجاج فيه، فلقد ورد فى هذا المعنى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام انه قال وسمع كثيراً يردد هذا القول: علمُ الحجة واضح لمريده وأرى القلوب عن

المحجة فی عمی وقد عجبت لهالک ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجی

شرعیة الحجة

هناک عدة احتجاجات وردت فی القرآن الکریم قد اثبتها الله تبارک وتعالی لنبیه محمد صلی الله علیه وآله وسلم لانبیاءه المرسلین من الاولین والاخرین لکی یحتجوا بها علی للناس المشککین أو الناکرین للرسالة أو النبوة أو النبی ومعاجزه وکراماته، ولقد بین الله تعالی فی کتابه الشریف بعض الایات التی نستفید من خلالها ان الله تعالی یحتج یوم القیامة بالانبیاء علی الناس وهذا ما ما أشار إلیه القرآن الکریم فی قوله تعالی (إنا أوحینا إلیک کما أوحینا إلی نوح والنبیین من بعده... إلی قوله تعالی... رسلاً مبشرین ومنذرین لئلا یکون الناس علی الله حجة بعدَ الرسل وکان الله عزیزاً حکیما) [۶۵] ومن جهة اخری ورد فی القرآن الکریم بعض الاحتجاجات بین الکافرین فی ما بینهم فی النار حیث جاء قوله تعالی (وإذ یتحاجون فی النار فیقول الضعفاء للذین استکبروا إنا کنا لکم تبعاً فهل أنت مُغنون عنا نصیبنا من النار) [۶۶] . وکذلک نجد قوله تعالی (فمن حاجک فیه من بعد ما جاءک من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبناءکم ونساءنا ونساؤکم وأنفسنا وأنفسکم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علی [صفحه ۷۳] القوم الکافرین) [۶۷] جاء لیؤکد حقیقة النصاری وطلبهم من الرسول الاحتجاج حول مسألة عیسی ابن مریم وکیف واجههم الرسول الاکرم صلی الله علیه وآله وسلم بقضیة المباهلة التی خسروا فیها والقی ما فی أیدیهم من الحجة التی کانوا یحتجون بها علی الرسول صلی الله علیه وآله وسلم. وکثیرةٌ هی الاحتجاجات الموجودة فی القرآن الکریم والتی جاءت بعضها لکی تثبت اعجاز القرآن الکریم واخری لتبین احتجاجات ابراهیم مع قومه واخری تثبت احتجاجات الرسول مع قومه وهکذا لئلا یکون للناس علی الرسول المرسل الحجة البالغة، ولذا نجد أمیر المؤمنین علی علیه السلام یقول فی معرض بیان ان العباد لابد لهم ان یتعظوا وینتفعوا بحجج الله تعالی فانه لا ینفع أی شیء یوم القیامة إلا الإیمان المقرون بالولایة والعمل الصالح. «انتفعوا ببیان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصیحة الله فان الله قد أعذر إلیکم بالجلیة وأخذ علیکم الحجة وبین لکم محابّه من الاعمال ومکاره منها لتبتغوا هذه وتجتنبوا هذه». ویعنی هذا ان العباد لابد لهم من الانتفاع من العلم المقرون بالعمل الصالح وإلّا العلم وحده لیس فیه فائدة ولابد للعباد أن یستفیدوا من المواعظ لیتعظوا بها فی مقام العمل، ومع ذلک نجد فی کثیر من الروایات الشریفة مسألة الاحتجاج البالغ من الله تعالی حیث سئل الإمام الصادق علیه السلام عن قوله تعالی «فلله الحجة البالغة» فأجاب علیه السلام: «قال إذا کان یوم القیامه قال الله تعالی للعبد أکنت عالماً؟ فان قال نعم. قال: أفلا عملت بما علمت وان قلت کنت جاهلاً قال له: أفلا تعلمت؟ فتلک الحجة البالغة لله تعالی». وهنا ینقدح سؤال مهم قد یرد فی ذهن الکثیر من المؤمنین وهو هل کل الناس یحتج علیهم الله تعالی یوم القیامة علی ضوء هذا الحدیث الشریف؟ والجواب علی ذلک أنه لیس کل الناس یحتج علیهم الله تبارک وتعالی یوم القیامة بل هناک عنق من الناس لا یسئلون ولا یحاسبون ومنهم المجنون الفاقد عقله، أما الأطفال الذین لم یبلغوا سن التکلیف الشرعی وماتوا فانهم یلحقون بأبائهم وعلی ما ورد فی قوله تعالی [صفحه ۷۴] (والذین آمنوا واتبعتهم ذریتهم بأیمان الحقنا بهم ذریتهم وما التناهم من عملهم من شیء). حیث قال العلامة المجلسی حول هذه الآیة المبارکة: «اعلم انه لاخلاف بین أصحابنا فی أن الأطفال المؤمنین یدخلون الجنة وذهب المتکلمون منا الی أن أطفال الکفار لا یدخلون النار فهم إما یدخلون الجنة أو یسکنون الاعراف وذهب أکثر المحدثین منا الی ما دلت علیه بعض الأخبار الصحیحة من تکلیفهم فی القیامة بدخول النار المؤججة لهم؟ فیکون من یستجیب یدخل الجنة ومن لا یستجیب یدخل النار». وعلی ضوء الإحتجاجات الواردة فی الکتب المعتبرة روی ان هناک احتجاج لطیف بین أمیر المؤمنین وأحد الیهود حیث قال للامام علی علیه السلام، ما صبرتم بعد نبیکم إلا خمس وعشرین سنة حتی قتل بعضکم بعضاً. فقال له علیه السلام: بلی ولکن ما جفّ ـ جفّت ـ أقدامکم من البحر حتی قلتم: یا موسی ادعل لنا إلهاً کما لهم آلهة. وهناک الکثیر من الاحتجاجات المهمة التی وردت فی القرآن الکریم وفی الکتب المعتبرة کل ذلک لما للحجة من امر مهم فی اثبات المدعی علی الخصم الناکر مثلا او السالب للحق، والثمرة فی ذلک کله من القرآن الکریم ومن الکتب

الصحيحة لكى يستنير البشر بنور الحجة الربانية وليستفيدوا منها ويتعظوا بالمواعظ الربانية هذا معنى الحجة وماهية الاحتجاجات والتاكيد عليها من قبل الله تعالى. وعلى هذا الأساس تكون شرعية الحجّة ثابتة على ضوء القرآن الكريم والسنة والعقل ولا نريد الدخول كثيراً فى هذا الأمر بل اشرنا فى بعض موارده فلقد جعل الله تعالى للحجة شرعية ذاتية تلزم الغير على ضوء مقتضاها العمل بها حيث جاء قوله تعالى (وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا) أى جعلنا لهم بالجعل التكوينى ان يكونوا ائمة يقصدون فى كل شىء والإمام المعصوم هو الذى يحتج به على الغير فهو حجة على الناس جميعاً وإلّا كيف يكون امام يقصد ويحتج به ومن هذا المنطلق تكون فاطمة الزهراء عليها السلام حجة على الأئمة عليهم السلام كحجية الزامية شرعية فيجب من جهة الله تعالى الأخذ باقوالها وافعالها والله تبارك وتعالى هو الذى جعل لها الحجية على الخلق بما فيهن الأئمة عليهم السلام وهذا القول بصورة اجمالية اما كيف كانت حجة بالمعنى التفصيلى فهذا ما يحتاج بيان مقدمات وامور توصلنا إلى هذه النتيجة وهذا ما سنبحثه فى الأمر الثالث انشاء الله.

كيف كانت فاطمة حجة على الأئمة

وهذا يتوقف على بيان أمرين: الأوّل: إن من أهم المسائل الأساسية فى العقيدة الاسلامية والتى تؤخذ حيزا كبيراً، على المستوى الدراسى سواء النظرى أو الفكرى هى مسألة ضرورة بعثة الأنبياء، وهذه المسألة العقائدية المهمة تأخذ ضروريتها من عدة عوامل تكون الحجر الأساسى لهذه الضرورة، فالإنسان لم يخلق عبثاً (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون) بل خلق الأنسان لهدف وهو السير فى طريق تكامله من خلال ممارسة الأفعال الاختيارية القادر عليها وكل ذلك لاجل التوصل إلى كماله النهائى هذا الكمال الذى لا يتوصل إليه إلّا باختياره وانتخابه. على ان الاختيار الصحيح والواعى بكل ما يمتلكه الإنسان من شعور وقدرة على إدائه يحتاج أيضاً إلى المعرفة الصحيحة للاعمال الحسنة والاعمال القبيحة والطرق الصالحة وغير الصالحة، وانما تمكن الإنسان من اختيار طريق تكامله بكل حرية ووعى فيما لو كان يعرف الهدف وطريق الوصول إليه، وكان عرافاً بكل العقبات والعراقيل والانحرافات والمزالق. اذن فمقتضى الحكمة الالهية ان توفر للبشر الوسائل والمستلزمات الضرورية للحصول على مثل هذه المعارف والمدركات وإلّا فيكون حاله مثل الشخص الذى يدعوا ضيفاً إلى داره ثم لا يدله على موضعه ولا على الطريق المؤدى إليه ومن البديهى ان مثل هذا العمل مخالف للحكمة. على ان المعارف والمدركات البشرية العادية والمتعارفة والتى يحصل عليها الإنسان نتيجة التعارف بين الحس والعقل وان كان لها الدور الفاعل فى توفير ما يحتاج إليه فى حياته ولكنها لا تكفى فى التعرف على طريق الكمال والسعادة [صفحه ۷۶] الحقيقية فى جميع المجالات الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية والدنيوية والاخروية، واذا لم يوجد طريق آخر لسد النقائص والفجوات فلن يتحقق الهدف الإلهى من خلق الإنسان، وبملاحظة هذه الامور المهمة من هدف خلق الإنسان ومعرفته لطريق الخير والشر ومحدودية مداركه الحسية والعقلية، نتوصل الى نتيجة مفادها: ان الحكمة الالهية تقتضى وضع طريق آخر للبشر ـ غير الحس والعقل ـ من أجل التعرف على مسار الكمال فى كل المجالات حتى يستطيع البشر من الاستفادة منه مباشرة أو بواسطة فرد آخر أو أفراد آخرين وهذا الطريق هو أرسال الأنبياء والمرسلين عبر طريق الوحى الذى يستفيد منه البشر ويتعلموا منه كل ما يحتاجون إليه من أجل الوصول إلى السعادة والكمال النهائى. وعلى هذا الاساس شاءت قدرة البارى عز وجل ومن جهة اللطف الربانى ومن جهة اللاعبثية فى خلق البشر أن يرسل الأنبياء والمرسلين الى البشر لهدايتهم وتوضيح معالم طريق التكامل لهم وعلى ما تتحمله قدرتهم فى التكليف الربانى كل ذلك لئلا ـ يقول الناس يوم القيامة لولا ـ أرسلت الينا رسولاً فتتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى. ولكن قبل أرسال الأنبياء لابد من طريق لاختيارهم من البشر عامة، وهذا الاختيار أو ما يعبر عنه بالاصطفاء أو الاستخلاص لا يكون إلا عن حكمة اقتضت ذلك فان الحكيم لا ـ يفعل إلا ما تقتضى الحكمة لوجود ذلك الشىء، فالاصطفاء والاختيار من قبل الله تعالى تارة يكون للانبياء، واخرى للأوصياء وللاولياء والصلحاء والعلماء وهكذا اما كيفية الاصطفاء والاختيار، فذلك ما يكون عن طريق الاختبار والامتحان الذى يتعرض له الأنبياء لأصطفائهم للنوة وتحمل مشاقها، فالامتحان والاختبار يخرج الطاقات الكامنة فى النفس البشرية،

ونضرب مثال على ذلك من الحياة العرفية للبشر، فانت عندما تريد أن تختار أو ترسل من ينوب عنك فى قضية معينة فانه يقيناً لا تختار ولا ترسل إلا من كانت له القابلية والاستعداد على تحمل ما تؤديه إليه وله الاستعداد وايضاً على تمثيلك فى تلك القضية ولا ترسل أياً كان فأن المردود يكون عليك سلبياً إذا كان الشخص المختار سلبياً فى تصرفاته وايجابياً اذا كان المختار ايجابياً فى تصرفاته وأفعاله ما يؤديه عنك، اما كيفية هذا الاخيار فى الشخص الذى سوف [صفحه ۷۷] يمتلك فهذا ما سيكون عن طريق التجربة والامتحان والاختيار خلال مسيرة حياتك مع ذلك الشخص الذى سينوبك فى المهام والذى تريد ان تؤهله للقيام بأعمالك مثلا أو التبليغ لك فأنت ترى من خلال معاشرة ذلك الشخص مدى التزامه بتعليماتك وبعد النجاح فى هذه الامور تستخلصه لنفسك وتختاره وكيلا عنك ينوب عنك فى هذه الامور المهمة، كذلك الحال مع الله تعالى بأعتباره سيد العقلاء بل هو خالق العقل والعقلاء فهو عندما يريد ارسال رسول أو نبى لابد له من الامتحان قبل الاصطفاء والاختيار وهذا ما نجده من خلال استقراء آيات القرآن الكريم حيث يوجد عدة شواهد على هذه المسألة كما فى قضية نبى الله ابراهيم عندما اختاره الله أولا نبياً وبعد ذلك خليلاً وبعد ذلك اماماً فانه لم ينال الإمامة إلا بعد التعرض للامتحانات والاختبارات من قبل الله تعالى وفى ذلك يقول الله تعالى فى قصة أبراهيم (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماماً...) حيث كلف الله سبحانه وتعالى نبيه ابراهيم عليه السلام بتكاليف شتى فكانت النتيجة ان ابراهيم أتم هذه التكاليف وامتثلها واطاع الله تعالى ومن هذه التكاليف قضية ذبحه لولده اسماعيل (يا بنى أنى أرى فى المنام أنى أذبحك) وقد وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام بالوفاء حيث قال تعالى (وابراهيم الذى وفى). والخلاصة على ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال «إن الله ابتلى ابراهيم بذبح ولده اسماعيل فعزم على ذلك.. اما معنى قوله فاتمهن ـ فهو يعنى الاستجابة والطاعة لأوامر الله تعالى ولذا استحق الإمامة التى هى منزلة عظيمة، جزاءً لاخلاصه ونجاحه فى الامتحانات التى تعرض لها. وهكذا الحال مع جميع الأنبياء حيث اختبرهم الله تعالى قبل اصطفائهم وكان البارى عز وجل عالماً بالانبياء أنهم أوفياء له وملتزمين لأوامره وشروطه لذلك اصطفاهم. الثانى: إنّ الله تعالى عندما اصطفى واستخلص الأنبياء كان ذلك بعد أن شرط عليهم الزهد فى درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لله تعالى ذلك وعلم الله تعالى منهم الوفاء بذلك. اما السؤال الذى يطرح فى ما نحن فيه هو لماذا طلب وشرط الله تعالى من الأنبياء الزهد حب الدنيا؟ والجواب على ذلك: انه من الملازمات العقلية لحب الدنيا هو إمال السيئات والذنوب وذلك للارتباط الوثيق بين [صفحه ۷۸] حب الدنيا والذنوب فكلما ازداد حب الإنسان للدنيا إزدادت ذنوبه وكما ورد فى الحديث الشريف ان «حب الدنيا رأس كل خطيئة» فاذا لم يكن حب الدنيا له وجود فى حياة الإنسان فسوف تكون النتيجة مفادها: ان الإنسان سوف يبتعد عن الذنوب بقدر ابتعاده عن حب الدنيا، وما نحن فيه فان إعمال الشرط من الله تعالى على الأنبياء بالزهد فى حب الدنيا سوف تكون من نتائجه ان يتركوا الدنيا والتعلق بها كذلك لا يعملون الذنوب والمعاصى وبالنتيجة النهائية سيكونون معصومين بالعصمة الذاتية التى تكون ملازمة لهم من جهة لطف الله تبارك وتعالى اضافة الى الضرورة الربانية اقتضت ذلك ايضاً. اما لماذا إشترط الزهد فى حب الدنيا وما حاجة العصمة للانبياء، فهذا ما يكون الاحياج إليه بصورة ضرورية ومؤكد ولإحتياج الأنبياء العصمة فى مقام التبليغ للرسالة السماوية بل مطلق العصمة لهم، ولئلا يكون للناس الحجة البالغة على الله تعالى، والعصمة لا تأتى مع حب الدنيا. اما الدليل على هذا الكلام فناهيك عن القرآن الكريم والروايات الواردة فى المقام التى تدل على المطلب بل هناك الدليل العقلى على ذلك، اما الدليل الذى تقوم بالاستدلال به فهذا ما أثبته دعاء الدبة الشريف حيث ورد فيه. «اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك فى أولياؤك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذ أخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذى لا زوال له ولا أضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد فى درجات الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلى والثناء الجلى واهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الدريعة اليك والوسيلة الى رضوانك... الخ». اذن بعد الإمتحان والاختيار والمشارطة من الله تعالى بترك حب الدنيا والزهد فيها وبعد العلم من الله بهم بأنهم أوفياء كانت النتيجة النهائية لهذا الامتحان والإختبار وهى: ۱ـ الاستخلاص والاصطفاء. ۲ـ

القبول من الله تعالى لهم. ۳ـ الذكر العلى والثناء الجلى للأنبياء «أى قدم اليهم ذلك». [صفحه ۷۹] ۴ـ انزال الوحى عليهم. ۵ـ كانوا الحجج على الخلق من قبل الله تعالى. اما لماذا الاستخلاص والاصطفاء وتقديم هذه الامور للانبياء عليهم السلام؟ فنقول: ان هذا كله لكى يكون: إقامة للدين «إقامة لدينك» أى تقديم واقامة النظام والاكمل للبشرية. ولئلا يزول الحق عن مقره ويغلب الباطن على أهله. ولئلاـ يقول أحد لولاـ أرسلت الينا رسولاـ منذراً واقمت لنا علماً هادياً نتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى. هكذا كان الامتحان والاختبار بالنسبة للانبياء بحيث زهدوا فى حب الدنيا فكانوا من المقربين لدى الله تعالى. أما ما علاقة هذه الامور بكون فاطمة حجة على الأئمة؟ فنقول: نحن عندما نزور الأئمة عليهم السلام بالزيارة الجامعة الكبيرة المروى عن الإمام الهادى عليه السلام بأعتبار انها جامعة لكل الفضائل والدرجات والمقامات للأئمة عليهم السلام لا تزور بها فاطمة عليها السلام؟ لماذا؟ لانها لها زيارة مخصوصة وهى زيارتها يوم الاحد من كل أسبوع حيث تقول هذه الزيارة «السلام عليك يا ممتحنة امتحنك الذى خلقك قبل ان يخلقك وكنت لما إمتحنك صابرة». اذ نفهم من هذه الزيارة الخصوصة امتحان الزهراء عليها السلام قبل خلقها، لأظهار مقامها حيث امتحنها فكان لها المقام السامى فأصبحت الصابرة، والمعروف ان الامتحان يُمتحن به الإنسان ليعرف مدى استعدادته وقابلياته «عند الامتحان يكرم المرء أو يهان» وكذلك عرف الامتحان ليكون لزيادة منزلة ولاسباب أخرى، وهذا ما جرى مع فاطمة الزهراء عليها السلام حيث امتحنها الله تعالى لكى تكون حاملة لشىء إقتضت إرادة السماء وذلك نتيجة لنجاحها فى الامتحان حيث اسحقت لقب الصابرة، اما ماهية هذا الامتحان وعلى أى موضوع جرى امتحان الزهراء عليها السلام من قبل الله تعالى فهذا ما نتركه الى بحث آخر انشاء الله. ولكن المهم فيما نحن فيه هو ان الله تعالى وجدها صابرة وهذا من المقامات العالية [صفحه ۸۰] فنحن نعلم، ان من ألقابها الصابرة، والصبر مقام سامى، اما معرفة علو شأن هذا المقام فهذا نراه من خلال القرآن الكريم، حيث أثبت الله تعالى الثواب لكثير من الفضائل الموجودة فى القرآن أما الصبر والصابر فأن اجرهم غير محدود وهذا ما نجده فى قوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) يعنى أنه لا يوجد أجر محدود للصابر وللصبر بل أجره مفتوح وهذا يؤدى الى ان الصبر يكون فى اعلى مقامات الفضائل الاخلاقية، ومن هنا كان الصبر أم الاخلاق بل هو أفضلها واحسنها فى كل شىء فما من شىء إلّا ومقرون الصبر معه فالصلاة مقرون بالصبر عليها والطاعة كذلك والإيمان لابد من الصبر عليه لاثباته على النفس الانسانية ولذلك جعل الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد كما ورد فى الحديث الشريف ذلك، فاذا كان الصبر هكذا مقامه فانه سوف يكون الاساس لكثير من الاخلاق، فلذا كان الزهد فرع من الاصل والام الذى هو الصبر وليس العكس صحيح فالزاهد لا يكون زاهداً حتى يصبر ويُصبر نفسه على ترك الدنيا وزخرفها واموالها وكل شىء يؤدى به الى الزهد، ومن هنا كان بيت القصيد وهو ان الزهراء حجة على الأنبياء من جهة صبرها فى عالم الغيب والشهادة وصبرها فى الدنيا على ما جرى عليها من المحن والظلم، وكذلك كانت الحجة على الأنبياء كما شهدت الكثير من الروايات الشريفة، وكما سيأتى بعد قليل رواية مهمة تثبت هذه الفضيلة للزهراء، وهذا أيضاً ما أثبتته الشواهد فنحن نجد ان الكثير من الأنبياء كانوا يدعون الله تعالى أن يطّول عمرهم وهذا بخلاف فاطمة الزهراء عليها السلام حيث كانت مستبشرة عندما أخبرها النبى الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم انها أول أهله لحوقاً به وهذا ما ذكره العلامة الاردبيلى رحمه الله فى فضيلتها من جهة كونها تحب الموت ولاتكرهه حث قال العلامة الاردبيلى ما نصه: ان الطباع البشرية مجبولة على كراهة الموت مطبوعة على النفور منه، محبة للحياة، مايلة اليها، حتى الأنبياء عليهم السلام على شرف مقاديرهم وعظم أخطارهم ومكانتهم من الله تعالى ومنازلهم من محال قدسه وعلمهم بما تؤول إليه أحوالهم وتنتهى إليه أمورهم أحبوا الحياة ومالوا إليها وكرهوا الموت ونفروا منه. وقصة آدم عليه السلام مع طول عمره وامتداد أيام حياته معلومة. [صفحه ۸۱] قيل: انه وهب داود عليه السلام حيث عرضت عليه ذريته أربعين سنة من عمره فلما استوفى أيّامه وحانت منّيته وانقضت مدة أجله وحّم حمامه جاءه ملك الموت يقبض نفسه التى هى وديعة عنده فلم تطب بذلك نفسه وجزع وقال: أن الله عرفنى مدة عمرى وقد بقيت منه أربعون سنة، فقال: إنك وهبتها ابنك داود فأنكر أن يكون ذلك، قال النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم: فجد فجهدت ذرّيته. ونوح عليه السلام كان أطول الأنبياء، أخبر الله تعالى عنه أنه لبث فى قومه ألف سنة إلا

خمسين عاماً فلما دنا أجله قيل له: كيف رأيت الدنيا؟ فقال: كدار ذات بابين دخلت فى باب وخرجت من باب. وهذا يدل بمفهومه على انه لم يرد الموت ولم يؤثر مفارقته. وابراهيم عليه السلام: روى أنه سأل الله تعالى أن لا يميتهُ حتى يسأله عليه السلام فلما استكلمل ايامه التى قُدرّت له خرج فرأى ملكاً على صورة شيخ فانٍ كبير قد أعجزه الضعف وظهر عليه الخراف «أى فساد العقل من الكبير» ولعابه يجرى على لحيته وطعامه وشرابه يخرجان من سبيله عن غير اختياره، فقال له: يا شيخ كم عمرك؟ فأخبره بعمر يزيد على عمر ابراهيم بسنة، فاسترجع وقال: أنا أصير بعد سنة الى هذه الحال فسأل الموت. فهؤلاء الانبياء ممن عرفت شرفهم وعَلاء شأنهم وارتفاع مكانهم ومحلهم فى الآخرة وقد عرفوا ذلك وابت طباعهم البشرية إلا الرغبة فى الحياة. وفاطمة عليها السلام امرأة حديثة عهد بصبى ذات أولاد صغار وبعل كريم لم تقض من الدنيا إرباً «أى حاجة» وهى فى غضارة عمرها وعنفوان شبابها يعرّفها أبوها أنها سريعة اللحاق به فتسلوا موت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وتضحك طيّبة نفسها بفراق الدنيا وفراق بنيها وبعلها، فرحة بالموت مايلة إليه مستبشرة بهجومه مسترسلة عند قدومه وهذا أمر عظيم لا تحيطه الالسن بصفته ولا تهتدى القلوب الى معرفته وما ذاك إلا لأمر علّمه الله من أهل البيت الكريم وسراً وجب لهم مزّية التقديم فخصهم بباهر معجزاته وأظهر عليهم آثار علائمه وسماته وايدهم ببراهينه والصادقة ودلالاته، والله أعلم حيث يجعل رسالته [۶۸] . [صفحه ۸۲] جوهرةُ القدس من الكنز الخفى بدت فأبَدتْ عاليات الأحرف وقد تجلى فى سماء العَظَمة من عالم الاسماء أسمى كلمة بل هى أمُ الكلمات المحكمة فى غيب ذاتها نكاتٌ مبهمة أمُّ الأئمة العقول الغُرِّ بلْ أُمُّ أبيها وهو علةُ العللْ [۶۹] . أليس ذلك من الفضائل العالية حيث كانت الزهراء عليها السلام حجة على الأنبياء بأعتبار صبرها وفضلها. أما كونها عليها السلام حجة على الأئمة كما هى حجة على الأنبياء فهذا ما يتبين لنا من خلال عدة أحاديث مأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، منها ما ورد عن جابر بن عبدالله الأنصارى، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن الله تبارك وتعالى انه قال: «يا أحمد، لولاك ما خلقت الأفلاك، ولولا علىّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما [۷۰] ». أمّا الدليل الثانى: فنقول انه ورد فى الحديث الشريف المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ما نصه «انه ما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى» [۷۱] . يعنى ما تكاملت نبوة نبى ـ والنبوة خلاصة التوحيد ـ إلا لمن أقر بفضلها ومحبتها والإقرار هو الشهادة على النفس والاعتراف منها للغير واقرار العقلاء على انفسهم جائز، فهذه شهادة من الأنبياء لها بالفضل والمحبة والفضل يعنى انها كانت لها زيادة فى الفضائل على الأنبياء بل هى صاحبة الفضل عليهم بانه لم تكتمل نبوة نبى إلا بها عليها السلام. وفى ذيل هذا الحديث اعلاه يقول المحقق البارع أبو الحسن النجفى ما نصه: ان المراد من القرون هى قرون جميع الأنبياء والأوصياء وأمم من ادم فمن دونه حتى نفس خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين، يعنى ما بعث الله عز وجل أحداً من الأنبياء والأوصياء حتى أقروا بفضل الصديقة الكبرى ومحبتها. ويؤيده ما ذكره السيد هاشم البحرانى صاحب تفسير البرهان فى مدينة المعاجز عنه عليه السلام ما تكاملت النبوة لنبى حتى أقر بفضلها [صفحه ۸۳] ومحبتها [۷۲] . وأيضاً ما ورد عن جاب بن عبدالله الأنصارى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قلت لم سميت فاطمة الزهراء «زهراء»؟ فقال: لأنّ الله عز وجل خلقها من عظمته... الى ان يقول الله تعالى للملائكة فى ماهية نور فاطمة ما نصه.. فأوحى الله إليهم: هذا نور من نورى اسكنته فى سمائى، خلقته من عظمتى، أُخرجه من صلب نبى من انبيائى أفضله على جميع الأنبياء وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمرنى يهدون الى حقى واجعلهم خلفائى فى أرضى بعد انقضاء وحى [۷۳] وعن أبى عبدالله عليه السلام انه قال: لولا ان أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها لما كان لها كفوء الى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه [۷۴] ولقد علق على هذا الحديث الشريف صاحب كتاب البحار العلامة المجلسى رحمه الله حيث قال: يمكن ان يستدل به ـ أى بالحديث أعلاه على كون على وفاطمة عليهما السلام أشرف من سائر أولى العزم سوى نبينا صلى الله عليهم أجمعين. لا يقال: لا يدل على فضلهما على نوح وابراهيم عليهما السلام لاحتمال كون عدم كونهما كفوءين لكونها من أجدادها عليها السلام. لأنا نقول: ذكر آدم عليه السلام يدل على أن المراد عدم كونهم أكفاءها مع قطع النظر عن الموانع الأخر على انه يمكن أن يتشبث بعدم القول بالفصل [۷۵] وايضاً هناك حديث يدل على أفضلية فاطمة الزهراء على

الأنبياء وعلى جميع البشر حيث ذكر المحدث الكبير العلامة الخبير الطبرسى رضى الله عنه:عن أبى جعفر عليه السلام: ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة [۷۶] ونقف مع وجه آخر قد يمكن أن نثبت من خلاله حجية فاطمة عليها السلام على الأئمة، وهو ما نستفيده من خلال الحديث المذكور فى كون على عليه السلام كفواً لفاطمة الزهراء عليها السلام، حيث ورد فى الحديث المذكور عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «لولا على لم يكن لفاطمة [صفحه ۸۴] كفو» [۷۷] . وأيضاً ورد عن أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا يخلق عليّاً لما كان لفاطمة كفو [۷۸] وهذا يعنى أن أكثر المقامات التى كانت للامام أمير المؤمنين على عليه السلام هى ثابتة للصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهما فى منزلة واحدة من الإيمان والتقوى، وإلّا لما كان كل منهما كفواً للأخر؟ وعليه تكون فاطمة حجة على الأئمة عليهم السلام كما كان أمير المؤمنين عليه السلام الحجة على الأئمة عليهم السلام، فلقد ورد فى عدة أحاديث ان على عليه السلام سيد الأوصياء وخيرهم وأفضلهم لذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «منا خير الأنبياء وهو أبوك ـ والكلام مع فاطمة عليها السلام ـ ومنا خير الأوصياء وهو بعلك [۷۹] ». وفى حديث آخر عن أمير المؤمنين أنه قال: «والله لأتكلمن بكلام لا يتكلم به غيرى إلا كذاب: ورثت نبى الرحمة، وزوجتى خير نساء الأمة، وأنا خير الوصيين» [۸۰] والذى نريد القول به من هذا الكلام أن الإمام على عليه السلام كان خير الأوصياء وافضلهم فلقد ورد فى شرح نهج البلاغة فى أن أمير المؤمنين كان يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة. قال ابن أبى الحديد: وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده ان يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلى عليه ورده والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك فلا يقوم حتى يفرغ من وظيفته، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة بعير لطول سجوده، وإذا تأملت دعواته ومناجاته وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه واجلاله وما يتضمنه من الخضوع ليبته، والخشوع لعزته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوى عليه من الاخلاص، وفهمت من أى قلب خرجت وعلى أى لسان جرت، وقيل لعلى بن الحسين عليهما السلام وكان الغاية فى العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتى من عبادة جدى كعبادة جدى من عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۸۱] فيظهر من هذا الحديث أحاديث أخرى أن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام كان متميز عن باقى [صفحه ۸۵] الأئمة عليهم السلام من ناحية مدى تصديه لشؤون الإمامة والولاية وتحمل المشاق للدفاع عن حريم الرسالة المحمدية، وإلّا فالأئمة عليهم السلام جميعاً من ناحية الانوار متحدين فهم كلهم نور واحد ولكن الاختلاف كان من جهة تصديهم لشؤون الخلافة والمشاق التى تحملوها، وعليه تكون الصديقة الزهراء عليها السلام كفو للامام أمير المؤمنين فهى أم الأوصياء وروح النبوة وبضعة الرسول، وزوجة خير الأوصياء. وعلى ضوء هذه الاحاديث وعلى أساس أحاديث أخرى اغمضنا النظر عليها لئلا يطول المقام بنا، كانت فاطمة الزهراء وبدليل الاولوية وفحوى الخطاب الحجة على الأنبياء والأئمة، ونقول ليس فقط ما تكاملت نبوة نبى فحسب بل ما تكاملت الإمامة فى امامتها ولا تكامل العلماء فى علمائها وإلّا الادباء فى أدبهم والحكماء فى حكمهم والاتقياء فى تقواهم وكل كامل فى كمال حتى يقر بفضلها ويؤمن بمحبتها فهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى والاخرى [۸۲] فاذاً كانت فاطمة حجة وما تزال حجة على الأئمة عليهم السلام. وحبها من الصفات العالية عليه دارت القرون الخالية بابى فاطم وقد فطمت بأسمها نار حشرها ولظاها هى والله كوثر قد اعدت لبنيها وكل من والاها هى عند الله اعظم خلق وبها دار فى القرون رحاها وهكذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام بهذه الوجوه وادلة اخرى الحجة على الأنبياء والأوصياء وبهذا المعنى الذى وضحناه تبين لنا عِظم مقام فاطمة عليها السلام وعلو قدرها عند البارى عز وجل ونكتفى بهذا البيان حول الوقوف على قول الإمام الحسن العسكرى «فاطمة حجة علينا». [صفحه ۸۹]

اصل يوم العذاب

فى ظلامات فاطمة

الشيخ حبيب شعبان [۸۳] . أيا منزلَ الاحباب ما لكَ موحشــاً بزهرتكَ الأرياحُ أودت بمــا تسـفى تَعفيتَ يا ربــعَ الاحبـةِ بعدهم فـذكرتنى قبرَ البتــولةِ إذ عفَــى رمتها سـهـامُ الدهرِ وهـىَ صوائبٌ بشـجوٍ إلى أن جُرّعت غصـصَ الحنــفِ شـجاها فراقُ المصـطفى واحتفـارُهـا لـدى كـلِّ رجـسٍ من صـحابتهِ جِلــفِ لقـد بالغـوا فى هضـمِهـا وتحالفـوا عليها وخانوا الله فـى محكـم الصـحـفِ فآبت وزنــدُ الغيـظِ يقـدحُ فى الحشـا تعثـرُ بالأذيـالِ مثنيـةُ العطـف وجـائت إلى الكرارِ تشـكو اهتضـامَهـا ومـدت اليــهِ الطرفَ خـائعـةَ الطرف أبـا حسنٍ يـا راسخ العلم والحجـى [۸۴] إذا فرت الابطـالُ رعبـاً مـن الزحـف ويـا واحـداً أفنى الجمـوعَ ولـم يـزل بصـيحته يسومـوننى مالاـ اطيق من الخسـف ويلطم وجهى نَصبَ عينيـكَ ناصــبُ العـداوةِ لى بالضــرب منى يستشـفى فتُغضى ولاـ تُنضى حسامَـكَ آخـذاً بحقى ومنهُ اليـومَ قـد صـفـرت كفَـى لمن أشـتـكى إلاّ اليـكَ ومَـن بــهِ الوذُ وهل لى بعـدَ بيتـكَ مـن كهـف وقد أضـرمـوا النيـرانَ فيـهِ وأسـقطوا جنينى فوا ويــلاهُ منهـم ويـا لهفـى وما برحـت مهضومـةً ذاتَ علـةٍ تأرقُهـا البلـوى وظالمهـا مُغفـى إلى أن قضت مكسورةَ الضلعِ مسقِطاً جنينٌ لها بالضربِ مسودّةَ الكتــف [صفحه ۹۱]

لماذا هذا البحث (أصل يوم العذاب...)

قـال المفضل للإمام الصادق عليه السـلام: يا مولاى ما فى الـدموع ثواب؟ قال: ما لا يحصـى إذا كان من محقّ. فبكى المفضل (بكاءاً) طويلاً ويقول: يا ابن رسول الله إنَّ يومكم فى القصاص لأعظم من يوم محنتكم، فقال له الصادق عليه السـلام: ولا كيوم محنتنا بكربلاء وإن كان يوم السـقيفة واحراق النار على باب أمير المؤمنين والحسن والحسـين وفاطمـة وزينب وأم كلثوم وفضـة وقتل محسن بالرفسـة أعظم وأدهى وأمرّ، لأنّه أصل يوم العـذاب [۸۵] . من منطلق هذه الرواية التى رواها المفضل عن الإمام الصادق عليه السـلام، واسـتناداً إلى كلام الإمـام المعصوم الـذى هو معصوم الكلام، والـذى لاـ يـأتيه الباطـل لاـ من بين يـديه ولاـ من خلفه، حيث يعتبر كلام الإمام المعصوم من الادلـة الشـرعية الاربعـة: القرآن الكريم والسـنة والعقل والاجماع فهو داخل ضـمن السـنة النبويـة الشـريفة، باعتباره يمثل الامتداد الحية لها كان عنوان هذا البحث مستمداً من هذه الرواية والتى تروى قصة مظلومية فاطمة الزهراء سلام الله عليها والذى بَيّن فيه الإمام الصادق عليه السـلام عِظم ومرارة مصـيبة أهل البيت عليهم السـلام عند هجوم القوم على دار أمير المؤمنين سلام الله عليه بأعظم تعبير يجعل المؤمن الباحث عن الحقيقة والعقيدة والصحيحة يقف عنده كثيراً [صفحه ۹۲] ويدقق فيه طويلاً ليرى لماذا عبّر عنه الإمام عليه السـلام بهذا القول العظيم بأنه أصل يوم العذاب، لا شك ولا ريب ان كلام الإمام الصادق عليه السـلام لا يأتى اعتباطا وعبثاً دون أن تكون هناك مقـدمات أوليـة يقينيـة عنده بحيث تؤدى بالأمر إلى أن تصل فيه النتيجة النهائية وعلى ضوء هذه المقامات المهمة أن تكون المظلوميـة العظمى لأهل بيت النبوة ومعـدن الرسالـة ومختلف الملائكـة وبالخصوص أُم أبيها فاطمـة الزهراء سـلام الله عليها هى الاساس والاصل ليوم الحسرة أو كما عبر عنه الإمام عليه السلام بيوم العذاب. لذا جاء هذا البحث أصل يوم العذاب فى ظلامات فاطمة الزهراء سـلام الله عليها باعتبارها قطب الرحى الى تـدور حوله محوريـة أهل البيت عليهم السـلام والـذى اعتمدنا فى تسـميته هذه على رواية المفضل عن لسان الإمام الصادق عليه السـلام لكى لا نخرج حتى فى تسميتنا لأى شىء عن تسميات وتعبيرات أهل البيت عليهم السـلام. وسـيكون بحثنا فى هذا الموضوع عن مقدمات مهمة، وخصوصـيات قيمة مرتبطةٌ بصميم البحث وتكون هى المحور والاساس للنتيجـة النهائيـة للبحث، وخصوصاً ما يتعلق بمقامات فاطمـة الزهراء سـلام الله عليها لما لها من الأثر الكبير على عظم ومرارة مظلوميتها سلام الله عليهـا فانه كلما كان المقام سامى وعظيم للانسان المؤمن فانه بالنتيجـة والقطع اليقينى سوف تكون ظلامته ومظلوميته عظيمة وكـبيرة وعلى قـدر ايمـانه ومقـامه الرفيع. وكـذلك سوف يكون هنـاك بحث مهم وعلى ضوء القرآن والسـنة لبيـان هـذه المقامـات وكذلك اظهار مظلومية أهل البيت وبالأخص الزهراء سـلام الله عليها على ضوء السـنة الشـريفة وآراء ومعتقدات العلماء الأبرار إلى أن نصل إلى مسألـة ارتباط هـذه المظلوميات بصـميم عقائـدنا وبالنتيجـة كيفيـة تعبير الاماما الصادق عليه السـلام بأن مظلوميـة أهل البيت عليهم السلام فى ذلك الوقت وحتى وقتنا هذا هى الأصل ليوم العذاب.

ما معنى أصل يوم العذاب

وأصل الشيء الاساس الذى يُبنى عليه ذلك الشيء وقد يكون أصل الشيء المنطلق له أو أسفله وحسب التعريفات اللغوية التى وردت فى تعريفه، ومن هنا نقف مع رواية [صفحه ۹۳] المفضل التى رواها عن الإمام الصادق عليه السلام لكى نفهم كيف يجرى الحال مع هذه الرواية، فالسؤال المطروح فيما نحن فيه يقتضى أن نفهم أن أصل يوم العذاب هل يقصد به الاساس الذى بنى عليه ظلم أهل البيت عليهم السلام من ذلك الحين أو أنه يقتضى ـ الاصل ـ معناه يوم القيامة الذى سوف يكون فيه الاساس لعذاب الذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام فيكون الجزاء جهنم خالدين فيها أبداً؟ أما الشق الأوّل الذى يقصد به ويقول ان أصل يوم العذاب هو ذلك اليوم الذى سُلبت فيه الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام ـ يوم السقيفة ـ وإضرام النار على باب بيت أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام... وقتل محسن بالرفسة، حيث أسس الظلم والعذاب على أهل البيت عليهم السلام ولم يروّ الراحة والاطمئنان من يوم ظلم فاطمة إلى واقعة كربلاء وقتل أهل البيت وتشريدهم إلى ظهور الإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فان العذاب موجوع والاذى مبثوث لكل من ولاهم واتبعهم من شيعتهم وعلى هذا الاساس يكون أصل يوم العذاب هو اليوم الذى أسس الظلم على أهل البيت عليهم السلام فى هذه الحياة الدنيا، وهذا القول الذى يقول ان يوم العذاب هو يوم الظلم الذى جرى على أهل بيت النبوة بعيد عن المتفاهم العرفى ولا يساعد عليه الحال لأنّ هناك فرق بين أن نقول يوم الظلم ويوم العذاب لانه الظلم وارد فى الحياة الدنيا أما العذاب فيكون له يوم خاص وكما عبر عنه القرآن يوم التغابن ويوم القيامة.... فلذا الظاهر من خلال الرواية ان يوم العذاب ليس هو يوم الظلم الذى جرى على أهل بيت النبوة عليهم السلام لأن العذاب لا يطلق على هكذا حالٍ وانما يطلق على يوم القيامة الذى سوف يكون فيه العذاب للظالمين أما ما الذى يصح ان يعبر منه فهذا ما يمكن ان نقول به هو يوم المصائب ويوم المحن الابتلاءات والظلامات اذن يكون هذا القول منتفى فى كون يوم العذاب هو اليوم الذى أسس فيه الظلم لأهل بيت النبوة. وعلى الشق الثانى من معنى الأصل ليوم العذاب يكون معناه ان يوم القيامة سوف يكون فيه العذاب والخزى للذين أخذوا الخلافة من أصحابها الحقيقيين وظلموا الزهراء عليها السلام وأضرموا النار على بيت أمير المؤمنين وقتلوا المحسن بن على عليه السلام بالرفسة، فتكون هذه الظلامات هى الاساس والاصل ليوم العذاب فى نار جهنم [صفحه ۹۴] للذين فعلوا ذلك الظلم العظيم وكما عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى (ان الظالمين لهم عذاب أليم). وعليه الذى على ما احتمله ان الصحيح عندى هو المعنى الوارد فى تفسير الاصل ليوم العذاب يعنى ان أساس يوم العذاب فى القيامة سوف يكون بسبب هذا الظلامات من ظلامة يوم السقيفة واحراق النار وقتل محسن بالرفسة وغير ذلك من الظلامات ذلك لأن هناك عدة أدلة وشواهد تثبت هذه المسئلة وايضاً نفهم هذا من خلال عدة روايات شريفة وشواهد تاريخية بينت هذه المسألة، وهناك قرينة فى المقام تثبت هذا المعنى وهى الرواية نفسها حيث نستفيد منها ان المفضل يسأل الإمام عليه عليه السلام ويقول ان يومكم فى القصاص لاعظم من يوم محنتكم... حيث عبر عن يوم القيامة بيوم القصاص الذى سوف تكون فيه جهنم عذاباً للظالمين، واضافة إلى ذلك قال المفضل ان يوم محنتكم وهذا يدل على ان هناك فرق بين ان نقول يوم العذاب ويوم المحنة.. وايضاً هناك قرينة متصلة فى الرواية الشريفة نفسها حيث توجد تكملة لهذه الرواية التى يرويها المفضل حيث تقول: «ويأتى محسن مخضباً محمولاً تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد أُم أمير المؤمنين على عليه السلام وهما جدتاه... وفاطمة تبكى وتصيح وتقول: هذا يومكم الذى كنتم توعدون... فيأخذ رسول الله محسناً على يديه رافعاً له إلى السماء وهو يقول: إلهى وسيدى صبرنا فى الدنيا احتساباً وهذا اليوم الذى تجد كل نفس ما عملت من خيراً محضراً وما عملت من سوءٍ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً». فعلى أساس هاتين القرينتين نحتمل احتمالاً قويا ان أصل يوم العذاب المقصود به هو يوم القيامة الذى سوف يكون فيه نار جهنم للظالمين أشد عذاباً وأكبر تنكيلاً. وربما يرد علينا فى ما نحن فيه اشكال وهو اذا كانت ظلامات أهل البيت عليهم السلام من السقيفة واحراق بيت فاطمة وقتل محسن... الخ هو الاساس وأصل يوم العذاب فى القيامة فماذا تقول فى الذين كانوا قبل هذه الظلامات وقبل زمن الرسول صلى

الله عليه وآله وسلم ـ أى الامم الاخرى ـ فانهم ما كانوا يعلمون ذلك فكيف توجه هذه المسألة؟ نقول: انه لا ضيرَ فى ذلك ولا يقدح فيما نحن فيه ذلك لكون عندنا رواية تقول انها ـ [صفحه ۹۵] أى الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام ـ كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والانس والطير والوحش والأنبياء والملائكة [۸۶] ، فاذا كان هكذا حالها فبالنتيجة تكون الحجة على جميع من خلق الله تعالى وخصوصاً انه ما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى ـ أى المتقدمة على هذا الزمان ـ وعليه لو كان الأنبياء والمؤمنين قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حاضرين فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكانوا قسمين إما راضين بما فعل القوم من الظلم بحق فاطمة وبعلها وبنيها وإما لم يكونوا راضين. فان كانوا راضين كانت لهم جهنم مقراً ومقاما وان لم يكونوا راضين بظلمها كانت لهم الجنة دار سرور ونعيم وعلى هذا الاساس يتضح كيف يكون ظلم أهل البيت وخصوصا الصديقة الشهيدة فاطمة عليها السلام الاساس ليوم العذاب هذا من جهة. ومن جهة أخرى نحن نعلم ان هناك أحاديث وردت على لسان أهل بيت العصمة مفادها ان الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها فمن كانت فاطمة راضية عنه رضا عنه الله تبارك وتعالى ولا شك ولا ريب ولا شك أن رضا الله يرضاه الأنبياء والمؤمنين السابقين على زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيكونوا عندئذ راضين عمن رضيت عنه فاطمة وغاضبين على من غضبت عليه لانها مظهر رضا الله تعالى وغضبه وعليه يكون الاصل ثابت. اذن ونحن نقف مع هذا البحث ومدى ثبوتيته لا بد لنا من أن نقدم بعض الأمور التى يتوقف عليها عِظَم هذه المسئلة التى نحن بصددها، وهذه الامور هى: الأمر الأول: مقامات الزهراء الأمر الثانى: ظلامات الزهراء عليها السلام.

مقامات الزهراء وفيه

اشاره

أـ مقامها عند الله تعالى ب ـ مقامها عند الملائكة ج ـ مقامها عند الأنبياء والنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقامها عند الأئمة عليهم السلام هـ ـ مقامها عند العلماء والمحدثين ت ـ مقامها يوم القيامة. [صفحه ۹۷]

مقامها عند الله تعالى

إنّ من المقامات التى خصت بها فاطمة الزهراء عليها السلام هو مقام الرضا أى ان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، حيث جاءت الكثير من الروايات الشريفة المأثورة عن الرسول وأهل بيته عليهم السلام لتؤكد هذه المنقبة العظيمة للصديقة الشهيدة. وهذا مما يدل على كونها ذو مقام عالى وشريف سامى لها عند الله تعالى: إذ لا معنى ان يرضى الله لشخص من دون أن يكون له عند الله منزلةً وكرامةً عليه، وهذا مما يساعد عليه العرف العقلائى إضافة إلى الشواهد القرآنية الكثيرة على هذه المسألة، فنحن نجد من خلال الممارسات الحياتية ان الكثير من الاصدقاء مثلاً يرضون لرضا شخص معين بالحق ويقبلون شفاعته وتوسطه أو رضاه عن شخص معين لحل مشكلة ما، وكذلك الحال فى الغضب، وعلى هذا الاساس تكون فاطمة كريمة عند الله تعالى لعلو شأنها ومنزلتها عنده لذلك يرضى لرضاها ويغضب لغضبها. عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا فاطمة ان الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك» [۸۷] . وكذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «يا فاطمة أبشرى فلك عند الله مقامٌ محمودٌ تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فتُشفعين» [۸۸] . ويظهر أيضاً مقامها عند البارى عز وجل من خلال الحديث الطويل الذى يروى عن أهل بيت العصمة عن الله تعالى حيث يقول البارى عز وجل: «يا فاطمة وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لقد آليت على نفسى من قبل أن أخلق السموات والأرض بألفى عام أن لا أعذب محبيك ومحبى عترتك بالنار» [۸۹] . فأى منزلة ومقام لها عند الله تعالى بحيث يقسم الله تعالى بعزته وجلاله أن لا

يعذب بالنار شيعة الزهراء ومحبيها، وهذا الحديث له مقام عالى يثبته حديث آخر [صفحه ۹۸] ورد فى شفاعة الزهراء عليها السلام فى يوم القيامة واعطاء الكرامة العظمى لها آنذاك. ومن المقامات الأخرى لها عليها السلام هو علة الايجاد أى أنها كانت علة الموجودات التى خلقها البارى عز وجل وكما ورد فى الحديث الذى يقول فيه البارى عز وجل: «يا أحمد! لولاك لم خلقت الأفلاك، ولولا على لم خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما» [۹۰] . ولا نريد الوقوف مع هذا الحديث الآن بل نترك بحثه إلى الفصول القادمة من هذا الكتاب، وكثيرة هى المناقب والمقامات التى لها عند الله تعالى.

مقامها عند الملائكة

فى حديث طويل.. «... فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا لمن هذا النور الزاهر، الذى قد أشرقت به السموات والأرض؟ فأوحى الله إليها: هذا نور اخترعته من نور جلالى لأمتى فاطمة ابنة حبيبى، وزوجة وليّى وأخو نبيّى وأبو حججى على عبادى، أُشهدكم ملائكتى أنّى قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبيها إلى يوم القيامة» [۹۱] . وهذا يعنى انها عليها السلام لها مقام النور الزاهر عند الملائكة فهم يعرفونها فى السماء بالنور الزاهر الذى أزهرت السماوات والأرض بنورها ولأجل ذلك سميت بالزهراء.

مقامها عند الأنبياء والنبى محمد

أما عند الأنبياء فهذا ما يدل عليه الحديث المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام الذى يقول: ما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى، حيث يظهر من هذا الحديث ان لها مقام سامى عند الأنبياء لأنه ما تكاملت نبوتهم حتى أقروا بمنزلتها ومقامها وفضلها [صفحه ۹۹] ومحبتها، واللطيف هنا انما الأقرار يكون عند من له الحق على الآخرين، وعليه يكون الأنبياء أقروا لله تعالى ـ لأنه هو صاحب الحق عليهم ـ بفضلها ومحبتها، أما عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم فان مقامها رفيع ولو أردنا أن نكتب عن مقامها عند الرسول لاحتجنا إلى مجلدات فى هذا الأمر ولكن على ما يسعنا المقام نقول: ان مقامها يظهر من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه حيث تارة يقول فداك أبوك ومرة أخرى يقول لها أُم أبيها، وأخرى بضعة منى ولحمها لحمى ودمها دمى ولكن الأهم من هذا كله فإنها عليها السلام يكفى من مقامها ومنزلتها عند الرسول صلى الله عليه وآله انه قال فى حقها: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد وهى بضعة منى وهى قلبى الذى بين جنبى فمن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله» [۹۲] . وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ومن أنصفك فقد أنصفنى، ومن ظلمك فقد ظلمنى، لأنك منّى وأنا منك، وأنت بضعة من وروحى التى بين جنبىّ ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إلى الله أشكو ظالميك من امتى» [۹۳] .

مقامها عند الأئمة

ورد عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام أنه قال: «نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا» [۹۴] وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة الذى أعطى لفاطمة عليها السلام وعلى لسان حفيدها الحسن العسكرى عليه السلام أكبر شهادة عظمى بحقها، وسيأتى مفصلاً البحث حول هذا الحديث الشريف. ويظهر من خلال حديث أخر عظم منزلة ومقام فاطمة عند الأئمة عليهم السلام حيث [صفحه ۱۰۰] خرج من الناحية الشريفة عن الإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أنه قال: «وفى ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى أسوة حسنة...» [۹۵] فأى مقام يظهر لنا من خلال هذا التوقيع الشريف والذى بين فيه الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن له اسوة حسنة بفاطمة أى اتخذها قدوة له يتأسى بها فى المعضلات والمصائب. وهناك الكثير من المقامات التى اشتركت الزهراء عليها السلام مع الأئمة فيها من حديث كونهم الصراط المستقيم واشتراكها معهم فيه وكذلك كونهم الكلمات التى

تلقاها آدم عليه السلام لتوبته واشتراكها معهم فى المباهلة مع وفد نجران والذى تدل على أنها كانت قطب الرحى الذى دار فى المباهلة وكونها الشجرة الطيبة واشتراكها فى النور معهم والتطهير فى آية التطهير... الخ من المناقب والمقامات العالية لها عليها السلام ولقد تظافرت الروايات الشريفة على هذه المقامات.

مقامها عند العلماء والمحدثين

١ـ قال ابن صبّاغ المالكى: ولنذكر طرفاً من مناقبها التى تشرف هذا النّسب من نسبها، واكتسى فخراً ظاهراً من حسبها، وهى فاطمة الزهراء بنت مَنْ أنزل عليه: سبحان الذى أسرى، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السّداد [٩۶] . ٢ـ قال الأُستاذ عبد الزهراء: ونحن حين نتناول الحديث عن الزهراء عليها السلام بصفتها غرس النبوّة، وشجرة الإمامة، فإنّما تنكشفُ لنا أبعادُ الرّسالة الإسلامية بطابع تجسيدى نلمسه فى كل جانب من جوانب شخصيّتها عليها السلام ونحن نتابعها، ففى قرانها بعلىٍّ بن أبى طالب عليه السلام تنجلى لنا الصورة الحيّة التى رسمها الإسلام للقرآن الذى ارتضاه خالق هذا الوجود، وفى مواقفها البطولية بعد وفاة أبيها يتكشّف لنا المدى [صفحه ١٠١] البعيد الذى رسمه الإسلام للمرأة من حقوق وواجبات، ومدى فاعليتها فى بناء المجتمع الإسلامى. وعلى هذا الأساس تقاس سائر جوانب شخصية الزهراء عليها السلام [٩٧] . ٣ـ قال العلامة محمد بن طلحة الشافعى: اعلم ـ أيّدك الله بروح منه ـ أن الأئمة الأطهار المعدودة مزاياهم فى هذا المؤلّف، والهداة الأبرار المقصودة سجاياهم بهذا الصنّف لهم برسول الله زيادة على اتصالهم به بواسطة فاطمة عليها السلام. فبواسطتها زادهم الله تعالى فضل شرف وشرف فَضْل، ونيل قدر وقدر نيل، ومحلَّ علوّ وعلوّ محلّ، وأصل تطهير وتطهير أصل... فانظر بنُور بصيرتك ـ أمدّك الله بهدايتها ـ إلى مدلول هذه الآية [٩٨] وترتيب مراتب عباراتها وكيفيّة إشارتها إلى علوّ مقام فاطمة الزهراء فى منازل الشرف وسمو درجتها، وقد بيّن ذلك وجعلها بينه وبين علىٍّ تنبيهاً على سرّ الآية وحكمتها، فإن الله عزَّ وجل جعلها مُكتَفةً من بين يديها ومن خلفها ليظر بذلك الاعتناء بمكانتها. وحيث كان المراد من قوله «وأنفسَنا» نفس علىٍّ مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم جعلها بينهما إذا الحراسة بالأحاطة بالأنفس أبلغ منها بالأنباء فى دلالتها [٩٩] . ۴ـ قال الحافظ أبو نعيم الإصفهانى: ومن ناسكات الأصفياء وصفيّات الأتقياء فاطمة ـ رضى الله تعالى عنها ـ السيّدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول، وأوّلهم بعد وفاته به لحوقاً، كانت عن الدنيا ومُتعتها عازفةً، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عرافة [١٠٠] . ۵ـ قال عبد الحميد ابن أبى الحديد: وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظُنُّونه وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاصّ والعامّ مراراً لا مرّة واحدة، وفى مقامات مختلفة لا ـ فى مقام واحد: «انها سيدة نساء العالمين، وإنها عديلة مريم بنت عمران، وإنها إذا مرّت فى الموقف فى الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف غضُّوا أبصاركم [صفحه ١٠٢] لتعبر فاطمة بنت محمد». وهذا من الأحاديث الصحيحة، وليس من الأخبار المستضعفة. وإنّ إنكاحه عليّاً إيّاها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إيّاها فى السماء بشهادة الملائكة؛ وكم قال لا ـ مرّة: «يؤذينى ما يؤذيها، ويغضبنى ما يغضبها، وإنها بضعة منى، يريبنى ما رابها» [١٠١] . ۶ـ قال الأُستاذ توفيق أبو علم: كانت ـ رضى الله عنها ـ كريمة الخليفة، شريفة الملكة، نبيلة النفس، جليلة الحس، سريعة الفهم، مرهفة الذهن، جزلة المروءة، غرّاء المكارم، فيّاحة نفّاحة، جرئية الصدر، رابطة الجأش، حميّة الأنف، نائية عن مذاهب العجب... وكانت فى الذروة العالية من العفاف والتصادق، طاهرة الذيل، عفيفة المئزر، عفيفة الطرف... إنّها سليلة شرف لا ـ منازع لها فيه من واحدة من بنات حوّاء فمن تراه... واكتفائها بشرفها كأنّها فى عزلة بين أبناء آدم وحوّاء [١٠٢] . ٧ـ قال الأُستاذ عباس محمود العقاد المصرى: فى كل دين صورةُ الأُنوثية الكاملة المُدّسة يتخشّع بتقديسها المؤمنون، كأنّما هى آية الله فيما خلق من ذكر وأُنثى؛ فإذا تقدّست فى المسيحية صورة مريم العذراء، ففى الإسلام لا ـ جرم تتقدّس صورةُ فاطمة البتول [١٠٣] . ٨ـ قال الدكتور على إبراهيم حسن: وحياة فاطمة هى صفحة فذّة من صفحات التاريخ، نلمس فيها ألوان العظمة، فهى ليست كبلقيس أو كليو بطرة، استمدّت كلُّ عظمتها من عرش كبير وثروة طائلة

وجمال نادر. وهى ليست كعائشة نالت شهوتها لما انّصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش، وتتحدّى الرجال، ولكنّا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلى العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب والفلاسفة والعلماء، وإنما تجارب الدهر المليء بالتقلبات والمفاجأت، وجلال ليس مستمداً من ملك أو ثراء، وانما من صميم النفس... [۱۰۴] . [صفحه ۱۰۳] ۹ـ قال العلامة الإربلى: فنلبدأ الآن بذكر فاطمة عليها السلام التى زاد إشراق هذا النسب بإشراق أنوارها، واكتسب فخراً ظاهراً من فخارها، واعتلى على الأنساب بعلوّ منارها، وشرف قدره بشرف محلّها ومقدارها، فهى مشكاة النبوة التى أضاء لألاؤها، وتشعشع ضياؤها، وسحت بسحب الغرّ أنواؤها، وعقيلة الرسالة التى علت السبع الشداد مراتب علاـ وعلاء، ومناصب آل وآلاء، ومناسب سناً وسناء، الكريمة الكريمة الأنساب، الشريفة الشريفة الأحساب، الطاهرة الظاهرة الميلاد، الزهراء الزهراء الأولاد، السيدة باجماع أهل السداد، الخيرة من الخير: ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، أُم الأئمة الغرر، الصافية من الشوب والكدر، الصفوة على رغم من جحد أو كفر، الحالية بجواهر الجلال، الحالّة فى أعلى رتب الكمال، المختارة على النساء والرجال، صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبينها السادة الأنجاب، وارثى النبوة والكتاب، وسلّم وشرّف وكرّم وعظّم [۱۰۵] . ۱۰ـ وقال أيضاً: إن فاطمة عليها السلام هى سليلة النبوة ورضيعة درّ الكرم والأُبوة، ودرّة صدف الفخار، وغرّة شمس النهار، وذُبالة [۱۰۶] مشكاة الأنوار، وصفوة الشرف والجود، وواسطة قلادة الوجود، نقطة دائرة المفاخر، قمر هالة المآثر، الزهرة الزهراء، والغُرَّة الغرّاء، العالية المحل، الحالّة فى رتبة آل عُلاء السامية، المكانة المكينة فى عالم السماء، المضيئة النور، المنيرة الضياء، المستغنية باسمها عن حدِّها ووَسمها، قُرّة عين أبيها، وقرار قلب أُمِّها، الحالية بجواهر عُلاها، العاطلة من زخرف دنياها، أمة الله وسيدة النساء، جمال الآباء وشرف الأبناء، يفخر آدم بمكانها، ويبوح نوح بشدّة شأنها، ويسموا إبراهيم بكونها من نسله، وينجحُ إسماعيل على إخوته إذ هى فرع أصله، وكانت ريحانة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين أهله، فما يجاريها فى مَفْخر إلا مغلّب [۱۰۷] ، ولا يباريها فى مجد إلا مؤنّب [۱۰۸] ، ولا يجحد حقّها إلا مأفون [۱۰۹] ، ولا يصرف عنها وجه [صفحه ۱۰۴] إخلاصه إلا مغبون [۱۱۰] . ۱۱ ـ قال العلامة الخبير ابن شهر آشوب (ره): وقلنا الصدّيقة بالأقوال، والمباركة بالأحوال، والطاهرة بالأفعال، الزكية بالعدالة، والرضية بالمقالة، والمرضية بالدلالة، المحدثة بالشفقة، والحرّة بالنفقة، والسيّدة بالصدقة، الحصان بالمكان، والبتول فى الزمان، والزهراء بالإحسان، مريم الكبرى فى الستر، وفاطم بالسرّ. وفاطمة بالبرّ، النوريّة بالشهادة، والسماوية بالعبادة، والحانية بالزهادة، والعذراء بالولادة، الزاهدة الصفيّة، العابدة الرضيّة، الراضية المرضيّة، المتهجّدة الشريفة، القانتة العفيفة، سيدة النسوان، وحبيبة حبيب الرحمن، المحتجبة عن خزّان الجنان، وصفيّة الرحمن، ابنة خير المرسلين، وقرّة عين سيّد الخلائق أجمعين، وواسطة العقد بين سيّدات نساء العالمين، والمتظلّمة بين يدى العرش يوم الدين، ثمرة النبوّة، وام الأئمة وزهرة فؤاد شفيع الامة، الزهراء المحترمة، والغرّاء المحتشمة، المكرّمة تحت القبّة الخضراء، والإنسيّة الحوراء، والبتول العذراء، ستّلا النساء [۱۱۱] ، وارثة سيد الأنبياء، وقرينة سيد الأوصياء، فاطمة الزهراء، الصدّيقة الكبرى، راحة روح المصطفى، حاملة البلوى من غير فزع ولا شكوى، وصاحبة شجرة طوبى، ومن أنزل فى شأنها وشأن زوجها وأولادها سورة هل أتى، ابنة النبى، وصاحبة الوصى، وام السبطين، وجدّة الأئمة، وسيدة نساء الدنيا والآخرة، زوجة المرتضى، ووالدة المجتبى، وابنة المصطفى، السيدة المفقودة، الكريمة المظلومة الشهيدة، السيدة الرشيدة، شقيقة مريم، وابنة محمد الأكرم، المفطومة من كل شرّ. المعلومة بكل خير، المنعوتة فى الإنجيل، الموصوفة بالبرّ والتبجيل، درّة صاحب الوحى والتنزيل، جدّها الخليل، ومادحها الجليل، وخاطبها المرتضى بأمر المولى جبرئيل [۱۱۲] . ۱۲ ـ قال المحقق الشهير الحاج ملّا محمد باقر صاحب الخصائص الفاطمية: سبحانك اللهم فاطر السموات العلى، وفالق الحب والنوّى، أنت الذى فطرت اسماً من [صفحه ۱۰۵] اسمك، واشتققته من نورك، فوهبت اسمك بنورك حتى يكون هو المظهر لظورك، فجعلت ذلك الاسم جرثومة لجملة أسمائك، وذلك النور ارومة [۱۱۳] لسيّدة إمائك، ونديت فى الملأ الأعلى: أنا الفاطر وهى فاطمة، وبنورها ظهرت الأشياء من الفاتحة إلى الخاتمة. فاسمها اسمك، ونورها نورك، وظهورها ظهورك، ولا إليه غيرك، وكل كمالٍ ظلّك، وكل وجودٍ ظلّ وجودك، فلما فطرتها فطمتها عن الكدورات البشرية، واختصصتها بالخصائص الفاطمية، مفطومة عن

الرعونات [۱۱۴] العنصريّة، ونزّهتها عن جميع النقائص، مجموعة من الخصائل المرضيّة بحيث عجزت العقول عن إدراكها، والناس فطموا عن كنه معرفتها، فدعا الأملاك في الأفلاك بالنوريّة السماوية، وبفاطمة المنصورة... ام السبطين وأكبر حجج الله على الخافقين، ريحانه سدرة المنتهى، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وستر الله المرخى، والسعيدة العظمى، والمريم الكبرى، والصلواة الوسطى، والإنسيّة الحوراء التيم بمعرفتها دارت القرون الاولى. وكيف احصى ثناها وإنّ فضائلها لا تحصى، وفواضلها لا تقضى؟! البتول العذراء، والحرّة البيضاء، ام أبيها، وسيدة شيعتها وبنيها، ملكة الأنبياء، الصدّيقة فاطمة الزهراء، نعم ما قال: خجلاً من نور بهجتها تتوارى الشمس في الافق وحياءً من شمائلها يغطّى الغصن في الورق [۱۱۵] . ۱۳ ـ قال المحقق البارع السيد كاظم القزويني: فاطمة، وما أدراك من فاطمة! شخصية إنسان تحمّل طابع الانوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإن الله تعالى خلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليكون آية قدرتة في الأنبياء، ثم خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزهراء لتكون علامةً وآيةً على قدرة الله في إيداع مخلوق أنثى تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزهراء أوفر حظ من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة بحيث لا يمكن لأيّة أنثى لأيّة أنثى أن تبلغ تلك [صفحه ۱۰۶] المنزلة، فهي من فصيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، ونزلت في حقّهم آيات محكمات في الذكر الحكيم تتلى آناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم القيامة. شخصية كلما ازداد البشر نضجاً وفهماً للحقائق واطّلاعاً على الأسرار ظهرت عظمة تلك الشخصية بصورة أوسع، وتجلت معانيها ومزاياها بصورٍ أوضح. إنّها فاطمة الزهراء الله يثني عليها , ويرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينوّه بعظمتها وجلالة قدرها، وأمير المؤمنين عليه السلام ينظر إليها بنظر الإكبار والإعظام، وأئمة أهل البيت عليه السلام ينظرون إليها نظر التقديس والإحترام [۱۱۶] .

مقامها يوم القيامة

إن أفضل مقام تعطى فاطمة عليها السلام يوم القيامة هو مقام الشفاعة الكبرى والذى من خلال هذه المنزلة يظره قدر ومقام فاطمة عند الله تعالى يوم القيامة وأمام الخلائق جميعاً، فلقد ورد في تفسير فرات... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله عزوجل: يا بنت حبيبى، ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتى؟ فتقول: يا رب! أحببت أن يعرف قدرى في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبى ارجعى فانظرى من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذى بيده فأدخليه الجنة. قال أبو جعفر عليه السلام ـ والله ـ يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردىء. فاذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقى الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا فيقول الله عز وجل: يا أحبائى ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبى؟ فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم؛ فيقول الله: يا أحبائى [صفحه ۱۰۷] ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنة. قال أبو جعفر عليه السلام: ـ والله ـ لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات، نادوا كما قال الله تعالى: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) فيقولون: (فلو أنّ لنا كرة فنكون من المؤمنين). قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا (ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون). [صفحه ۱۰۸]

ظلامات فاطمة الزهراء

نبذوا العهد والكتاب وما جاء به في الوصىّ خلف الظهور عدلوا عن أبى الهداة الميامين إلى بيعة الأثيم الكفور قدموا الرجس بالولاية للأمر على أهل آية التطهير لست تدرى لم أحرقوا الباب بالنار أرادوا إطفاء ذاك النور لست تدرى ما صدر فاطم ما المسمار ما حال ضلعها المكسور ما سقوط الجنين ما حمره العين وما بال قرطها المنثور

دخلوا الدار وهى حسرى بمرأى من علىّ ذاك الأبى الغيور واستداروا بغياً على أسد الله فأضحى يقاد قود البعير ينظر الناس ما بهم من معين وينادى وماله من نصير والبتول الزهراء فى إثرهم تعثر فى ذيل بردها المجرور بأنينٍ يوهيم الصفا بشجاه وحنين يذيب صمّ الصخور ودعتهم: خلّوا ابن عمى عليّاً أو لأشكو إلى السميع البصير ما رعوها بل روعوها ومرّوا بعلى ملبّباً كالأسير بعض هذا يريك ممّن تولّى بارز الكفر ليس بالمستور [صفحه ۱۰۹]

تمهيد

جاء الدين الإسلامى الحنيف ليمثل عصارة الأديان السماوية المتعددة وخلال الفترات المتعاقبة حيث قدم النظام الأشمل والأكمل للحياة وعلى كافة المستويات سواء الإجتماعية أو الإقتصادية أو السياسية وهذا ما نراه واضحاً جلياً فى أدنى تأمل للنظرية الإسلامية المتمثلة فى طرفى العقيدة والشريعة، وكان من جملة ما أكدت عليه الرسالة السماوية المتمثلة فى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو حرمة الظلم ومعاونة الظالمين ذلك ان الله تبارك وتعالى قد حرم على نفسه الظلم وكما ورد فى الحديث القدسى: «يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا». فالإسلام دين المساواة والعدل ولا يرضى بالظلم والبغى، حيث أنزل الله تعالى فى كتابه الكريم الكثير من الآيات القرآنية المباركة التى تدل دلالة قطعية واضحة البراهان على ضرورة العدل بين الرعية وعدم البغاء والظلم فيما بينهم، حيث اعتبرت هذه الضرورة من الواجبات المهمة على كافة الأصعدة والمجالات الحياتية، فنرى من خلال الضرورة من الواجبات المهمة على كافة الأصعدة المجالات الحياتية، فنرى من خلال مراجعة الأحكام الشرعية التى أقرتها الشريعة الإسلامية أن الكثير منها قد لوحظ فيه عدم الظلم للآخرين والتعدى على حقوقهم، كل هذه التأكيد لكى تسير الإنسانية فى الطريق الذى ارتضاء الله تبارك وتعالى لها ولكى تصل إلى شاطىء الأمان والكمال وضمن الأهداف المحددة من خلال الرسالة المحمدية السمحاء. ونجد من خلال استقراء القرآن الكريم أن أكثر الآيات القرآنية الواردة فى المقام قد تكون صريحة فى تحريم الظلم سواء كان ذلك بذكر لفظة الظلم بصورة مباشرة أو عن طريق ذكر نقيضه الذى هو العدل وكما سيتبين من خلال مطالعة الآيات القرآنية التالية: [صفحه ۱۱۰] حيث جاء قوله تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) [۱۱۷] ليؤكد على حقيقة اختصت لها الشيعة مع بعض الفرقة الدينية الآخرى ألا وهى مسألة العدل حيث أقرت الشيعة بأن من أصول الدين هو العدل وهو أن الله ليس بظالم ولا يظلم أحداً فهو العدل لهذا نجد فى هذه الآية القرآنية أن الله قد حرم على نفسه الظلم فلا يظلم عباده بل هو المفيض عليهم رحمته الربانية ونعمته الالهية. وجاء قوله تعالى (ما للظالمين من نصير) [۱۱۸] ليؤكد على مسألة أخرى بحيث انها من الأهمية قد ذكرها الله تعالى ليذكر بها البشرية بأن الظالمين ليس لهم نصير ولا تنصرهم السماء وبنفس الوقت قد أكد الله فى آية أخرى وطلب من المؤمنين بأن لا ينصروا الظالمين باى شكل من الأشكال (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) [۱۱۹] . وهكذا جاءت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة حاملة بين طياتها التأكيد على هذا الأمر المهم والضرورى لتكامل البشرية. وقد يرد وينقدح سؤال مهم فى ذهن كل إنسان واعى وفاهم للأمور الإسلامية أنه إذا كان هذا الحال فى حرمة الظلم وعدم معونة الظالمين فما المفهوم من الظلم وأى ضابطة نرجع اليها فى معرفة الظلم وتعريفه معناه؟ فنقول ان الظلم من الأمور التى يدرك الذهن ويفهمها بأدنى تأمل ذلك أنه من الأمور الفطرية والعقلية هو قبح الظلم وأنه يأباه العقل والناس جميعاً مشتركين فى هذه المسألة أعنى قبح الظلم، ومع ذلك كله نعطى بعض التعاريف للظلم لكى لا يرد أى استيضاح حوله فى حالة عدم فهم معناه. الظلم لغة: أما لغة فقد جاء فى لسان العرب [۱۲۰] : الظلم وضع الشىء فى غير موضعه. وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد، ويقال ظلمه يظلمه ظلماً ومظلمة، فالظلم [صفحه ۱۱۱] مصدر حقيقى وهو ظالم وظلوم والظلمة هم المانعون أهل الحقوق حقوقهم، والظلامة ما تظلمه وهى المظلمة. وتظالم القوم: ظلم بعضهم بعضاً وفى المفردات للراغب الاصفهانى [۱۲۱] : والظلم عند أهل اللغة وكثيرون أهل العلم: وضع الشىء فى غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه. وقال الفيروز آبادى [۱۲۲] والظلم يقال فى مجاوزة الحق ويقال فى الكثير والقليل. أما عرفاً: فالظلم معناه

بخس النسا أشياءهم وحقوقهم والاعتداء على الغير باى صورة كانت سواء قولاً أو عملاً. وأما شرعاً: الظلم وضع الشيء فى غير موضعه الشرعى [۱۲۳] والظلم أصله الجور ومجاوزة الحد ومعناه الشرعى وضع الشيء فى غير موضعه الشرعى [۱۲۴] وهكذا يتبين لمن يقصد السؤال فى معرفة الظلم ويدقق فى مقولات علماء اللغة وغيرهم من أهل الشرع واللغة وأهل المعرفة فى هذا المقام، ولنعم ما قال الحكيم أرسطو فى هذا المقام حيث أطلق هذه الكلمات ليعبر عن طبيعة الفطرة الإنسانية فى هذه المسألة (الظلم من طبع النفوس، وانما يصدها عن ذلك إحدى علتين: إما علة دينية لخوف معاد أو علة سياسية لخوف سيف). فيكون مقال القائل أن النفوس لا تظهر هذا الظلم للعلتين المتقدمتين، ولكن نقول إذا فقدتا هاتين العلتين فماذا سيكون الحال، قطعاً عند ذلك يسقط الواعز النفسى للإنسان فيكون من أعتى الظالمين. إذن بعد هذه المقدمة التى ارتأينا أن نقدمها لكى يتضح الحال والمقام فى الظلم وقبحه وحرمته ندخل فى هذا الفصل لكى نعيش القصة والحديث التأريخى الذى لا يزال يأكل بنفوس المسلمين وإلى وقتنا الحاضر ألا وهو حدث ظلامات فاطمة الزهراء بضعة النبى الهادى المختار تلك التى لم يترك فى المسلمين آنذاك من أهله ومن ذريته إلا هذه الميمونة الطاهرة ذو النسل المبارك ام الحسنين عليهما السلام. [صفحه ۱۱۲] فتعال معى أيها القارى العزيز لنروى لك تلك الظلامات ونغوص فى أعماق التاريخ لنجد ما يطالعنا به القوم من الظلامات التى أطبقت عليها الخاصة والعامة على ثبوتها وصدورها ولكن اتباع الأهواء والصدود عن الحق هو الذى جعل الكثير منهم يأخذ هذه الأحداث مأخذاً تاريخياً ليس فيه أى فائدة وليس له أى علاقة لا بأصول الدين ولا بالعقيدة وانما هو مجرد حدث لا يضر من عرفه ولا ينفع من جهله، وأنى لهم بالمعرفة الحقة والنور المستبين ذلك أن (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) فهلم بنا لكى نقف مع هذه الدراسة التى أفاضها لنا التاريخ ونحققها بعمق وتركيزعلى كل جوانبها وحسب ما تسعنا قابليتنا المحدودة فى معرفة كوامن الأسرار ونزيح ما استتار فى ظلم التاريخ عن هذه الظلامات عن غبار جعل الكثير من أبصار وبصائر الذين يدعون الصلة بالرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الإسلام انهم يحبون ويوالون الرسول فى كل شيء ولكن...؟!! ولنقف بدقة متناهية مع هذه الظلامات ونعرض جميع الأسئله الواردة فى المقام ونعرضها على كتاب الله الغريز باعتباره المصدر الأول لكل سؤال ولكل استفهام من أى من كان، ونعرضها على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الذى (لا ينطق عن الهوى... إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى). ونستنطق بهذه الأسئلة العقل ليكون القارىء العزيز على ثقة بما يتطلع إليه ويصل إلى مقام الإطمئنان الذى تصبو إليه النفس الإنسانية. وقبل كل شيء ينقدح سؤال مهم ألا وهو هل أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بما سيجرى على أهل بيته من بعده أم لم يخبر؟ والجواب نجده واضحاً من خلال مطالعة كتب التأريخ والحديث حيث ورد عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث طويل أنه قال فى قضية الإسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الله تعالى «إن الله مختبرك ـ أى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى ثلاث ينظر كيف جدك؛ قال: أسلم لأمرك يا رب ولا ـ قوة لى على الصبر إلا بك، فما هن؟ إلى أن يقول الإمام الثالثة... وأما الثالثة: فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل: أما أخوك على فيلقى من امتك [صفحه ۱۱۳] الشتم والتضعيف والتوبيخ والحرمات والجهد والظلم وآخر ذلك القتل. فقال: يا رب، سلمت وقبلت، ومنك التوفيق والصبر. وأما ابنتك فتظلم، وتحرم، ويؤخذ حقها غصباً الى تجعله لها، وتضرب وهى حاملة، ويدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن، ثم يمسها هوان وذل ثم لا تجد مانعاً وتطرح ما بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب، قلت إنا لله وإنّا إليه راجعون قبلت يا رب وسمك ومنك التوفيق والصبر [۱۲۵] . إذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ما سيجرى على بضعته الطاهرة وما يكون مآل الأمور من بعده، ويعلم من الذى سوف يكون الظالم لها ولبعلها ولذلك نجده فى أكثر من مرة يوصى الزهراء وأمير المؤمنين بالصبر بما سيجرى عليهم من بعده، ولقد جاء فى المأثور الروائى أنه طالما أخبرهم بذلك وخصوصاً عند قرب وفاته حيث أخبر الصديقة الشهيدة عليها السلام بأنها ستظلم من بعده وانها أول الناس لحوقاً به من أهل بيته بعد أربعين يوماً من وفاته وقيل بإثنين وسبعين يوماً، وهكذا تظافرت الروايات الكثيرة فى إثبات هذه المأساة للزهراء من بعد أبيها، أما من الذى يظلمها حقها؟ فهذا ما ترويه قصة سقيفة بنى ساعدة وإليك ما جرى فى تلك الواقعة الأليمة لأهل بيت النبوة والتى كانت مفتاح الظلم الذى سنه

الخليفة الأول والثانى على أهل البيت عليهم السلام. عن عبدالله بن عبد الرحمان قال: ثم إن عمر احتزم بإزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادى: ألا- إن أبا بكر قد بويع له فهلموا إلى البيعة، فينثال الناس يبايعون، فعرف أن جماعة فى بيوت مسترون، فكان يقصدهم فى جمع كثير ويكبسهم ويحضرهم المسجد فيبايعون، حتى إذا مضت أيام أقبل فى جمع كثير إلى منزل على عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى، فدعا عمر بحطب ونار وقال: والذى نفس عمر بيده ليخرجنّ، أو لأحرقنّه على ما فيه. فقيل له: إنّ فاطمة بنت رسول الله،وولد رسول الله، وآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه؛ وانكر الناس ذلك من قوله، فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم أترونى فعلت ذلك؟! [صفحه ۱۱۴] إنما أردت التهويل؛ قال: وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم فوقفت خلف الباب ثم قالت: «لا عهد لى بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازةً بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم، ولم تؤمّرونا، ولم تروا لنا حقّاً، كأنّكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم؛ والله، لقد عقد له يؤمئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيّكم، والله حسيب بيننا وبينكم فى الدنيا والآخرة [۱۲۶] . عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قال: وكان على بن أبى طالب عليه السلام لما رأى خذلان الناس له، وتركهم نصرته، واجتماع كلمة الناس منع أبى بكر، طاعتهم له، وتعظيمهم له، جلس فى بيته؛ فقال عمر لأبى بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنّه لم يبق أحد إلا وقد بايع، غيره وغير هؤلاء الأربعة معه؛ وكان أبو بكر أرقّ الرجلين، وارفقهما، وادهاهما، وأبعدهما غوراً؛ والآخر أفظّهما وأغلظهما، وأخشنهما، وأجفاهما، فقال: من نرسل إليه؟ فقال عمر: أرسل إليه قنفذاً ـ وكان رجلاً فظّاً غليظا جافياً من الطلقاء، أحد بنى تيم ـ فأرسله وأرسل معه أعواناً، فانطلق فاستأذن، فأبى علىّ عليه السلام أن يأذن له. فرجع أصحاب قنفذ إلى بى بكر وعمر، وهما فى المسجد والناس حولهما فقالوا: لم يأذن لنا، فقال عمر: هو إن أذن لكم وإلا فادخلوا عليه بغير إذنه. فانظلقوا، فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: أخرّج عليكم أن تدخلوا بيتى بغير إذن؛ فرجعوا، فثبت قنفذ، فقالوا: إنّ فاطمة قالت: كذا وكذا، فحرجتنا أن ندخل عليه البيت بغير إذن منها، فغضب عمر، وقال: ما لنا وللنساء؛ ثم أمر أناساً حوله، فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزله، وفيه على وفاطمة وابناهما عليهم السلام، ثم نادى عمر حتى اسمع علياً: والله لتخرجنّ ولتبايعنّ خليفة رسول الله، أو لأضر منّ عليك بيتك ناراً، ثم رجع فقعد إلى أبى بكر، وهو يخاف أن يخرج على بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدّته. [صفحه ۱۱۵] ثم قال لقنفذ: إن خرج وإلّا فاقتحم عليه، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً: فانطلق قنفذ، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وبادر على إلى سفيه ليأخذه، فسبقوه إليه فتناول بعض سيوفهم فكثّروا عليه فضبطوه، وألقوا فى عنقه حبلاً أسود؛ وحالت فاطمة عليها السلام بين زوجها وبينهم عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط على عضدها، فبقى أثره فى عضدها من ذلك مثل الدملج من ضرب قنفذ إيّاها؛ فأرسل أبو بكر إلى قنفذ: اضربها؛ فالجأها إلى عضادة باب بيتها، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها، وألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة صلوات الله عليها [۱۲۷] . وفى كتاب سليم بن قيس، فى حديث طويل، قال: فلما كان الليل حمل على فاطمة عليهما السلام على حمار وأخذ بيدى إبنيه الحسن والحسين عليهما السلام فلم يدع أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أتاه فى منزله، فناشدهم الله حقه ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب منهم رجل غبرنا الأربعة، فإنّا حلقنا رؤوسنا، وبذلنا له نصرتنا، وكان الزبير أشدّنا بصيرة فى نصرته؛ فلما رأى على عليه السلام خذلان الناس إيّاه وتركهم نصرته، واجتماع كلمتهم مع أبى بكر، وطاعتهم له، وتعظيمهم إياه لزم بيته، فقال عمر لأبى بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع، غيره وغير هؤلاء الاربعة، وكان أبو بكر أرقّ الرجلين وأرفقهما وآدهاهما وأبعدهما غوراً، والآخر أفظّهما وأغلظهما وأجفاهما؛ فقال [له] أبوبكر: من نرسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً، وهو رجل فظّ غليظ جافّ من الطلقاء، أحد بنى عدىّ بن كعب، فأرسله إليه، وأرسل معه أعواناً، فانطلق فاستأذن على على عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم. فرجع أصحاب قنفذ إلى أبى بكر وعمر، وهما جالسان فى المسجد والناس حولهما، فقالوا: لم يؤذن لنا؛ فقال عمر: اذهبوا فإن أذن لكم، وإلاّ- فادخلوا [عليه] بغير إذن!! فانطلقوا فاستأذنوا؛ فقالت فاطمة عليها السلام: أحرّج عليكم أن تدخلوا على بيتى بغير [صفحه ۱۱۶] إذن، فرجعوا، وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إنّ فاطمة قالت: كذا وكذا، فتحرّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن، فغضب عمر، وقال: ما لنا

وللنساء!! ثم أمر اناساً حوله أن يحملوا الحطب؛ فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر فجعلوه حول منزل على وفاطمة وابناها عليهم السلام ثم نادى عمر ـ حتى اسمع علياً وفاطمة عليهما السلام: ـ والله ـ لتخرجنّ يا على ولتبايعنّ خليفة رسول الله، وإلا أضرمت عليك [بيتك] النار. فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: افتحى الباب، وإلّا أحرقنا عليكم بيتكم؛ فقالت: يا عمر،أما تتقى الله تدخل على بيتى؟ فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها فى الباب، ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه، يا رسول الله فرفع عمر السيف ـ وهو فى عمده ـ فوجأ به جنبها، فصرخت يا أبتاه! فرفع السوط فضرب به ذراعها... [۱۲۸] . وروى عن زيد بن أسلم أنه قال: كنت ممّن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع على وأصحابه عن البيعة، فقال عمر لفاطمة: أخرجى من فى البيت وإلا أحرقته ومن فيه، قال: وفى البيت على وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم. فقالت فاطمة: أتحرق علياً وولدى؟ قال: إى ـ والله ـ أو ليخرجنّ وليبايعنّ [۱۲۹] . وروى عن عمرو بن أبى المقدام، عن أبيه، عن جدّه: ما أتى علىّ يوم قطّ أعظم من يومين أتيا علىّ: فأمّا اليوم الأول: فيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وأمّا اليوم الثانى: فوالله إنّى لجالس فى سقيفة بنى ساعدة عن يمين أبى بكر والناس يبايعونه، إذ قال له عمر: يا هذا، ليس فى يديك شىء مهما لم يبايعك علىّ؛ فابعث إليه حتى يأتيك يبايعك، فإنّما هؤلاء رعاع. فبعث إليه قنفذ، فقال له: اذهب فقل لعلىّ: أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذهب قنفذ فما لبث أن رجع، فقال لأبى بكر: قال لك: ما خلّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً [صفحه ۱۱۷] غيرى. قال: ارجع إليه فقل: أجب فإنّ الناس قد أجمعوا على بيعتهم إيّاه، وهؤلاء المهاجرين والأنصار يبايعونه وقريش، وإنما أنت رجل من المسلمين، لك ما لهم، وعليك ما عليهم؛ فذهب إليه قنفذ فما لبث أن رجع، فقال: قال لك: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لى وأوصانى أن ـ إذا واريته فى حفرته ـ لا ـ أخرج من بيتى حتى اؤلّف كتاب الله، فإنّه فى جرائد النخل، وفى أكتاف الإبل، قال عمر: قوموا بنا إليه. فقام أبو بكر، وعمر، وعثمان، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسالم مولى أبى حذيفة، وقنفذ، وقمت معهم. فلمّا انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة (صلوات الله عليها) أغلقت الباب فى وجوههم، وهى لا ـ تشكّ أن لا يدخل عليها إلا باذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره ـ وكان من سعف ـ ثم دخلوا فأخرجوا علياً عليه السلام ملبّباً. فخرجت فاطمة عليها السلام فقالت: يا أبابكر، أتريد أن ترمّلنى من زوجى ـ والله ـ لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعرى ولأشقّنّ جيبى، ولآتينّ قبر أبى، ولأصيحنّ إلى ربّى؛ فأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام فإنّى أرى جنبتى المدينة تكفيان؛ والله إن نشرت شعرها، وشقّت جيبها، وأتت قبر أبيها، وصاحت إلى ربّها لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها [وبمن فيها]، فأدركها سلمان رضى الله عنه، فقال: يا بنت محمد، إنّ الله إنّما بعث أباك رحمة، فارجعى. فقالت: يا سلمان، يريدون قتل علىّ، ما على علىّ صبر، فدعنى حتى آتى قبر أبى فأنشر شعرى، وأشقّ جيبى، وأصيح إلى ربّى، فقال سلمان: إنّى أخاف أن تخسف بالمدينة، وعلىّ عليه السلام بعثنى إليك، ويأمرك أن ترجعى إلى بيتك، وتنصرفى. فقالت: إذاً أرجع، وأصبر، وأسمع وأطيع. قال: فأخرجوه من منزله ملّبا، ومرّوا به على قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: فسمعته يقول: يـ(ابن أمّ إنّ القوم استضعفونى) [۱۳۰] إلى آخر الآية. وجلس أبو بكر فى فى سقيفة بنى ساعدة، وقدم علىّ، فقال له عمر: بايع. فقال له علىّ عليه السلام: فإن أنا لم أفعل، فمه؟ فقال له عمر: إذاً أضرب والله عنقك. فقال له علىّ عليه السلام: إذاً ـ والله ـ أكون عبدالله المقتول، وأخا رسول الله؛ فقال عمر: أمّا عبدالله المقتول فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا ـ حتّى قالها ثلاثاً ـ فبلغ ذلك العباس بن عبد المطّلب فأقبل مسرعاً يهرول، فسمعته يقول: ارفقوا بابن أخى، ولكم علىّ ان يبايعكم، فأقبل العبّاس وأخذ بيد علىّ، فمسحها على يد أبى بكر، ثم خلّوه مغضباً، فسمعته يقول ـ ورفع رأسه إلى السماء ـ: اللهمّ إنّك تعلم أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لى: إن تمّوا عشرين فجاهدهم، وهو قولك فى كتابك (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين) [۱۳۱] . قال: وسمعته يقول: اللهمّ وإنّهم لم يتمّوا عشرين ـ حتّى قالها ثلاثاً ـ ثم انصرف [۱۳۲] . ولقد ورد عن عبد الرحمان بن عوف عن أبيه، قال: دخلت على أبى بكر أعوده ـ فى احتضاره ـ فاستوى جالساً... فقال إنّى لا آسى على شىء إلا على ثلاث وددت أنّى لم أفعلهنّ: وددت أنّى لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وأن اغلق على الحرب، وددت أنّى يوم السقيفة كنت

قذفت الأمر فی عنق أبی عبیدة أو عمر، فکان أمیراً وکنت وزیراً... [۱۳۳] . ویؤید هذا المعنی ما روی فی حدیث احتضار أبی بکر عن کتاب سلیم بن قیس الهلالی.. حیث یقول: فلقیت محمد بن أبی بکر فقلت: هل شهد موت أبیک غیر أخیک عبدالرحمان وعائشة وعمر؟ [قال: لا. قلت:] وهل سمعوا منه ما سمعت؟! قال: سمعوا منه طرفاً فبکوا، وقالوا: یهجر! فأمّا کلمّا سمعت أنا فلا. [صفحه ۱۱۹] قلت: والذی سمعوا منه ما هو؟ قال: دعا بالویل والثبور؟! فقال له عمر: یا خلیفة رسول الله، مالک تدعو بالویل والثبور؟ قال: هذا محمد وعلی یبشّرانی بالنار، بیده الصحیفة التی تعاهدنا علیها فی الکعبة، وهو یقول «[لعمری] لقد وفیت بها فظاهرت علی ولیّ الله أنت وأصحابک، فأبشر بالنار فی أسفل السافلین». فلمّا سمعها عمر خرج وهو یقول: إنّه لیهجر! قال: لا ـ والله ـ لا أهجر [أین تذهب] قال عمر: أنت ثانی اثنین إذ هما فی الغار! قال: الآن أیضاً؟! أولم احدثک أنّ محمّداً ـ ولم یقل رسول الله ـ قال لی وأنا معه فی الغار: إنّی أری سفینة جعفر وأصحابه تعوم فی البحر»، قلت: فأرنیها، فمسح وجهی، فنظرت إلیها، فاستیقنت عند ذلک أنّه ساحر! [فذکرت لک ذلک بالمدینة فاجتمع رأیی ورأیک علی أنّه ساحر!]. فقال عمر: یا هؤلاء إنّ أباکم یهجر! واکتموا ما تسمعون منه، لا یشمت بکم أهل هذا البلد ثم خرج وخرج أخی [وخرجت عائشة] لیتوضأ وللصلاة، فأسمعنی من قوله ما لم یسمعوا. فقلت له ـ لمّا خلوت به ـ: یا أبه، قل: لا إله إلاّ الله، قال: لا أقولها أبداً، ولا أقدر علیها حتّی [أرد النار] فأدخل التابوت. فلمّا ذکر التابوت ظننت أنه یهجر. فقلت له: أیّ تابوت؟! فقال: تابوت من نار، مقفّل من نار، فیه اثنا عشر رجلاً: أنا وصاحبی هذا، قلت: عمر؟! قال نعم [فمن أعنی]، وعشرة، فی جبّ فی جهنّم علیه صخرة، إذا أراد الله أن یسعّر جهنّم رفع الصخرة، قلت: تهذی؟! قال: لا والله، ما أهذی، لعن الله ابن صهّاک، هو الذی صدّنی عن الذکر بعد إذ جاءنی فبئس القرین، لعنه الله، ألصق خدّی بالأرض، فألصقت خدّه بالأرض فما زال یدعو بالویل والثبور حتّی غمّضته... [۱۳۴] . أما حدیث إسقاط الجنین ـ محسن علیه السلام ـ فهناک عدة کتب تروی لنا هذه القصة إضافة إلی کسر الضلع وإضرام النار فلقد روی عن محمد بن عمار بن یاسر قال: [صفحه ۱۲۰] سمعت أبی یقول ـ فی حدیث ـ: قال: وحملت بالحسن علیه السلام فلمّا رزقته، حملت بعد أربعین یوماً بالحسین علیه السلام، ثم رزقت زینب، وام کلثوم، وحملت بمحسن. فلما قبض رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وجری ما جری فی یوم دخول القوم علیها دارها، وإخراج ابن عمّها أمیر المؤمنین علیه السلام وما لحقها من الرجل: أسقطت بن ولداً تماماً، وکان ذلک أصل مرضها ووفاتها (صلوات الله علیها) [۱۳۵] . وقال المجلسی فی البحار... عن المفضل بن عمر عن الصادق علیه السلام فی حدیث طویل: وجمعهم الجزل والحطب علی الباب لإحراق بیت أمیر المؤمنین وفاطمة والحسن والحسین وزینب وأمّ کلثوم وفضّة، وإضرامهم النار علی الباب، وخروج فاطمة علیها السلام إلیهم، وخطابها لهم من وراء الباب وقولها: ویحک یا عمر، ما هذه الجرأة علی الله وعلی رسوله؟ ترید أن نقطع نسله من الدنیا وتفنیه وتطفیء نور الله؟ والله متمّ نوره، وانتهاره لها، وقوله: کفّی یا فاطمة، فلیس محمد حاضراً، ولا الملائکة آتیة بالأمر والنهی والزجر من عند الله، وما علیّ إلا ـ کأحدٍ من المسلمین، فاختاری إن شئت خروجه لبیعة أبی بکر، أو إحراقکم جمیعاً. فقالت وهی باکیة: اللهمّ إلیک نشکو فقد نبیّک ورسولک وصفیّک، وارتداد امّته علینا، ومنعهم إیّانا حقّنا الذی جعلته لنا فی کتابک المنزل علی نبیک المرسل: فقال لها عمر: دعی عنک یا فاطمة، حمقات النساء، فلم یکن الله لیجمع لکم النبوّة والخلافة وأخذت النار فی خشب الباب، وإدخال قنفذ یده (لعنه الله) یروم فتح الباب؛ وضرب عمر لها بالسوط علی عضدها حتی صار کالدملج الأسود؛ ورکل الباب برجله، حتی أصاب بطنها وهی حاملة بالمحسن لستّة أشهر، وإسقاطها إیّاه، وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الولید؛ وصفقه خدّها حتی بدا قرطاها تحت خمارها، وهی تجهر بالبکاء، وتقول: واأبتاه، وارسول الله ابنتک فاطمة تکذّب، وتضرب، ویقتل جنین فی بطنها. [صفحه ۱۲۱] وخروج أمیر المؤمنین علیه السلام من داخل الدار محمرّ العین حاسراً، حتی ألقی ملاءته علیها وضمّها إلی صدره وقوله لها: یا بنت رسول الله، قد علمت أنّ أباک بعثه الله رحمة للعالمین، فالله الله أن تکشفی خمارک، وترفعی ناصیتک، فوالله یا فاطمة، لئن فعلت ذلک لا أبقی الله علی الأرض من یشهد أنّ محمداً رسول الله، ولا موسی ولا عیسی ولا إبراهیم ولا نوح ولا آدم، [ولا] دابّة تمشی علی الأرض، ولا طائراً فی السماء إلا أهلکه الله. ثم قال: یابن الخطّاب، لک الویل من یومک هذا وما بعده وما یلیه، اخرج قبل أن اشهر سیفی فافنی غابر الامّة،

فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمان بن بى بكر، فصاروا من خارج الدار. وصاح أمير المؤمنين بفضّة يا فضّة، مولاتك فاقبلى منها ما تقبله النساء، فقد جاءها المخاض من الرفسة، وردّ الباب، فأسقطت محسناً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فإنّه لا حق بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيشكو إليه الحديث [۱۳۶] . وفى علم اليقين فى اصول الدين: ثم إنّ عمر جمع جماعة من الطلقاء والمنافقين وأتى بهم إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام فوافوا بابه مغلقاً فصاحوا به: اخرج يا علىّ، فإنّ خليفة رسول الله يدعوك، فلم يفتح لهم الباب؛ فأتوا بحطب فوضعوه على الباب، وجاؤوا بالنار ليضرموه، فصاح عمر، وقال: والله، لئن لم تفتحوا لنضرمنّه بالنار، فلمّا عرفت فاطمة عليها السلام أنّهم يحرقون منزلها قامت وفتحت الباب، فدفعها القوم قبل أن تتوارى عنهم، فاختبت فاطمة عليها السلام وراء الباب والحائط. ثم إنّهم تواثبوا على أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس على فراشه، واجتمعوا عليه حتى أخرجوه سحباً من داره، ملبّباً بثوبه يجرّونه إلى المسجد. فحالت فاطمة عليها السلام بينهم وبين بعلها، وقالت: والله، لا أدعكم تجرّون ابن عمّى ظلماً، ويلكم ما أسرع ما خنتم الله ورسوله فينا [صفحه ۱۲۲] أهل البيت، وقد أوصاكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتّباعنا ومودّتنا والتمسّك بنا! وقال الله تعالى: (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة فى القربى). قال: فتركه أكثر القوم لأجلها، فأمر عمر قنفذ بن عمّ أن يضربها بسوطه. فضربها قنفذ بالسوط على ظهرها وجنبيها إلى أن أنهكها وأثّر فى جسمها الشريف وكان ذلك الضرب أقوى ضرراً فى إسقاط جنينها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمّاه محسناً، وجعلوا يقودون أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد حتى أوقفوه بين يدى أبى بكر، فلحقته فاطمة عليها السلام إلى المسجد لتخلّصه، فلم تتمكّن من ذلك؛ فعدلت إلى قبر أبيها فأشارت إليه بحزنة ونجيب، وهى تقول: نفسى على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت من الزفرات لا خير بعدك فى الحياة وإنّما أبكى مخافة أن تطول حياتى ثم قالت: واسفاه عليك يا أبتاه، وأثكل حبيبك أبو الحسن المؤتمن، وأبو سبطيك الحسن والحسين، ومن ربّيته صغيراً، وآخيته كبيراً، أجلّ أحبّائك لديك وأحبّ أصحابك عليك، أوّلهم سبقاص إلى الإسلام، ومهاجرة إليك يا خير الأنام؛ فها هو يساق فى الأسر كما يقاد البعير. ثم إنّها أنّت أنّةً وقالت: وامحمّداه، واحبيباه، وأباه، وأبا القاسماه، وأحمداه، واقلّة ناصراه، واغوثاه، واطول كرباه، واحزناه، وامصيباه، واسوء صباحاه؛ وخرّت مغشيّة عليها، فضجّ الناس بالبكاء والنجيب، وصار المسجد مأتماً. ثم إنّهم أوقفوا أمير المؤمنين عليه السلام بين يدى أبى بكر، وقالوا له: مدّ يدك فبايع، فقال: ـ والله ـ لا ابايع، والبيعة لى فى رقابكم. فروى عن عدىّ بن حاتم أنّه قال: ـ والله ـ ما رحمت أحداً قطّ رحمتى علىّ بن أبى طالب عليه السلام حين اتى به ملبّباً بثوبه، يقودونه إلى أبى بكر، وقالوا: بايع. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: نضرب الذى فيه عيناك. قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنّى اشهدك أنّهم أتوا أن يقتلونى، فإنّى عبدالله وأخو رسول الله، فقالوا له: مدّ يدك فبايع، فأبى عليهم فمدّوا يده كرهاً فقبض علىّ عليه السلام أنامله، فراموا بأجمعهم فتحها فلم يدورا، فمسح عليها أبو بكر، وهى [صفحه ۱۲۳] مضمومة، وهو عليه السلام يقول وينظر إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يابن أمّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى). قال الراوى: إنّ علياً عليه السلام خاطب أبا بكر بهذين البيتين: فإن كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون غيّب وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبىّ وأقرب وكان عليه السلام كثيراً ما يقول: واعجباه تكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالقرابة والصحابة؟! [۱۳۷] . وفى الملل والنحل: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها. وما كان فى الدار غير علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [۱۳۸] . وعن الوافى بالوفيات: قال صلاح الدين الصفدى الشافعى المتوفّى ۷۶۴ فى ترجمة «النظام» فى ذكر أقواله: وقال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتى ألقت المحسن من بطنها [۱۳۹] . وعن لسان الميزان: إنّ عمر رفس فاطمة عليها السلام حتى أسقطت بمحسن [۱۴۰] . وعن العقد الفريد: الذين تخلّفوا عن بيعة أبى بكر، علىّ عليه السلام والعباس والزبير وسعد ابن عبادة، فأمّا علىّ عليه السلام والعبّاس والزبير فقعدوا فى بيت فاطمة عليها السلام حتى بعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار؛ فلقيته فاطمة فقالت: يابن الخطّاب، أجئت لتحرق دارنا؟! قال: نعم... [۱۴۱] . وعن معارف القتيبى: إنّ محسناً فسد من زخم قنفذ

العدوى [۱۴۲] . [صفحه ۱۲۴] وعن إثبات الوصية:... فأقام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته فى منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوجّهوا إلى منزله، فهجموا عليه، وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً، وأخذوه بالبيعة فامتنع وقال: لا أفعل، فقالوا: نقتلك، فقال: إن تقتلونى فإنّى عبدالله وأخو رسوله... [۱۴۳] . وعن بيت الأحزان: قال المحدّث القمّى (ره): وكان سبب وفاتها أنّ قنفذاً مولى عمر نكزها بنعل السيف [۱۴۴] . وعن ملتقى البحرين: أخذت فاطمة عليها السلام باب الدار ولزمتها عن ورائها، فمنعتهم عن الدخول، ضرب عمر برجله على الباب؛ فقلعت فوقعت على بطنها (سلام الله عليها)، فسقط جنينها المحسن [۱۴۵] . وروى فى علة وفاة الصديقة الطاهرة عليها السلام: ان عمر بن الخطاب هجم مع ثلاثمائة رجلٍ على بيتها سلام الله عليها [۱۴۶] . أقول: إنّ هذا الهجوم الشرس الذى قاده عمر وعصابته الأوباش والطلقاء والمنافقين على بيت الوحى والرسالة وهم الذين قال الله تعالى فى حقهم: (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه): وقال عز ذكره: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً): وكان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخله حتى يستأذن من أهله، ولكن الأوغاد دخلوه عنوة وبغير استئذان وكان عددهم «۳۰۰» نفراً كما فى الرواية، وكان فى مقدّمتهم عمر ومعه الفتيلة، أبو بكر، عثمان، خالد بن الوليد، المغيرة بن شعبة، أبو عبيدة بن الجرّاح، سالم مولى أبى حذيفة، قنفذ أن عمّ عمر ـ وكان رجل فظاً، غليظا، جافياً من الطلقاء [صفحه ۱۲۵] ـ اسيد بن خضير، وسلمة بن سلامة بن وقش وكانا من بنى عبدالله الأشل، ورجل من الأنصار، زياد بن لبيد، وزيد بن اسلم، وكان ممّن حمل الحطب مع عمر. وكانت بداية هذا الهجوم كما جمعته من الروايات: ادخال قنفذ لعنه الله يده يروم فتح الباب ثمّ دعا عمر بالنار فأضرمها فى الباب، ثمّ دفعها برجله فكسرها ودخل. أرسل أبو بكر إلى قنفذ: أن اضربها فألجأها إلى عضادة باب بيتها، فدفعها فكسر ضلعاً من أضلاعها ونبت مسمار الباب فى صدرها، ثمّ لطم عمر خدّها حتّى احمرّت عينها، كما صرّح بهذا نفسه «صفقت خدّها حتى بدا قرطاها تحت خمارها». فى رواية اخرى: «قال عمر: فصفقت صفقة على خدّها من ظاهر الخمار، فانقطع قرطها وتناثر إلى الأرض». ثمّ عمر رفس فاطمة عليها السلام، ثمّ رفع السيف وهو فى غمده فوجأ به جنبها، ورفع السوط فضرب بها ذراعها، ثمّ ضربها بالسوط عل يعضدها حتى صار كالدملج الأسود، ثمّ أخذ من خالد بن الوليد سيفاً فجعل يضرب على كتفها، ثمّ ضرب المغيرة بن شعبة فاطمة عليها السلام حتّى أدماها، ثمّ سلّ خالد بن الوليد السيف ليضرب فاطمة عليها السلام، ثمّ لكزها قنفذ بنعل السيف بأمر عمر، ثمّ ضرب قنفذ فاطمة بالسوط على ظهرها وجنبيها إلى أن أنهكها وأثّر فى جسمها الشريف، ثمّ ضرب عمر بطن فاطمة عليها السلام حتّى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها. وهذا المشهد الدامى الذى تتفطّر منه السماوات والأرض، وساعد الله قلب صاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه الشريف بما جرى لأُمّه فاطمة عليها السلام يذكرنا أيضاً بما جرى على ولدها الإمام الشهيد الحسين عليه السلام حين داست خيول بنى اميّة لعنهم الله على جسده وصدره الشريف يوم عاشوراء. وأخيراً كما قالت الزهراء عليها السلام الشهيدة المظلومة المضطهدة فى ذلك اليوم: «أخذ عمر السوط من يد قنفذ مولى أبى بكر فضرب به عضدى، فالتوى السوط على عضدى حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله فردّه علىّ وأنا حامل، فسقطت لوجهى والنار تسعر وتسفع وجهى، فضربنى بيده حتى انتثر قرطى من اذنى وجاءنى المخاض فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم». [صفحه ۱۲۶] هذا ما استطعنا أن نثبته من خلال الكتب التى روت لنا قصة السقيفة وظلم الزهراء عليها السلام، أمام ظلمها فى فدك فسوف يأتينا فى بحثنا حول فدك وندعوا الله تعالى ونتوسل إليه عن المظلومة أن يوفقنا لخدمتها ونيل شفاعتها والسير على هداها، واللعنة الدائمة على ظالميها وقاتليها. أمّا مصادر ما جرى على الصديقة فاطمة عليها السلام من الظلامات، فهى: ۱ ـ تاريخ اليعقوبى: ۲: ۱۱۶. ۳ ـ الإمامة والسياسة: ۱: ۱۹، ۲۰. ۵ ـ الملل والنحل للشهرستانى: ۱: ۵۷. ۷ ـ الوافى بالوفيّات: ۵: ۳۴۷. ۹ ـ تاريخ أبو الفداء: ۱: ۱۶۴. ۱۱ ـ أعلام النساء: ۴: ۱۱۴. ۱۳ ـ قرّة العين للدهلوى: ۷۸. ۱۵ ـ ابن خيزران فى غرره: ۲۷۱. ۲ ـ العقد الفريد: ۴: ۲۵۹، ۵: ۱۳. ۴ ـ لسان الميزان: ۱: ۲۶۸، ۴: ۱۸۹. ۶ ـ انساب الأشراف: ۱: ۵۸۶. ۸ ـ الكنى والألقاب: ۳: ۲۱۹. ۱۰ ـ تاريخ الطبرى: ۳: ۲۰۲. ۱۲ ـ إثبات الوصيّة: ۱۲۳. ۱۴ ـ السيرة الحلبيّة: ۳: ۳۶۲. ۱۶ ـ تلخيص الشافى: ۳: ۷۶. ۱۷ ـ صحيح البخارى: ۴: ۹۶، ۵: ۱۷۷. ۱۸ ـ شرح نهج البلاغة: ۲: ۴۵ و۴۶ و ۵۰ و

۵۶، ۶: ۱۰، ۱۱: ۱۱۳، ۱۴: ۱۹۳. لقد تفجّرت قرائح شعراء أهل البيت عليهم السلام من خبر المسمار وآلمهم المصاب الجلل، على مصيبة الزهراء عليها السلام عامّة، وفي خبر المسمار خاصّة، وظلّ خبر المسمار الدامي الذي نبت في صدر الزهراء البتول تتذاكره الشيعة جيلاً بعد جيل فبقيت ناراً في قلوبهم لا ينطفيء أوارها إلى يوم القيامة ومن الفقهاء العظام الذين ذكروا خبر المسمار: السيد صدرالدين الصدر رحمه الله المتوفى سنة ۱۳۷۳ هـ ق حيث قال ضمن قصيدته: من سعى في ظلمها من راعها من علا- فاطمة الزهراء جارا من غدا ظلماً على الدار التي اتخذتها الإنس والجنّ مزارا طالما الأملاك فيها أصبحت تلثم الأعتاب فيها والجدارا [صفحه ۱۲۷] ومن النار بها ينجو الورى من على أعتابها أضرم نارا والنبيّ المصطفى كم جاءها يطلب الإذن من الزهراء مرارا وعليها هجم القوم ولم تك لاذت لا وعلياها الخمارا لست أنساها ويا لهفي لها إذ وراء الباب لاذت كي توارا فتك الرجس على الباب ولا تسألن عمّا جرى ثم وصارا لا تسلني كيف رضّوا ضلعها واسألنّ الباب عنها والجدارا وسألن لؤلؤ قرطيها لما انتثرت والعين لم تشكو إحمرارا وهل المسمار موتور لها فغدا في صدرها يطلب ثارا وقال الشيخ الفقيه المحقّق محمد حسين الاصفهاني الغروي النجفي (ره) المتوفى سنة ۱۳۶۱ هـ: أيضرم النار بباب دارها وآية النور على منارها وبابها باب نبيّ الرحمة وباب أبواب نجاة الامّة بل بابها باب العليّ الأعلى فثم وجه الله قد تجلّى ما اكتسبوا بالنار غير العار ومن ورائه عذاب النار ما أجهل القوم فإنّ النار لا تطفيء نور الله جلّ وعلا لكنّ كسر الضلع ليس ينجبر إلا- بصمصام عزيز مقتدر إذ رضّ تلك الأضلع الزكيّة رزيّة لا- مثلها رزيّة ومن نبوع الدم من ثدييها يعرف عظم ما جرى عليها وجاوزوا الحدّ بلطم الخدّ شلّت يد الطغيان والتعدّي فاحمرّت العين وعين المعرفة تذرف بالدمع على تلك الصفة ولا تزيل حمرة العين سوى بيض السيوف يوم ينشر اللوى وللسياط رنّة صداها في مسمع الدهر فما أشجاها والأثر الباقي كمثل الدملج في عضد الزهراء أقوى الحجج ومن سواد متنها اسودّ الفضا يا ساعد الله الإمام المرتضى [صفحه ۱۲۸] ووكز نعل السيف في جنبيها أتى بكلّ ما أتى عليها ولست أدري خبر المسمار سل صدرها خزانة الأسرار وفي جنين المجد ما يدمي الحشى وهل لهم اخفاء أمر قد فشى والباب والجدار والدماء شهود صدق ما به خفاء لقد جنى الجاني على جنينها فاندكّت الجبال من حنينها أهكذا يصنع بابنة النبّي حرصاً على الملك فيا للعجب أتمنع المكروبة المفروحة عن البكاء خوفاً من الفضيحة تالله ينبغي لها تبكي دما ما دامت الأرض ودارت السما لقد عزّها أبيها السامي ولاهتضامها وذل الحامي أتستباح نحلة الصدّيقة وارثها من أشرف الخليقة كيف يردّ قولها بالزور اذ هو ردّ أية التطهير أيؤخذ الدين من الأعرابي وينبذ المنصوص في الكتاب فاستلبوا ما ملكت يداها وارتكبوا الخزية منتهاها يا ويلهم قد سألوها البيّنة على خلاف السنّة المبيّنة وردّهم شهادة الشهود أكبر شاهد على المقصود ولم يكن سدّ الثغور غرضا بل سدّ بابها وباب المرتضى صدّوا عن الحقّ وسدّوا بابه كأنّهم قد آمنوا عذابه أبضعة الطهر العظيم قدرها تدفن ليلاً- ويعفى قبرها ما دفنت ليلاً- بستر وخفا إلا لوجدها على أهل الجفا ما سمع السامع فيما سمعا مجهولة بالقدر والقبر معا يا ويلهم من غضب الجبّار بظلمهم ريحانة المختار إذن بعد معرفة بعض مقامات الزهراء عليها السلام وظلاماتها، يأتي بيان قضية أصل يوم العذاب، فالذي يرد على ذهن القارى قبل كل شيء كيف كان هذا التعبير من الإمام الصادق عليه السلام بأن ظلاماتهم عليهم السلام هي ألاصل ليوم الغذاب في الآخرة؟ ولقد قلنا سابقاً ان الإمام عليه السلام باعتباره يمثل الإمتداد الطبيعي لخلافة الرسول الأكرم فهو إذن لا يتكلم [صفحه ۱۲۹] دون وجود مقدمات أولية يقينية عنده بحيث على ضوء هذه المقدمات يحكم بهذا الحكم العقائدي المهم. أما ما ورد من القرآن الكريم وبيان كيف أن ظلمهم صار الأصل ليوم العذاب فهو على ما جاء في قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) [۱۴۷] حيث أثبتت هذه الآية المباركة ان كل من تسول نفسه في أذية رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم أو أذية أولياء الله تعالى (حيث قالت الآية يؤذون الله أي أن الله تعالى لا تصل إليه الأذية وإنما تكون الأذية لأولياءه

فيتأذى لهم) سوف تكون له اللعنة فى الدنيا وهى الطرد من رحمة الله تعالى وفى الآخرة إعداد العذاب الإلهى له وأذية رسو الله لها عدة صور فتارة تكون عبر سبه أجارنا الله تعالى وتارة أخرى عن طريق أذية ذريته وخاصة الصديقة الشهيدة فاطمة عليها السلام، حيث ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من آذى فاطمة فقد آذانى ومن طلمها فقد ظلمنى... الخ الأحاديث الواردة فى أذى الزهراء وغضبها، فلا شك عندئذ يكون كل من ظلمها وآذاها فقد آذى الله تعالى وآذى رسوله تكون النتيجة فى ذلك اللعنة على ذلك الظلم والعذاب الأليم والمهين يوم القيامة، وهذا معناه أنه كل من ظلمهم فهو فى النار وتكون عندئذ ظلاماتهم الأصل ليوم العذاب فى الآخرة. وأما ما ورد من السنة الشريفة فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا فاطمة ان الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك». وهذا يعنى أن غضب الله تعالى له عدة صور فمرة يكون غضبة تعالى على انسان معين فى الدنيا فيظهر نقمته عليه، ومرة أخرى فى الآخرة وهو ما يعبر عنه بيوم العذاب فى جهنم، وعليه كل من غضبت عليه الزهراء عليها السلام فهو خالد فى النار لا محالة بدليل الحديث فعليه تكون ظلامة الزهراء عليها السلام وأذيتها هو نوع من الأعمال التى تؤدى إلى غضبها وبالنتيجة سوف يكون الظالمين لها فى النار فتكون عندئذ ظلامتها الأصل ليوم العذاب، أما لماذا أن رضاها هو رضا الله تعالى وغضبها هو غضب الله تعالى [صفحه ۱۳۰] وكيف أصبحت بهذا المقام ما نجده عزيزى القارىء فى البحث الذى يثبت كيفية أن الزهراء مر تبطة بأصول الدين وخاصة بالعدل فراجع بحثنا فيه. ومن هنا انقدح فى المقام السؤال المهم الذى يقول: ماذا تقولون فى الأمم السابقة الذين كانوا قبل فترة رسول الله فانه لا شك أن لهم إما الجنة أو النار فكيف صارت ظلامات الزهراء عليها السلام وأهل بيتها هم الأصل ليوم العذاب ونحن نعلم أن الأمم السابقة لم تكن موجودة فى زمن الرسول وما بعده؟ الجواب: وبيان ذلك يمكن أن يستفاد من الذى استنبطه بعض محققى علمائنا من حديث المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام ولننقل ملاحظة كلامه مع الحديث المذكور قال رحمه الله [۱۴۸] : إن أحكام الله تعالى إنما تجرى على الحقائق الكلية والمقامات النوعية فحيث ما خوطب قوم بخطاب ونسب اليهم فعل دخل فى ذلك الخطاب وذلك الفعل عند العلماء واولى الألباب كل من كان من سنخ اولئك القوم وطينتهم، فصفوة الله حيث ما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إليأنفسهم مكرمة يشمل ذلك كل من كان من سنخهم وطينتهم من الأنبياء والاولياء وكل من كان من المقربين إلا بمكرمة خصوا بها دون غيرهم وكذلك إذا خوطبت شيعتهم ومحبوهم بخير أو نسب اليهم خير أو خوطب أعداؤهم ومخالفوهم بسوء أو نسب اليهم سوء يدخل فى الأول كل من كان من سنخ شيعتهم وطينة محبيهم وفى الثانى كل من كان من سنخ أعدائهم وطينة مبغضيهم من الأولين والآخرين وذلك لأن كل من أحبه الله ورسوله أحبه كل مؤمن من ابتداء الخلق إلى انتهائه وكل من أبغضه الله ورسوله أبغضه كل مؤمن كذلك وهو يبغض كل من أحبه الله ورسوله فكل مؤمن فى العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم ومحبيهم وكل جاحد فى العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من مخالفيهم ومبغضيهم، قال رحمة الله وقد وردت الإشارة إلى ذلك فى كلام الإمام الصادق عليه السلام فى حديث المفضل بن عمرو وهو الذى رواه الصدوق فى كتاب العلل بإسناده عن المفضل، قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: بما صار على بن أبى طالب صلوات الله عليه [صفحه ۱۳۱] قسيم الجنة والنار؟ قال: لأن حبّه إيمان وبغضه كفر وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان وخلقت النار لأهل الكفر الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة، فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبته والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه. قال المفضل: قلت يا بن رسول الله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبونه وأعدائهم يبغضونه؟ فقال: نعم. قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يده؟ قلت: بلى قال: اما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أتى بالطائر المشوى قال: اللهم ائتنى بأحب خلقك اليك يأكل معى هذ الطير وعنى به علياً؟ قلت: بلى قال: أيجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسله وأوصيائهم من يحبه الله ورسوله ويحب الله وحبيب رسوله وأنبيائه؟ قلت: لا قل: فقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلى بن أبى طالب محبين وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع أه لامحبته مبغضين قلت: نعم، قال: فلا يدخل الجنة إلا ما أحبه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار، قال المفضل: فقلت له: يا بن رسول الله فعلى بن أبى

طالب يدخل محبه الجنة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلاق الخلق بالفى عام؟ قلت: بلى قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره ووعدهم الجنة على ذلك وأوعد من خالف ما أجاب إليه وأنكره النار؟ قال: بلى. قال: فليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضامناً لما وعد وأوعد عن ربه عز وجل؟ قلت: بلى قال: أوليس على بن أبى طالب خليفته وإمام منه؟ قلت: بلى قال: أوليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته؟ قلت: بلى. قال: فعلى بن أبى طالب إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله ورضوان ومالك [صفحه ۱۳۵] صادران عن أمره بأمر الله تعالى. يا مفضل خذها فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله. فعليه كل الذى يجرى فى حق أمير المؤمنين يجرى فى الزهراء عليها السلام لأنهما كل واحد كفو للآخر وأضف إلى ذلك أن هناك الكثير من الروايات تفيد هذا المضمون، وأيضاً موجود فى الآثار الشريفة أنه لو اجتمع الناس على ولاية على عليه السلام ـ أو حبه ـ لم خلق الله النار، فيكون مضمون هذا الحديث إضافة إلى أحاديث أخرى بهذا المضمون أن أصل يوم العذاب مثلما هو ثابت فى ظلامات فاطمة عليها السلام كذلك هو ثابت فى حق غصب الخلافة من أمير المؤمنين، والذى نريد القول به من خلال هكذا مبحث أنه الناس منقسمون فى قضية الصديقة الشهيدة إلى قسمين إما اشتراكهم فى نصرتها وإما اشتراكهم فى ظلمها، فمن نصرها فهو من الفائزن برضا الله تعالى لأن نصرتها هو رضاً لها ورضاها رضا الله تبارك وتعالى، وإما من لم ينصرها فهو مع الظالمين ومشترك فى ظلمهم للصديقة الشهيدة ويكون بالنتيجة خالد فى النار. فكانت ظلاماتها (سلام الله عليها) هى الأصل والأساس الذى جعله الله تعالى فى يوم القيامة لورود الظالمين إلى نار جهنم، وكما بينا ذلك من خلال الحديث المتقدم، وكذلك غصب خلافة أمير المؤمنين أيضاً هى الأصل ليوم العذاب لأنه كما ورد أنه لو اجتمع النس على ولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب لما خلق الله النار، ولكن لما انه لم يجتمع الناس على ولاية أمير المؤمنين فالنار موجودة ولها وقود من الناس والحجارة اعدت للظالمين ومن ولاهم ونصرهم.

فاطمة وعلاقتها بأصول الدين

اشاره

محمد حسن سميسم [۱۴۹] . من مبلغ عنى الزمان عتابا ومقرّع منى له أعتابا دهر تعامى عن هداه كأنما أصحاب أحمد أشركوا مذ غابا نكصوا على الأعقاب بعد مماتهٍ سيرون فى هذا النكوص عقابا سل عنهم القرآن يشهد فيهم إن كنت لم تفقه لذاك جوابا فكأنهم لم يشهدوا خمّاً ولا بدراً ولا أحداً ولا الأحزابا وبخيبرٍ من راح يرقل باللوا من قدّ مرحب من أزال البابا ومن اشترى إلاه نفس محمدٍ فى نفسه لما دعى فأجابا من فى الصلاة يرى الصلاة فريضةً من نال خاتمه الشريف جوابا من باب حطة غير حيدرةٍ ومن لمدينة المختار كان البابا أعجبت ممن أخرّوا مقدامهم بعد النبى وقدموا الأذنابا قد أضمروها للوصى ضغائناً مذ دحرجوها للنبّى دبابا لينفرّوا العضباء عن قطب الهدى حتى بعود الدين بعد يبابا نستبوا له هجراً لحذف كتابه فكأنهم لا يسمهون كتابا ما كان ينطق عن هواه وإنما وحى تلقاه النبّى خطابا يابابا فاطم لاطرقت بخيفةٍ ويد الهدى سدلت عليك حجابا أو هى عليك أما علمت بفاطم وقفت وراك تناشد الأصحابا لهفى عليك أما اسعطت تصدّهم لما أتاك بنو الضلال غضابا أو مارقت لضلعها لما انحنى كسراً ومنه تزجر الخطابا أفهل درى المسمار حين اصابها من قبلها قلب النبىّ أصابا عتبى على الأعقاب أسقط محسن فيها وما انهالت لذاك ترابا [صفحه ۱۳۷] تمر الكثير من الأفكار والنظريات على ذهن الإنسان ومنها ما يجد طريقاً واضحاً الى فكر الإنسان وعقله فتكون عندئذ عقائد ثابتة وراسخة وعلى ضوء ما تمليه عليه الاستدلالات العقلية والبراهين المنطقية، ومن هنا كانت العقيدة لها معنى فى حياة الإنسان فهى مشتقة من المصدر عقد الذى يعنى الاحكام والشد والربط لفكرة معينة فى ذهن الإنسان وفكره

بعد عرضها عليه والاستدلال عليها الاستدلال الصحيح المطابق للبراهين السليمة، فالعقيدة اذن عبارة عن ذلك الشى الذى يتصل بذهن الإنسان وروحه وفكره، فهو يعنى التقبل أى تقبل، أى نظرية للأنسان وربطها بذهنه واحكام صلتها بروحه وفكره وعليه يكون عندئذ معنى العقيدة. وعليه لابد لكل انسان مؤمن من عقائد على المستوى النظرى ومن ثم يأتى المستوى التطبيقى لهذه العقائد وهو ما يتم بالتصديقات على المستوى الخارجى لهذه العقائد، فالعقائد تحدد شكل الإنسان وساكلته «قل كل يعمل على شاكلته» وتشكل هيئته الباطنية وحقيقته الواقعية وهذه العقائد هى التى تحفزه على العمل الصالح وتحدد إتجاهه فى الحياة وعلى ضوء ذلك يأتى العمل الصالح الذى يبرهن على الإيمان الذى يعتقده الفرد المؤمن. وعلى هذا الاساس إذا كانت العقيدة صائبة ومطابقة للواقع كانت عندئذ طريقة الإنسان المؤمن فى الحياة طريقة صحيحة وصائبة وعلى ضوء تلك العقيدة التى يؤمن بها والتى كانت صائبة ومطابقة للواقع، اما اذا كانت عقيدته فاسدة باطلة فان ذلك سوف ينعكس على طبيعة سيرته وطريقة حياته فى الواقع الخارجى سوف يؤدى ذلك الى الضياع والابتعاد عن الطريق الصحيح الذى خطه الشرع المبين، ومن هذا المنطلق كان اهتمام الاسلام بتصحيح العقيدة قبل أى شىء آخر، أى تصحيح عقيدة كل انسان مسلم، مؤمن بالله تعالى. والسؤال الذى ينقدح فى المقام اذا [صفحه ۱۳۸] كان الاسلام يهتم اهتماماً كبيراً تصحيح العقيدة فهذا يعنى ان هناك موانع تمنع تصحيح العقيدة وتقف حاجز فى طريق استقرارها فى النفس الانسانية فعلية فلابد لنا قبل ذكر الامور التى تصحح العقيدة من ذكر موانع تصحيح هذه العقيدة فما هى هذه الموانع؟

موانع تصحيح العقيدة

ان فى عقيدة كل انسان مؤمن يريد الاجابة على سؤال ما يخطر بذهنه ان يرجع الى القرآن الكريم أولاً ـ بأعتبارة المصدر الأول للمسلمين، ومن بعد ذلك يرجع الى السنة الشريفة للرسول وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ولذا لنستنطق القرآن ونستخبره عن الآيات التى أثبتت موانع تصحيح العقيدة الاسلامية فنجد منه أولا هذه الآية المباركة التى أخبرت عن الموانع التى تقف فى طريق تثبيت هذه العقيدة حيث قالت الآية المباركة (ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس) [۱۵۰] أى هناك عاملين ينشأ عنهما خطأ الإنسان فى آرائه وعقائده: أحدهما: اتباع الظن. والآخر: اتباع الهوى. كما ان هناك أموراً أخرى وردت فى الروايات الشريفة بأعتبار مواضع زلل الفكر، كالتعصب والتقليد والاستبداد واللجاجة إلا ان هذه الامرو تعود كلها الى الاهواء النفسية أى: أنّ كل ماجاء فى الروايات الشريفة بهذا الشأن هو فى الحقيقة تفسير وبيان للآية الكريمة الانفة الذكر. فنظراً الى هذه المقدمة، نستعرض موانع تصحيح العقيدة على ضوء القرآن الكريم والروايات الشريفة، وهذه الموانع كما سبقت الاشارة اليها هى: ۱ ـ الظن. ۲ ـ الاهواء النفسية. ۳ ـ التعصب. ۴ ـ التقليد. ۵ ـ الاستبداد. ۶ ـ اللجاجة. [صفحه ۱۳۹] اما الظن فهو من أخطر العوامل التى تؤدى بأفكار الغالبية فى العالم الى مهاوى العقائد الباطلة الفاسدة، وأول ما يوصى به القرآن الكريم لتصحيح العقيدة هو تجنب الاعتماد على هذا المنزلق، ويؤكد على اتباعه بعدم بناء عقائدهم وآرائهم على دعائم الظن والشك والتسليم بشى دونما التأكد من صحته وثبوته فيقول سبحانه عزوجل فى صريح كلامه: (ولا تقف ماليس لك به علم) [۱۵۱] ففى نظر القرآن الكريم أنه لا يحق لمسلم أن يقضى شيئاً أو يجعله مداراً لعلمه مالم يثبت له انه قطعى وثابت. فلو أمعنا النظر فى العقائد والآراء المتناقضة بين الناس فى المجتمعات المختلفة وطرحناها على سياق البحث والتحليل الجذرى لانتهينا بلا عناء الى أن أغلب هذه العقائد فاقدة للاسس العلمية جذرياً وإنها لا تستند إلّا الى الظن أو الى الشك وأن أهل الدنيا كانوا ومازالوا يقتفون أثر الظن فى المسائل العقائدية وخاصة فى أصولها ولهذا نرى القرآن يعلن بصراحة بان من اتبع الاكثرية فقد ضل ومن ذلك قوله تعالى: (وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وانهم إلا يخرصون) [۱۵۲]. وهكذا فى بقية الموانع الاخرى لتصحيح العقيدة الاسلامية وفى قبال ذلك ينقدح لنا كيفية الوصول الى شرائط تصحيح العقيدة الاسلامية كالتأنى والتجربة والتمركز وتبادل النظر وكل الامور التى لها دخل فى الحصول على الاستدلالات الصحيحة للحصول على العقيدة الاسلامية الصحيحة وعلى ضوء القرآن الكريم والنسة الشريفة، فمن هنا كان لابد لنا ان ندخل فى معرفة عقيدتنا فى فاطمة

الزهراء ومدى ارتباط حياتها بكل ما تملكه الكلمة من معنى فى أصول ديننا وعقائدنا والسؤال الذى يطرح فى المقام وعلى ضوء الاستدلالات هل ان فاطمة عليها السلام وظلاماتها وحياتها الشخصية والغيبية له ارتباط بأصول الدين، وبحيث هذا الارتباط يكون ناشىء من وعى وفهم للعقائد التى أمرنا الله تعالى بالاعيان بها ام لا؟ وعلى هذا الاساس كان لابد لنا من الوقوف مع الزهراء عليها السلام ونرى مدى ارتباطها بأصول الدين، وهل هناك ارتباط لها بالتوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد، أم [صفحه ۱۴۰] يتجاوز الأمر الى أبعد من ذلك؟ أم لا يوجد ارتباط؟ وما الثمرة فى ذلك والفائدة من هذا البحث؟ كل هذه الامثلة سوف نحاول الاجابة عليها خلال هذا البحث الذى له من الاهمية العظمى فى حياة الفرد المؤمن الموالى لأهل بيت العصمة عليهم السلام.

فاطمة وعلاقتها بالتوحيد

توجد عدة أدلة وشواهد تدل بالدلالة المطابقية أو الالتزامية على أن فاطمة الزهراء عليها السلام لها ارتباط وثيق بتوحيد الله، وعلى ضوء هذه الادلة والشواهد التى سنقدمها بين يدى القارىء العزيز يتبين لنا أن لمعرفة فاطمة عليها السلام دور كبير فى عقيدة الفرد المؤمن، وأما أثبات هذا الارتباط وكيفية ثبوته تصميم التوحيد فهذا ما يتوقف معرفته وثبوته على مقدمات نرى من الضرورة فيما نحن فيه التذكير بها والتمعن فى مدلولاتها لكى نصل وعلى ضوءها ـ أى المقدمات ـ الى اثبات هذا الأمر. أما نوعية هذا الادلة والشواهد فتارة تكون عبارة عن نص ورد فى حديث أو ورد فى زيارة لأئمة أهل البيت أو من خلال فقرة معينة من الاحاديث التى تروى لنا، ادعيتهم عليهم السلام، وعلى هذا الحال تكون هذه الادلة مبثوثة وموزعة على كتب الادعية والزيارات والأحاديث الشريفة لأهل البيت العصمة عليهم السلام. وعلى هذا الأساس نجد أول الادلة التى نستطيع اثبات ارتباط فاطمة عليها السلام بصميم التوحيد ما ورد فى زيارة ائمة أهل البيت عليهم السلام بالزيارة المعروفة بالجامعة الكبيرة والمروى سند معتبر عن الإمام على الهادى عليه السلام حيث تطالعنا هذه الزيارة بالفقرة التالية «من أراد الله بدأ بكم، ومن وحدّه قبل عنكم حيث ورد فى تفسير هذه الفقرة أنه من لم يوحد الله لم يقبل عنكم أو بالعكس من لم يقبل عنكم لم يوحد الله تعالى فهو على ذلك يكون من المشركنى لأن معرفة الله تعالى حق المعرفة مشروط و على ما ورد [صفحه ۱۴۱] فى الروايات الشريفة على معرفة شروط هذه المعرفة ومن شروط هذه المعرفة هو القبول عن أهل البيت عليهم السلام فى كل ما يقولونه من المعارف الربانية الحقة وفى كل ما يقولونه من الحق فهم حجج الله على الخلق، فالراد عليهم كالراد على الرسول وعلى الله تعالى، هذا البيان يظهر لنا ان معرفة مراتب التوحيد متوقف على المعارف الرانية التى جاء بها أهل البيت فى بيان معنى التوحيد والقبول عنهم فى كل شىء يقولون به، فانه من عرفهم فقد عرف الله تعالى لانهم هم الادلاء عليه وعلى مرضاته وكل ما ثبت للائمة عليهم السلام فهو ثابت للزهراء عليها السلام فهى مشتركة معهم فى كونها نورانية وكونها الصراط المستقيم وكذلك كونها الكلمات التى تلقاها آدم عليه السلام لتوبته واشتراكها فى المباهلة معهم عليها السلام وأيضاً اشتراكها فى كونهم الشجرة الطيبة ونزول الملاكة عليهم فى ليلة القدر واشتراكها معهم فى بدء خلقها معهم قبل خلق آدم وعرض ولايتهم على الاشياء... الخ. والاهم من هذا كله هو كونها عليها السلام الحجة على الأئمة وعلى معرفتها دارت القرون الاولى وما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وعلى هذا الاساس تكون كل من يقبل عنها الحق فهو من الموحدين وكل ما صدر منها لابد من الإيمان به وإلّا الراد عليها كالراد على الله ورسوله. وعليه تكون فاطمة عليها السلام مر تبطة بتوحيد الله تعالى ونعنى بذلك أنه لابد من الإيمان بها والتصديق بكل ما صدر منها انه الحق وان توحيد أى مسلم أو مؤمن لا يكتمل حتى يقر بفضلها ومحبتها وولايتها، فيكون على هذا الأساس كل من رد عليها ولم يقبل منها الحق فهو مشرك أو منافق فهى اذن لها ارتباط بالاصل الأول من اصول الدين وهو التوحيد وهذا ثابت لها وللائمة من ولدها عليهم السلام وهذا ما وجدناه فى قول الإمام الحسين عليه السلام عندما خرج فى واقعة كربلاء حاملاً الطفل الرضيع وهو ينادى: هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله فى إغاثتنا؟ ومحل الشاهد هو هل من موحد يخاف الله فينا، فالذى يكون موحداً لابد ان يخاف الله فى كل شىء ويقف عند حدوده التى أمرنا

بالوقوف عندها، فانه من ملازمات التوحيد مخافة الله تعالى فى عدم أذية الناس وخلق الله تعالى والذى [صفحه ۱۴۲] لا يخاف الله تعالى فهو ليس موحد فالذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا موحدين لانهم لم يخافوا الله تعالى فى خلقه الذين خلقهم قبل كل شىء فما بالك، فيهم عليه السلام حيث كانوا من الذى استخلصهم واصطفاهم الله تبارك وتعالى على الخلق فيكون من باب الاولوية انه كل من ظلمهم كان من المشركين وكل من رد عليهم فقد أشرك بالله تعالى من حيث لا يعلم لأنّ الله تعالى أمر الخلق بالاخذ عنهم والتسليم لهم وان الراد علهيم راد على الله والراد على الله مشرك وقد أخبر الله تعالى عن حكم من أشرك فيهم حيث يقول الله تعالى فى كتابه (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلّا ان قالوا والله ربنا ماكنّا مشركين). يعنى ما وضعوا أصناماً ظاهرة يعبدونهم م دون الله ويصلون لهم ولكنهم أتخذوا رجالا م دون ولى الله و حجة الله فأمرهم بخلاف ما أمر الله فأطاعوهم فى خلاف أمر الله فعبدوهم من حديث لا يعلمون فرد عليه سبحانه فقال أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون، وقال الإمام الصادق عليه السلام حكاية عنهم هيهات فات قوم وماتوا قبل ان يهتدوا وظنوا انهم آمنوا واشركوا من حيث لا يعلمون. إذن لا يعرف الله احد من الخلق حق معرفته حتى يأتى بالشروط التى تتوقف عليها المعرفة وهذه الشروط كلها معرفتهم عليهم السلام بما فيهم فاطمة الزهراء التى هى قطب الرحى التى تدور عليها معرفة أهل البيت وكما وصفت لك وفسرت فاذا كان كذلك فكيف لا يقبل عنهم أى فرد، وقد قبل عنهم لانه قبل العلم والمعرفة والتوحيد عنهم ولو لم يقبل لم يعلم ولم يعرف اذ لا يكون ذلك منه غيرهم علهم السلام، وعلى هذا كانت فاطمة عليها السلام من هذه الجهة ومن خلال فقرة الزيارة الجامعة الكبيرة مرتبط بصميم التوحيد وهذا لا يظهر إلّا لمن تمعن وتفحص ودقق فى مأثورات أهل البيت عليهم السلام فأفهم تغنم أنشاء الله. اما ثانى الادلة التى نستطيع من خلالها الورود فى مسألة ارتباط فاطمة بصميم التوحيد فهو ماجاءت وتظافرت به الروايات الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الروايات تنقسم فيما نحن فيه الى أربعة طوائف: [صفحه ۱۴۳] ۱ ـ الطائفة الاولى: اذاها عليها السلام هو أذى الله تبارك وتعالى. ۲ ـ الطائفة الثانية: رضاها عليها السلام هو رضى الله تبارك وتعالى. ۳ ـ الطائفة الثالثة: حبها عليها السلام هو حب الله تبارك وتعالى. ۴ ـ الطائفة الرابعة: غضبها عليها السلام هو غضب الله تبارك وتعالى. ونستفيد من خلال التأمل والتمعن فى مدلولات هذه الروايات أنه لا معنى لارتباط أذية ورضى فاطمة وغضبها بالله تعالى اذا لم تكن معصومة بالعصمة المطلقة، فالله تبارك وتعالى جعلها معبرة عن غضبه ورضاه لكونها معصومة بالعصمة المطلقة الذاتية وإلّا فان هكذا قول يكون فى غاية الوهن والعبث وعدم الحكمة. فالله تبارك وتعالى جعل فاطمة عليها السلام المعبره عن غضبه ورضاه وعلى لسان نبيه الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يدل على انها عليها السلام معصمومة ولا تفعل إلّا برضا الله تبارك وتعالى. وعلى كل حال فان جميع الروايات المروية عن لسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم جاءت لتؤكد هذه الحقيقة وهى كون فاطمة لها ارتباط بالله تعالى وتوحيده سواء كان هذا الارتباط تارة يأتى على هيئة غضب الله أو رضاه أو على هيئة حب الله تبارك وتعالى أو أذاه. وإليك بعض النصوص التى بينت هذه الطوائف الأربعة من الروايات: جاء فى تفسير قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) أنها نزلت فى غصب حق أمير المؤمنين عليه السلام، وأخذ حق فاطمة «أذاها»، قد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: من آذاها فى حياتى كمن آذاها بعد موتى، ومن آذاها بعد موتى كمن آذاها فى حياتى، ومن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله وهو قول الله عزوجل: (ان الذين يؤذون الله ورسوله) [۱۵۳] . أقول: يظهر من هذا الآية ان الله تبارك وتعالى يتأذى من فعل بعض القوم ومن المعلوم ان الله لا تصل إليه اذية أى بشر بالمعنى وانما جعل بعض المؤمنين [صفحه ۱۴۴] والذين هم أهل بيت النبوة مظهر من مظاهر أذيته اذا تؤذوا هم عليهم السلام، وهذا نص صريح فى كونهم مر تبطين بالله، فالغضب الإلهى يتجلّى فى غضبهم كما أنّ غضبهم مرآة غضب الله، وكذلك الحال فى الرضا. وجاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «ان فاطمة بضعة منى... وان الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها» [۱۵۴] . وورد عن تفسير الثعلبى باسناده عن مجاهد قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآل وسلم وقد أخذ بيد فاطمة عليها

السلام وقال: «من عرف فاطمة فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد وهى بضعة منى وهى قلبى الذى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله» [۱۵۵] . وروى عن الإمام الصادق عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «يا فاطمة، ان الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك» [۱۵۶] وهذا الحديث يعتبر من أهم الاحاديث التى رواها العامة الخاصة ولقد وجدنا لهذا الحديث عدة أسانيد مختلفة سواء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة أو عن ائمة الهدى عليهم السلام فتارة يكون الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام واخرى عن الصادق والباقر أو عن الإمام زين العابدين وهكذا نجده بأسانيد مختلفه ولكن المحتوى واحد والمضمون لا يختلف وهو ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها [۱۵۷] . وروى عن الإمام الصادق عليه السلام هذا الحديث حيث قال جده النبى صلى الله عليه وآله وسلم «يا فاطمة، ان الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك»، وقد أثار هذا [صفحه ۱۴۵] الحديث بعض الشباب الذين كانوا فى زمن الإمام عليه السلام ومنهم صندل الذى جاء إليه وقال له: يا ابا عبدالله ان هؤلاء الشباب يجيئونا بأحاديث منكره. فقال: له جعفر عليه السلام: وما ذاك يا صندل؟ قال: جاء عنك، انك حدثتهم ان الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها! قال: فقال جعفر عليه السلام: يا صندل، ألستم رويتم فيما تروون: أن الله تبارك وتعالى يغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه؟! قال: بلى قال: فما تنكرون ان تكون فاطمة عليها السلام مؤمنة يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها؟!. قال: فقال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» [۱۵۸] . ويظهر من هذا الحديث ان مسألة انكار أحاديث أهل البيت فى قضية فاطمة الزهراء وان رضاها رضا الله ورسوله كانت موجودة من زمن الأئمة عليهم السلام، وكذلك توجد نقطة مهمة ونكتة خافية وهى ان الرسول انما تحدث بهذه الاحاديث فى فاطمة عليها السلام ليؤكد على مسألة مهمة وهو ان فاطمة عليها السلام سوف تظلم وتؤذى من بعده، لذا سوف ترضى عن بعض المسلمين وتغضب على البعض الاخر فلذلك أعطى الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضابطة كلية فى مسألة تقييم بعض الشخصيات فى زمن فاطمة عليها السلام ألا وهى ضابطة الرضا والغضب بالنسبة لفاطمة، فكأنما يشير غلى ما سيجرى عليها من الظلم من بعده. اذن تبين لنا من خلال تفسير الآية المباركة (ان الذين يؤذون الله...) وبيان بعض الاحاديث الشريفة حول رضا فاطمة وغضبها وانها مقرون برضا الله وغضبه، انها عليها السلام مرتبطة بصميم التوحيد وهنا يرد هذا السؤال المهم فى ما نحن فيه ألا ـ وهو ما الثمرة من هذا الارتباط؟ أن بعبارة أخرى ما الفائدة فى ارتباط غضب فاطمة ورضاها بالله تعالى؟ والجواب يظهر من خلال متابعة القرآن الكريم والاحاديث التى [صفحه ۱۴۶] رويناها لك من خلال الكتب المعتبرة والذى نراه وحسب فهمنا القاصر ان بعض الثمرات هى: ۱ ـ أن كل من آذى فاطمة فقد آذى الله ورسوله لذا سوف يستحق اللعنة بنص القرآن الكريم (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله...) هذا فى الدنيا. ۲ ـ اعداد العذاب الالهى للذين يؤذون الله تعالى فى ذرية رسوله (واعد لهم عذاباً مهينا). ۳ ـ ونستفيد من بعض الروايات ان الله تعالى ليغضب لغضب المؤمن فكيف بإبنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ۴ ـ اعطاء ضابطة مهمة من الناحية التأريخية وهى كل من ثبتت أذيته لفاطمة فى حياتها لابد من لعنه والبراءة منه وكل من سار على منوال الظالمين للزهراء فى حقها ورضايتهم على فعل الظالمين فهم مع الظالمين يجب لعنهم فى الدنيا والبراءة منهم وكثيرة هى الثمرات فى هذا الارتباط وفى الذى سردناه لك كفاية لمن يرجوا الوصول الى حقيقة الامور.

فاطمة وعلاقتها بالنبوة

من القضايا المهمة التى يهمنا البحث عنها هو ارتباط فاطمة الزهراء عليها السلام بمقام النبوة الخاتمية ومن يمثل هذه الخاتمية أعنى بذلك شخص رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا بد لنا ونحن نر توى من الماء العذب لفاطمة عليها السلام واللآلىء المتناثرة فى حياتها ان نقف مع مقامها والارتباط الوثيق لهذا المقام بالنسبة للنبوة، والذى ينقدح فى الذهن القاصر لصحاب هذا القلم ان هناك عدة أدلة وشواهد تثبت ان لفاطمة ارتباط وثيق بالنبوة، وهذا الارتباط تارة يتمثل على نحو الابوة لهذه الصديقة الطاهرة وتارة آخرى على شكل حب لهذه النسمة الطيبة ومرة اخرى على الارتباط العقائدى لها عليها السلام، وسوف نعطى عدة شواهد وادلة

على ذلك، ومن خلال استقراء واستنطاق بعض الكتب الروائية والتاريخية التى تروى لنا قضية الزهراء وارتباطها بشخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم من [صفحه ۱۴۷] جهة وبمقام النبوة من جهة أخرى، أما كيف يكون هذا الارتباط بالنبوة ومقامها، فنقول: وردت عدة شواهد على هذه المسألة من القرآن الكريم ولكن نكتفى على شاهد قرآنى واحد وهو الآية ۵۷ من سورة الاحزاب (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا...) فهذه الآية الشريفة وكما تبيّن لنا لها ارتباط بمسألة أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نعلم انه ورد فى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه ما أوذى نبى بمثل ما أوذيت، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم من آذى مؤمنا فقد أذانى، فهذه الأحاديث تثبت مسألة أذى رسول الله ولقد حدثنا التاريخ كيف ان القوم عندما بعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمكة كيف آذوه وطردوه من دياره والأكثر من ذلك نجد ان الكثير من النصوص عند العامة والخاصة قد بينت ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد آذوه القوم بعد مماته فى إبنته فاطمة عليها السلام تبين وتؤكد على حقيقة ثابتة ولا ينكرها إلا معاند أو منافق وهى أنهم قد أذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذريته، فكانت الاحاديث المروية عنه تمثل الدعامة العظمى لارتباط أقرب الناس إليه وهى فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا نقصد من ارتباط الصديقة الطاهرة عليها السلام به مجرد لانه والدها كلا بل هناك أمور غيبية قد ذكرت بعض الروايات اسرارها وكما بينا فى بعض أحاديثنا كحديث الاقرار بفضل فاطمة جميع الأنبياء وانه ما تكاملت نبوة نبى حتّى أقرّ بفضلها ومحبتها... ممّا يدل على ارتباطها بالنبوّة العامّة كارتباطها بالنّبوة الخاصّة... وغير ذلك من الأحاديث فى هذا المضمار، وان كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظنونه وأكثر من أكرام الرجال لبناتهم حتى خرج بها عن حد الآباء للأولاد، فقال بعض الخاص والعام مراراً لا مرة واحدة وفى مقامات مختلفة لا فى مقام واحد: إنها سيدة نساء العالمين... وإنها إذا مرت فى الموقف نادى منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف: غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا من الاحاديث الصحيحة [۱۵۹] وعليه لابد من ذكر بعض [صفحه ۱۴۸] النصوص التى تبين لنا مقام فاطمة من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. لفقد جاء فى حديث طويل عن سعد بن أبى وقاص انه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فاطمة بضعة منى، من سرها فقد سرنى ومن ساءها فقد ساءنى، فاطمة أعز الناس علّى [۱۶۰] . وروى النسائى باسناده عن السور بن محزمة، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر يقول «فاطمة هى بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها، ومن آذى رسول الله فقد حبط عمله» [۱۶۱] . وروى أحمد بأسناده عن المسور، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «فاطمة شجنة منى يبسطنى ما يبسطها ويقبضنى ما قبضها وأنه تنقطع يوم القيامة الانساب والاسباب إلا نسبى وسببى» [۱۶۲] . وروى عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان فاطمة شعرة منى، فمن آذى شعرة منى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض [۱۶۳] . عن عبدالله بن زبير عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث: انها ـ فاطمة ـ بضعة منىء يؤذينى ما آذاها وينصبنى ما أنصبها [۱۶۴] وكثيرة هى الاحاديث التى تروى لنا ارتباط الزهراء وظلمها وأذيتها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولئلا يطول المقام بنا ولا نخرج عن هذا الكتاب نكتفى بهذه الاحاديث ونقول: إنّ كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى هذا يدل على انه ليس غضبه بأعتبار انه والدها، لا وانما غضب النبوة ومقامها السامى الذى تمثل السماء ونحن نعلم أيضاً انه أذى فاطمة ايضاً الله تبارك وتعالى، وإلا [صفحه ۱۴۹] لامعنى ان يغضب الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لانه أباها الشخصى فقط لانه فى مثل هذه الحالة سوف تكون العصبية لها بأعتبار القرابة وانما يؤكد الرسول من خلال هذه الاحاديث على حقيقة مهمة جداً وهى مسألة عصمة فاطمة عليها السلام لانها لو كانت ممن تقارف الذنوب لم يكن مؤذيها مؤذياً له صلى الله عليه وآل وسلم على كل حال لذا ثبتت لها العصمة من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى حقها عليه السلام. ويظهر ايضاً من خلال الحديث المروى فى حق فاطمة عليها السلام عن أبى جعفر عليه السلام يقول: «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والانس، والطير والوحوش والأنبياء حتى أقرّ بفضل فاطمة عليها السلام وحجيتها» حيث نستفيد من هذين

الحديثين ان فاطمة عليها السلام كانت مرتبطة بنبوة الأنبياء السابقين قبل نبينا محمد صل الله عليه وآله وسلم، فهى ـ أى النبوة ـ لم تكتمل فى أى نبى من الأنبياء حتى أقر بفضل فاطمة وحجيتها، وهذا يدل انها كانت مفروضة الطاعة على جميع الأنبياء وكما تبين لنا من خلال البحوث المتقدمة فى هذا الأمر.

فاطمة والعدل الإلهى

يعتبر العدل من الأصول الإعتقادية التى يمتاز بها الشيعة الامامية عن غيرهم من المذاهب الاخرى، فمسألة العدل عندهم قد دخلت كل الأصعدة الحياتية المهمة وهذا يعود الى وجود العدل فى كل أفعال الله تعالى فهو ـ أى الله تعالى ـ قد جعله من أسماءه الحسنى فعندما يأخذ الشيعة الامامية العدل ويعتبرونه من اصول الدين لم يكن هذا جزافاً وانما كان على اساس وأصل متين استمدوه من القرآن الكريم هذا الكتاب العظيم الذى بذر فكرة العدل فى قلوب وأرواح الناس ثم سقاها ونماها فكرياً وفلسفياً وعملياً واجتماعياً انه القرآن الكريم الذى طرح مسألة العدل من حيث مظاهرها المختلفة العدل التكوينى، والعدل التشريعى، والعدل الاخلاقى، والعدل الاجتماعى... الخ. [صفحه ۱۵۰] والقرآن الكريم يصرح بان نظام الوجود مبنى على أساس العدل والتوازن على أساس الاستحقاق والقابلية، وعلى هذا الاساس توجد عدة آيات قرآنية تؤكد على مسالة العدل سواء كان ذلك عن طريق ذكر المقابل للعدل أى الظلم وتأتى الآية القرآنية تنفى الظلم أى تقر العدل بالنتيجة أو عن طريق ذكر القرآن ان هناك يوم حساب يحاسبون فيه الناس ليكون العدل هو الاساس الذى سوف تكون عليه المحاسبة، وهكذا يذكر القرآن الكريم آيات العدل فى كل مظاهرها الوجودية، وسنورد هنا بعض الآيات القرآنية التى تعتبر الفاعلية الالهية والتدبير الالهى قائماً على أساس العدل حيث يقول البارى عزوجل فى هذا المضمار (شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) [۱۶۵] أو أن العدل هو المعيار لله سبحانه فى موضوع الخلقة (والسماء رفعها ووضع الميزان) [۱۶۶] . وعلق على هذه الآية الرسول الكريم صلى الله عليه وآل وسلم بقوله: «بالعدل قامت السماوات والأرض» واهتم القرآن الكريم اهتماماً استثنائياً بالعدل التشريعى أى مراعاة أصل العدل دائماً فى النظام الاعتبارى والتشريع القانونى، وقد صرح ذلك فى الكتاب المعجز بان الهدف من ارسال الأنبياء وبعثة الرسل انما هو قيام النظام البشرى وارساء الحياة الانسانية على أساس العدل والقسط: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) [۱۶۷] . واضافة إلى ذلك فان الاصل الكلى الذى نسبه القرآن الى كل الأنبياء بخصوص النظام التشريعى ولا سيما فى الشريعة الاسلامية هو «قل أمر ربى بالقسط» وفى مكان آخر يقول «ذلكم أقسط عند الله». ويعتبر القرآن الكريم الإمامة والقيادة عهداً الهياً ينبعث عنه النضال ضد الظلم والتلاؤم مع العدل، ويقول القرآن الكريم فى موضوع لياقة إبراهيم عليه السلام للامامة والقيادة: (وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى [صفحه ۱۵۱] جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) [۱۶۸] .فعندما أختار الله ابراهيم إماماً، إستفهم ابراهيم هل تشمل هذه الموهبة الالهية نسله؟ فأجيب بأن الإمامة عهد إلهى والظالمون لا نصيب لهم فيه، يعنى مقتضى العدالة الربانية هكذا تكون مع الظالمين. وإذا دققنا النظر فى القرآن الكريم وجدناه يدور حول محور واحد هو العدل فى كل الافكار القرآنية من التوحيد الى المعاد ومن النبوة الى الإمامة والزعامة ومن الآمال الفردية الى الاهداف الاجتماعية، فالعدل فى القرآن قرين التوحيد وركن المعاد وهدف لتشريع النبوة وفلسفة الزعامة والإمامة ومعيار كمال الفرد ومقياس سلامة المجتمع [۱۶۹] اذن بعد هذه المقدمة فى العدل يأتى السؤال فى هذا المقام الذى نحن فيه وهو هل ان الله جل جلاله أعطى الى اولياؤه الكثير من المناصب والمقامات الروحانية وعلى كل المستويات بالعدل أو جزافاً اعطاهم اياها؟ فمثلاً مقام فاطمة الزهراء عليها السلام وحجيتها على الأئمة وعلى جميع الأنبياء والجن والانس، ومقام شفاعتها يوم القيامة وانها تشفع بالجنة هل أعطى تعالى هذه المقامات بالعدل لها فتكون عندئذ مرتبط بالعدل الالهى أم لا؟ وهذا السؤال يحتاج الى ذكر مسألة مهمة وهى تعهريف العدجل سواء لغوياً أم اصطلاحياً وبعد ذلك نرى مدى انطباق هذا الموضوع وعلى ضوء التعريف فى حياة الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام ومدى ارتباطها بالعدل

الالهى. العدل فى اللغة: العدل من أسماء الله سبحانه، العدل هو الذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم، وهو فى الاصل مصدر سمى به فوضع موضع العادل وهوأبلغ منه لانه جعل المسمى نفسه عدلاً وفلان من أهل المعدلة أى من أهل العدل. والعدل: الحكم بالحق، فيقال هو يقضى بالحق ويعدل وهو حكم عادل: ذو معدلة فى حكمه [۱۷۰] اما تعريف العدل فى الاصطلاح فلقد وردت فيه عدة تعاريف ولكن الذى يهمنا فيما نحن فيه التحريف الذى يقول: «هو رعاية الاستحقاق فى افاضة الوجود [صفحه ۱۵۲] وعدم الامتناع عن الافاضة والرحمة حيث يتوفر امكان الوجود أو امكان الكمال». وعلى أساس هذا التعريف يتبين لنا ان الموجودات تتفاوت مع بعضها فى النظام الكونى من حيث قابليتها لاكتساب الفيض الالهى من مبدأ الوجود، فكل موجود وفى أى رتبة من الوجود يملك استحقاقاً خاصاً من حيث قابليته لاكتساب الفيض، ولما كانت الذات الالهية المقدسة كمالاً مطلقاً وخيراً مطلقاً وفياضة على الاطلاق فهى تعطى ولاتمسك ولكنها تعطى لكل موجود ما هو ممكن له من وجودأو كمال وجود، فالعدل الالهى ـ حسب هذه النظرية ـ يعنى ان أى موجود يأخذ من الوجود ومن كماله المقدار الذى يستحقه وبأمكانه ان يستوفيه [۱۷۱] وعلى هذا الاساس تكون الزهراء عليها السلام مستحقة للعدل الالهى فى افاضة الكمال لها وفى كل المقامات المعنوية والروحية، فكونها عليها السلام حجة على الأنبياء وعلى جميع البشر وانه ما تكاملت نبوة نبى حتى أقر بفضلها وكذلك كونها صاحبة الشفاعة الكبرى يوم القيامة وغيرها من المقامات التى أعطاها الله تعالى اياها كل ذلك لانها كانت مستحقة لكل هذا الكمال، أما كيف كانت مستحقة لذلك فهذا مانفهمه من خلال الزيارة الواردة فى حقها «السلام عليك يا ممتحنة امتحنك الذى خلقك قبل أن يخلقك فوجدك صارة لما امتحنك» فعلى أساس هذا الامتحان وكونها صابرة نجد ان الله تعالى وجدها مستحقة للعدل الالهى وللكمال الذى يليق بحالها، وعليه تكون الحكمة الالهية للعدل الالهى وللكمال الذى يليق بحالها، حيث تكون الحكمة الالهية فى وضع الزهراء فى مقامها السامى انما هو بالامكان اللائق لها وبالعدل الالهى استحقت ذلك فتكون عليها السلام حينئذ مرتبطة بالعدل الالهى من حيث كونها مستحقة للافاضات الربانية وكما تبين لك من خلال الاحاديث الواردة فى شأنها عليها السلام. هذا من جهة ومن جهة أخرى ان مولاتنا لفاطمة عليها السلام هل هى من العدل الالهى أم لا؟ لاشك ولا ريب عندما يطلب الله تعالى منا ان نكو مع الزهراء عليها السلام فى التولية والتبرئة من اعدائها هو عين العدل الالهى لأنّ الله تعالى وعلى لسانه فى القرآن [صفحه ۱۵۳] الكريم اعتبر أذى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الأسباب المؤدية الى اللعنة والعذاب الأليم وبأعتبار كونها عليها السلام من لحم رسول الله بل هى نساء رسول الله المعبر عنهم «بنسائنا» فى آية المباهلة وأيضاً رضاها رضى رسول الله وغضبها غضب الله ورسوله وإضافة الى ذلك انها مستحقة حسب وجودها واللفيوضات الربانية كل ذلك يعتبر من العدل الإلهى فتكون عندئذ عليها السلام مرتبطة بصميم العدل الإلهى وإن مولاتنا لها عين العدل الذى أمرنا الله تعالى ونكون له ملازمين له فى كل الحالات.

فاطمة وعلاقتها بالإمامة

تشكل الإمامة أصلاً مهماً من الأصول الخمسة الدينية عند الشيعة الإمامية بعد التوحيد والنبوة والعدل، ولقد تظافرت الروايات الشريفة على التأكيد على هذه المسألة المهمة فى الدين الاسلامى فضلاً عن القرآن الكريم الذى أكد أيضاً على مسألة إثبات الإمامة من خلال القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بل نقول ان من أراد الإطلاع على هذه القضية فعليه مراجعة الكتب الكلامية التى أثبت هذه المسألة المهمة، ولقد تطرقنا الى هذه المسألة ـ أى الإمامة ـ فى هذه الكتاب بأعتبارها لها إرتباط عميق بالصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وربما سائل يسأل كيف يمكننا أن نعرف أن الزهراء لها ارتباط بصميم الإمامة؟ وهذا سؤال مهم على ما أتصوره ولابد من خلال استقراء الكتب الروائية وحياة الصديقة الطاهرة وقراءة بعض النصوص واستنطاقها نجد انه هناك عدة أمور يمكن من خلالها إثبات هذا الارتباط الوثيق للزهراء بالإمامة التى جعلها الله تبارك وتعالى أما ماهية هذه القضية من خلال إثباتها عن طريق الروايات أو الزيارات الواردة فهذا ما يتوقف بيانه على إبراز بعض الأدلة والشواهد التى تؤيد هذه القضية تارة وتدعمها تارة أخرى. أولاً: أما الأدلة

التى نستطيع من خلال اثبات ارتباط فاطمة بصميم الدين فهذا ما يتبين لنا من كونها عليها السلام الحجة على الأنبياء فضلاً عن الأئمة عليهم السلام. إما كونها الحجة على الأنبياء فهذا ما أثبته الحديث المروى الذى يقول فيه الإمامة: «ما تكاملت نبوة نبى حتى أقر بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى» ولا نريد الوقوف مع مفهوم هذا الحيث على أى شىء يدل فلقد تبين لك كيف انها لابد من الإقرار بفضلها ومحبتها من قبل الخلق أجمعين فضلاص عن الأنبياء، وإما كونها الحجة على الأسمة فهذا ما تبين لنا من خلال شرح الحديث الوارد عن الإمام الحسن العسكرى الذى يقول فيه «نحن حجج الله على خلقه وجدبنا فاطمة عليها السلام حجة الله علينا» فراجع شرح هذا الحديث فى كتابنا هذا وسوف يتبين لك الحال فى هذا الأمر وهذا يكون أفضل شاهد على كونها مرتبطة بصميم الإمامة ولهذا يحتاج الى تمعن فى هذا الأمر وتدقيق عميق حتى نصل الى مداركه ومدلولاته. ثانيا: إن الزهراء عليها السلام كانت الرحم الطاهر لحمل الإمامة فهى أم الأئمة الأطهار وهى والدة الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة واللذان كانا إمامان قاما أو قعدا، فقد حملت بهما من خلال الارتباط السماوى بأمير المؤمنين حيث زوجها الله تبارك وتعالى من أمير المؤمنين وكما ورد فى الحديث الذى يقول «زوج النور من النور» وهذا يشهد به الموالى والمخالف فى قضية زواج الزهراء عليها السلام، أما كونها رحم طاهرة، فهذا ما أثبتته الآية الكريمة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فضلاً عن الزيارة الشريفة الواردة فى حق الإمام الحسين عليه السلام والتى يقول فيها الإمام عليه السلام «أشهد إنك كنت نوراً فى الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة الى آية التطهير تثبت كونها عليها السلام الرحم الطاهر للأئمة عليهم السلام ومن جهة شاهد على كونها مرتبطة بصميم الإمامة بالنكتة التى بيناها لك من حيث هى أم الأئمة عليهم السلام. ثالثاً: نجد من خلال استقراء القرآن الكريم ومتابعة آياته الشريفة أن الزهراء عليها السلام تكون مشتركة ومرتبطة بالإمامة من خلال عدة آيات قرآنية اثبت اشتراكها مع الأئمة عليهم السلام منها كونها الصراط المستقيم ومشتركة معهم عليهم السلام فلقد ورد عن جابر بن عبدالله الأنصارى أنه قال: [صفحه ۱۵۵] «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن الله جعل علياً وزوجته وأبناؤه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم فى أمتى، من أهتدى بهم هدى الى صراط مستقيم [۱۷۲] وأيضاً عن رسول الله أنه قال: «اهتدوا بالشمس فإذا غاب الشمس فاهتدوا بالقمر، فاذا غاب القمر فاهتدوا بالزهرة، فاذا غابت الزهرة فاهتدوا بالفرقدين، فقيل يا رسول الله ماالشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: الشمس أنا، والقمر علىّ، والزهرة فاطمة، والفرقدان الحسن والحسين عليهما السلام» [۱۷۳] . قوله تعالى: (فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرحيم) [۱۷۴] . أخرج ابن النجار عن ابن عبّاس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات الّتى تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، سأل بحقّ محمّد وعلّى وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علّى، فتاب عليه [۱۷۵] . قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم...) [۱۷۶] . قال محّب الدّين الطبرىّ: لما نزل قوله تعالى: «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم» الآية، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم هؤلاء الأربعة [۱۷۷] . عن أبى سعيد رضى الله عنه: لمّا نزلت هذه الآية، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلى». أخرجه مسلم والترمذى [۱۷۸] . قوله تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيّبة كشجرةٍ طيّبة...) [۱۷۹] . عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا شجرة، وفاطمة فرعها، وعلى لقاحها، وحسن وحسين ثمرها، ومحبّيهم [۱۸۰] .من أمّتى أوراقها. ثمّ قال: هم فى جنّة عدن والّذى بعثنى [صفحه ۱۵۶] بالحقّ [۱۸۱] . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا شجرة، وعلّى القلب، وفاطمة اللقاح، والحسن والحسين الثمر، وشيعتنا الورق، وحيث ينبت الشجر تساقط ورقها، ثم قال: فى جنّة عدن والّذى بعثنى بالحقّ [۱۸۲] . وقوله تعالى: (أولئك الّذين يدعون يبتغون إلى ربهّم الوسيلة...) [۱۸۳] . عن عكرمة: هم النبّى وعلّى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام [۱۸۴] . قوله تعالى: (إنّى جزيتهم اليوم بما صبروا أنّهم هم الفائزون) [۱۸۵] . عن عبدالله بن مسعود: يعنى جزيتهم بالجنّة اليوم بصبر علّى بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين فى الدنيا على الطاعات وعلى الجوع والفقر، وبما صبروا على المعاصى وصبروا على البلاء لله فى الدنيا، أنّهم هم الفائزون والناجون من الحساب [۱۸۶] . قوله تعالى: (كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة...) [۱۸۷] . عن موسى بن القاسم، عن علّى بن جعفر قال:

سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله الله عزّوجلّ «كمشكاة فيها مصباح» قال: المشكاة فاطمة، والمصباح الحسن، والحسين الزجاجة «كأنّها كوكب درّى» قال: كانت فاطمة كوكباً درّياً من نساء العالمين «يوقد من شجرة مباركة» الشجرة المباركة إبراهيم «لا شرقيّة ولا غربيّة» لا يهوديّة ولا نصرانيّة «يكاد زيتها يضيء» قال: يكاد العلم أن ينطق منها «ولو لم ـ تمسسه نار، نور على نور» قال: فيها إمام بعد إمام «يهدى الله لنوره من يشاء» قال: يهدى الله عزّوجلّ لولا يتنا من يشاء [۱۸۸] . [صفحه ۱۵۷] قوله تعالى: (وأمر أهلك بالصلوة اصطبر عليها...) [۱۸۹] . عن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه قال: أبو الحمراء خادم النبّى صلى الله عليه وآله وسلم: لمّا نزلت هذه الآية كان النبّى صلّى الله عليه وآله يأتى باب علّى وفاطمة عند كل صلوة فيقول: الصلاة ـ رحمكم الله ـ إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً [۱۹۰] . قوله تعالى: (وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً...) [۱۹۱] . عن السدّى: نزلت فى النبّى صلى الله عليه وآله وسلم وعلّى، زوّج فاطة علّياً، وهو ابنعمّه وزوج ابنته،كان نسباً وكان صهراً [۱۹۲] . قول تعالى: (واجعلنا للمتّقين إماماً) [۱۹۳] . قال النّبى صلى الله عليه وآل وسلم قلت: يا جبرئيل من أزواجنا؟ قال: خديجة. قال: ومن ذرياتنا؟ قال: فاطمة. وقرّة أعين؟ قال: الحسن والحسين. قال: واجعلنا للمتّقين إماماً؟ قال: علىّ بن أبى طالب [۱۹۴] . قوله تعالى (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) [۱۹۵] . عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه قال: نزلت فى خمسة: فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلّى وفاطمة والحسن والحسين، أخرجه أحمد فى المناقب وأخرجه الطبرانّى [۱۹۶] . قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة فى القربى ـ) [۱۹۷] . قال الزّمخشرىّ: إنّها لمّا نزلت «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة فى القربى» قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علّى وفاطمة [صفحه ۱۵۸] وابناهما... وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشرّه ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له فى قبره بابان إلى الجنّة. ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة. ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله. ألا ـ ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً. ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة [۱۹۸] . قوله تعالى: (ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا وأنّ الكافرين لامولى لهم) [۱۹۹] . عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس: يعنى ولىّ على وحمزة وجعفر وفاطمة والحسن والحسين وولّى محمّد صلى الله عليه وآل وسلم، ينصرهم بالغلبة على عدوّهم [۲۰۰] . قوله تعالى: (كانوا قليلاً ـ من اللّيل ما يهجعون) [۲۰۱] . عن عبدالله بن عبّاس قال: نزلت فى علّى بن أبى طالب والحسن والحسين وفاطمة عليه السلام [۲۰۲] . قوله تعالى: (والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم) [۲۰۳] . عن ابن عبّاس قال: نزلت فى النبّى وعلّى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [۲۰۴] . [صفحه ۱۵۹] قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا ـ يبغيان، فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) [۲۰۵] . أخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: «مرج البحرين يلتقيان» قال: علّى وفاطمة، «بينهما برزخ لا يبغيان» قال: النبّى صلى الله عليه وآله وسلم، «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» قال: الحسن الحسين [۲۰۶] . قوله تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [۲۰۷] . إنّ رجلاً جاء إلى النبّى صلى الله عليه وآله وسلم فشكا إليه الجوع، فبعث إلى بيوت آزواجه فقلن: ماعندنا إلاّ الماء. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من لهذه الليلة؟ فقال علىّ عليه السلام: أنا يا رسول الله. فأتى فاطمة فأعلمها، فقالت: ما عندنا إلاّ قوت الصبية ولكنّا نؤثر به ضيفنا. فقال علىّ عليه السلام: نوّمى الصبية وأنا أطفىء للضيف السراج. ففعلت وعشّى الضيف. فلمّا أصبح أنزل الله عليهم هذه الآية: «ويؤثرون عن أنفسهم» [۲۰۸] . عن ابن عباس فى قول الله «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» قال: نزلت فى علّى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [۲۰۹] . قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) [۲۱۰] . قال أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الآلوسىّ:

وماذا عسى يقول امرؤ فيهما يعنى عليّا وفاطمة عليهما السلام سوى أنّ عليّا مولى المؤمنين ووصّي النبّى، وفاطمة البضعة الأحمديّة والجزء المحمّديّ، وأمّا الحسنان فالّروح والريحان وسيّدا شباب أهل الجنان. وليس هذا من الرفض، بل ما سواه عندى هو الغىّ. ومن اللطائف على القول بنزولها فيهم أنّه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين، وأنّما صرّح عزّوجلّ بولدان مخلّدين رعاية [صفحه ۱۶۰] لحرمة البتول وقرّة عين الرسول [۲۱۱] . قوله تعالى: (ليلة القدر خير من ألف شهر تنزّل الملائكة والروح فيها) [۲۱۲] . عن عبدالله نب عجلان السكونى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيت علّى وفاطمة من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسقف بيتهمعرض ربّ العالمين، وفى قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحى، والملائكة تنزل عليهم بالوحى صباحاً ومساءً وفى كلّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد [۲۱۳] . رابعاً: من خلال الروايات الشريفة نجد ان الزهراء عليها السلام مرتبطة ومشتركة مع الأئمة الذين يمثلون الدعامة الكبرى الإمامة فى كثير من الامور وهذا ما نجده من خلال الروايات الشريفة التى اثبت هذه المسألة ومنها:

فى خلقتها النورانية

عن النبّى صلى الله عليه وآل وسلم إنّه قال: لمّا خلق الله تعالى آدم أبو البشر [۲۱۴] ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمنة العرض فإذا فى النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً، قال آدم: يا ربّ هل خلقت أحداً من طين قبلى؟ قال: لا يا آدم، قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الّذين أراهم فى هيئتى وصورتى؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائى، لولاهم ما خلقت الجنّة ولا النار، ولا العرش، ولا الكرسى، ولا السماء، ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الانس، ولا الجنّ. فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالى وهذا علّى، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزّتى أنّه لا يأتينى أحد [صفحه ۱۶۱] بمثقال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلاّ أدخلته نارى ولا أبالى. يا آدم، هؤلاء صفوتى من خلقى، بهم أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إلىّ حاجة فبهؤلاء توسّل. فقال النبّى صلى الله عليه و آله وسلم: نحن سفينة النجاة، من تعلّق بها نجا، ومن حا عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت [۲۱۵] .

فى بدء خلقتها

عن النبّى صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ الله خلقنى وخلق عليّا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام، حين لاسماء مبنّية، ولا أرض مدحيّة، ولا ظلمة ولانور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنّة ولانار، فقال العبّاس: فكيف بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عمّ: لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً، ثمّ مزج النور بالروح فخلقنى وخلق عليّا وفاطمة والحسن والحسين، فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّيه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن نشىء خلقه فتق نورى فخلق منه العرش فالعرش من نورى، ونورى من نور الله، ونورى أفضل من العرش، ثمّ فتق نور أخى علّى فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علّى، ونور علىّ من نور الله، وعلى أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتى فخلق منه السماوات والأرض، فالسموات والأرض من نور ابنتى فاطمة، ونور ابنتى فاطمة من نور الله، وابنتى فاطمة أفضل من السماوات والأرض. ثمّ فتق نور ولدى الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر. ثمّ فتق نور ولدى الحسين فخلق منه الجنّة والحور العين، فالجنّة والحور العين من نور ولدى الحسين، ونور ولدى الحسين من نور الله، وولدى الحسين أفضل من الجنّة والحور العين [۲۱۶] . [صفحه ۱۶۲]

فى عرض ولايتها على الأشياء

فى حديث الإسراء: يا محمّد! إنّى خلقتك وخلقت عليّا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين من نورى، وعرضت

ولا يتكم على أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندى من المؤمنين، ومن جحدها كان عندى من الظالّين «الظالمين خ ل». يا محمّد! لو أنّ عبداً من عبيدى عبدنى حتىّ ينقطع، أو يصير كالشنّ البالى، ثمّ أتانى جاحداً لولا يتكم ما غفرت له حتى يقرّ بولايتكم. يا محمّد: أتحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم، يا ربّ! قال: التفت، فالتفتّ عن يمين العرش، فإذا أنا باسمى وباسم علّى وفاطمة والحسن والحسين وعلىّ ومحمّد وجعفر وموسى وعلّى والحسن، والمهدىّ فى وسطهم كأنّه كوكب درّىّ، فقال: يا محمّد! هؤلاء حى على خلقى، وهذا القائم من ولدك بالسيف من أعدائك [۲۱۷].

فى سبق دخولها الجنة

عن على عليه السلام عن النبّى صلى الله عليه وآله وسلم إنّ أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت وفاطمة والحسن والحسين. قال علىّ: فمحبّونا؟ قال: من ورائكم [۲۱۸].

فى كونها فى خطيرة القدس

وعنه صلّى الله عليه وآله: إنّ فاطمة وعليّا والحسن والحسين فى خطيرة القدس فى قبّة بيضاء، سقفها عرش الرحمن [۲۱۹]. [صفحه ۱۶۳]

فى جواز دخولها مسجد النبى

وعنه صلّى الله عليه وآله: ألا لا يحلّ المسجد لجنب ولا حائض إلّا لرسول الله وعلّى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [۲۲۰].

فى سكونتها معهم فى الجنة

عن النبّى صلّى الله عليهم وآله قال: فى الجنّة درجة تدعى الوسيلة، فإذا سألتم الله فاسألوا لى الوسيلة. قالوا: يا رسول الله! من يسكن معك فيها؟ قال: علّى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [۲۲۱].

فى كونها ركنا لعلى

على النبّى صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال لعلّى بن أبى طالب عليه السلام: سلام عليك يا أبا الريحانتين، فعن قليل يذهب ركناك، والله خليفتى عليك. فلّما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال على عليه السلام: هذا أحد الركنين، فلمّا ماتت فاطمة عليها السلام قال: هذا الركن الآخر [۲۲۲]. أقول: ينبغى إمعان النظر فى معنى الركنيّة، فأىّ معنى تصوّر لركنيّة صلى الله عليه وآله وسلم لعلّى عليه السلام فهوثابت لفاطمة الزهراء عليها السلام، ولعمرى هذا مقام شامخ لم ينله أحد إلّا هى، وهو من مختصّاتها عليها السلام. [صفحه ۱۶۴]

فى إصابة نور الله لها

عن النبّى صلى الله عليه وآله وسلم قال: لمّا خلق الله الجنّة خلقها من نور وجهه، ثمّ أخذ ذلك النور فقذفه فأصابنى ثلث النور، وأصاب فاطمة ثلث النور، وأصاب علياً وأهل بيته ثلث النور. فمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلى ولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم [۲۲۳]، ومن لم يصبه من ذلك النور ضلّ عن ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أقول: التدبّر فى هذا الحديث يعطى جلالة

شأنها وعلوّ درجاتها عليها السلام، إذ جعلها الله ـ تعالى شأنه ـ فى النور قسيم أبيها وبعلها وبنيها عليهم السلام، بل هى أكبر حظّاً منهم. وهذا لعمرى شأوٌ لاتنالها أيدى المتناولين، وبحر لا يدرك قعرها غوص المتعمّقين.

فى كونها خير خلق الله تعالى

عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل: على ساق العرش مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، وعلى وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله [۲۲۴].

فى اختيار الله تعالى اياها على النساء

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلّى عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فاختارنى منها على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الثانية فاختارك على رجال العالمين، ثمّ اطلع الثالثة فاختار الأئمّة من ولدك على رجال العالمين، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين [۲۲۵]. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليلة عرج بى إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً: لا [صفحه ۱۶۵] إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، علىّ حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، على باغضهم لعنة الله [۲۲۶].

فى وجوب إطاعتها على الكائنات

عن أبى جعفر عليه السلام فى حديث طويل: ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة ـ الحديث [۲۲۷]. عن محمّد بن سنان قال: كنت عند أبى جعفر الثانى عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمّد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفّرداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون، ويحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثمّ قال: يا محمّد، هذه الديانة التى من تقدّمها مرق [۲۲۸]، ومن تخلّف عنها محق، زن لزمها لحق، خذها إليك يا محمّد [۲۲۹]. قال العلامة المجلسىّ فى شرح هذا الحديث: «فأشهدهم خلقها»، أى خلقها بحضرتهم وهم يطّلعون على أطوار الخلق وأسراره. «وأجرى طاعتهم عليها» أى أوجب على جميع الأشياء طاعتهم حتّى الجمادات والسماويّات والأرضيات. «وفوّض أمورها إليهم» من التحليل والتحريم والعطاء والمنع، وإن كان ظاهره تفويض تدبيرها إليهم من الحركات والسكنات والأرزاق والأعمار وأشباهها [۲۳۰]. عن أبى سعيد الخدرىّ قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرنى عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: «أستكبرت أم كنت من [صفحه ۱۶۶] العالمين» [۲۳۱]، من هم يا رسول الله الّذين هم أعلى من الملائكة المقرّبين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا فى سرادق العرش نسبّح الله فسبّحت الملائكة بتسبحنا قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفى عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يؤمروا بالسّجود إلاّ لأجلنا، فسجدت الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: «يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ أستكبرت أم كنت من العالمين» أى من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم فى سرادق العرش. فنحن باب الله الّذى يؤتى منه، وبنا يهتدى المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسكنه جنّته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلاّ من طاب مولده [۲۳۲].

فى ركوبها يوم القيامة

عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: يبعث الله الأنبياء يوم القيامة على الدوابّ، ويبعث صالحاً على ناقته كيما يوافى بالمؤمنين من

أصحابه المحشر، وتبعث فاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام على ناقتين من نوق الجنّة، وعليّ بن أبى طالب على ناقتى، وأنا على البراق، ويبعث بلالاً على ناقته فينادى بالأذان ـ الحديث [۲۳۳] .

فى تكلمها فى بطن أمها

عن بعض الرواة الكرام: إنّ خديجة الكبرى رضى الله عنها ـ تمنّت يوماً من الأيّام على سيّد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهة دار السّلام، فأتى جبرئيل إلى المفضّل على الكونين من الجنّة بتفّاحتين وقال: يا محمّد، يقول لك من جعل لكلّ شىء قدراً: [صفحه ۱۶۷] كل واحدة وأطعم الاخرى لخديجة الكبرى، فاغشها، فإنّى خالق منكما فاطمة الزهراء. ففعل المختار ما أشار به الأمين وأمر. فلّما سأله الكفّار أن يريهم انشقاق القمر ـ وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر ـ قالت خديجة: واخيبة من كذّب محمّدا وهو خير رسول ونبى! فنادت فاطمة من بطنها: يا أمّاه لا تحزنى ولا ترهبى فإنّ الله مع أبى ـ الخبر [۲۳۴] .

فى كونها تحت قبة العرش

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين يوم القيامة فى قبّة تحت العرش. قلت «الحافظ الكنجىّ» ما كتبناه إلّا من هذا الوجه «السند المذكور فيه» وهو حديث حسن عال [۲۳۵] .

فى ثواب

عن يزيد بن عبدالملك النوفلّى، عن أبيه، عن جدّه قال: دخلت على الفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فبدأتنى بالسّلام، قال: وقالت: قال أبى ـ وهو ذا حىّ ـ من سلّم علىّ وعليك ثلاثة أيّام فله الجنّة. قلت لها: ذا فى حياته وحياتك أو بعد موته وموتك؟ قالت: فى حياتنا وبعد وفاتنا [۲۳۶] . عن ابن عبّاس قال: لمّا ولدت فاطمة بنت النبّى صلى الله عليه وآله وسلم سمّاها المنصورة، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: الله يقرئك السّلام ويقرئ مولودك السّلام [۲۳۷] . [صفحه ۱۶۸]

فى نزول حنوطها من الجنة

عن ابن سنان رفعه قال: السّنة فى الحنوط ثلاثة عشر درهماً وثلث. قال محمّد بن أحمد: ورووا أنّ جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحنوط، وكان وزنه أربعين درهماً، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أجزاء: جزءاً له، وجزءاً لعلىّ، وجزءاً لفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين [۲۳۸] .

اشتراكها معهم فى الحرب والسلم

عن أبى حازم، عن أبى هريرة قال: نزر النبّى صلى الله عليه وآله سلم إلى الحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم [۲۳۹] . أقول: ولمّا جرّ البحث بنا إلى هنا ينبغى لنا أن نورد شيئاً من الأخبار ثم من الكلام حول المسالة إتماماً للفائدة وإيفاءً لبعض حقّها عليها السلام فنقول: عن مجاهد: خرج النبّى صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيد فاطمة، فقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمّد، وهى بضعة منّى، وهى قلبى، وهى روحى الّتى بين جنبّى، من آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله» [۲۴۰] . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم إنّما فاطمة حذية [۲۴۱] منّى، يقبضنى ما يقبضها. وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ فاطمة شعرة منّى، فمن آذى شعرة منّى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله مل السماوات والأرض [۲۴۲] . وعن ابن عباس قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: يا على إنّ فاطمة بضعة منّى،

هی نور عینی وثمرة فؤادی، یسوءنی ماساءها ویسرّنی ما سرّها، وإنها أوّل من یلحقنی من [صفحه ۱۶۹] أهل بیتی، فأحسن إلیها من بعدی، والحسن والحسین فهما ابنای وریحانتای، وهما سیدا شباب أهل الجنّة، فلیکونا علیک کسمعک وبصرک. ثمّ رفع صلی الله علیه وآله وسلم یدیه إلی فقال: اللّهمّ إنّی أشهدک أنّی محبّ لمن أحبّهم، مبغض لمن أبغضهم، سلم لمن سالمهم، حزب لم حاربهم، عدوّ لمن عاداهم، ولّی لمن والاهم [۲۴۳] وقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إنّما فاطمة بضعة منّی، یسوءنی ماساءها [۲۴۴] وعن علّی علیه السلام إنّ الله عزّ وجلّ لیغضب لغضب فاطمة، ویرضی لرضاها [۲۴۵] . وعنه علیه السلام: یا فاطمة إنّ الله لیغضب لغضبک، ویرضی لرضاک [۲۴۶] وإنّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال: فاطمة بضعة منّی ن فمن أغضبها أغضبنی [۲۴۷] وقال علیه السلام: إنّما فاطمة بضعة منّی، یؤذینی ما آذاها [۲۴۸] وعنه علیه السلام: فإنّما ابنتی بضعة منّی، یریبنی مارابها، ویؤذینی ما آذاها [۲۴۹] وعنه علیه السلام: إنّ فاطمة بنت محمّد مضغة منّی [۲۵۰] وعنه علیه السلام: «إنّما فاطمة بضعة منّی، یؤذینی ما آذاها، وینصبنی ما أنصبها». هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم ـ یخرجاه [۲۵۱] وعنه علیه السلام: إنّما فاطمة مضغة منّی، فمن آذاها فقد آذانی [۲۵۲] وعنه علیه السلام: فاطمة بضعة منّی، یسعفنی ما أسعفها [۲۵۳] وعنه علیه السلام: فاطمة شجنة منّی، یبسطنی ما یبسطها، ویقبضنی ما یقبضها [۲۵۴] . [صفحه ۱۷۰]

اشتراکها معهم فی تکون المیزان

قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: أنا میزان العلم، وعلیّ کفّتاه والحسن والحسین خیوطه، وفاطمة علاقته، والأئمّة من أمّتی عموده، یوزن فیها أعمال المحبّین لنا والمبغضین لنا [۲۵۵] .

اشتراکها معهم فی قصة سفینة نوح

عن النّبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال: لمّا أراد الله عزّوجلّ أن یهلک قوم نوح علیه السلام أوحی الله إلیه أن شقّ ألواح الساج. فلّما شقّها لم یدر ما صنع، فحبط جبرئیل علیه السلام فأراه هیئة السفینة ومعه تابوت فیه مائة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار. فسمر المسامیر کلّها فی السفینة إلی أن بقیت خمسة مسامیر، فضرب بیده إلی مسمارٍ منها، فأشرق فی یده وأضاء کما یضیء الکوکب الدرّی فی أفق السماء فتحّیر من ذلک نوح، فأنطق الله ذلک المسمار بلسان طلقٍ ذلق فقال: أنا علی اسم خیر الأنبیاء محمّد بن عبدالله صلی الله علیه وآله وسلم. فهبط جبرئیل علیه السلام فقال له: یا جبرئیل، ما هذا المسمار الّذی ما رأیت مثله؟ قال: هذا باسم خیر الأولین والآخرین محمّد بن عبدالله علیه السلام، أسمره فی أوّلها علی جانب السفینة الأیمن. ثمّ ضرب بیده علی مسمار ثانٍ، فاشرق وأنار، فقال نوح علیه السلام: وما هذا المسمار؟ قال: مسمار أخیه وابن عمه علّی بن أبی طالب، فأسمره علی جانب السفینة الیسار فی أولها. ثمّ ضرب بیده علی مسمار ثالث، فزهر وأشرق وأنار، فقال له جبرئیل علیه السلام: هذا مسمار فاطمة علیها السلام، فأسمره إلی جانب مسمار أبیها صلی الله علیه وآله وسلم. ثمّ ضرب بیده إلی مسمار رابع فزهر وأنار، فقال له: هذا مسمار الحسن علیه السلام فأسمره إلی جانب مسمار أخیه صلی الله علیه وآله وسلم. ثمّ ضرب بیده إلی مسمار خامس، فأشرق وأنار وبکی وأظهر النداوة [۲۵۶] ، فقال: یا جبرئیل ما هذه النداوة؟ فقال: هذا مسمار الحسین بن علیّ سیّد [صفحه ۱۷۱] الشهداء، فأسمره إلی جانب مسمار أخیه. ثمّ قال النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم قال الله تعالی: (وحملناه علی ذات ألواح ودسرٍ) [۲۵۷] ، قال النبیّ علیه السلام: الألواح خشب السفینة، ونحن الدسر، ولولانا ماسارت السفینة بأهلها [۲۵۸] .

توسل زکریا بها

عن مولانا المهدیّ علیه السلام فی جواب سعد بن عبدالله فی حدیث طویل: إنّ زکریّا سأل ربّه أن یعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط علیه

جبرئيل عليه السلام فعلّمه إيّاها. فكان زكرّيا إذا ذكر اسم الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة [۲۵۹] فقال ذات يوم: إلهى ما بالى إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومى، وإذا ذكرت الحسين تدمع عينى وتثور زفرتى؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته وقال: «كهيعص» [۲۶۰] فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين، والعين عطشه، والصاد صبره. فلّما سمع ذلك زكرّيا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: «إلهى، أتفجع خير خلقك بولده؟ أتنزل بلوى هذه الرزّية بفنائه؟ إلهى أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ أتحّل كربة هذه الفجيعة بساحتهما»؟ ثمّ كان يقول: «الهى ارزقنى ولداص تقرّ به عينى على الكبر، اجعله وارثاً وصيّاً، واجعل محلّه الحسين، فإذا رزقتنيه فافتنّى بحبّه، ثمّ افجعنى به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده»، فرزقه الله يحيى عليه السلام، وفجعه به. وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك [۲۶۱] . [صفحه ۱۷۲]

تحية الله تعالى إياها معهم بتفاحة

عن ابن عبّاس قال: كنت جالساً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وبين يديه علىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إذ هبط جبرائيل ومعه تفّاحة فيحّى بها النبّى صلى الله عليه وآل وسلم فتحيّى بها، وحيّى بها علىّ بن أبى طالب عليه السلام فتحيّى بها وقبلّها وردّها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحيّى بها، وحيّى بها الحسين فتحيّى بها وقبلها وردّها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحّيى بها، وحيّى بها فاطمة عليها السلام فتحيّت بها وقبلتها وردّتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحيّى بها الرابعة وحيّى بها علىّ بن أبى طالب عليه السلام فتحيّى بها، ولمّا همّ أن يرّدها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سقطت التفّاحة من بين أنامله فانفلقت نصفين فسطع منها نور حتّى بلغ السماء الدنيا، فاذا عليها سطران مكتوبان: «بسم الله الرحمن الرحيم، تحيّة من الله تعالى إلى محمد المصطفى، وعلىّ المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين سبطى رسول الله، وأمان لمحبّيهم يوم القيامة من النار» [۲۶۲] .

عرض حبها على البرية

قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله له الحمد عرض حبّ علىّ وفاطمة وذرّيتها على البرّية، فمن بادر منهم بالإجابة جعل منهم الرسول، ومن أجاب بعد ذلك جعل منهم الشيعة، وإن الله جمعهم فى الجنّة [۲۶۳] .

اشتراكها معهم فى الصلوات

عن كعب بن عجرة قال: لمّا نزلت هذه الآية (إنّ الله وملائكته يصلّون على النبىّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً) [۲۶۴] قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلّم عليك، كيف نصلّى عليك؟ فقال: قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد ـ إلى آخره. وفى رواية الحاكم: فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: قولوا: اللّهم صل على محمد وعلى آل محمّد ـ إلى آخره. ويروى: لا تصلّوا علىّ الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللّهم صلّ على محمّد، وتسكتون، بل قولوا: اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد [۲۶۵] ... فقيل له من أهلك يا رسول الله؟ قال: علىّ وفاطمة والحسن والحسين [۲۶۶] وقال العلاّمة المحقّق المولى أحمد الأردبيلىّ: واعلم أنّه قد ادّعى المصنّف «العلامة الحلّى ـ ره» فى «المنتهى»: إجماع علمائنا أيضاً على وجوب الصلاة على آله عليهم السلام، وأن المجزّى من الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد». ويدلّ عليه أيضاً ماروى عن طرقهم عن كعب الأحبار فى كيفية الصلاة عليه حيث قال: قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصّلاة؟ قال: اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمّد. والعجب أنّهم يحذفون الآل ويتركون هذا المنقول حتّى فى هذا الخبر. ويقولون: قال:

صلّى الله عليه. أفاده بعض السادة رحمهم الله وهو سيّد حسن السفطّلى. ويدلّ على ذلك غيره أيضاً، والظاهر أنّ المراد بآله ـ صلوات الله عليه وآله ـ الأئمّة مطلقاً وفاطمة عليها السلام حقيقة لا تغليباً، يدلّ عليه وضع الآل لغة ثمّ عرفاً أيضاً، وبعض الأخبار أيضاً، ولا يدل على الاختصاص بأمير المؤمنين وفاطمة وولديهما ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ الروايات الواقعة فى سبب نزول آية التطهير، لأنّهم كانوا موجودين فى ذلك الزمان، والحصر كان إضافّياً حيث يقول لبعض نسائه: إلى خير. ولهذا أثبت الأصحاب عصمتهم بالآية، فلا ينبغى قول المحقّق الثانى والشهيد الثانى [۲۶۷] . وقال العلامة الأمينىّ: أخرج الديلمىّ أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: الدعاء محجوب حتّى يصلّى على محمد وأهل بيته: اللّهمّ صلّ على محمد وآله. ورواه عنه ابن حجر فى «الصواعق» [صفحه ۱۷۴] ص ۸۸. وأخرج الطبرانى فى «الأوسط» عن علىّ أمير المؤمنين عليه السلام: كلّ دعاء محجوب حتّى يصلّى على محمّد وآل محمّد. وذكره الحافظ الهيثمى فى «مجمع الزوائد» ج ۱، ص ۱۶۰. وقال: رجاله ثقات. وأخرج البيهقّى وابن عساكر وغيرهما عن علىّ عليه السلام مرفوعاً ما معناه: الدعاء والصلاة معلّق بين السماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شىء حتّى يصلّى عليه ـ صلّى الله عليه ـ وعلى آل محمّد. ـ «شرح الشفا» للخفاجى، ج ۳، ص ۵۰۶ [۲۶۸] . وقال الرازى فى تفسيره الكبير: وأنا أقول: آل محمّد صلى الله عليه وآله هم الّذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل. ولا شك أنّ فاطمة وعلّياً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هو الآل [۲۶۹] . وقال أيضاً: أنّ أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم يساوونه فى خمسة أشياء: فى السلام، قال: السلام عليك أيّها النبىّ؛ وقال: «سلام على آل ياسين» «الصافّات، ۱۲۰»، وفى الصلاة عليه وعليهم فى التشهد، وفى الطهارة، قال تعالى: «أى يا طاهر. وقال: «ويطهّركم تطهيراً» «الأحزاب، ۳۳» وفى تحريم الصدقة وفى المحبّة، قال تعالى: «فاتّبعونى يحببكم الله» «آل عمران، ۳۱». وقال: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى» «الشورى، ۲۲». وقال ابن حجر: صحّ عن كعب بن عجرة قال: لمّا نزلت هذه الآية «يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» قلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلّى عليك؟ فقال: قولوا: اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمّد ـ إلى آخره. فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمد ـ إلى آخره دليل ظاهر على أنّ الأمر بالصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر؛ فلّما أجيبوا به دلّ على أنّ الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أقامهم فى ذلك مقام نفسه، لأنّ القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه، ومنه تعظيمهم. ومن ثمّ لمّا [صفحه ۱۷۵] أدخل من مرّ فى الكساء قال: اللّهم إنّهم منّى وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك علىّ وعليهم. وقضّية استجابة هذا الدعاء أنّ الله صلّى عليهم معه، فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلواتهم عليهم معه. ويروى: لا تصلّوا علّى الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال تقولون: اللّهم صلّ على محمّد، وتمسكون، بل قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد [۲۷۰] . خامساً: صدر من الإمام المهدى عجل الله تعالى فجره الشؤيف فى التوقيع المعروف الذى يقول فيه. «ولولا ما عندنا من محبة صلاحكم ورحمتكم والشفاق عليكم لكنا عن مخاطبتكم فى شغل، مما قد امتحنا من منازعة الظالم الضال الضال المتابع فى غيّه، المضاد فى لربّه، المدعى ماليس له، الجاحد حق من إفترض الله طاعته، الظالم الغاصب، وفى أبنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى أسوة حسنة وسيروى الجاهل رداءة علمه، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار» [۲۷۱] . انظر من خلال فهم مدلول كلمة أسوة حسنة كيف جعل الإمام المهدى «عج» جدته الزهراء عليها السلام اسوة حسنة فى كل اموره وبحيث يجيب أحد شيعته من خلال بعض المسائل ويذكر له فى التوقيع الشريف الصادر منه انه يقتدى بجدته الزهراء عليها السلام وجعلها قدوة له فى حياته وله فيها اسوة حسنة كما لنا اسوة حسنة برسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

فاطمة والمعاد

من الأمور الهمة والقضايا الحساسة فى حياة الفرد المؤمن هو مسألة يوم القيامة ـ المعاد ـ حيث نرى الكثير من الناس عندما يسمعون

المعاد ويوم القيامة واليوم الآخر يأنون من ذكره حيث هناك تلاقى البشر مع خالقهم والوقوف بين يديه للحساب. [صفحه ۱۷۶] ولا شك ولاريب انّ الكثير من الناس يخافون عدل الله تعالى ويطلبون منه ان يحاسبهم برحمته لا بعدله لأنه لو يحاسبهم الله تعالى. بعدله لما ترك عليها من دابة، لذا نجد من خلال القرآن الكريم والروايات الشريفة إنّه من ظاهر رحمته الله تعالى يوم القيامة هو إعطاءه الشفاعة لبعض أولياؤه حيث تعتبر الشفاعة مظهر من ظاهر رحمة الله لكى يبين الله تعالى قدرة ومنزلة ومقام العبد المؤمن ذلك اليوم ـ أى يوم الحساب ـ ومن هنا نجد إن من الذين تشملهم العناية الربانية فى الشفاعة يوم القيامة هم آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ما أثبتته الكثير من الآيات والروايات ولا نريد الوقوف الطويل مع هذه الآيات والروايات بل نقف مع أحد دعائم أهل بيت النبوة والمتمثلة فى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام تلك هى بضعة الرسول وريحانته وزوجة الوصى المرتضى وأم الحسنين، وهذه الشفاعة التى نتكلم عنها هى نموذج من يوم المعاد الذى سوف تجتمع به الخلائف، وبذلك تكون الشفاعة جزءاً مهماً بل هو الامل الوحيد للخلائق يوم القيامة. اذن الشفاعة مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى ومظهر من مظاهر المعاد، ونحن نجد من خلال إستقراء الروايات الشريفة الواردة فى مقام الشفاعة يوم القيامة هو الشفاعة التى تعطى للزهراء عليها السلام، وعليه تكون الزهراء مرتبطة إرتباط وثيق بيوم القيامة والمعاد الذى نؤوب إليه، أما كيف نثبت أن لها هذا الإرتباط من خلال الروايات الشريفة فهذا ما تبينه بعض النصوص الشريفه التى تثبت إرتباط الصديقة الشهيدة بيوم المعاد: عن أبو القاسم العلوى الحسنى ـ معنعناً ت عن ابن عباس: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم... فيجوزون بها الصراط حتى ينتون بها إلى الفردوس فيتباشر فيها أهل الجنان...فتجلس على كرسى من نور ويجلس حولها، ويبعث إليها ملك لم يبعث إلى أحد قبلها ولا يبعث الى أحد بعدها فيقول: إن ربك يقرئك السلام ويقول: سلينى أعطيك؛ فتقول قد أتم علىّ نعمته، وهنأنى كرامته وأباحنى جنته، أسأله ولدى وذريتى ومن ودهم بعدى، وحفظهم من بعدى، فيوحى الله إلى الملك من غير أن نزول من [صفحه ۱۷۷] مكانه: أن سرّها وبشرّها أنّى قد شفعتها فى ولدها ومن ودهم بعدها وحفظهم فيها. فتقول: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وأقر عينى. قال جعفر: كان أبى يقول: كان إبن عباس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية (والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بأيمانهم الحقنابهم ذريتهم) [۲۷۲] . عن الحسن بن سعيد ـ معنعنا ـ عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يامعشر الخلائق. غضوا أبصاركم حتى تمر بنت حبيب الله إلى قصرها «إبنتى فاطمة وعليها» ويطتان خضروان حواليها سبعون الف حوراء، فإذا بلغت غلى باب قصرها وجدت الحسن قائماً ن والحسين نائماً مقطوع الرأس، فتقول للحسن: من هذا؟ فيقول: هذا أخى إنّ أمة نبيك قتلوه وقطعوا رأسه. فيأتيها النداء من عندالله: يا بنت حبيب الله إنى إنما «» ما فعلت به أمة أبيك لأنى أدخرت لك عندى تعزية بمصيبتك فيه، إنى جعلت نعزيتك اليوم أنى لا أنظر فى محاسبة العباد حتى تدخل الجنّة أنت وذريتك وشيعتك قبل أم أنظر بمحاسبة العباد، فتدخل فاطمة أبنتى الجنة وذريتها وشيعتها ومن أولاها معروفاً ممن ليس من شيعتها، فهو قول الله عزّ وجلّ: «لا يحزنهم الفزع الاكبر» قال: قول يوم القيامة «وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون» هى والله ـ فاطمة وذريتها وشيعتها ومن أولاهم معروفاً ممن ليس هو من شيعتها [۲۷۳] . روى عن سلمان قال: أتيت ذات يوم منزل فاطمة عليها السلام ـ فى حديث إلى أن قال ـ قال صلى الله عليه وآله وسلم: والذى بعثنى بالرسالة وإصطفانى بالنبوه قد حرم الله تعالى النار على لحم فاطمة، ودمها، وشعرها، وعصبها وعظمها وذريتها وشيعتها. أن من نسل فاطمة من تطيعه النار، والشمس والقمر والنجوم والجبال وقد ضرب الجن بين يديه بالسيف ويوافى إليه الانبياء بعهودهم وتسلم إليه الأرض كنوزها وينزل عليه من السماء بركات ما فيها، الويل لمن شك فى فضل فاطمة لعن الله من يبغضها، [صفحه ۱۷۸] ويبغض بعلها ولم يرضى بأمامة ولدها، إن لفاطمة يوم القيامة موقفاً وإن فاطمة تدعى وتكسى وتشفع، فتشفع على رغم كل راغم [۲۷۴] . عن على عليه السلام: دخلت يوماً منزلى فإذا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وفاطمة بين يديه، وهو يقول: يا حسن ويا حسين، أنتما كفتا الميزان وفاطمة لسانه، ولا تعدل الكفتان إلا باللسان ولا يقوم اللسان إلا على الكفتين... إنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة [۲۷۵] . وقد ورد فى

الخبر أنها لما سمعت بأن أباها زوجها وجعل الدراهم مهراً لها، قالت يا رسول الله، إن بنات الناس يتزوجن بالدراهم فما الفرق بينى وبينهن، أسألك أن تردها وتدعوا الله أن يجعل مهرى الشفاعة فى عصاة أمتك؛ فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء عليها السلام شفاعة المذنبين من أمة أبيها؛ فلما إحتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدى، وشفعت فى عصاة أمّة أبى [۲۷۶] . وكثيرة هى الروايات التى ثبتت شفعة فاطمة عليها السلام للشيعة والمحبين والمذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، هذه تدل دلالة واضحة على ارتباط الزهراء عليها بيوم المعاد وان لها منزلة وكرامة على الله تعالى فى ذلك اليوم. لابد أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ ويل لمن شفعاؤه وخصمائه والصور فى يوم القيامة ينفخ [صفحه ۱۸۱]

فاطمة و حديث الكساء الشريف

للسيد محمد مهدى القزوينى الحلى روت لنا فاطمة خير النسا حديث أهل الفضل أصحاب الكسا تقول: أن سيد الانام قد جاءنى يوما من الايام فقال لى: انى أرى فى بدنى ضعفا اراه اليوم قد أنحلنى قومى علىّ بالكسا اليمانى وفيه غطينى بلا- توانى قالت فجئته وقد لبيته مشروعة وبالكساء غطيته وكنت أرنو وجهه كالبدر فى أربع بعد ليال عشر فما مضى إلّا يسير من زمن حتى أتى أبو محمد الحسن فقال: ياأماه انى اجد رائحة طيبة أعتقد بأنها رائحة النبى أخى الوصى المرتضى على قلت: نعم هاهو ذا تحت الكسا مدثر به، مغطى واكتسى فجاء نحوه ابنه مسلما مستأذنا قال له: ادخل مكرما فما مضى إلّا القليل الا جاء الحسين السبط مستقلا فقال يا أم أشم عندك رائحة كأنها المسك الذكى وحق من اولاك منه شرفا أظنها ريح النبى المصطفى قلت: نعم تحت الكسا هذا بجنبه أخوك فيه لاذا فأقبل السبط له مستأذنا مسلما قال له: ادخل معنا وما مضى من ساعة إلّا وقد جاء أبوهما الغضنفر الاسد أبو الأئمة الهداة النجبا المرتضى رابع اصحاب الكسا فقال ياسيدة النساء ومن بها زوجت فى السماء انى اشم فى حماك رائحة كأنها الورد الندى فايحة يحكى شذاها عرف سيد البشر وخير من لبى وطاف واعتمر [صفحه ۱۸۲] قلت نعم: تحت الكساء والتحفا وضم شبليك وفيه اكتنفا فجاء يستأذن منه سائلا منه الدخول قال: فادخل عاجلا قالت: فجئت نحوهم مسلمة قال: ادخلى محبوة مكرمة فعندما بهم أضاء الموضع وكلهم تحت الكساء اجتمعوا قال الامين: قلت: يا رب ومن تحت الكسا؟ بحقهم لنا أبن فقال لى: هم فاطمة وبعلها والمصطفى والحسنان نسلها فقال على: قلت يا حبيبى ما لجلوسنا من النصيب؟ قال النبى والذى اصطفانى وخصنى بالوحى واجتبانى ما أن جرى ذكر لهذا الخبر فى محفل الاشياع خير معشر إلّا وأنزل الاله الرحمة وفيهم حفت جنود جمة من الملائك الذين صدقوا تحرسهم فى الدهر ماتفرقوا كلا وليس فيهم مغموم إلّا وعنه كشفت هموم كلا ولا طالب حاجة يرى قضاؤها عليه قد تعسرا إلّا قضى الله الكريم حاجته وانزل الرضوان فضلا ساحته قال على نحن والاحباب أشياعنا الذين قدما طابوا فزنا بما نلنا ورب الكعبة فليشكرن كل فردٍ ربه ياعجبا يستأذن الامين عليهم ويهجم الخؤون قال سليم قلت: يا سلمان هل دخلوا ولم يك استئذان فقال: أى وعزة الجبار ليس على الزهراء من خمار لكنها لاذت وراء الباب رعاية للستر والحجاب فمذ رأوها عصروها عصرة كادت بروحى ان تموت حسرة تصيح: يافضة اسندينى فقد وربى قتلوا جنينى فأسقطت بنت الهدى واحزنا جنينها ذاك المسمى محسنا [صفحه ۱۸۳]

حديث الكساء الشريف

اشاره

عن جابر بن عبدالله الانصار قال سمعت فاطمة عليها السلام أنّها قالت: (دخل عليّ أبى رسول الله فى بعضٍ الإيّام فقال السّلام عليك يا فاطمة فقلت عليك السلام قال إنى أجد فى بدنى ضعفاً فقلت له أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف فقال يا فاطمة اتينى بالكساء اليمانى فغطينى به فأتيته بالكساء اليمانى فغطيته به وصرت أنظر إليه وإذا وجهه يتلالؤ كأنّه البدر فى ليلة تمامه وكماله فما كانت إلّا ساعةً وإذا بولدى الحسن قد أقبل وقال السلام عليك يا أمّاه فقلت وعليك السلام وياقرّة عينى وثمرة فؤادى فقال يا أمّاه إنّى أشم عندك رائحةً طيّبةً كأنّها رائحة جدّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقلت نعم إنّ جدك تحت الكساء فأقبل الحسن نحو الكساء وقال السّلام عليك يا جدّاه يا رسول الله أتأذن لى أن أدخل معك تحت الكساء فما كانت إلّا ساعة واذا بولدى الحسين عليه السلام قد اقبل وقال السلام عليك يا اماه فقلت وعليك السلام يا ولدى وياقرة عينى وثمرة فؤادى فقال لى يا اماه انى اشم عندك رائحة طيبه كأنها رائحة جدى رسول الله فقلت نعم ان جدك وأخاك تحت الكساء فدنى الحسين نحو الكساء وقال السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من إختاره الله أتأذن لى أن اكون معكما تحت الكساء فقال وعليك السلام يا ولدى ويا شافع أمتى قد أذنت لك فدخل معهما تحت الكساء فأقبل عند ذلك أبو الحسن على بن أبى طالب عليه السلام وقال السلام عليك يا بنت رسول الله فقلت وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين فقال يا فاطمة إنى أشمّ عندك رائحة طيبة كأنّها رائحة أخى وابن عمّى رسول الله فقلت نعم هاهو مع ولديك تحت الكساء فأقبل عليّ نحو الكساء وقال السلام عليك يا رسول الله أتاذن لى أن أكون معكم تحت الكساء قال وعليك السلام يا أخى وياوصيّى وخليفتى وصاحب لوائى قد إذنت لك فدخل علّى تحت الكساء ثمّ أتيت نحو الكساء وقلت السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله أتأذنى لى أن أكون معكم تحت الكساء قال وعليك السلام يابنتى ويا بضعتى قد أذنت لك فدخلت تحت الكساء فلما إكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ أبى رسول الله بطرفى الكساء وأومئ بيده اليمنى الى السماء وقال [صفحه ۱۸۴] اللهم إنّ هؤلاء أهل بيتى وخاصتى وحامّتى لحمهم لحمى ودمهم دمى يؤلمنى ما يؤلمهم ويحزننى ما يحزنهم أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدّو لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم إنهم منى وأنا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك على وعليهم وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقال الله عز وجل يا ملائكتى ويا سكان سماواتى إنى ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة لا فلكاً يدور ولا بحراً يجرى ولا فلكاً يسرى إلا فى محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الأمين جبرائيل يا ربّ ومن تحت الكساء فقال عزّوجلّ هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها فقال جبرائيل يارب أتأذن لى أن أهبط الى الأرض لأكون معهم سادساً فقال الله نعم قد أذنت لك فهبط الأمين جبرائيل وقال السلام عليك يا رسول الله العلى الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك وعزتى وجلالى إنى ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئةً ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجرى ولا فلكاً يسرى إلّا لأجلكم ومحبتكم وقد أذن لى أن أدخل معكم فهل تأذن لى يا رسول الله فقال رسول الله وعليك السلام يا أمين وحى الله انه نعم قد أذنت لك فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء فقال لأبى ان الله قد أوحى اليكم يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً فقال على لأبى يا رسول الله أخبرنى مالجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والذى بعثنى بالحق نبيا وإصطفانى بالرسالة نجيّا ماذكر خبرنا هذا فى محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا الّا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم الى أن يتفرقوا فقال على عليه السلام إذاً والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة فقال أبى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يا على والذى بعثنى بالحق نبياً وإصطفانى بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا فى محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم إلّا وفرج الله همه ولا مغموم إلّا وكشف الله غمه ولا طالب حاجة إلّا وقضى الله حاجته فقال على عليه السلام إذاً والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا فى الدنيا والاخرة ورب الكعبة. [صفحه ۱۸۵]

فاطمة و حديث الكساء الشريف

يعتبر حديث الكساء من الأحاديث النورانية الولائية والذى عبّر عن مدى ارتباط أهل البيت عليهم السلام بالسماء وذلك من خلال المضامين العالية التى وردت فى طياته، فما أدراك ما حديث الكساء وهل أتاك نبأه! أنه الحديث المتصل بين الأرض والسماء، فقد وعته كواكب الكون ونجوم السماوات السبع ومازال الإنسان فى ريب من أمره ذلك إن الإنسان كان جهولا. لقد وعته قلوب المؤمنين وإفتدتهم قبل أن تعيه أسماعهم لذا سوف نعيش فى رحابه ونقف مع حلقاته ونستضىء من نوره ونستجلى حقائقه ونحيا مع بركاته كى نصل الى شاطى نور العلم والمعرفة تلكم هى معرفة نورانية أهل البيت عليهم السلام، فحديث الكساء الشريف يعتبر مرسوم ربانى قد قلده الله تبارك وتعالى لنبيه الشريف محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولآله الطيبين الطاهرين حيث جاء موضحاً لإرادة رب العالمين التى وسمت قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) كل ذلك حرصاً ومحبتاً من الله تعالى للرسول ولأهل بيته عليهم السلام ولكى لا يشرق الناس أو يغربوا ولا تأخذهم الاهواء والميول والرغبات يميناً وشمالاً وحتى لا يحرف المغرضون هذه الآية المباركة العظيمة عن أهلها وأصحابها الحقيقين الذى أرادهم رب العالمين أطهاراً مطهرين يتولون قيادة الأمة ويوضحون معالم طريقها بعد رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم. إن هذا الحديث يستحق منا أن نقف عنده وقفة متأمله لكى ننفذ إلى الأبعاد الانسانية والحقائق العلمية والمسائل العقائدية التى يرمى اليها والنتائج الرائعة التى تترتب عليه فهو ليس مجرد حديث يروى لأجل أن نأخذ معلومة جامدة تتوقف عند حدود الحديث وظاهر الالفاظ بل يجب أن نستشف المرامى الحضارية الكامنة خلف ألفاظه وكلماته، لا سيما أن الله سبحانه وتعالى [صفحه ۱۸۶] قد ميزنا عن سائر المخلوقات الاخرى بأن وهب لنا عقلاً والهمنا كيف نستخدمه ونوظفه لخدمة المجتمع والانسانية جمعاء لا أن نكون مجرد مخلوقات تأكل وتنام وتضاجع دون أن نعى ما كان ويكون حولها. وسيكون حديثنا حول هذا الحديث المبارك فى ثلاث وقفات: الوقفة الأولى: ارتباط هذا الحديث بآية التطهير. الوقفةالثانية: سند هذا الحديث الشريف. الوقفة الثالثة: مضامين هذا الحديث المختلفة.

حديث الكساء و آية التطهير

اشاره

ارتبط حديث الكساء الشريف بنزول آية التطهير ارتباطاً وثيقاً حيث جاءت هذه الآية المباركة «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» لتؤكد على مسألة عصمة أهل البيت عليهم السلام جميعاً بما فيهم فاطمة الزهراء عليها السلام، والذى يهمنا فى المقام هو عصمة فاطمة الزهراء عليها السلام، أمّا مسألة البحث حول هذه الآية المباركة ودلالتها على عصمة أهل البيت عليهم السلام فهذا موكول إلى الكتب الكلامية الخاصة بهذا الموضوع، أمّا دلالة هذه الآية على عصمة فاطمة الزهراء عليها السلام فهذا ما تجده من خلال الروايات التى بينت من هم أهل البيت الذين عنتهم الآية المباركة وكيفية اشتراك الزهراء مع أهل البيت فى طهارتهم وعصمتهم، أمّا الروايات فسنذكر بعضها بعدما أن نقف مع مفهوم أهل البيت، ومن المراد بهم فلربما يقول قائل إنّنا لا نؤمن بالروايات أو لا نقبل هذه الروايات فنقول له تعال معنا لنقف سوية على مفهوم أهل البيت ومن المراد بهم؟. إن التعرف على مفهوم أهل البيت لغة والمقصود منه فى هذه الآية المباركة يعد من الأبحاث الضرورية فى فهم مفاد هذه الآية فلقد ضلّ [صفحه ۱۸۷] الكثير فى تفسير هذه الآية والمراد فيها من أهل البيت ولأجل ذلك نبحث اولا وقبل كل شىء هذا المفهوم لغة على وجه يرفع الستار عن وجه الحقيقة.

مفهوم أهل البيت عند أهل اللغة

قد ورد لفظ أهل البيت فى القرآن الكريم مرتين أحداهما فى هذه الآية المرتبطة بحديث الكساء الشريف والأخرى فى قوله تعالى (قولوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) [۲۷۷] . ويمكن تحديد مفهوم الأهل من موارد استعماله فيقال: ۱ ـ أهل الأمر والنهى. ۲ ـ أهل الأنجيل. ۳ ـ أهل الكتاب. ۴ ـ أهل الأسلام. ۵ ـ أهل الرجل. ۶ ـ أهل الماء. وهذه الموارد توقفنا على أن كلمة أهل تستعمل مضافاً فيمن كان له علاقة قوية بمن أضيف إليه، فأهل الأمر والنهى هم الذين يمارسون الحكم والبعث والزجر، وأهل الأنجيل هم الذين لهم اعتقاد به كأهل الكتاب وأهل الإسلام. وقد اتفقت كلمة أهل اللغة على أن الأهل والآل كلمتان بمعنى واحد قال ابن منظور: آل الرجل: أهله وآل الله وآل رسوله: أولياؤه، أصلها أهل ثم بدلت الهاء همزة فصارت فى التقدير أأل فلما توالت الهمزمان أبدلوا الثانية ألفاً. كما قالوا: آدم وآخر، وفى الفعل آمن وآزر. وقد انشأ عبد المطلب عند هجوم ابرهة على مكة المكرمة وقد أخذ حلقة باب الكعبة وقال: وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك وعلى ما ذكرنا فهذا اللفظ إذا أضيف الى شىء يقصد منه المضاف الذى له علاقة [صفحه ۱۸۸] خاصة بالمضاف إليه، فأهل الرجل مثلاً أخص الناس به، وأهل المسجد المترددون كثيراً إليه، وأهل الغابة القاطنون فيها... فإذا لاحظنا موارد استعمال هذه الكلمة لانترود فى شمولها للزوجة والأولاد وبل غيرهم ممن تربطهم رابطة خاصة بالبيت من غير فرق بين الأولاد والأزواج ولأجل ذلك ترى أنّه سبحانه يطلقه على زوجة إبراهيم كما عرفت فى الآية هذه هو حق الكلام فى تحديد مفهوم هذه الكلمة ولنأتى ببعض نصوص أئمة اللغة. قال ابن منظور: أهل البيت سكانه وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت أزواجه وبناته وصهره أعنى علياً عليه السلام، وقيل نساء النبى والرجال الذين هم أهله [۲۷۸] . فلقد أحسن الرجل فى تحديد المفهوم، أولاً، وتوضيح معناه فى القرآن الكريم كما أشار بقوله: قيل: الى ضعف القول الآخر لأنه نسبه الى القيل. وقال ابن فارس ناقلاً عن الخليل ابن أحمد: أهل الرجل زوجه والتأهل التزوج وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سكانه وأهل الأسلام من يدين به [۲۷۹] . وعلى ماذكرنا فهذا اللفظ إذا أضيف الى شىء يقصد منه المضاف الذى له علاقة خاصة بالمضاف إليه فأهل الرجل مثلاً أخص الناس به فاذا لا حظنا موارد استعمال هذه الكلمة لا نتردد فى شمولها للزوجة والأولاد بل وغيرهم ممن تربطهم رابطة خاصة البيت من غير فرق بين الأولاد والأزواج. اذن هذه الكلمات ونظائرها بين أعلام اللغة كلها تعرب عن أن مفهوم أهل البيت فى اللغة هم الذين لهم صلة وطيدة بالبيت وأهل الرجل من له صلة به ينسب أو سبب أو غيرهما، وهناك إشكال من بعض المفسرين الذين قالوا ان لفظ أهل البيت يطلق فقط على الزوجة ويستعمل فى الأولاد والأقارب تجوزاً أى يكون استعماله حقيقة فى الزوجة ومجازاً فى الأولاد والأقارب وقد استدل هذا الذى أثار هذا الإشكال على ذلك عن طريق اثباته ذلك من القرآن الكريم كما وردت هذه اللفظة ـ أهل البيت ـ فى قصة أبراهيم بالبشرى حيث قال الله تعالى (وامراته قائمة فضحكت فبشرناها [صفحه ۱۸۹] بأسحاق من وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إنّ هذا لشىء عجيب، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) [۲۸۰] وفى قصة موسى عليه السلام أيضاً: (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله إمكثوا انى آنست ناراً) [۲۸۱] فالمستشكل قال: إن الله استعمل هذه اللفظة على لسان ملائكته فى زوجة إبراهيم عليه السلام لا غير كما فى الآية الأولى الخاصة بالبشرى واستعمل الأهل فى زوجة موسى عليه السلام وهى بنت شعيب ما فى الآية، إذن فالمستشكل قال إن الأهل تطلق على الزوجة حقيقة، وهذا مردود من عدة جهات: أولاّ: تقدم على لسان أهل اللغة أن لفظة أهل تطلق على أخص الناس بالزوج وهم الأولاد. ثانياً: ان كلامه غير صحيح من كون الأهل تطلق حقيقة على الزوجة ومجازاً على الأولاد فنحن نقول له من أين إستظهرت هذا، فاذا قلت من آية البشرى وآية موسى فإنه مردود لأنه الأطلاق هنا على كلمة الأهل ليس دليلاً على الأنحصار ـ أى إنحصار اللفظة على الزوجة فقط.. ثالثاً: إنّ الآية فى قصة إبراهيم قالت عليكم أهل البيت ولم تقول الآية المباركة عليك تكون ظاهرة فى زوجته فقط كلمة أهل. أمّا السؤال المهم فى هذا المقام هو هل أنّ مفهوم ولفظ أهل البيت يطلق على الزوجة أو على الزوجة والأولاد؟ وفيما نحن فيه هل هناك قرائن فى آية التطهير أو قبلها أو بعدها تصرف هذا اللفظ خاصة الى أهل البيت الذين يقصد بهم على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، أم لا توجد قرائن؟ والجواب على ذلك: إن بعض من وقف مع هذه

الآيـة المباركـة ومـدلولاتها قال ان المراد من أهل البيت هم أزواجه ونسائه صـلى الله عليه وآله وسـلم والبعض الآخر قال إنّ لفظ أهل البيت خاصة يطلق على بنت النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم و صـهره وولداهما الحسن والحسـين عليهم السلام. [صفحه ۱۹۰] والحق مع من ذهب الى القول الثانى ـ على وفاطمـة والحسن والحسـين ـ بدلالـة عـدة شواهـد وقرائن حفت بالآيـة المباركة سواء كانت قرائن حالية أو مقامية وإليك هذه القرائن. ۱ ـ القرينـة الأولى اللام فى أهل البيت للعهد وبيان ذلك: إنّ اللام قد يراد منها الجنس المدخول عليه مثل قوله تعالى «إن الإنسان لفى خسر»، وقد يراد من اللام الإستغراق مثل قوله تعالى «يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم» وقـد يراد منها بأعتبار معهوديـة مدخولها بين المتكلم والمخاطب، أمّا الأول والثانى من الأقوال لا يمكن أن نحمل اللام عليهما أمـا القول الثـالث فهو الحق لأنّ الله تعالى إنما يريـد إذهاب الرجس عن أهل بيت معهودين بين المتكلم والمخاطب، وفمن هم هؤلاء أهل البيت؟!! ۲ ـ القرينـة الثانيـة على أن المراد من أهل البيت هم على وفاطمة والحسن والحسـين هو تذكير الضـمائر فى الآية خلاف الضـمائر الاخرى التى وردة فى الآيـة المباركـة حيث جاءت مؤنثـة مثل وقلن، اتقيتن. فلا تخضـعن... الـخ. ۳ ـ القرينـة الثالثـة: ـ هى ان الإرادة وكمـا أثبتتها الكتب الكلاميـة هى الارادة التكوينيـة.. إنما يريـد الله ـ لا التشـريعية فلا يصـح حمل مفهوم أهل البيت على نساء النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم إذ لم يـدع أحـد من المسـلمين كونهن معصومات من الذنب مطهرات من الزلل فلا مناص من تطبيقه على جماعـة خاصه من المنتمين إلى البيت النبوى الذين تحقق فيهم تعلقهم بالاسـباب والمقتضـيات التى تنتهى بصاحبها إلى العصـمة ولا ـ ينطبق هـذا إلا ـ على الإمـام على وفاطمـة والحسن والحسـين عليهم السـلام. وأضف الى ذلك الى أن المراد من أهل البيت عليهم السـلام هم أصـحاب الكساء الخمسة هو وقوف النبى صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر على باب فاطمة ويناديهم بقوله تعالى ـ «إنما يريد الله...» ليوقضـهم للصـلاة وليؤكد على حرمة أهل هذا البيت عليهم السلام، وكذلك نزول آية التطهير فى بيت فاطمة عليها السلام حيث قـالت دخل على أبى وفيه دلالـة على أن حـديث الكساء كان فى بيت فاطمـة عليها السـلام خلاف ما يـدعيه البعض أن حـديث الكساء كان فى بيت أم سـلمة وكما سيأتينا هذا البحث. [صفحه ۱۹۱] إذن كان للنبى العنايـة الوافرة بتعريف أهل البيت لم يرّ مثلها إلا فى أقل الموارد حيث قام بتعريفهم بطرق مختلفة كما كان المحدثين والمفسرين وأهل السيّر والتأريخ لهم العناية الكاملة بتعريف أهل البيت عليهم السـلام فى مواضع مختلفـة وحسب المناسـبات التى تقتضـى طرح هـذه المسألة وكذلك الشـعراء المخلصـين الاسـلاميين الـذين كـان لهم العنايـة البارزة ببيان فضائل أهل البيت وتعريفهم للناس والتصـريح بأسـمائهم على وجه يظهر من الجميع اتفاقهم على نزول الآيـة فى حق العترة الطاهرة. أما الروايات الواردة فى بيان من هم أهل البيت عليهم السـلام فنروى لك شاهدين الشاهد الأول: ما روى عن أم سـلمة انها قالت: ان النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم كان فى بيتى فاسـتدعى علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام؛ وجللهم بعبـاءةٍ خيبريـة ثم قـال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سـلمة: قلت يا رسول الله أنا من أهـل بيتك؟ قال لا: ولكنك إلى خير [۲۸۲] . أمـا الشاهـد الثـانى: ما روى عن أمير المؤمنين على عليه السـلام فى إحتجاجه على أبى بكر حيث قـال له أخبرنى عن وقول الله عزّ وجـلّ «إنما يريـد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» أفينا نزلت أو فى غيرنا نزلت؟ قال: فيكم: فأخبرنى لو أنّ شاهدين من المسـلمين شـهداً على فاطمة عليها السـلام بفاحشة ما كنت صانعاً؟ قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على نساء المسلمين!! قال الإمام عليه السلام كنت إذن عند الله من الكافرين قال: ولم؟ قال: لأنك رددت شهادتها وقبلت شهادة غيرها كنت عند الله من الكافرين قال: فبكى الناس وتفرقوا ودمدموا [۲۸۳] . وعلى هذا يكون الشاهدين فيهما دلالة على أن فاطمـة كانت من أهل بيت العصـمة فهى معصومة من الزلل والخطأ والعصـمة هنا لها هى العصـمة الذاتية وليس الفعلية، ومما يؤكد العصـمة فيهـا كـذلك الأقوال والأحاديث الواردة من خلال اسـتقراء كتب الحـديث حيث روت لنا هـذه الكتب إن الرسول كان دائماً يقول: فاطمـة بضـعة منى [صـفحه ۱۹۲] يغضـبنى من أغضـبها ويسـرنى من أسـرها وإن الله ليغضب لغضـبها ويرض لرضاهـا. فان هـذا كاشف عن إناطة رضاها بما فيه مرضاة الرب جلّ شأنه وغضـبه بغضـبها حتى إنها لو غضبت أو رضيت على أمر مباح لابد أن تكون له جهـة شـرعية تدخله فى الراجحات لم تكن حالة الرضا والغضب فيها منبعثة عن جهة نفسانية وهذا مثل العصـمة الثابتة لها عليها السـلام

[۲۸۴] وقد قال الشيخ المفيد طاب ثراه [۲۸۵] فى إثبات الحكم بكون فاطمة معصومة من الزلل والخطأ ما نصه: قد ثبت عصمة فاطمة عليها السلام بإجماع الأمة على ذلك فتياً مطلقة، وإجماعهم على إنّه لو شهد شهود بما يوجب إقامة الحد من الفعل المنافى للعصمة، لكان الشهود مبطلين فى شهادتهم، ووجب على الأمة تكذيبهم وعلى السلطان عقوبتهم، فإنّ الله تعالى قد دل على ذلك بقوله: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». ولا خلاف بين نقلة الآثار إن فاطمة عليها السلام كانت من أهل هذه الآية، وقد بيّنا فيما سلف إنّ ذهاب الرجس عن أهل البيت الذين عنوا بالخطاب يوجب عصمتهم ولأجماع الأمة ايضاً على قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «من آذى فاطمة فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله عزوجل». فلولا أنّ فاطمة عليها السلام كانت معصومة من الخطأ، مبرأة من الزلل، لجاز منها وقوع ما يجب آذاها بالأدب والعقوبة ولو وجب ذلك لوجب آذاها ولو جاز وجوب آذاها لجاز آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأذى لله عزوجل فلمّا بطل ذلك دلّ على أنها عليها السلام كانت معصومة حسب ما ذكرناه، وإذا ثبت عصمة فاطمة عليها السلام وجب القطع بقولها، واستغنت عن الشهود فى دعواها ـ فى قضية فدك ـ لأن المدعى إنمّا افتقر للشهود لارتفاع العصمة عنه وجواز ادعائه الباطل فيستظهر بالشهود وعلى قوله لئلا يطمع كثير من الناس فى أموال غيرهم، وجحد الحقوق الواجبة عليهم وإذا كانت العصمة مغنية عن الشهادة وجب القطع على قول فاطمة عليها السلام وعلى ظلم ما نعها فدكاً ومطالبتها بالبينة عليها. ويكشف عن صحة ما ذكرناه أن الشاهدين إنما يقبل قولهما على الظاهر مع جواز أن يكونا مبطلين كاذبين فيما شهدا به، وليس يصح الإستظهار على قول من قد أمن من الكذب بقول من لا يؤمن عليه، ذلك كيما لا يصح الاستظهار على قول المؤمن بقول الكافر، وعلى قول العدل البر بقول الفاسق الفاجر. ويدل أيضاً على ذلك: إنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم استشهد على قوله فشهد خزيمة بن ثابت فى ناقة نازعه فيها منازع؛ فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم: من أين علمت يا خزيمة، أنّ هذه الناقة لى؟ أشهدت شرائى لها؟ فقال: لا ـ ولكنى علمت أنّها لك من حيث إنّك رسول الله، فأجاز النبى صلى الله عليه وآله وسلم شهادته كشهادة رجلين وحكم بقوله فلو لا أن العصمة دليل الصدق وتعنى عن الاستشهاد، لما حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقول خزيمة من ثابت وحده وصوّبه فى الشهادة له على ما لم يره ولم يحضره، بأستدلاله عليه بدليل نبوته وصدقه على الله سبحانه فيما أراده الى بريته، وإذا وجب قبول قول فاطمة عليها السلام بدلائل صدقها، واستغنت عن الشهود لها ثبت ان من قطع حقها وأوجب الشهود على صحة قولها، قد جار فى حكمه وظلم فى فعله، وآذى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأيذائه لفاطمة عليها السلام وقد قال الله عزّوجلّ: (إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهينا) [۲۸۶] اذن لاشك فى عصمة فاطمة عليها السلام، أمّا عندنا فللإجماع القطعى المتواتر والأخبار المتواترة فى فضائلها ومناقبها. وأمّا الحجة على المخالفين: ۱ ـ فبآية التطهير الدالة على عصمتها، وكما بيّنا فى إثبات نزول هذه الآية فى جماعة كانت داخلة فيهم بل هى قطب الرحى الذى يدور فيه أهل البيت عليهم السلام. ۲ ـ وبالأخبار المتواترة الدّالة على أنّ إيذائها إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها: ووجه الإستدلال بالروايات على عصمتها صلوات الله عليها: أنّه كانت فاطمة عليها السلام ممن تقارق الذنوب وتركتبها، لجاز إيذاؤها، بل إقامة الحد عليها، لو فعلت معصية، وارتكبت ما يوجب حداً، لم يكن رضاها رضى الله [صفحه ۱۹۴] سبحانه إذا رضيت بالمعصية، ولا من سرها فى معصية ساراً لله سبحانه، ومن أغضبها بمنعها عن ارتكابها مغضباً له جل شأنه، فإن قيل: لعل المراد، من آذاها ظلماً فقد آذانى، ومن سرّها فى طاعة الله فقد سرّنى، وأمثال ذلك، لشيوع التخصيص فى العمومات قلنا: أولاً: التخصيص خلاف الأصل، ولايصار إليه إلا بدليل فمن أراد التخصيص فعليه إقامة الدليل. ثانياً: إن فاطمة صلوات الله عليها تكون حينئذ كسائر المسلمين، لم تثبت لها خصوصية ومزية فى تلك الأخبار، ولا كان لها فيها تشريف وحدمة؛ وذلك باطل بوجوه: ۱ ـ إنّه لا معنى حينئذ لتفريع كون إيذائها إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على كونها بضعة منه كما يصرح بذلك صحيح البخارى ومسلم فى رواياته. ۲ ـ إنّ كثيراً من الأخبار السالفة المتضمنة لأنكاره صلى الله عليه وآله وسلم على بنى هاشم، فى أن ينكحوا إبنتهم على بن ابى طالب عليه السلام، أو النكاح بنت أبى جهل، ليس من المشتركات بين المسلمين فإنّ ذلك النكاح كان مما أباحه الله

سبحانه، بل ممّا رغّب فيه وحث عليه لولا كان كونه إيذاء لسيدة النساء، وقد علل رسول صلى الله عليه وآله وسلم عدم الإذن بكونها بضعة منه يؤذيها ما آذاها ويربيه ما يريبها تظهر بطلان القول بعموم الحكم لكافة المسلمين، على إنه لو ثبت هذا القول بأن على صلى الله عليه وآله وسلم ربما أو أراد أن يتزوج من المتقدمى الذكر. ۳ ـ إنّ القول بذلك يوجب إلقاء كلامه صلى الله عليه وآله وسلم وخلّوه من الفائدة، إذ مدلوله حينئذ أنّ بضعته كسائر المسلمين ولا يقول ذلك من أوتى حظاً من الفهم والفطانة، أو أتصف بشيء من الانصاف والأمانة، وقد أطبق محدثوهم على إيراد تلك الروايات فى باب مناقبها صلوات الله عليها. فإن قيل: أقصى ما يدل عليه الأخبار، هو أنّ إيذاؤها إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن جوّز صدور الذنب عنه صلى الله عليه وآله وسلم، لا يأبى عن إيذائه إذا فعل ما يستحق به الإيذاء. قلنا: بعد مامر من الدلائل على عصمة الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى (والذين [صفحه ۱۹۵] يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) [۲۸۷] . وقال سبحانه: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) [۲۸۸] وقال تعالى: (إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً معيناً) [۲۸۹] فالقول بجواز ايذائه صلى الله عليه وآله وسلم ردّ لصريح القرآن، ولا يرضى به أحد من أهل الإيمان، فإن قيل: إنّما دلّت الأخبار على عدم جواز إيذائها، وهو إنما ينافى صدور الذنب منها يمكن للناس الاطلاع عليه، حتى يؤذيها نهياً عن المنكر، ولا ينافى صدور معصية عنها خفيّة فلا يدل على عصمتها مطلقاً. قلنا: نتمسك فى دفع هذا الاحتمال بالإجماع المركب أن ماجرى فى قصة فدك وصدر عنها من الانكار على أبى بكر ومجاهرتها بالحكم بكفره وكفر طائفة من الصحابة وفسقهم تصريحاً وتلويحاً، وتظلمها وغضبها على أبى بكر، وهجرتها وترك كلامها حتى ماتت، لو كانت معصية لكانت من المعاصى الظاهرة التى قد أعلنت بها على رؤوس الاشهاد، وأى ذنب أظهر وأفحش من مثل هذا الردّ والانكار على الخليفة المفترض الطاعة على العالمين؟ بزعمهم فلا محيص لهم عن القول ببطلان خلافة خليفتهم العظمى تحرزاً عن إسناد هذه المعصية الكبرى إلى سيدة النساء. ۳ ـ ونحتج أيضاً فى عصمتها عليها السلام بالاخبار الدالة على وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام وعدم جواز التخلف عنهم، وما يقرّب هذا المعنى، ولا ريب فى ذلك لا يكون ثابتاً لأحد، إلّا إذا كان معصوماً إذ لو كان ممّن يصدر عنه الذنوب لما جاز إتباعه عند إرتكابها، بل يجب ردعه ومنعه وايذاؤه واقامة الحد عليه وإنكاره بالقلب واللسان وكل ذلك ينافى ماحث عليه الرسول صلى الله عليه و آله وسلم وأوصى به الأمة فى شأنهم، ويكفى فى ذلك ماروه المخالفون لنا عن الترمذى عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فلا يهولنّك ما يقرع سمعك من الطنين آخذاً [صفحه ۱۹۶] من الميول والأهواء المردية بأن العصمة الثابتة لمن شاركها فى الكساء لأجل تحملهم الحجية من رسالة أو إمامة، وقد تخلت الزهراء عليها السلام عنها ـ النبوة والإمامة ـ فلا تجب عصمتها، الجواب إنّا لم نقل بتحقق العصمة فيهم عليهم السلام لاجل تبليغ الاحكام حتى يقال بعدم عصمة الصديقة لعدم توقف التبليغ عليها، وإنما تمسّكنا بعصمتهم بعد نص الكتاب العزيز بإقتضاء الطبيعة المتكونة من النور الالهى المستحيل فيمن اشتقت منه مقارفة إثم أو تلوث بما لا يلائم ذلك النور الأرفع حتى فى ترك الاولى [۲۹۰] . وإلى ذلك يشير المرحوم الشيخ الاصفهانى فى إجوزته: تبتلت عن دنس الطبيعة فيالها من رتبة رفيعة مرفوعة الهمة والعزيمة عن نشأة الزخارف الذميمة فى افق المجد هى الزهراء للشمس من زهرتها الضياء بل هى نور عالم الأنوار ومطلع الشموس والاقمار رضيعة الوحى من الجليل حليفة لمحكم التنزيل مفطومة من زلل الأهواء معصومة من وصمة الخطاء إذن فى النتيجة النهائية نصل إلى أن حديث الكساء إرتباط وثيق بنزول آية التطهير والتى تمثل الأساس المتين لإثبات عصمة أهل البيت عليهم السلام وبما فيهم فاطمة الزهراء عليها السلام ولذلك جاءت الآية المباركة للتطهير لتكون نور من أنوار حديث الكساء حيث كلما ذكرت ذكر حديث الكساء ليكون من الأهمية البارزة فى حياتنا العقائدية والروحانية والدعائية، ونختم الكلام فى عصمة فاطمة عليها السلام فيما قاله الأستاذ العلامة حسن زاده آملى حيث يقول: ـ كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذات عصمة بلا دغدغة ووسوسة، وقد نص كبار العلماء كالمفيد

والمرتضى وغيرهما بعصمتها عليها السلام بالآيات والروايات والحق معهم والمكابر محجوج مفلوج، وكانت عليها السلام جوهره قدسية فى تعين إنسىّ، فهى إنسية حوراء وعصمة الله الكبرى وحقيقة العصمة أنها قوة نورّية ملكوتية تعصم صاحبها عن كل ما يشينه من رجس الذنوب [صفحه ١٩٧] والأدناس والسهو والنسيان ونحوها من الرذائل النفسانية... فاعلم أن العترة وفاطمة منهم معصومة كما نص به الوصى الإمام على عليه السلام فى النهج: «وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق وأعلام الدين والسنة الصدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطشان». ونطق ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرحه بالصواب حيث قال: «فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن تحته سرّ عظيم وذلك أنه أمر المكلفين بأن يجرو العترة فى إجلالها وإعظامها والإنقياد لها والطاعة لإوامرها مجرى القرآن». ثم قال: «فإن قلت: فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم ـ يعنى القائلين بمذهب الإعتزال ـ فى ذلك؟ قلت: نصّ أبو محمّد بن متويه فى كتاب الكفاية على ان علياً عليه السلام معصوم وأدلّة النصوص قد دلّت على عصمته والقطع على باطنه ومغيبه وأن ذلك أمر إختص هو به دون غيره من الصحابة» فتدّبر. وإذا دريت أن بقية النبوة وعقيلة الرسالة ووديعة المصطفى وزوجة ولى الله وكلمة الله والتامة فاطمة عليها السلام ذات عصمة فلا بأس بأن تشهد فى فصول الآذان والإقامة بعصمتها وتقول مثلاً: «أشهد أن فاطمة بنت رسول الله عصمة الله الكبرى أو نحوها [٢٩١] .

سند هذا الحديث

أما سند حديث الكساء الشريف فهو فى غاية المتانة والصحة بل يعتبر من الأحاديث المتواترة وليس المشهورة بل هو المتواتر القطعى، ويكفى فى ذلك إنّ روايات جمة تزيد على سبعين رواية من طرق أهل السنة تروى هذا الحديث المبارك، [صفحه ١٩٨] هذا فضلاً عن الطرق الخاصة لاهل المذهب الحق الشيعة الامامية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فيكفى فى رواية هذا الحديث من ناحية السند جابر بن عبدالله الأنصارى الذى روى الحديث بسند معتبر عن لسان فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث يعتبر هذا الصحابى الجليل ـ جابر الانصارى ـ من الذين حملوا سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حفيده الإمام محمد الباقر عليه السلام، حيث تروى لنا كتب الرجال أن هذا الصحابى يكفى فى وثاقته أنه عاصر الرسول والإمام على والحسن والحسين وعلى بن الحسين عليهم السلام حتى أدرك الإمام الباقر عليه السلام. فلقد روى لنا التأريخ كيف دخل جابر الانصارى على الإمام الباقر عليه السلام قائلاً له:إن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرك السلام والتحية والاكرام وقال لى يا جابر ستدرك واحد من أبنائى: إسمه اسمى يبقر العلم بقرا فأبلغه عنى السلام. فتعتبر هذه من الكرامات والمعجزات التى تثبت مدى صدق دعوة النبى وإنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى وأن له شأن مع الله تعالى. اذن حديث الكساء من الاحاديث المؤكده وسنده صحيح معتبر وانه من الأحاديث المستفيضة عند العامة والخاصة.

مضامين هذا الحديث المختلفة

قبل كل شىء لابد من التأكيد على مسالة مهمة ألا وهى مسألة عرض أى موضوع يطرح فى عالم الإمكان على القرآن والسنة النبوية الشريفة الصحيحة فما كان موافقاً للقرآن الكريم فإنّا نأخذ به وما كان مخالف للقرآن الكريم نضرب به عرض الحائط وهذا ما أكدته الكثير من الروايات فى هذا المقام، وعلى ضوء هذا الأساس سيكون استقراءنا لهذا الحديث المبارك واستجلاء حقائقه على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة وهذا لا يعنى أنّا لابد من ذكر كل الأمور القرآنية التى توافق هذا [صفحه ١٩٩] الحديث فان هذا سوف يكون بحاجة الى كتاب مستقل فى هذا الموضوع وأنما يكون الأمر على ضوء التمعن والتأمل على ضوء المرتكزات القرآنية لدى الإنسان المؤمن. فالحديث على كل حال قد رواه المسلمون كافة وبصورة مختلفة وهيئات متعددة ولكن جوهر الحديث واحد: هو أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جمع أهل بيته وألقى عليهم رداء وقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتى وخاصّتى وحامتى لحمهم

لحمی ودمهم دمی یؤلمنی مایؤلمهم...». إنّ حدیث الکساء ذو مصداقیة کبیرة من خلال توافقه الکبیر مع القرآن الکریم وهذا مانجده أثناء تطبیق حقائقه التی یدعو إلیها سواء العقائدیة أو العلمیة أو الروحانیة أو المادیة مع القرآن الکریم ومضمونه وحقائقه وعلیه بعد إثبات ذلک ـ وکما هو مثبوت فی محله ـ فإننّا لابدّ من الأخذ به والوقوف معه الوقفة الجلیة لنستظهر حقائقه المعصومیة. هناک مسألة قد أثیرت حول هذا الحدیث الشریف وهی هل أنذ هذا الحدیث وقضیته والتی کان من مضمونها ان الرسول تغطی بکساء ـ کانت فی بیت أم سلمة کما روی ذلک مجموعة من العامة أم فی بیت فاطمة علیها السلام؟ والجواب علی ذلک: إن قضیة حدیث الکساء وماله من الأهمیة الکبری کان فی بیت فاطمة علیها السلام وبدلالة الحدیث نفسه حیث اننا سلمنا بصحة سند الحدیث واستفاضته أیضا فعلیه نقول: إنّ هناک قرینة واضحة ومتصلة لا منفصلة فی نفس الحدیث تؤکد علی کون الحدیث کان فی بیت فاطمة والقرینة هی إنّ الحدیث یبدأ بقوله علی لسان فاطمة علیها السلام «عن فاطمة الزهراء علیها السلام بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قالت دخل علّی أبی رسول الله فی بعض الأیام...». فقولها علیها السلام دخل علّی أبی رسول الله فیه دلالة واضحة علی کون دخوله صلی الله علیه وآله وسلم فی بیتها لا فی بیت ام سلمة أضف الی ذلک دخول الحسن والحسین وأبیهما الأمام علی علیه السلام فی بیت أم سلمة لا معنی له، ثم ماهی الثمرة العملیة علی هذه المسألة فلربّما یقول قائل سواء کان الحدیث فی بیت أم سلمة أم فی بیت فاطمة علیها السلام مالفائدة فی ذلک؟ فنقول إنّ الفائدة تظهر إنه لو کان فی بیت أم سلمة لکان البعض ممن یقول بهذا [صفحه ۲۰۰] القول إنّ العصمة والطهارة والإرادة التکوینیة تخص نساء النبی بدلالة بیت أم سلمة، وان کان عندنا إنّه لا ملازمة فیه فتأمل. وفی معرض الکلام حول أم سلمة هناک إشارة لطیفة لمن تمعّن فیها وتأمل حیث تظهر من خلال حدیث الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وعدم قبوله أم سلمة بالدخول تحت الکساء وعدم إعطائها الإذن فی ذلک حیث الإشارة تدل علی الرسول قال لها إنّک علی خیر ولم یطردها ولم یأذن لها بالدخول تحت الکساء، وهذا فیه دلالة واضحة من خلال استظهار کلمة ـ إنّک علی خیر ـ إنّها سوف تکون عاقبة أمرها إلی خیر وإنّک الآن فعلاً علی خیر وإنه سوف یکون مآل حیاتک الی العاقبة الحسنة وهذا بخلاف ما نجده فی بعض نساء النبی اللواتی خرجن علی إمام زمانهّن. «دخل علیّ أبی فی بعض الأیام فقال...» فی الحدیث أنّ فاطمة هی الملجأ لأبیها فاذا شعر بضعف أو ألم أسرع إلی فاطمة حیث یجد عندها الراحة والطمأنینة والهدوء لأن النظر الی فاطمة یمسح الهموم والأحزان من قلب النبی کما کان الإمام علی علیه السلام یقول: إذا نظرت الی فاطمة إنجلت عنی الهموم والأحزان... وإلّا لماذا لم یذهب النبی الی إحدی زوجاته علما بأن الرجل یشعر بالسکن لدی زوجته حیث یقول القرآن الکریم (خلق لکم من أنفسکم أزواجاً لتسکنوا إلیها وجعل بینکم مودة ورحمة)، ویقول الله تعالی: (هن لباس لکم وأنتم لباس لهنّ)، فلماذا لم یذهب النبی الی واحدة من زوجاته وإنّما ذهب الی الزهراء؟ والجواب أنّ فاطمة کانت أم أبیها... وکان یشعر بالدفء والراحة عندما یزور الزهراء، بل یتزود بالطاقة والحنین حیث یری فاطمة علیها السلام ولذلک نجد أن التأریخ الإسلامی یروی لنا أنّ آخر من یودع النبی فی غزواته وسفره هی فاطمة وأول من یمّر علیه بعد رجوعه من سفره خارج المدینة هو بیت فاطمة علیها السلام. «إنی أجد فی بدنی ضعفاً فقلت له أعیذک بالله یا أبتاه من الضعف»، قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم هذا القول ولم یقل أنی أجد فی روحی ضعفاً أو فکری وهذا خلاف ما إتهمه بعض المشرکین بأنّه شاعر مجنون... إنّما هو ضعف بدنی أصابه نتیجة الاجهاد والمثابرة علی العمل فهو یقول لها: أنی لأجد فی بدنی ضعفاً وهی تقول له: أعیذک بالله [صفحه ۲۰۱] یا أبتاه من الضعف أی انها أعاذت أباها بالله العلی العظیم من الضعف وإن لا یصیبه الضعف لأن العالم کله بحاجة الی هذه الطاقة الجبارة الخلاقة التی تنضج رحمة وتتفجر خیراً وعطاءً. «یال فاطمة إیتینی بالکساء فغطینی به فأتیته بالکساء الیمانی فغطیته به وصرت أنظر إلیه وإذا وجهه یتلألأ کأنّه البدر فی لیلة تمامه وکماله». والسؤال المطروح حول هذا المضمون من هذه الفقرة: هو لماذا طلب النبی صلی الله علیه وآله وسلم کساء یتغطی به... لماذا لم یطلب شیئاً آخر کالطعام أو الشراب؟ لماذا طلب ذلک الکساء؟ وماهی المناسبة التی جعلت وجهة یتلألأ نوراً کأنه البدر فی لیلة تمامة وکماله؟ إن المناسبة هی تلقی الوحی فهناک عدة شواهد تأریخیة تنقل لنا کیفیة تغیر وجه رسول الله صلی الله علیه وآل وسلم أثناء تلقیه الوحی، أمّا لماذا طلب الکساء الیمانی فذلک

ليجمع أهل بيته ويركز عليهم دون غيرهم، وأنّهم المحور الأساس الذى تدور عليه ولاية الله تعالى، وأنهم المرتبطين بشأن نزول الوصى أثناء تغطيتهم بالكساء لتكون آية التطهير النازلة وإرادة السماء فيهم عليهم السلام، اذن فالكساء إنّما جاء للعصر... وليس لشيء آخر كما حديث يوم المباهلة حيث ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج معه إلّا هؤلاء الذين هم تحت الكساء بالإضافة إلى أنه أراد تأكيد الوصية وصية الغدير. «إنى أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدى رسول...». وحديث الكساء فيه تصوير رائع لجمال أهل البيت وطيبة رائحتهم فإنها رائحة طيبة تعبق الشذى.. وأكثر من ذلك فقد كانت صبات عرق الرسول تتفوح بالعطر كما كان عطر الزهراء ورائحتها عطر الجنّه.. والرسول كان يشم فاطمة ويقول كلما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة إبنتى فاطمة، «ريحانة أشمها وتشمنى». ويظهر الحديث أدب الكلام والمحادثة مع النبى وأدب المعاملة مع أهل البيت بعضهم من بعض فى وقوف كل واحد أمام الكساء وطلب الإذن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم جواب النبى له وهكذا تجرى فصول هذا الحديث المقدس وفاطمة ترقبه وتسجله ثم تجيئ به فى النهاية لإكمال المشوار. [صفحه ۲۰۲] وتقول الزهراء لما إكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ أبى رسول الله بطرفى الكساء ـ وهذا يعنى أنهم خمسة أصحاب الكساء لاينقصون ولا يزيدون.. بل هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها.. خمسه لا غير أبى قبل دخول فاطمة لم يكتمل النصاب بعد ولم يكتمل العدد بعد والقول «إكتملنا جميعاً» يشير إلى أنهم خمسة أصحاب الكساء ودعاء الرسول لهم هو تسديد من السماء لأنّ الرسول لا ـ ينطق عن الهوى إنه إلا ـ وحىّ يوحى. قولها عليها السلام: أوحى الله إلى ملائكته وسكان سماواته... وهذا الحدث بحد ذاته يجعل فاطمة فى أعلى قمة فى الوجود الامكانى وبالاضافة إلى أنه يكشف لنا عن حقيقة أهل البيت وانه لولاهم لما خلق الله الأكوان والأفلاك. وحديث الكساء حينما نعرضه على الميزان الفكرى للإسلام وأساسياته فإنه نجد ان الحديث يسير تماماً مع القرآن الكريم وليس فيه خرق ولا تجاوز عن أساسيات القرآن الكريم، فهم عليهم السلام عدل القرآن وعلى أساس ذلك يكون عدل القرآن معصوم ومحفوظ كما أنّ القرآن معصوم ومحفوظ، اذن يكون كل شيء فى حديث الكساء هو معصوم من الخطأ والزلل وذلك لكون راوى الحديث ومثبته هو معصوم عن الخطأ والزلل، وهى فاطمة عليها السلام. وهناك مسألة مهمة تعرض لها حديث الكساء وهى أنّ جبرئيل يسأل من الله تعالى ويقول يا رب ومن تحت الكساء؟ وربما أراد بذلك ـ جبرئيل ـ وعبر أنتقال هذا الحديث المبارك عبر الأجيال إلينا أن يؤكد على شرافة أصحاب الكساء وأنهم من الله تعالى يستمدون عصمتهم وقداستهم وتربيتهم. والملفت للنظر عندما يجيب الله تعالى عن أسماء أصحاب الكساء يقول هم فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، ولم يقل مثلاً هم رسول الله وعلى وفاطمة... كل ذلك للتأكيد على محورية فاطمة الزهراء عليها السلام بالنسبة لأهل بيت النبوة وأنّها القطب المركزى لدائرة أهل البيت عليهم السلام. ويشير حديث الكساء الى نزول جبرئيل الى الأرض بعد معرفة اصحاب الكساء والتشرف فى خدمتهم وطلب الأذن من الله تعالى فى الدخول تحت الكساء [صفحه ۲۰۳] وكذلك يظهر من الحديث أن الله ورسوله قد أعطوا الأذن لجبرئيل وذلك لكونه معصوم من الخطأ والزلل بالعصمة الربانية الذاتية فلذلك لا ضير أن يكون معهم تحت الكساء لأنه لا يختلف عنهم من جهة العصمة وهذا بخلاف أم سلمة رضوان الله عليها. وهناك إشارة لطيفة فى الحديث حيث قال الله تعالى هم فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها ولم يقل وأبنيها ونحن نعلم ان الذى كان تحت الكساء الحسن والحسين وربما أراد بذلك الصلب والذرية الطاهرة للأئمة عليهم السلام وأنهم سوف يكونون أيضاً معصومون وامتداد لأصحاب الكساء ويأتى سؤال الإمام على عليه السلام عن الفضل والأجر لهذا الجلوس تحت الكساء؟ وفضل ذكر هذا الحديث وماله من الأهمية؟ حيث بين هذا الجواب الذى يظهر من الحديث أنه ـ أى الحديث ـ غذاءاً للروح والعقل والقلب والبدن معاً، إذ أن حاجات الإنسان محدودة كالطعام والشراب واللباس فكمية منها معينة تصل بالإنسان إلى حد الاكتفاء والارتواء والشبع. أما حاجات الروح والعقل فهى بلا حدود كالصلاة والعلم والتفقه، فغن الروح تبقى فى حالة فهم إلها كلما نهلت منها شعرت باتها بحاجة إلى المزيد منها. لذلك سأل الإمام على ولذلك كان جواب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ففى المرة الاولى كان جواب الرسول الأعظم تحديد لحاجات العقل والروح والنفس «نزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وإستغفرت لهم». أما فى المرة الثانية فقد كان فى جواب النبى صلى الله عليه وآله وسلم تحديداً لحاجات الجسد

«وفيهم مهموم إلّا وفرج الله همه ولا مغموم إلّا وكشف الله غمه ولا طالب حاجة إلّا وقضى الله حاجته». فتفريج الهموم وكشف الغموم وقضاء الحاجات إنما هى حاجات جسدية بينما الرحمة وإحاطة الملائكة والإستغفار إنما هى هموم عقلية وروحية ونفسية. ويكشف الحديث عن السعادة والفوز والنصر والظفر فى الحياة.. لأنّ الذى يمشى فى خط أهل البيت لابد أن ينتصر ويظفر لا محالة ولو بعد حين. ويقول الحديث أنه ما ذكر فى حفل فيه جمع ولم يقل على فرد واحد. وهى إشارة رائعة إلى أهمية تنظيم المجتمع وتكثير المجالس التى يذكر فيها أهل البيت عليهم السلام. [صفحه ۲۰۴] لأن الإمام الصادق عليه السلم يقول تجلسون وتتحدثون... أحيوا أمرنا فإنى أحب تلك المجالس... والمجلس الذى يذكر فيه هذا الحديث هو قطعاً مجلس فى الخير والصلاح ورضوان الله.. لأنك تذكر قوماً ما عصوا الله طرفة عين أبداً، وقد ورد فى دعاء أبى حمزة الثمالى: «... أو لعلك رأيتنى مجالس البطالين فخذلتنى» يقول من ترك الاستعماع من ذوى العقول مات عقله لأن الإبتعاد عن مجالس العلم والعلماء يؤدى الى الخذلان، «أو لعلك فقدتنى من مجالس العلماء فخذلتنى». وحديث الكساء يشير الى الأمور والمسائل العلمية التى وافقت القرآن الكريم كالأرض المدحية والسماء المبنية والقمر المنير والشمس المضيئة وهى من الحقائق المطابقة للواقع واللقرآن الكريم. هكذا يقرأ الحديث وهكذا يفهم جواب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الأسئلة التى وردت فى الحديث عن لسان الإمام على عليه فلعل الإمام على عليه السلام أراد من خلال طرحه وكذلك ربط حديث الكساء بهموم الناس وحوائجهم حتى لا يبقى مجرد حديث فحسب نقرأه من أجل معلومة نعلمه أو من أجل حديث نتعرف إليه واذا كان الأمر كذلك فما أجدرنا ونحن نقف مع هذا الحديث ان نستغل هذه المضامين ونعيشها بعقولنا وأرواحنا ونفوسنا لكى نجعل من هذا الحديث المبارك حسنة لنا فنصلح به أحوالنا ونقوّم أخلاقنا ونثبت عقائدنا الصحيحة ونربى أبناءنا تربية صالحة لا سيما أن أهل البيت ليسوا بعيدين عنا وطقوسنا ليست جامدة أو فارغة بل هى طقوس هادفة الى تربيتنا تربية إسلامية حقة. [صفحه ۲۰۷]

فاطمة سيدة نساء العالمين

إن قيل حوّا قلت فاطم فخرها أو قيل مريم قلت فاطم أفضل أفهل لحوّا والد كمحمّدٍ أم هل لمريم مثل فاطم أشبل كلّ لها عند الولادة حالة منها عقول ذوى البصائر تذهل هذى لنخلتها التجت فتساقطت رطبا جنيّاً فهى منه تأكلّ وضعت بعيسى وهى غير مروعةٍ أنّى وحارسها السّرىّ [۲۹۲] الأبسل وإلى الجدار وصفحة الباب التجت بنت النّبىّ فأسقطت ما تحمل سقطت وأسقطت الجنين وحولها من كلّ ذى حسبٍ لئيم جحفل هذا يعنّفها وذاك يدعّها ويردها هذا وهذا يركل وأمامها أسد الأسود يقوده بالحبل قنفذ هل كهذا معضل ولسوف تأتى فى القيامة فاطم تشكو الى رب السماء وتعول ولتعرفنّ جنينها وحنينها بشكايةٍ منها السّما تتزلزل ربّاه ميراثى وبعلى حقّه غصبوا وأبناثى جميعاً قتّلوا [۲۹۳] . [صفحه ۲۰۹] فاطمة سيدة نساء العالمين عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «ان هذا ملك مقرب لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم علىّ ويبشرنى بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة» [۲۹۴] . ورد هذا الحديث بسند معتبر فى عدة كتب روائية سواء من العامة أو الخاصة والظاهر من خلال مراجعة هذا الحديث أنّه ممن أتفقت عليه العامة والخاصة حيث [صفحه ۲۱۰] نقلته كتب الفريقين المعتدة خصوصاً عند السنة وفى الصحاح الستة وعليه فلا مجال للطعن أو النقاش فى سند هذا الحديث المبارك الذى يظهر كرامة فاطمة الزهراء عليها السلام على الله وعلى الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، والحديث يروى لنا قصة ملكاً لم ينزل إلى أرض سابقاً أستأذن الله تعالى أن يمسلم على رسوله الكريم وإنّ يبشره بأن فاطمة الزهراء عليها السلام هى سيدة نساء هل الجنّة، وعليه نقف مع هذا الحديث لنرى مدى شموليته وسعته فى دلالته على كون فاطمة الزهراء أفضل من مريم عليها السلام أم لا؟ باعتبار وجود آية قرآنية ذكرت مريم عليها السلام فى كونها سيدة نساء العالمين فى قوله تعالى: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله إصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) فلنقف مع هذه الآية ومع الحديث

المبارک: ۱ ـ لنعرف ایهما أفضل فاطمة علیها السلام ام مریم علیها السلام؟ ۲ ـ ومن هی سیدة نساء العالمین؟ ۳ ـ وماهی الثمرة العقائدیة فی ذلک؟ کل هذه الأسئلة تطرح فی المقام الذی نحن فیه وعلیه لابد لنا أن نجیب علیها لکی تکون لنا قدرة خاصة علی الفهم العقائدی لحیاة الصدیقة الطاهرة فاطمة الزهراء علیها السلام. فنقول ومن باب مقدمة للبحث فی هذا الموضوع المهم إنّه: ـ لا شک ولا ریب إنّه ورد فی کتب الفریقین عدة أحادیث تبین أفضل النساء فی الدنیا والآخرة وإنّه لم یکمل من النساء إلاّ الجنّة إشتاقت إلی أربع من النساء وکذلک ورد أیضاً إنّ الله أختار من النساء أربع وکثیرة هی الأحادیث التی تظهر هذه المسألة وقد تظاهرت الروایات من العامة والخاصة فی ذلک. ونحن نذکر فی هذه المقدمة، بعض هذه الأحادیث وعلی أثر ذلک ندخل فی صلب الموضوع الذی أخترنا البحث عنه والوقوف معه والاستفاده من دلالته، أما هذه الاحادیث التی نقلت فی طیاتها النساء اللواتی إختار هن الله تعالی فمنها: ماورد عن أبی الحسن الأوّل علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إن الله تعالی اختار [صفحه ۲۱۱] من النساء أربعاً: مریم وآسیة وخدیجه وفاطمة [۲۹۵] . روی عن مسلم والترمذی، عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال: کمل من الرجال کثیر ولم یکمل من النساء إلاّ مریم بنت عمران وآسیة بنت مزاحم امرأة فرعون وخدیجة بنت خویلد وفاطمة بنت محمد [۲۹۶] . وجاء عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم انه قال: اشتاقت الجنة الی أربع من النساء: مریم بنت عمران، وآسیة بنت مزاحم زوجة فرعون، وخدیجة بنت خویلد وفاطمة [۲۹۷] . وعن ابن عباس قال: خط رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی الأرض أربعة خطوط قال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم: فقال رسول صلی الله علیه وآله وسلم: أفضل نساء أهل الجنّة بنت خویلد وفاطمة بنت محمد، وآسیة بنت مزاحم إمرأة فرعون، ومریم بنت عمران [۲۹۸] . إذن یظهر من هذا الأحادیث أن الإیمان کمل فیهن وإن الله تعالی اختارهن [صفحه ۲۱۲] وفضلهن علی کثیر من نساء الدنیا والآخرة فهلمّ معی لنقف معهن لنری خصوصیة کل واحدة منهن ـ وهن آسیة ومریم وخدیجة وفاطمة ـ بحیث ورد الحدیث بأنهّن خیر النساء، ونقول: لو نظرنا إلی حیاة هؤلاء النسوة صارفین النظر عن نصوص الکتاب والسنة لالفینا ان کل واحدة منهّن تختص بفضیلة دون غیرها من الصالحات الباقیات. فأسیة إمرأة فرعون آمنت بالله مخلصة له لائذة به وحده وهی فی بیت شر العباد، ورأس الکفر والالحاد، وقد جاهرت بأیمانها منکرة علی فرعون کفره وفساده، متحدیة ظلمه وطغیانه، فأوتد لها الاوتاد، حتی قضت شهیدة الحق والإیمان ولم تکن هذه الکرامة لواحدة من الثلاثة. أما السیدة مریم فقد کرمها بولادة السید المسیح من غیر أب وما عرفت هذه الکرامة لأمرأة علی وجه الأرض. أما السیدة خدیجة فأنها أول من آمن وصدّق الرسول محمّد صلی الله علیه وآله وسلم وصلّت هی وعلی بن أبی طالب علیهم السلام أول صلاة أقیمت فی الإسلام، وهی أول من بذل الأموال لنصرة هذا الدین... ولولا أموالها، وحمایة أبی طالب لمحمد صلی الله علیه وآله وسلم لقضی علی الإسلام فی مهده، ولم یکن له عین ولا أثر.. ولم تکن هذه الکرامة لغیرها من نساء العالمین. أما فاطمة الزهراء علیها السلام فإنها بضعة من رسول الله، بل هی نفسه خلقاً وخلقاً ومنطقاً وصلاحاً وتقی یرضیه ما یرضیها، ویؤذیها ما یؤذیه، وهی أم الحسنین سیدی شباب أهل الجنّة، وعقیلة سید الکونین، بعد رسول الله ولم تکن هذه الکرامة لأمها خدیجة ولا لأسیة ولا لمریم [۲۹۹] أما التفاضل بینهنّ فأننا نترکه لئلا یطول المقام بنا ونقف هنا مع حیاة الصدیقة الطاهرة فاطمة الزهراء علیها السلام، ومریم بنت عمران لأثبات المراد من هذا البحث. فمن القضایا العقائدیة المهمة لدی الشیعة الإمامیة والتی تأخذ حیزاً کبیراً علی الصعید الفکری والعقائدی هی مسألة تفضیل سیدة نساء العالمین علی مریم وبقیة النساء المؤمنات الاخریات، فنحن بأعتبارنا شیعة ونعتقد بأهل البیت علیهم السلام وبما ورد من مقامهم ومنزلتهم وقداستهم إنّ هذه مسألة مسلمة لدینا ولکن هناک من یدعی خلاف ذلک وإن مریم علیها السلام هی سیدة العالمین وهی المفضلة علی بقیة النساء الأخریات والسبب إلی ذهاب بعض من یدعی هذه المقولة هو بما ورد من القرآن الکریم حیث جاء قوله تعالی (وإذ قالت الملائکة یا مریم إن الله اصطفاک وطهرک واصطفاک علی نساء العالمین) [۳۰۰] لیثبت کون مریم علیها السلام رمزاً قرآنیاً قد طرحه القرآن فی الفکر العقائدی لدی المسیحیة، فکیف اذن تحل هذه القضیة وخصوصاً نحن الشیعة یجب علینا أن نحمل عقائدنا عن وعی وإستدلال وبرهان صحیح معتمد علی الإستدلالات العقلیة المثبوت فی محلها، أما أن نأخذ عقائدنا فی هذه

القضيۀ أو فی قضايا أخری اعتماداً علی العواطف والمديح والمبالغات فهذا مما لا يقبله أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً نحن أبناء الدليل حيث ما مال نميل، وكذلك فإن أهل البيت عليهم السلام ليسوا محتاجين مديحنا وقد مدحهم من هو أفضل واحسن وهو القرآن الكريم بأعظم ما يكون ويكون من المدح والثناء العلی حيث وصفهم بأنهم مطهرون «ويطهركم تطهيراً» وكذلك قال فيهم رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم بأنهم عدل القرآن، فما يكون كلامنا ومديحنا بعد ذلك، اذن فالقضيۀ ليست قضيۀ مديح وإطراء مواقف بل هی قضيۀ عقائديۀ نعم،إذا أردنا أن نمدحهم ونقدم لهم الذكر والثناء فذلك من باب التقرب إلی الله تعالی وليس من باب رفع مقامهم بل مقامهم رفيع وإذا وتينا علم وفهم إنما لكی نتعرف علی علو مقامهم وشانهم عند الله تعالی فعليه إذا طرحت هذه الفكرۀ، أو القضيۀ بكون فاطمۀ عليها السلام أفضل من مريم يجب أن تكون مدعومۀ بالدليل العلمی الشرعی والإستدلال المنطقی وخاصۀ من القرآن الكريم والسنۀ لكی تكون عقيدتنا فی هذه القضيۀ مبنيۀ علی المتانۀ والصحۀ، اذن فالسؤال المطروح هو كيفيۀ كون فاطمۀ أفضل من مريم والحال إن مريم يخاطبها القرآن الكريم (يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك علی نساء العالمين) والظاهر أنّ نساء العالمين نص قرآنی [صفحه ۲۱۴] بالصراحۀ يقول مريم اصطفيت علی نساء العالمين فكيف تكون فاطمۀ أفضل منها؟ هذه سؤال مطروح فيما نحن فيه وكيف نحمله مع الحديث الذی قدمناه فی أول البحث من أن فاطمۀ سيدۀ نساء الجنّۀ. ومن جهۀ أخری ينقدح سؤال مهم أيضاً وهو أنّ مريم عليها السلام ولدت نبياً وهو عيسی، علی نبينا وعليه أفضل الصلاۀ والسلام وكانت طريقۀ ولادتها بمجزۀ ربانيۀ حيث حملت به من غير أب، فهی إذن ليست ولدت شخصاً عادياً بل نبی من الأنبياء العظماء وهذا الحال لم يحدث لفاطمۀ عليها السلام لم تولد نبياً من غير زوج فما هو باب التفضيل والحال ان مريم محاطۀ ومحفوفۀ بالمعاجز فهذه الأمور تطرح ولابد أن تعالج واحدۀ، ويجب علی ذلك ألّا نحمل العقائد علی السذاجۀ وعلی العواطف والتقليد لأن التقليد يفيد فی الأحكام الشرعيۀ أما فی العقائد فيجب علی الإنسان أن يحملها عن وعی وإدراك واستدلال وفهم. لذا أصول الدين لا يجب أن يقلد فيها الآخرين بل التقليد فی الفروع بأعتبار إنها تحتاج إلی تفحص وإفناء عمر فی دراستها والبحث فيها وهذا لا يتسنی ولا يتيسر لكافۀ الناس فيكون الوجوب الكفائی فيها أما الأصول فيجب علی الجميع ان يفهموها بوعی عميق وإستدلال ولا يكون الإنسان المتدين فيها ساذج وتبعی للآخرين بل لابد من أن يصل إليها بالتفكر والإستدلال، وعليه تكون هذه الأسئلۀ مهمۀ من الناحيۀ العقائديۀ ولا بدون فهمها بالدليل القرآنی والسنتی فكيف نصل إلی غايۀ المطلوب وكيف نحصل علی الجواب الصحيح فيها؟ فنقول: قبل ان نجيب علی هذه الأسئلۀ وكيفيۀ بنائها البناء الصحيح العقائدی وعلی ضوء القرآن والسنۀ نقدم مقدمۀ بسيطۀ وهی أن هذه الأسئلۀ والإشكالات التی تطرح حول فاطمۀ الزهراء عليها السلام ليست شبهات ولا إشكالات جديدۀ بل هی كانت مطروحۀ من زمن نبينا محمد صلی الله عليه وآله وسلم واللطيفۀ إن هذه الإشكالات والإثارات والشبهات هی فی الحقيقۀ تخدمنا جداً، لأنها تكون مربيۀ ومعمقۀ لعقائدنا فنحن نجد الكثير من العقائد فی حياتنا نمر عليها مرور الكرام إما عندما تثار الشبهات حول عقيدۀ معينۀ فكما تؤدی إلی زعزعۀ بعض النفوس الضعيفۀ كذلك تؤدی إلی أن يكون [صفحه ۲۱۵] أهل الأقلام والفكر والتحقيق يغوصون فی فهم العقائد ودعمها قرآنياً أو روائياً وعلی ضوء الاستدلالات الصحيحۀ وبالنتيجۀ تكون العقيدۀ معمقۀ ودقيقۀ وتقف بوجه الشبهات والإشكالات التی تطرح عليها، والأمثله علی ذلك كثير جداً مثلما طرحت بعض الإشكالات المغرضۀ حول وجود صاحب الزمان «عج» وقضيۀ الزهراء بصورۀ عامۀ كل هذه الإشكالات بالنتيجۀ وكما قلنا كانت مفيدۀ بقدر ماهی مضرۀ ببعض ضعاف النفوس وعلی كل فالذی نريد القول به هو أن الردود العلميۀ الدقيقۀ للأشكالات والشبهات التی تطرح قد أنضجت القضايا العقائديۀ بشكل أو آخر. أما الجواب علی مسألۀ تفضيل الزهراء عليها السلام علی مريم عليها السلام فيكون علی شكل نقاط نذكرها لكی يتبين لنا الحق فی ذلك: ۱ ـ إن الحديث الذی بدأنا به البحث قال بأن فاطمۀ سيدۀ نساء أهل الجنّۀ وهذا القول يحمل نفس معنی أن فاطمۀ سيدۀ نساء العالمين لأن الجنّۀ فيها المؤمنات فقط والقديسات الطاهرات فتكون فاطمۀ سيدتهن فمن باب الأولويۀ تكون فاطمۀ سيدتهنّ فی الدنيا كما هی سيدتهن فی الآخرۀ فالمعنی واحد سواء فی الدنيا أو فی الجنّۀ. ۲ ـ أن ما طرحه القرآن الكريم من كون مريم عليها السلام قد إصطفاها الله تعالی علی نساء

العالمين كان على لسان النبى الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو الذى أخبرنا بالقرآن وهو الذى أوحى إليه من الله تعالى، ونقول كذلك بإعتبار الرسول ما ينطق عن الهوى إن هو إلا ـ وحى يوحى أخبرنا وبلغنا ان فاطمة سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين ومريم سيدة عالمها فكما بلغنا الرسول القرآن فى الآيات الأولى من اصطفاء مريم كذلك بلغنا بقوله حول ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام والشاهد على قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه القصة هو ما ورد عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: «ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً ذات يوم، وعنده على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام» فقال: اللهم إنك تعلم ان هؤلاء أهل بيتى وأكرم الناس على فأحب من أحبهم وأبغض من ابغضهم وأوالى من والاهم وأعادى من عاداهم... إلى أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى حق فاطمة... وإنها لسيدة نساء العالمين. فقيل يا رسول الله، أهى سيدة نساء عالمها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك لمريم بنت عمران؛ فأما إبنتى فاطمة فهى سيدة نساء العالمين من [صفحه ۲۱۶] الأولين والآخرين: وإنها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك بن الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة! (إن الله إصطفاك وطهرك وإصطفاك على نساء العالمين) ۴۲ آل عمران [۳۰۱] . الى آخر الحديث. فيكون الحديث الحديث بمثابة تحديد لاطلاق كلمة العالمين التى وردت فى الآية القرآنية فتكون النتيجة أن مريم سيدة نساء عالمها وفاطمة سيدة نساء الاولين والآخرين. ۳) أما القرآن الكريم فلقد وردت كلمة تفضيل على العالمين ليست لمريم فقط بل جاءت لبنى إسرئيل ولانبياء بنى إسرائيل فمثلاً قوله تعالى (واسماعيل واليسع ويونس ولوط وكلا فضلنا على العالمين) [۳۰۲] فالآية الشريفة بينت أن الله تعالى فضلهم على العالمين هذا هو الظاهر منها ولكن من منا يقول إن هؤلاء الأنبياء أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وآل وسلم، ولا يوجد أحد يقول ذلك فنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء، بل هناك فرقاً شاسعاً بينه وبينهم وخاصة نحن نرى أن القرآن الكريم يقول (وتلك رسلنا فضلنا بعضهم على بعض)... إذن بلسان القرآن الكريم ان هناك فرقاً بين الأنبياء وهناك تفضيل بينهم، وهذا دليل واضح على أنهم ـ أى هؤلاء الأنبياء ـ أفضل أنبياء زمانهم، إذ من القرآن الكريم نستفيد أن هذا الاطلاق يحمل تقييده معه أى يحمل قيده. وهناك شواهد أخرى تدل على هذه المسألة المطروحة فى المقام، فهذا القرآن الكريم يقول (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين). فالمعروف أن بنى إسرائيل هم اليهود والقرآن يقول فضلتكم على العالمين فهل هناك إنسان مسلم أو مسيحى يقول أن اليهود أفضل من عليها أو أفضل من المسلمين؟ لا شك ولا ريب لا أحد يقول بهذه المقالة إلا من كان منهم إذن ما معنى أنى فضلتكم على العالمين؟ هل لانه فى زمانهم كثرة الأنبياء؟ وهذا فى الحقيقة لا يدل على [صفحه ۲۱۷] الافضلية وإذا كانت ثمة أفضلية فى المقام فهى للانبياء لكثرتهم لا لذلك الشعب المتحجرف فبالعكس أن كثرة الأنبياء تدل على كثرة الفساد وشدة الانحراف عن طريق الأنبياء والطغيان الذى ملأهم، فالانبياء إنما يبعثون لحاجة البشر اليهم، وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم حيث كان اليهود يقتلون الأنبياء بغير حق فكلما كان يقتل نبى يبعث نبى آخر وهكذا وفى ذلك يقول القرآن الكريم: (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) [۳۰۳] (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق) [۳۰۴] . إذن كثرة الأنبياء تدل على سقوط ذلك الشعب وكفره وإنتشار الفساد فيه وليس تدل على أفضلية ذلك الشعب، وبنى إسرائيل تلك الأمة المنحرفه والتى لازال شرها الى الآن على العالم الاسلامى بل على كل العالم كانت فى الحقيقة أمة غير ناجحة وفاشله جداً والسبب فى ذلك هو تمردها على انبياءها وعلمائها وقديّسيها وقادتها وهذا هو السبب فى فشلهم، وعلى هذا الاساس تكون كلمة الاصطفاء على العالمين مثل كلمة التفضيل إذن من نفس مفردات القرآن الكريم نستفيد من كلمة عالمين أى عالم زمانها سواء كانت كلمة عالمين فى قضية تفضيل اليهود أو تفضيل الأنبياء أو تفضيل مريم عليها السلام، فتكون كلمة عالمين يعنى عالم زمانها ليس إلاّ. ۴) روى أن زكريا كلما دخل على مريم عليها السلام وهى فى محرابها (وكان آنذاك رئيس الهيكل اليهودى فإهتم بها وتفقد شؤونها) وجد عندها طعاماً وعهده بها أن لا يدخل عليها أحد، فسألها متعجباً: أنى لك هذا!... قالت هو من عند الله ـ أى لا ـ بواسطة أحد من الناس ـ أن الله يرزق من يشاء بغير حساب. ولا شك ولاريب أن هذه كرامة لمريم عليها

السلام فهل فی فاطمة الزهراء علیها السلام موجودة هذه الکرامة أن انها إختصت بمریم فقط فتکون مفضلة علی الصدیقة علیها السلام؟ قلنا: نعم حدثت مثل هذه الکرامة لسیدة النساء فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فقد جاء فی تفسیر روح البیان للشیخ اسماعیل حقی عند تفسیر قوله تعالی حکایة عن مریم: (هو من عند الله) جاء فی هذا التفسیر ما نصه [صفحه ۲۱۸] بالحرف: «جاع النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی زمن قحط، فأهدت له فاطمة رغیفین ولحماً.. فأتاها وإذا بطبق عندها مملوء خبزاً ولحماً، فقال لها: انی لک هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله یرزق من یشاء بغیر حساب، فقال: الحمد لله الذی جعلک شبیهه بسیدة بنی اسرائیل، ثم جمع رسول الله علیاً والحسنین، وجمع أهل بیته علیه فاکلوا وشبعوا، وبقی الطعام کما هو فأوزعت فاطمة علی جیرانها» [۳۰۵] وفی کتاب ذخائر العقبی لحب الدین الطبری «إن علیاً علیه السلام استقرض دیناراً لیشتری به طعاماً لاهله، فالتقی بالمقداد بن الاسود فی حال ازعاج ولما سأله الإمام قال: ترکت أهلی یبکون جوعاً، فآثره بالدینار علی نفسه وأهله وانطلق الی النبی صلی الله علیه وآله وسلم وصلی خلفه وبعد الصلاة قال النبی لعلی: هل عند شیء تعیشنا به؟ وکأن الله قد أوحی إلیه ان یتعشی عند علی، فأطرق علی لا یحیر جواباً، فأخذ النبی بیده، وانطلقا الی بیت فاطمة، وإذا بحفنه من الطعام فقال لها علی علیه السلام أنّی لک هذا؟ قال له النبی: هذا ثواب الدینار، هذا من عند الله یرزق من یشاء بغیر حساب، الحمد لله الذی أجراک یا علی مجری زکریا واجراک یا فاطمة مجری مریم، کلما دخل علیها زکریا المحراب وجد عندها رزقاً...» [۳۰۶] . وعلیه قد ثبتت هذه الفضیلة للزهراء علیها السلام ملما ثبتت لمریم سواء من طرق العامة أو الخاصة. ۵) واستدل الکثیر من العامة والخاصة بأفضلیة فاطمة علیها السلام علی مریم وخصوصا ما تواتر عن أبیها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم م الخاصة والعامة بقوله صلی الله علیه وآله وسلم «فاطمة بضعة منی، فمن أغضبها أغضبنی» فهذا الحدیث من المواترات وفیه دلاله علی کونها من نور الرسول الاعظم محمد صلی الله علیه وآله وسلم وکونها لحمه ودمه فهو خاتم الرسل فانه تکون ابنته أفضل من ابنت عمران. أوما قال خاتم الرسل فیها فاطم بضعتی ولای ولاها فاطم روحی التی بین جنبی وریحانتی التی أهواها [صفحه ۲۱۹] أیها الناس باب فاطم بابی مثلما قد غدا حماى حماها أیّها الناس فأحفظونی فیها تاه فی الغیّ من بسوء أتاها ۶) إن فاطمة الزهراء علیها السلام أفضل من مریم بل هی سیدة نساء العالمین من الاولین والاخرین وهذا ما أثبته الحدیث المروی عن أبی جعفر علیه السلام فی حدیث طویل: «ولقد کانت علیها السلام مفروضة الطاعة علی جمیع من خلق الله، من الجن والانس والطیر والوحش والأنبیاء والملائکة» [۳۰۷] وکذلک ماورد فی الحدیث الشریف عن أهل بیت العصمة أنه «ما تکاملت نبوة نبی من الأنبیاء حتی أقر بفضلها ومحبتها وهی الصدیقة الکبری وعلی معرفتها دارت القرون الاولی» [۳۰۸] فالذی یظهر من هذین الحدیثین ان فاطمة مفروضة الطاعة علی جمیع الاولین والاخرین بما فیهم النساء والأنبیاء والخلق کلهم وکذلک لا تتکامل نبوة نبی إلّا أن یقر بفضلها ومحبتها، فاذا کان حال الصدیقة الکبری هکذا مع الأنبیاء فکیف مع مریم علیها السلام ولم تکن نبیة؟ ۷) ویمکن أن نستفید من الحدیث المروی عن شفاعة فاطمة الزهراء علیها السلام یوم القیامة وان لها الشفاعة الکبری کما لأبیها رسول الله انها الافضل وانها سیدة نساء العالمین من الاولین والآخرین بینما لا یوجد عندنا نص فی شفاعة مریم علیها السلام فلذلک یکون هذا الحدیث المروی عن شفاعة فاطمة دلیل علی کونها سیدة نساء العالمین من الاولین والآخرین وإلا کیف یکون لها مقام الشفاعة؟ والیک الحدیث المروی فی شفاعتها لمحبیها وشیعتها یوم القیامة. عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: لفاطمة وقفة علی باب جهنم فاذا کان یوم القیامة کتب بین عینی کلّ رجل: مؤمن أو کافر، فیؤمر بمجب قد کثرة ذنوبه الی النار، فتقرأ بین عینیه محباً، فتقول: إلهی وسیدی سمیتنی فاطمة، وفطمت بی من تولانی وتولی ذریتی من النار، ووعدک الحقّ وأنت لا تخلف المیعاد. فیقول الله عزوجل: صدقت یا فاطمة إنی سمیتک فاطمة وفطمت بک من أحبک وتولاک وأحب ذریتک وتولاهم من النار، ووعدی الحق وأنا لا أخلف المیعاد وإنما [صفحه ۲۲۰] أمرت بعبدی هذا إلی النار لتشفعی فیه فأشفعک، لیتبین لملائکتی وأنبیائی ورسلی وأهل الموقف موقفک منی ومکانتک عندی فمن قرأت بین عینیه مؤمناً فجذبت بیده وأدخلته الجنّة [۳۰۹] إذن لا یبقی أی أشکال فی کون فاطمة سیدة نساء الجنّة وسیدة نساء العالمین والأولین والآخرین ولا تنافی فی کون مریم قد دعمها القرآن الکریم

وإن الله قد اصطفاها فإن ذلك كان فى زمانها ولايمتد إلى زمان الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، هذا من جهة اصطفاء مريم وكيفية التوفيق بين ذلك، امّا بالنسبة للمعجزة الربانّية التى خصت بها مريم عليها السلام والكرامة التى أعطاها الله تبارك وتعالى إياها وهى إنها ولدت عيسى من غير أب عيسى عليه السلام، وإنه نبى من الأنبياء، وهذا غير موجود فى الصديقة فاطمة عليها السلام ولم يقع لها بل ولدت الحسن والحسين وزينب عليها السلام بالطريقة الطبيعية فتكون مريم مفضلة على فاطمة فيكون الجواب على ذلك: إنّا لا نتصور ولا نصدق على أن يكون هذا دليلاً على أفضلية مريم عليها السلام لماذا؟ لأنّه بالنسبة لولادتها لعيسى عليه السلام وحملها به من غير أب يكون وحسب رأينا القاصر لسببين: ۱ ـ إن مريم عليها السلام حملت بعيسى بهذه الطريقة لأنّه لم يكن فى بنى إسرائيل كفوء لها فمن من بنى إسرائيل يستحق أن يكون زوجاً للقديسة الطاهرة وأباً لعيسى عليه السلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنّها نذرت نفسها لخدمة بيت الله آنذاك ولذلك كان اصطفاءها من قبل الله تعالى والدليل على عدم وجود كفوء لها إنها عندما حملت بعيسى وولدته فقدوها بنى إسرائيل فى المحراب فخرجوا فى طلبها وخرج زكريا فأقبلت مريم وعيسى فى صدرها وأقبلت مؤمنات بنى إسرائيل يبزقن فى وجهها فلم تكلمهن حتى دخلت فى محرابها فجاء إليها بنو إسرائيل وزكريا فقالوا لها «يا مريم لقد جئت شيئاً فرّيا» أى شيئاً عظيماً فى المناهى «يا أخت هارون ما كان أبوك إمرأ سوءٍ وما كانت أمّك بغيّا» ومعنى قولهم يا أخت هارون إن هارون هل كان رجلا فاسقاً زانياً فشبهوها به يعنى أين هذا البلاء الذى جئت به والعار الذى ألزمته بنى [صفحه ۲۲۱] إسرائيل؟! فأشارت الى عيسى فى المهد فقالوا لها «كيف نكلم فى المهد من كان صبيّا» فأنطق الله عيسى عليه السلام فقال «إنّى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبّاراً شقياً، والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً. إذن عندما جاءت إلى بنى إسرائيل تحمل الطفل الكل شمتوا بها وانقلبوا عليها كما قال القرآن الكريم فى ذلك «يا أخت هارون» يعنى شماته... والقرآن الكريم حكى جانب من شماتتهم فمريم عرفت انه ليس فى بنى إسرائيل لها ناصر ولا يذكر القرآن الكريم إنّ هناك من وقف مع مريم وانبرى للدفاع عنها مثلاً ـ حتى يقول إنها كانت إمرأة طاهرة تاريخها نظيف، هذه كانت صاحبة معجزات فى أحضان نبى فلا بد أن نرى القضية قبل أن نحكم عليها بهذه السرعة، فمن هذا القبيل لم يوجد رجل دافع عنها فاذاً كان هكذا موقفهم معها فأين يوجد الكفوء لها حتى تتزوج به وتكون ولادتها طبيعية فأذن لا يوجد كفوء لها يشاركها المعجزة والكرامة ويتحمل إلى جانبها مسؤولية السماء فالأكثرية بل الكل كانوا أناس غير ملتزمين والدليل على ذلك إنّا نجد أيضاً، بعض أنصار الأنبياء جرحوا الأنبياء، أصحاب موسى عليه السلام مثلا وهكذا فما كان هناك كفوء. بينما توفر الكفوء لفاطمة عليها السلام ألا وهو سيد الأوصياء وأمير الموحدين على أبن أبى طالب أى نفس الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكما أخبر بذلك القرآن، فتوفر الكفوء اذن دلالة على عدم الحاجة الى المعجزه، هذا مانتصوره فى الجواب الأوّل. بنت النبى الذى لولا هدايته ما كان للحق لاعين ولاأثر هى التى ورثت حقاً مفاخره والعطر فيه الذى فى الورد مدّخر تزوجت فى السما بالمرتضى شرفاً والشمس يقرنها فى الرتبة القمر ۲ ـ أما بالنسبة لمريم وانها ولدت نبياً ولم تلد فاطمة نبياً فهذا يرد عليه بأن ولادة النبياء فى بنى اسرائيل حتى وان كانت ولادتهم طبيعية أو غير طبيعية لا يدل ذلك أن الأنبياء من بنى اسرائيل أفضل من أهل البيت عليهم السلم فلقد ثبت بالادلة القاطعه ان أهل البيت لا يدانيهم آل من الآل سواء آل عمران أو آل لوط... وغيرهم ممن ذكرهم القرآن [صفحه ۲۲۲] الكريم فهؤلاء لايصلون ولا يرتقون الى منزلة أهل البيت عليهم السلام وهذا مسلم به وحتى أن حديث الكساء يشير الى ذلك الأمر، هذا الحديث الذى اعترف به أحقد من عليها ـ أى على الشيعة ـ ألا وهو ابن تيميه فى كتابه منهاج السنة الذى ثنّى ركبتيه وشد الأحزم لنقض كل فضائل أهل البيت عليهم السلام وحتى الرواية التى يجدها تحمل فضيلة فإنه ينكرها من الأساس فيكون بذلك مخالف لإسلوب العلماء والذين يريدون التخلص مثلاً من رواية بإسقاط سندها وضعفه عن القيام بالحجية. إذن فحديث الكساء الشريف أثبت أفضلية أهل البيت عليهم السلام من بقية الآل وهذا بالحقيقة يجعل هذا الحديث يتألق فى سماء العقيدة والمعرفة فإنه فاطمة ولدت حسناً وحسيناً ولا يقاس بهم لانبى من أنبياء بنى إسرائيل ولا وصى وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم «علماء أمتى

أفضل من أنبياء بنى إسرائيل» فيه دلالة واضحة على ذلك لأنه لو أخذنا وفسرنا أن علماء أمتى هم الأئمة عليهم السلام بالخصوص فيكون الأفضلية لفاطمة عليها السلام من هذه الجهة وأضف إلى ذلك أنّ عيسى بن مريم عليه السلام وكما وردت الروايات فى ذلك إنّه سوف يصلى خلف الإمام المهدى «عج» عند ظهوره الشريف وأضف الى ذلك أنّه أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام كان يقينهم ثابت ووصل مرحلة لا يصل إليها أحد من أنبياء بنى أسرائيل أليس القرآن الكريم يقول فى حق نبى من الأنبياء «أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى» يعنى لم يصل الى مرحلة الأطمئنان القلبى الراسخ الذى هو عبارة عن اليقين الحقيقى، أمّا على وأولاد على عليهم السلام «لو كشف لى الغطاء ما إزددت يقيناً». إذن ولادة مريم لعيسى بالمعجزة الربانيّة وإنّه كان نبياً لا يدل أفضليتهما من الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وعليه كل الأدلة المطروحة حول ذلك مردودة، وهذا لا يعنى إنّنا نطعن بشخصية مريم أو نريد أن نقلل من شأنها بل أتخذناها عظيمة من العظيمات وقسنا عليها عظماء الأمة. والثمرة فى هذا البحث من الناحية العقائدية وحسب ما نتصوره أنّه عندما ثبت أنّها سيدة نساء العالمين وأنها أفضل النساء من الأولين والآخرين فإنّه سوف يكون ظلمها وعدم رعاية حقها من قبل الذين ظلموها والذين رضوا بذلك ذا وبال عليهم [صفحه ٢٢٣] فى الدنيا بلعنهم والبرائة من ظلمهم وأفعالهم بحقّ سيدة نساء العالمين وفى الآخرة الخزى والعذاب الأليم «إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنوا فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً أليماً». وأيضا الثمرة فى ذلك هو أننا بقدر مفرفتنا بمقامات أولياء الله تعالى ـ ومنهم فاطمة عليها السلام ـ والتى ورد البحث عليها وعلى طلب المزيد منها، نزداد عند ذلك معرفة الله تعالى لأنّه من عرفكم فقد عرف الله تعالى لأنهّم هم الدالّين عليه وعلى عظمته، وهذا ثابت للزهراء عليها السلام كما ثبت للأئمة عليهم السلام. وكذلك أنّه متى ما عرفنا أنّه فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين عرفنا عند ذلك انّ لها مقاماً سامياً وكرامة ربانيّة، وخاصّية نحن نؤمن بأنّها كانت مفروضة الطاعة على جميع الخلق بما فيهم الملائكة والجنّ والأنبياء وإنّه ما تكاملت نبوة نبى حتى أقر بفضلها ومحبتها وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، كلّ ذلك له الأثر الكبير فى أنّ يعمق ارتباطنا بفاطمة عليها السلام ويدخل حبها فى قلوبنا وفى صميم عقائدنا ونزداد تقاعلاً مع ظلاماتها وماجرى عليها من الظلم والعدوان وعظيم المحن التى مرت عليها. وأخيراً نختم هذا البحث بما ورد من كلمات الأعلام حول ثبوت كونها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين والأمر لا يخلو من فائدة فيما نحن فيه، وإليك أقوال المحدثين: قال ابن أبى الحديد: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مال إليها وأحبّها، فازاد ماعند فاطمة بحسب زيادة ميله، وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان الناس يظنّونه، وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتّى خرج بها عن حدّ الآباء للأولاد؛ فقال بمحضر الخاصّ والعامّ مراراً لا مرّة واحدة، وفى مقامات مختلفة لا فى مقام واحدٍ «إنها سيّدة نساء العالمين، وإنّها عديلة مريم بنت عمران، وإنّها إذا مرّت فى المواقف ناد منادٍ من جهة العرش: «يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله»، وهذا من الأحاديث الصحيحة [٣١٠] ... وقال شهاب الدين الآلوسىّ: عن ابن عبّاس، عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «أربع [صفحه ٢٢٤] نسوة سادات عالمهّن: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وأفضلّهن عالماً فاطمة».. ووالذىّ أميل إليه أنّ فاطمة البتول أفضل النساء المتقدّمات والمتأخرات من حيث إنّها بضعة رسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل ومن حيثيّات أخرى أيضاً، ولا يعكر على ذلك الأخبار السابقة لجواز أن يراد بها أفضلّية غيرها عليها من بعض الجهات، وبحيثّية من الحيثيّات... إذ البضعيّة من روح الوجود وسيّد كلّ موجود، لا أراها تقابل بشىء، وأين الثرّيا من يد المتناول؟ ومن هنا يعلم أفضليّتها على عائشة رضى الله تعالى عنها الذاهب إلى خلافها الكثير محتّجين بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خذوا ثلثى دينكم عن الحميراء»... وأنت تعلم ما فى هذا الإستدلال، وأنّه ليس بنصّ على أفضليّة الحميراء على الزهراء، أمّا أوّلاً، فلأنّ قصارى ما فى الحديث الأوّل على تقدير ثبوته إثبات أنّها عالمة إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدين، وهذا لا يدلّ على نفى العلم المماثل لعلمها عن بضعته علهى الصلاة والسلام، ولعلمه صلى الله عليه وآله وسلم أنّها لاتبقى بعده زمناً معتدّاً به يمكن أخذ الدين منها فيه لم ـ يقل فيها ذلك، ولو علم لربمّا قال: خذوا كلّ دينكم عن الزهراء... على أنّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إنّى تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتى أهل بيتى، لا يفترقان حتّى يردا علىّ

الحوض» يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى. كيف لا، وفاطمة رضى الله تعالى منها سيّدة تلك العترة [۳۱۱] . وقال العلّامة المجاهد السيّد شرف الدين رحمة الله: تفضيلها على مريم عليها السلام أمر مفروغ عنه عند أئمة العترة الطاهرة وأوليائهم من الإماميّة وغيرهم، وصرّح بأفضليّتها على سائر النساء حتّى السيّدة مريم كثير من محققّى أهل السنّة والجماعة كالتقىّ السبكىّ، والجلال السيوطىّ، والبدر، والزركشىّ، والتقّى المقريزىّ، وابن أبى داود، والمناوى فيما نقله عنهم العلّامة النبهانى فى «فضائل الزهراء» ص ۵۹ من كتابه «الشرف المؤبّد»، وهذا هو الّذى صرّح به السيّد أحمد زينى دحلان مفتى الشافعيّة ونقله عن عدّة من أعلامهم، وذلك حيث أورد تزويج فاطمة بعلّى فى سيرته [صفحه ۲۲۵] النبوّية [۳۱۲] حتّى مريم رضى الله عنها، كما اختاره المقريزىّ والزركشىّ والحافظ السيوطىّ فى كتابه «شرح النقابة» و«شرح جمع الجوامع» بالأدلّة الواضحة التّى منها أنّ هذه الأمّة أفضل من غيرها، والصحيح أنّ مريم ليست بنبيّة بل حكى الإجماع على أنّه لم يتنبأ امرأة قطّ. وقال صلى الله عليه وآله وسلم «مريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها» [۳۱۳] رواه الترمذّى. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يابنّية، ألا ترضين أنّك سيدّة نساء العالمين؟ قالت: يا أبت فأين مريم؟ قال: تلك سيدّة نساء عالمها» رواه ابن عبدالبرّ. وقد أخرج الطبرانى بإسناد على شرط الشيخين، قالت عائشة: «مارأيت أحداً قطّ أفضل من فاطمة غير أبيها» [۳۱۴] ... وروى المجلسىّ «ره» قال: قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: قالت فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم فى محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من المقرّبين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة «إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين» [۳۱۵] . وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون». وفى رواية مقاتل والضحّاك وعكرمة عن ابن عباس: «وأفضلهنّ» [۳۱۶] وعن محمد بن سنان، عن المفضّل قال: قلت لأبى عبد الله عليها السلام: أخبرنى عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى فاطمة: «إنّها سيّدة نساء العالمين» أهى سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين [۳۱۷] وعن الحسن بن زياد العطّار قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، أسيّدة نساء عالمها؟ قال: ذاك مريم، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين [۳۱۸] . [صفحه ۲۲۶] وقال النبّى صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدى وبعد أبيهما، وأمّهما أفضل نساء أهل الأرض [۳۱۹] . وفى الحديث: إنّ أسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجه يمشين أمام فاطمة كالحجاب لها إلى الجّنة [۳۲۰] . وروى السّيد الشبّر رحمه الله عن النبّى صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة خير نساء أمتى إلاّ ما ولدته مريم». ثمّ قال: وأحسن توجيهاته على تقدير صحّته أن تكون فيه «إلاّ» بمعنى الواو كما ذكره أهل العربيّة، وحمّلوا عليه قوله تعالى «لئلاّ يكون الناس عليكم حجّة إلاّ الّذين ظلموا» [۳۲۱] ، ويكون المعنى أنّها خير نساء أمتّى وخير نساء أمّة ماولدته مريم وهو عيسى؛ وخصّص تلك الامّة بالذكر لكثرة النساء الصالحات العابدات فيها دون أمم سائر الأنبياء [۳۲۲] . [صفحه ۲۳۱]

فاطمة الزهراء علة غائية

اشاره

الشيخ عبدالمنعم الفرطوسى شجون تستهل لها الدموع وتحرق من لواعجها الضلوع وقفت على البقيع فسأل طرفى وقلبى فالدموع هىّ النجيع كأنّ مصيبة الزهراء بيت بقلبى للأسى وهوّ البقيع أمثل البضعة الزهراء تجفى ويعفى قبرها وهوّ الرفيع ويغصب حقّها جهراً وتؤذى بحيث وصية الهادى تضيع تصد عن البكاء على أبيها فتحبس فى محاجرها الدموع وتقتطع الأراكة حين تأوى لظلّ غصونها كف قطيع ويحرق بيتها بالنار حقداً ويهتك سترها وهو المنيع ويكسر ضلعها بالباب عصراً فيسقط حملها وهو الشفيع ويدمى صدرها المسمار كسراً فينبع بين ثدييها النجيع وينثر

قرطها لطما ويلوى عليها السوط والسيف الصنيع [۳۲۳] . وحمرة عينها للحشر تبقى بها من كفّ لاطمها تشيع تنوح فتسمع الشكوى وتدعو وما فى المسلمين لها سميع مصائب بالفظاعة قد تناهت وكلّ مصيبةٍ خطب فظيع قضت ماً من الزهراء حشاشة قلبها وهو المروع فاطمة الزهراء العلة الغائية (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علىّ لما خلقتك؛ ولولا فاطمة لما خلقتكما) [۳۲۴] . هذا الحديث من الأحاديث المأثورة التى رواها جابر بن عبدالله الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تبارك وتعالى ومن المعلوم أن كلام الله تعالى جاء على قسمين أحدهما ماورد فى القرآن الكريم والأخر ما جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دون ان يكون له وجود فى القرآن الكريم وهو ما يعبر عنه بالاحاديث القدسية التى خاطب بها الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولقد جمعت كثير من الكتب هذه الاحاديث القدسية مثل كتاب كلمة الله وكتاب الاحاديث القدسية عند الفريقين وغيرهما من الكتب والذى يهمنا فى المقام هذا الحديث القدسى الذى جاء ليثبت للصديقة فاطمة عليها السلام كرامة أخرى، ومنقبة عظمى وذلك من خلال التمعن فى مدلولات هذا الحديث المبارك.

يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك

والخطاب هنا من البارى عزوجل لرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن المعلوم لدينا أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له عدة اسماء وردت على لسان القرآن الكريم مثل «مسجد» صلى الله عليه وآله وسلم (ما كان محمداً أبا أحدٍ من رجالكم) ومثل أحمد (ومبشراً برسولٍ يأتى من بعدى اسمه أحمد)، وكذلك ياسين، وغيرها من الأسماء التى جاءت بتعابير مختلفة، [صفحه ۲۳۲] وفيما نحن فيه جاء الخطاب للرسول باسم أحمد، حيث توجه إليه الخطاب الالهى ليقول له لولاك يا رسول الله لما خلقت الموجودات التى هى متيسرة فى الافلاك، والافلاك هنا معناها كل الموجودت التى تدور حياتها ووجودها فى الكون سواء نعلم بوجودها أم لا نعلم، فعلة خلق الموجودات هو لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وهذا ما أكدته كثير من الاحاديث المأثورة فى هذا المقام منها عن النبى «لما خلق الله آدم أبو البشر نفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فأذا فى النور خمسة أشباح سجداً وركعاً. قال آدم: يا رب! هل خلقت أحداً من طين قبلى؟ قال: لا، يا آدم؛ قال: من هؤلاء الخمسة الاشباح الذين أراهم فى هيئتى وصورتى؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من اسمائى لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسى، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الأنس ولا الجن، فان المحمود وهذا محمد، وأنا العالى وهذا على وانا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الاحسان وهذا الحسن، وانا الحسن وهذا الحسين آليت بعزتى أنه لا يأتينى أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم الا أدخلته نارى ولا أبالى يا آدم، هؤلاء صفوتى من خلقى بهم أنجيهم، وبهم أهلكهم فاذا كان لك الى حاجة فبهؤلاء توسل فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم نحن سفينة النجاة. من تعلق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت [۳۲۵] . أقول: يظهر من هذا الحديث عدة أمور مهمة تتطابق فى مدلولاتها مع الحديث القدسى الذى نحن بشأن توضيحه، فأنوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام مخلوقة قبل وجود آدم، وأكد الحديث على أن علة خلق آدم هو من أجل هذه الانوار ـ حيث قال الله تعالى لادم: لولاهم ما خلقتك بل تجاوز الأمر إلى أن كل الموجودات هى مخلوقة بسببهم فالعرش والجنة والنار والكرسى والسماء والأرض والملائكة والإنس والجن كلهم لن يوجدوا لولا وجود انوار أهل البيت بما فيهم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك نجد فى حديث الكساء المتقدم الذكر فى كتابنا هذا انه يصف علة ايجاد الأفلاك هو لأجل أهل البيت عليهم السلام حيث يقول الله تعالى «ملائكتى ويا سكان سماواتى إنى ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجرى ولا فلكاً يسرى إلا فى محبة هؤلاء عليهم السلام [۳۲۶] أى إنى لأجل حبهم وأنوارهم خلقت هذه الأفلاك. اذن يظهر من هذه الامور ومن خلال عدة احاديث مأثورة ان الأفلاك والموجودات ما خلقت لولا ـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا احمد لولاك لما خلقت الافلاك» وهذه العبارة مطابقة لمضمون كثير من

الاحاديث الولائية سواء كانت من كتب الخاصة أو العامة. وبعبارة أخرى لتوضيح المطلب: أولاً: حينما نسأل، لماذا خلق الله الكون «الافلاك»؟ فإن الجواب يأتي من القرآن الكريم وهو أن الله خلق الكون والحياة من أجل الإنسان، لأنه قال: (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً...)، وقال: (وسخر لكم الشمس والقمر... وسخر الليل والنهار) وسخر كل شيء في السموات، وكل شيء في الأرض، وسخرها في خدمة الإنسان، لأنه حينما يقول: سخرها، فإن ذلك يعني أنه جعلها، في خدمة الإنسان مسخرة له، يتصرف بها كيف يشاء... مثل تسخير القمر، والبحر للانسان، فمن القمر، ننتفع بالضوء، ومن البحر ننتفع بالماء... وكما ان القمر يحمل السفن الفضائية على ظهره، كذلك البحر يحمل السفن الشراعية على ظهره أيضاً. إذاً: فالجواب على السؤال المتقدم: لماذا خلق الله الافلاك والكون، والحياة؟ أقول: الجواب، خلقها من أجل الإنسان، كما صرح بذلك القرآن الكريم، في أكثر من مائة آية كلها تؤكد المعنى، وتصب اهتماما في هذا الجانب، بكلمة: سخر... وجعل.. الخ. وثانياً: نسأل، لماذا خلق الله الإنسان؟ ويأتي الجواب من القرآن أيضاً: إنه للعبادة، (وما خلقت الجن، والانس إلاّ ليعبدون) [۳۲۷] . [صفحه ۲۳۴] والعبادة لاتتحقق إلاّ بشروط، ومن أهم تلك الشروط: (أ) معرفة الطريق. وكشف الوسيلة.. ووجود القائد، لأنه من دون القائد، لا يمكن الإنطلاق في اتجاه صحيح، ولذلك صار القائد، الإمام المعصوم.. ومعنى ذلك: أن فقدان القائد، يعني فقدان العبادة، وإذا فقدت العبادة، انتفت الحكمة من وجود الإنسان، واذا انتفت الحكمة من وجود الإنسان، ولم يعد لوجود الافلاك معنىً، لأن الافلاك انما وجدت بوجود الإنسان الذي يعبد الله، ولذلك عندما تقوم الساعة، وينتهي دور الإنسان في الحياة، فإن الكواكب، والنجوم، والافلاك كلها تتمزق شذر مذر، وينتهي دورها: وحملت الأرض والجبال، فدكتا، دكة واحدة، ويقول: (ويسألونك عن الجبال، فقل ينسفها ربي نسفاً) [۳۲۸] ويقول القرآن الكريم: (إذا السماء انشقت). (وإذا النجوم..). وعليه فمن كل ما تقدم، نخرج بالنتيجة التالية: وهي أن الله سبحانه ـ لولا الحبيب المصطفى ـ لم يخلق الكون، ولا الافلاك.. ولأنّ هذه الحكمة، لا تسقط بموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما تستمر الحكمة، من خلال الأئمة الطاهرين عليهم السلام أجمعين. وعلى هذا الأساس كان خلق السماوات والأرض وما بينهما لاجل الإنسان وليعبد الله تعالى بعد معرفة الإنسان بان الله تعالى خلقه بقدرته لذلك وانه سيبعثه يوم القيامة لتجزى كل نفس بما كسبت ومن الضرورى الذى ثبت فى محله ان الذين الذى رضى به الله تعالى واتمه واكمله لعباده هو الذى قال فيه تعالى ـ (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا). هذا هوالدين القيم الذى ارسل به رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)، فظهر مما ذكرنا اجمالا معنى قوله «لولاك ما خلقت الأفلاك» وذلك لكونه سيد المرسلين وخاتم النبيين، ورسولا إلى الناس جميعا بهذا [صفحه ۲۳۵] الدين المبين، وفي ذلك يقول سيدنا الأستاذ آية الله السيد عادل العلوى ما نصه: «فغاية الخلق هو الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الصادر الأوّل ـ لقاعدة الأشرق كما في الفلسفة ـ وقد ورد في الخبر الشريف ـ كما تقدم ذلك ـ أول ما خلق الله نور محمد فهو العلة التامة بعد علة العلل وهوالله سبحانه [۳۲۹] .

ولولا على لما خلقتك

أى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا أمير المؤمنين على بن ابى طالب لما خلقتك، وربما يظهر من هذا الكلام بعض التشويه لمن ليس له الباع الطويل لفهم ودراية احاديث أهل البيت عليهم السلام، ولكن بأبسط تأمل وتدقيق فى معانى هذا الكلام ينحل لنا هذا اللغز الحير، فالرواية التقدمة فى علة خلق الموجودات تبين ان لولاهم ما خلقتك يا آدم، أى ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام على عليه السلام مشتركين فى نفس الأمر لكون الإمام على هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكما عبرت عنه آية المباهلة «انفسنا» فلا يتوهم المتوهمين فى عدم تأويل وبيان هذا الأمر وتوجد نكته مهمة فى هذا المقام متعلقة بأسرار البسملة ليست بقابلة للتقرير والتحرير، حيث قيل فى هذا المقام ان الوجود ظهر من باء بسم الله الرحمن الرحيم وكما ورد ذلك فى الاحاديث المأثورة عن أهل بيت العصمة وقيل «بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد عن المعبود». وقال أمير المؤمنين ومولى الموحدين على

عليه السلام «والله! لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من «شرح» باء بسم الله الرحمن الرحيم». وقال ايضاً «انا النقطة تحت الباء» لانه كنقطة بالنسبة إلى التعين الأوّل الذى هو النور الحقيقى المحمدى لقوله ـ أى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ «أول ما خلق الله نورى المسمى بالرحيم» ولقوله «أنا وعلى من نور واحد» لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كالباء وعلى عليه السلام كالنقطة تحتها، لأنّ الباء لا ـ تعين إلا ـ بالنقطة، كما أن النبى لا يتكمل إلا بالولاية، ومن هنا كان لولا على لما خلقتك يا رسول الله فأفهم تغنم والله الهادى إلى [صفحه ۲۳۶] الحق، وعلى هذا الاساس فانه لا بد للرسالة السماوية من حجج وائمة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وما أثبت هذا فى محله من علم الكلام. لأنّ الأرض لا تخلو من حجة وامام فى كل زمان، وأنه «من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» وهذا على عليه السلام امام واب الأئمة المعصومين عليهم السلام كلهم خلقوا من أجل هذا الدين الحنيف الذى روحه العبودية لله رب العالمين برسالة رسوله وخلافة هؤلاء الأئمة الامناء على الدين، وصفوة الله وخزان علمه... عليه السلام. اذن العلة التامة كما قلنا فى كمالاتها وصفاتها التى هى مظهر لاسماء الله وصفاته هو رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الإنسان الكامل والمخلوق الاتم ـ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ لابد لمثل هذه العلة النورانية والكلمة الالهية التامة من معلول يشابهه ويناسخه لقانون العلة والمعلول كما هو ثابت فى الفلسفة والحكمة المتعالية ويكون عندئذ هو نفسه وهو أمير المؤمنين اسد الله الغالب على بن ابى طالب عليه السلام ومما يدل على ذلك هو آية المباهلة، فيظهر من هذا كله معنى ولولا على لما خلقتك.

ولولا فاطمة لما خلقتكما

وذلك لكو فاطمة عليها السلام أم ابيها فهى جمعت الكمالات المحمدية وكانت مظهراً للصفات الربوبية وهى بقية النبوة ولولاها لما قام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم للدين عمود ولا أخضر له عود بنورها زهرت السماوات العلى. وكذلك كونها ام الأئمة. وهى الوعاء الطاهر لذرية النبى صلى الله عليه و آله وسلم، وهى الكوثر الذى لا ينقطع عطاؤه... ومنها الامتداد العلوى لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فاذا عرفنا ذلك أدركنا عظمة الزهراء وحكمة وجودها لأنّ صلاح العالم كله انما يكون وينطلق من ابناءها ويكفى دليلا على ذلك، ان يكون صلاح العالم، واصلاح الدنيا اليوم، بواحد من ابناء فاطمة عليها السلام وهو الإمام المهدى عليه السلام يقول الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه و آله وسلم «المهدى من ولد فاطمة». اذا فإن فاطمة الزهراء، هى الصديقة الكبرى، وهى الكوثر المتدفق بالعطاء، وهى [صفحه ۲۳۷] أم الأئمة الطاهرين، ولولاها، لانعدمت الحكمة، من وجود الإسلام، وتكوين الحضارة، لأن الحضارة إنما قامت بأبناء فاطمة أخذاً من الإمام الحسن والحسين، وعلى بن الحسين والباقر والصادق... ومروراً بالإمام الكاظم، والرضا والجواد، وانتهاءً بالإمام الهادى، والعسكرى والإمام الحجة المنتظر عليهم افضل الصلاة وأزكى السلام. ومن هنا جاء فى تعريف فاطمة، أنها ليلة القدر.. وأن الذى يعرف حقها، وقدرها يدرك ليلة القدر، ويستوعب مفهوم هذه الليلة العظمية التى نزل فيها القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، ولا يتحقق هذا المعنى من وجود الهداية، والبينات إلّا بوجود الأئمة المعصومين، من أبناء فاطمة... [۳۳۰] . والنتيجة هى: أنه لولا فاطمة، لما كان هناك حكمة من وجود الاسلام، وعلى هذا الاساس، دون هذا المنطلق، تنتفى حكمة البعثة، وإذا لم يبعث النبى، لم يوجد الوصى، وهكذا نجد أن هذه المسألة على عمقها، فإنها واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار، ولذلك جاء هذا الحديث القدسى، جامعا، معبراً، قال: «يا أحمد ـ لولاك، لما خلقت الافلاك، ولولا على لما خلقتك ولولا فاطمة، لما خلقتكما...». [صفحه ۲۴۳]

فاطمة والولاية التكوينية

اشاره

الشيخ على مديحلى العاملى أدمت خشاشة فاطم الامها مذ ضم والدها العظيم رغامها ودت غداة بفقده قد اثكلت لو زادها من قبل ذاك حمامها تبكى وما بكت الفوائد مثلها مولى تضن بمثله ايامها كم كابدت محنا تنوء بحملها همم الرجال ويشتكى ضرغامها ام الأئمة بنت من بلغ الذرى مجدا أظلما تخفى أعلامها بالله كيف تضام زجراً بعدما مدح الاله لها وبان مقامها شلت يد مدت إلى حرم الهدى كانت تعنفها وخاب مرامها شاءوا مذلتها بظعن محمدٍ فعدا على بيت النبى لئامها تباً لمن قاد الهجوم لبيتها بعد النبى وماثناه كلامها تباً لمن أمر اللعين بضربها فازداد من الم السياط سقامها تباً لغاصبها وكاسر ضلعها حتى يتم له بذاك نظامها وجنينها لا تذكرن جنينها فبذكره عينى يزول منامها ولعينيها بكت الملائك فى السما وكذا امير المؤمنين امامها لهفى عليها مذ قضت وبجنبها أسد الاله وقد ابيح ذمامها قد قيد الصبر الجميل حسامه وبحده كل الامور (حسامها) [صفحه ۲۴۳] فاطمة عليها السلام والولاية التكوينية من المواضيع المهمة التى اخذت حيزاً كبيراً فى العقائد الشيعية هى مسألة الولاية التكوينية حيث كانت بين النفى والاثبات عند بعض علماء الكلام، وسوف نتطرق إلى اثباتها على ضوء الكتاب الكريم والسنة الشريفة، وينبغى أولا وقبل كل شىء بسط الكلام فى معرفتها وبيان معناها وحدودها الشرعية التى أثبتها البارى عزوجل للانبياء والأوصياء بما فيهم خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين فالولاية المطلقة التى كانت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته انما كانت على جميع اصناف المخلوقين من الجهاد والنبات والحيوان والإنسان والملائكة، وبتعبير ادق الولاية هى باطن النبوة المطلقة، وصاحبها هو الموسوم بالخليفة الاعظم وقطب الاقطاب والإنسان الكبير، وآدم الحقيقى المعبر عنه بالقلم الاعلى والعقل الأوّل والروح الاعظم وإليه اشير فى الحديث الشريف الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أول ما خلق الله نورى وكنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وإليه استند كل العلوم والاعمال، وإليه ينتهى جميع المراتب والمقامات نبياً كا أو ولياً، ورسولاً كان او وصياً وقد قال بعض الأعلام فى هذه الولاية [۳۳۱] : فحقيقة الولاية الرتق والفتق فى المولى عليه ما بإمساكه عما عليه وجربه فيما له. وبعبارة أخرى: استحقاق تربية المملوك: لكونه أولى به من نفسه، فهو اسم له تعالى باعتبار أولويته بخلقه من أنفسهم، ثم إن هذه الولاية منشأها هو احتواء الولى للمولى عليه قادراً على الاستبداد به، الذى هو حقيقة الملك فهو الولاية الحقيقية، وإما منشأها الخلافة من المولى الحقيقى؛ لكونه متعالياً عن مجانسة مخلوقاته وجليلاً عن ملائمة كيفياتهم، فينصب الخليفة لتربية المملوكين ماهو يتسحقه منهم عليه؛ لحفظ [صفحه ۲۴۴] علو شأنه وصون ضياع مماليكه عماله عليهم. مثلاً- من لوازم ولايته تعالى على العباد بذل مالهم، ووقف أنفسهم عليه تعالى، وتفديتهم انفسهم واولادهم فلما كان غنياً عن ذلك، ومنزها عما هو من صفات المخلوقين، وكان عباده لا يظهر صدقهم وحقيقة عبوديتهم إلا بأمثال ذلك من لوازم العبودية، فنصب الخليفة لمثل هذه اللوازم؛ لأن ترتبها عليه والعباد ملتزمون بها فقال: (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) فالرسول والمؤمنون إنما هم خلفاؤه تعالى فى الولاية لا شركاؤه تعالى أن يكون له ولى من الذل عواً كبيراً. اقول: لقد بين من خلال قوله هذا حقيقة الولاية التكونية بالوجه العقلى، مع اختصاص الولاية الحقيقية لله تعالى بنحو لا ينقدح فى ذهن أحد فيه غلو والشرك. وقال بعض العارفين [۳۳۲] : اعلم أنه لما اقتضت الكلمة الالهية الجامعة لجميع الكلمات، المشتملة على الاسماء الحسنى والصفات العليا بسط مملكة الايجاد والرحمة، ونشر لواء القدرة والحكمة باظهار المملكات، وايجاد المكونات، وخلق الخلائق، وتسخير الامور وتدبيرها، وكانت مباشرة هذا الامر من الذات القديمة الأحدية بغير واسطة بعيدة جداً. والاحسن ان يقال: واقتضت الحكمة الازلية عدم مباشرة الامور بذاته المقدسة، بل اقتضت الوساطة؛ كما أشير إليه فى بعض الاخبار، وذلك لأنّ التعبير المذكور ربما يعطى عدم امكان المباشرة بلا واسطة، مع انه لا ريب فى امكان ذلك له تعالى بقدرته، نعم لا بالمباشرة الحسية بل بالقدر والخلق لكل شىء حين لزومه بلا واساطة فتدبر تفهم، لبعد المناسبة بين عزة القدم وذلة الحدوث [۳۳۳] . فقضى سبحانه بتخليف نائب عنه فى التصرف والولاية والحفظ والرعاية، فلا محالة له وجه له القدم يخلف عنه فى التصرف، وخلع عليه خلع جميع أسمائه وصفاته، ومكنه فى مسند الخلافة بالقاء مقادير الامور إليه واحالة الجمهور عليه.

فالمقصود من وجود العالم أن يوجد الإنسان، الذى هو خليفة الله فى العالم، فالغرض من الاركان [صفحه ۲۴۵] حصول النباتات، ومن النباتات حصول الحيوانات، ومن الحيوان حصول الإنسان، ومن الإنسان حصول الارواح، ومن الارواح الناطقة حصول خليفة الله فى الأرض كما قال الله تعالى: (إنى جاعل فى الأرض خليفة). فالنبى لابد من أن يكون آخذاً من الله، متعلما من لدنه، معطيا لعباده، هاديا لهم، فهو واسطة بين العالمين سمعا من جانب ولسانا إلى جانب، وهكذا حال سفراء الله إلى عباده وشفعاء يوم تناده، فلقلب النبى بابان مفتوحان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت، وهو عالم اللوح المحفوظ، ومنشأ الملائكة العليمة والعملية، وباب مفتوح إلى القوى المدركة؛ ليطلع على سوانح مهمات الخلق، فهذا النبى يجب ان يلزم الخلائق فى شرعه الطاعات والعبادات؛ ليسوقهم بالتعويد عن مقام الحيوانية إلى مقام الملكية، فان الأنبياء رؤوس القوافل. وقال فى الفرق بين النبوة والولاية: اعلم أن النبوة وضع الآداب الناموسية والولاية كشف الحقائق الالهية، فان ظهر من النبى تبين الحقائق فهو بما هو ولى، فان كل نبى ولى ولا عكس، لان النبى كمرآ لها وجهان: وجه إلى الخلق، ووجه إلى الخلق، فولايته من وجهه إلى الحق، ونبوته من وجهه إلى الخلق. وقيل: النبوة وضع الحجاب، والولاية رفع الحجاب؛ لأنّ دفع الفساد أهم فى نظر النبى، وهو لايتأتى إلّا بوضع الحجاب. وفى شرح الصحيفة السجادية على منشيها آلاف الثناء والتحية ماملخصه: الولى فعيل: بمعنى المفعول، وهو من يتولى الله أمره كما قال تعالى: (وهو يتولى الصالحين) [۳۳۴] وقيل: بمعنى الفاعل أى الذى يتولى عبادة الله، ويوالى طاعته من غير تخلل معصية، وكلا الوصفين شرط فى الولاية. وقال المتكلمون: الولى من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل، وبالأعمال الشرعية، والتركيب يدل على القرب، فكأنه قريب منه تعالى لاستغراقه فى أنوار معرفته وجمال جلاله. وقيل فى بيانه: الولى من يتولى الله تعالى بذاته أمره، فلا تصرف له اصلا اذ [صفحه ۲۴۶] لا وجود له ولا ذات ولا فعل، ولا وصف، فهو الفانى بيد المفنى يفعل ما يشاء حتى يمحو رسمه واسمه ويمحق عينه وأثره، ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه، هذا عام يشمل غير الأئمة عليهم السلام. وقيل: الولى هو المطلع على الحقائق الالهية، ومعرفة ذاته تعالى وصفاته وأفعاله كشفاً وشهوداً من الله خاصة من غير واسطة ملك أو بشر. وقيل: هو من تثبت له الولاية، التى توجب لصاحبها التصرف فى العالم العنصرى، وتدبيره باصلاح فساده واظهار الكمالات فيه، لاختصاص صاحبها بعناية الهية توجب له قوة فى نفسه، لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتصال بالعالم العلوى، واكتساب العلم الغيبى منه فى حال الصحة واليقظة، بل تجمع بين الأمرين لما فيها من القوة التى تسع الجانبين، والولاية بهذا المعنى مرادفة للامامة عند الامامية. وفى الكلمات المكنونة للمولى العارف الكامل الفيض الكاشانى (رضوان الله تعالى عليه) كلمة فيها اشارة إلى النبوة والولاية: الإنسان الكامل اما نبى او ولى ولكل من النبوة والولاية اعتباران: اعتبار الإطلاق، واعتبار التقييد، أى العالم والخاص. فالنبوة المطلقة وهى النبوة الحقيقية الحاصلة فى الأزل، الباقية إلى الابد، وهو اطلاع النبى المخصوص لها على استعداده من حيث انه الانباء الذاتى والتعليم الحقيقى الازلى المسمى بالربوبية العظمى والسلطنة الكبرى. وصاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم، وقطب الأقطاب، والإنسان الكبير، وآدم الحقيقى المعبر عنه بالقلم الاعلى، والعقل الأوّل، والروح الاعظم، وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أول ما خلق الله نورى، وكنت نبياً وآدم بين الماء والطين ونحو كان او وليا، رسولا كان او وصيا. وباطن هذه النبوة هى الولاية المطلقة، وهى عبارة عن حصول هذه الكمالات بحسب الباطن فى الأزل وبقائها إلى الأبد، ويرجع إلى فناء العبد فى الحق وبقائه به، وإله الاشارة بقوله: أنا وعلى من نور واحد، وخلق روحى وروح على ابن ابى طالب قبل أن يخلق الخلق بألفى عام، وبعث علياً مع كل نبى سراً ومعى جهرا، وبقول امير المؤمنين عليه السلام: كنت وليا وآدم بين الماء والطين إلى غير ذلك. والنبوة المقيدة هى الأخبار عن الحقائق الالهية أى معرفة ذات الحق وأسمائه وصفاته وأحكامه، فان ضم مع تبليغ الاحكام والتأديب بالاخلاق [صفحه ۲۴۷] والتعليم، وبالحكمة والقيام بالسياسة، فهى النبوة التشريعية وتختص بالرسالة، وقس عليها الولاية المقيدة. فكل من النبوة والولاية من حيث هى صفة الهية مطلقة، ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء مقيدة، والمقيد متقوم بالمطلق، والمطلق ظاهر فى المقيد فنبوة الأنبياء كلهم جزئيات النبوة المطلقة، وكذلك ولاية الأولياء جزئيات الولاية المطلقة، ولكل من الاقسام الاربعة ختم، أى مرتبة ليست فوقها مرتبة اخرى، ومقام لانبى على ذلك المقام ولاولى سوى

الشخص المخصوص به، بل الكل يكون راجعا إليه وان تأخر وجود طينة صاحبه فانه بحقيقته موجودة قبله. وخاتم النبوة المطلقة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وخاتم الولاية المطلقة امير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والنبوة المقيدة انما كملت وبلغت غايتها بالتدريج، فأصلها تمهد بآدم عليه السلام ولم تزل تنمو وتكمل حتى بلغ كمالها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا كان خاتم النبيين، وإليه الاشارة بما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم: مثل النبوة مثل دار معمورة لن يبق فيها إلّا موضع لبنة، وكنت انا تلك اللبنة، او لفظ هذا معناه. وكذلك الولاية المقيدة انما تدرجت إلى الكمال حتى بلغت غايتها إلى المهدى الموعود ظهورة، الذى هو صاحب الأمر فى هذا العصر، وبقية الله اليوم فى بلاده وعباده (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه المعصومين). وقال بعضهم [۳۳۵] : الولاية هى قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وعند ذلك يتولى الحق إيّاه حتى يبلغه مقام القرب التكمين، وشرحه بعضهم بقوله: الولاية مأخوذة من الولى وهو القرب ولذا يسمى الحبيب وليا، لكونه قريبا من محبه، وفى الاصطلاح: هو القرب من الحق وهى عامة وخاصة، والعامة حاصلة لكل نبى آمن بالله وعمل صالحا، والخاصة هى الفناء فى الله ذاتا وصفة وفعلا، فالولى هو الفانى فى الله القائمن به الظاهر بأسمائه وصفاته. وعن السيد نعمة الله الجزائرى رحمة الله قال: الولاية بقاء العبد بالحق فى حال الفناء. وقيل: هى التخلق بأخلاق الله تعالى بأخلاق الله تعالى والفناء بعد الفناء وصحو بعد المحو. وقال السبزوارى فى شرحه على الاسماء الحسنى ص ۹: الولى له معان كثير منها: المتولى لأمور العالم التصرف فيه، إلى ان قال: وهو بما هو ولى أتم [صفحه ۲۴۸] وأكمل منه بما هو نبى، لأن ولايته جنبته الحقانية واشتغاله بالحق ونبوته وجهه الخلقى وتوجيه اليهم. ولا شك فى أن الاولى اشرف لكونها أبدية، بخلاف الثانية فانها منقطعة. فاذا سمعتم يقولون: الولاية أفضل من النبوة، فيعنون ذلك فى شخص واحد وهو: ان النبى من حيث هو ولى افضل من حيث هو نبى لا الولى التابع، هذه بعض التعارف فى معنى النبوة والولاية فى كلمات القوم وهناك تعاريف متقاربة اللفظ والمعنى حاصلها يرجع إلى الولاية الحقيقية التى بيناها، فما ذكرنا من التعاريف يشير إلى تعريفها الحقيقى الوجدانى الجامع ولكن معلوم لدينا ان احاديثهم عليهم السلام من الصعب المستصعب، وان بعض الاحاديث المأثورة تشير إلى حقيقة ولايتهم التى منحها الله تعالى اياهم وهى من غوامض اسرارهم ومعارفه، فأصل حقيقتها لم يحتملها احد بل هى امر مخصوص بهم، وربما منحوا بعض شؤونها للاولياء الخلص، اذن فأصل الولاية لم تظهر حقيقتها لأحد،وأما ما سمعت من التعاريف لها فهى التى عرضها كل منهم عليحسب دركه وإلّا فحقيقتها بعد مبهمة علينا والوجه فى ذلك عدم قابليتنا لدركها كما أشير إليه فى بعض الاحاديث، ففى البصائر عن جابر قال عليه السلام «يا جابر ماسترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم». وفى حديث مفضل فى البصائر قوله عليه السلام: «فأحسن الحديث حديثنا، ال يحتمل احد من الخلائق أمره بكماله حتى يجده، لأنه من حد شيئا فهو اكبر منه». ولذا ترى الأئمة عليهم السلام انما بينوا ولايتهم المطلقة التكوينية ببيان آثارها اما علماً أو عملاـ اما الأول: فكا الاحاديث الواردة فى بيان شؤون ولايتهم بالسنة وهى مختلفة التى منها الزيارة الكبيرة. وأما الثانى: فكالمعجزات التى صدرت عنهم فانها تحكى حقيقة ولايتهم التكوينية وهى أكثر من أن تحصى وقد ذكر كثيراً منها السيد السند السيد هاشم البحرانى رضى الله عنه فى كتاب مدينة المعاجز، فراجع. وهكذا القران الكريم ايضاً فانه سبحانه وتعالى بين فيه غالباً ولاية أولياته بأفعالهم الغريبة التى أقدرهم الله عليها، وكما سيأتى بيان ذلك. الولاية التكوينية يمكن أن تعرف بأنها: القدرة والقابلية على التصرف فى التكوينات مطلقا من قبل النبى والأوصياء عليهم السلام وبأذن الله تعالى وليست بالاستقلال [صفحه ۲۴۹] ويمكن اعطاء معنى آخر لهذه الولاية بان نقول: ان الولاية تكوينية الثانية بالوجدان للنبى والأئمة عليهم السلام ومن الأحاديث الشريفة ومن القرآن نفسه هو انه تعالى لما كانت ذاته المقدسة علم وقدرة كله ونور كله كما فى توحيد الصدوق [۳۳۶] ، بإسناده عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لم يزل الله جل وعز ربنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته والامبصر، والقدرة ذاته ولا مقدرة فلما أحدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على البصر والقدرة على المقدور. وأراد أن يخلق لكى يعرف، فخلق كلهم مظاهر لعلمه وقدرته و نوره، أى وجوده، فجميع مافى الوجود مظاهر لصفاته وأفعاله، فالموجودات لها مراتب مختلفة فى اتصافها بالمظهرية حسب اختلافها فى القرب إليه تعالى والبعد عنه تعالى، فكل موجود

كان أقرب إليه تعالى كان أكثر مظهراً لصفاته وأفعاله تعالى. ومن المعلوم أن المستفاد من الآيات والاحاديث هو: أن أول الموجودات قرباً حدوثاً وبقاءً بالنسبة إليه تعالى هو أرواح محمد وآله الطاهرين الأئمة المعصومين عليهم السلام. فلذا هم المظاهر الاتم لصفاته وافعاله تعالى، فكل موجود كان أتم وأكمل فى المظهرية فهو أكبر من آية وعلامة ودليلاً عليه تعالى، وحيث لا أقرب إليه تعالى ولا أتم فى المظهرية منهم عليهم السلام فهم الآية الكبرى. ولذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والوصى عليه السلام: «مالله آية أكبر منى» وجهة كونهم أتم المظاهر؛ لكونهم أقرب الموجودات إليه تعالى، ولأنّ علمه تعالى وقدرته ونوره أكثر ظهوراً فيهم عليهم السلام وذلك لانهم الاسماء الحسنى. ففى كتاب التوحيد من الكافى، فى باب النوادر باسناده عن معاوية بن عمار، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) [۳۳۷] قال: نحن والله الاسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا [۳۳۸] . [صفحه ۲۵۰] وشرحه الاجمالى ما قاله الصادق عليه السلام ففيه فى ذلك الباب باسناده عن مروان ابن صباح قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ان الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه فى عباده، و لسانه الناطق فى خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذى يؤتى منه، وبابه الذى يدل عليه، وخزانه فى سمائه وأرضه، بنا أثمرت الاشجار، وأينعت الثمار، وجرت الانهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبدالله، ولولا نحن ما عبدالله، هكذا غيره من الاحاديث الأخر. ولازم ذلك هو أن آثار القدرة وآثار العلم فيهم عليهم السلام أكثر ظهوراً مما ظهر من غيرهم، ومن المعلوم أن قدرته تعالى هى النافذة فى الاشياء والمتصرفة فيها، بل لا وجود لغيره تعالى مطلقا إلّا بالقدرة، فحينئذ لازمه أن قدرتهم هى قدرة الله الظاهرة فيهم عليهم السلام النافذة فى الاشياء بإذنه تعالى، فهم بهذا المعنى أولياؤه تعالى أى المتصرفون بإذنه فى الوجود، وهذا معنى الولاية التكوينية [۳۳۹] . وعلى أساس هذا البيان الذى قدمناه فى معنى الولاية وتعريف الولاية التكوينية، وكلام القوم فيها، سوف يكون بحثنا فى مقامين: المقام الأوّل: امكان وقوع الولاية التكوينية. المقام الثانى: الولاية التكوينية لفاطمة عليها السلام.

امكان وقوع الولاية التكوينية

اختلف العلماء الاعلام فى امكان الولاية التكوينية ووقوعها فى ثلاث أقوال: ۱ ـ فمنهم من قال لا وجود للولاية التكوينية فى القرآن ولا يوجد دليل واحد يدل عليها، واستدل على ذلك بان القرآن الكريم نفسه يؤكد على ان النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك من أمره شيئاً إلّا ماملّكه الله بشكل طارىء... وايضاً الأنبياء لا يملكون ان [صفحه ۲۵۱] يقدموا أى شىء فيما يقترحه الناس، ولو كانوا يملكون لاستجابوا لاقتراحات الناس. ۲ ـ القول الثانى يقول بامكان هذه الولاية التكوينية للانبياء والأوصياء ولكن اختلف فى وقوعها أو عدم وقوعها. ۳ ـ والقول الاخير يقول بامكان هذه الولاية وانها وقعت فى المحيط الخارجى واستدل هذا الاخير بعدة أدلة قدمها لكى تكون له برهان على مصداقية هذه المسألة. وقبل أن مختار أى الاقوال هو الصحيح؟ لابد لنا من الوقوف مع المصدر الأوّل الذى أمرنا الله تعالى بالرجوع إليه والذى هو (تبياناً لكل شىء) والذى نعتبره اهم مصادرنا التى نستدل به على كثير من القضايا بل كل الوقائع وهو القران الكريم. اقول: لابد لنا من استنطاق القرآن الكريم ليخبرنا عن امكان هذه المسألة وامكان وقوعها فى الخارج، وعليه لابد من ان نوضح مسألة مهمة قبل الدخول فى بحث القرآن الكريم لاثبات هذه القضية، وهى ان كل مانقوله فى شأن هذه الولاية التكوينية ولمن ثبتت له نقول انما تكون بالتبع لا بالذات ولا بالاستقلال فانه لا يوجد من يقول من العلماء بأنه هذه الولاية انما تكون بالذات كلا والف كلا فان كل من قال بها انما يقول هى بالذات وبالاصل لله تعالى وبالتبع وبالتفرع للانبياء والأوصياء عليهم السلام فلابد لنا ونحن نقف مع هذا البحث المهم أن نتذكر فى كل استدلالاتنا هذا الاصل أى انها بالتبع لابالذات. السؤال المطروح الآن هو: هل توجد آيات قرآنية تدل على امكان هذه الولاية او بتعبير ادق على وقوع هذه الولاية التكوينية؟ والجواب: جاء فى لسان القرآن الكريم عدة آيات مباركة تدل على امكان وقوعها بل انها وقعت لكثير من الأنبياء، وليس هذا مجرد قول من دون دليل او برهان علمى يصدق هذه المسألة بل لتوضيح الأمر لابد لنا ان نقف مع هذه الايات لكى نعرف مدى دلالاته على هذه المسألة ومنها: قوله تعالى:

(... أنّى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً [صفحه ۲۵۲] بأذن الله وأبرئ الأكمة والابرص وأحى الموتى بأذن الله) [۳۴۰] . فالمستفاد من هذه الآية هو نسبة الخلق إلى غير الله تعالى كما يشعر به قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) حيث الله هو الخلق الحقيقى، وفى هذه الآية نسب الله تبارك وتعالى الخلق إلى عيسى عليه السلام وعليه هذه التصرفات التى صدرت من عيسى عليه السلام واثبتها القرآن الكريم انما هى كانت منصبة على التكوينات مثل خلق الطير أى جمع اجزاءه وكذلك ابراء الاكمة والابرص الذين هم فى خلقتهم خلل تكوينى، والاعظم من هذا كله هو احياء الموتى، وهل هذا إلّا فى دلالة كبيرة على عظمه الأنبياء وعلى الولاية العظيمة التى اعطاها الله تبارك وتعالى لهم والتى نعبر عنها بالولاية التكوينية أى الولاية العظيمة التى اعطاها الله تبارك وتعالى لهم والتى نعبر عنها بالولاية التكوينية أى التصرف فى التكوينيات، على ان قوله تعالى «بأذن الله» الذى تكرر فى الآية المباركة مرتين سيق للدلالة على ان صدور هذا التصرف التكوينى عبر الآيات الباهرات للعقول من عيسى عليه السلام انما كان مستنداً إلى الله تعالى من غير ان يستقل عيسى عليه السلام بشىء من ذلك وانما كرره تكراراً يشعر بالاصرار منه تعالى بالوهيته استدلالا بالايات المعجزة الصادرة عنه، ولذا كان يقيد كل آية يخبر بها عن نفسه مما يمكن ان يضلوا به الخلق والاحياء بأذن الله. وفى ذلك يقول العلامة السيد الطباطبائى فى تفسيره الميزان وظاهر قوله: أنى أخلق لكم «الخ» ان هذه الايات كانت تصدر عنه صدوراً خارجيا لا ان الكلام مسوق لمجرد الاحتجاج والتحدى، ولو كان مجرد قول لقطع العذر واتمام الحجة لكان من حق الكلام ان يقيد بقيد يفيد ذلك كقولنا: ان سألتم او اردتم او نحو ذلك. على ان ما يحكيه الله سبحانه من مشافهته لعيسى يوم القيامة يدل على ان وقوع هذه الايات أتم الدلالة، قال: (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ـ إلى ان قال ـ واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بأذنى وتبرىء الاكمة والابرص بأذنى واذ تخرج الموتى) [۳۴۱] ومن هنا يظهر فسد ماذكره بعضهم: أن قصارى ما تدل عليه الآية ان الله سبحانه جعل فى عيسى بن مريم هذا السر، وان احتج على الناس بذل وأتم الحجة عليهم بحيث لو سألوه شيئاً من ذلك لأتى به، أما ان كلها او بعضها فلا دلالة فيها على ذلك [۳۴۲] وعلى اساس هذا البيان يظهر لنا من خلال التمعن والتدقيق فى مدلولات هذه الآية اضافة إلى آيات اخرى الولاية التكوينية لنبى الله عيسى وعلى ضوء الاساس والاصل الذى اعتمدناه فى مقدمة حديثنا الذى نقول فيه ان الولاية التكوينية انما هى بالتبع لا بالاستقلال لذلك نجد ان الآية المباركة تقول بأذن الله أى جعلت الولاية والتصرف فى التكوينات باذن الله تعالى لا بالاستقلال، وعليه ثبوت هذا القول بهذا البيان، تكون هذه الولاية ايضا ثابتة لاهل البيت عليهم السلام وذلك لأنهم عليهم السلام افضل من جميع الأنبياء وكيف وقد ثبت لنا بالادلة النقلية ان عيسى عليه السلام يصلى خلف الإمام المهدى عند ظهورة الشريف هذا ملخص البيان فى الآية الاولى التى أثبت الولاية التكوينية وعلى لسان القرآن الكريم. أما الآية الثانية فهى فى قصة سليمان وملكة سبأ: (قال يا ايها الملؤ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أشكر ام أكفر...) [۳۴۳] والذى يهمنا فى هذه الايات قوله تعالى «قال الذى عنده علم من الكتاب» الذى يستفاد منه ان الذى عنده علم من الكتاب انما قال قوله هذا قبال من كان من الجن وهذا يدل على انه كان من الانس، وقد وردت الروايات عن ائمة أهل البيت عليهم السلام انه كان آصف بن برخيا وزير سليمان وانه كان كما قيل عنده اسم الله الأعظم، وقد تصرف آصف بن برخيا فى التكوينات عن طريق ولايته، فى ذلك حيث نقل عرش بلقيس بأقل من طرفة عين، وهذا فيه دلالة واضحة على ولايته التكوينية على انه لم تقل الآية المباركة التى جاءت لسياق بيان هذه الولاية انها كانت بأذن الله تعالى وانما بينت القضية عن طريق العلم الذى بحوزته من الكتاب، والمراد من هذا الكتاب الذى هو مبدأ هذا العلم العجيب الذى جعله يتصرف هذا التصرف اما جنس [صفحه ۲۵۴] الكتب السماوية او اللوح المحفوظ والعلم الذى أخذه هذا العالم منه كان علما يسهل الوصول إلى هذه البغية، وهذه كله ليس فيه تنافى من ان تكون ولايته بأذن الله تعالى لأنه هو الذى اعطاها له، وعليه تكون هذه الولاية مطابقة للاصل الذى يقول بالتبع لا بالإستقلال وقد ذكر المفسرون انه كان يعلم اسم الله الاعظم اذا سئل به اجاب ذكر بعضهم ان ذلك الاسم

هو الحى القيوم، وقيل: ذو الجلال والاكرام وقيل: الله الرحمن وقيل: هو العبرانية آهيا شراهيا، وقيل: انه دعا بقوله: يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا ـ اله إلّا انت اتينى بعرشها إلى غير ذلك مما قيل. على انه من الحال ـ على ما ذكره المفسرون ـ ان يكون الاسم الاعظم الذى له التصرف فى كل شيء من قبيل الالفاظ ولا المفاهيم التى تدل عليها وتكشف عنها الالفاظ بل ان كان هناك اسم له هذا الشأن او بعض هذا الشأن فهو حقيقة الاسم الخارجية التى ينطبق عليها مفهوم اللفظ نوعاً من الانطباق وهى الاسم حقيقة واللفظ الدال عليها اسم الاسم، ولم يرد فى لفظ الآية نبأ من هذا الاسم الذى ذكروه بل الذى تتضمنه الآية انه كان عنده علم من الكتاب وانه قال: انا آتيك به، ومن المعلوم مع ذلك ان الفعل فعل الله حقيقة، وبذلك كله يتحصل انه كان له من العلم بالله والارتباط به ماذا سأل ربه شيئا بالتوجه إليه لم يتخلف عن الاستجابة وان وتبين مما تقدم ايضا ان هذا العلم لم يكن من سنخ العلوم الفكرية التى تقبل الاكتساب والتعلم [۳۴۴] وعلى كل حال فان الآية المباركة اثبتت الولاية التكوينية فى التصرف فى الاشياء من خلال اسم الله الاعظم، فتكون هذه الآية الثانية فى اثبات حقيقة الولاية لوصى نبى من الأنبياء وهو اصف بن برخيا. (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءً ثم أدعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم) [۳۴۵] . وهذا الآية من الايات التى استدل بها على الولاية التكوينية وامكان وقوعها فى الواقع الخارجى وعلى ضوء المصدر الأوّل للمسلمين القرآن الكريم وبيان الحال فيها [صفحه ۲۵۵] يكون على ضوء التقرير المستفاد من هذه الآية المباركة وهو كالاتى: ان ابراهيم عليه السلام طلب من الله تعالى الرؤية فى قضية احياء الموتى وانه كيف يحى الله الموتى، وليس المراد من الله تعالى البيان الاستدلالى لابراهيم فى هذه القضية فان الأنبياء، وليس المراد من الله تعالى البيان الاستدلالى لابراهيم فى هذه القضية فان الأنبياء مثل ابراهيم الخليل ارفع قدرا وشأنا من ان يعتقد البعث ولا حجة له عليه، والاعتقاد النظرى من غير حجة عليه ما اعتقاد تقليدى أو ناشيء عن اختلال فكرى وشيء من هذا القبيل لا ينطبق على ابراهيم عليه السلام، على أنه سأل بلفظ كيف وانما يستفهم بكيف عن خصوصية وجود الشيء لا عن اصل وجوده فانك اذا قلت: ارأيت زيداً كان معناه السؤال عن تحقق اصل الرؤية، واذا قلت كيف رأيت زيدا كان اصل الرؤية مفروغاً عنه وانما السؤال عن خصوصيات الرؤية، فنظر انه انظر سأل البيان بالإرائة والإشهاد لا بالإحتجاج والإستدلال. على ان إبراهيم إنما سأل عن يشاهد كيفية الاحياء لا أصل الاحياء كما ان ظاهر قوله: كيف تحى الموتى، والسؤال بأجزائها الذى به تلبس الحياة، ويرجع محصلة اى السؤال عن السبب وكيفية تأثيره، وهذا بوجه هو الذى يسميه الله سبحانه بملكوت الاشياء فى قوله تعالى عز من قائل: (انما امره اذا اراد ان يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) ولقد اعطى الله تبارك وتعالى القدرة على التصرف عن طريق ولاية او عن طريق قوة او شيء آخر فى احياء الطيور الاربعة، وقضية احيائها انما عن طريق التصرف فى التكوينيات بواسطة قوة مؤثرة فاعلة حقيقية جعلها البارىء على يد ابراهيم عليه السلام وليس مثل ماتوهم بعضهم من دعوة ابراهيم للطيور فى احيائها وقول عيسى عليه السلام لميت عند احيائه: قم بأذن الله وجريان الله تعالى فى الفاظهم المؤلفة من حروف الهجاء، او فى ادراكهم التخيلى الذى تدل عليه الفاظهم نظير النسبة التى بين الفاظنا العادية ومعانيها وقد خفى عليهم ان ذلك انما هو عن اتصال باطنى بقوة الهية غير مغلوبة وقدرة غير متناهية هى المؤثرة الفاعلة بالحقيقة، وعلى أى حال انما امر الله تعالى نبيه ابراهيم الخليل بأخذ اربعة من الطير ليعرفها فلا شك فيها عند اعادة الحياة اليها، ولا ينكرها، وليرى ما هى عليه من [صفحه ۲۵۶] الإختلاف والتغير اولا وزوالها ثانيا، وقوله تعالى فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى اذبحهن وبدد اجزائهن واخلطها ثم فرقها على الجبال، الموجودة هناك لتتباعد الاجزاء وهى غير متميزة، وقوله ثم ادعهن أى ادع الطيور يأتينك سعيا، أى يتجسدن واتصفن بالاتيان والاسراع اليك. والذى نريد القول به من كل هذا البيان ان الله تعالى اجرى الولاية التكوينية على يد ابراهيم الخليل وبأذنه تعالى حيث يقول البارى عزوجل: فخذ، فصرهن، ثم اجعل بصيغة الأمر ويقول ثم ادعهن يأتينك فان الله تعالى جعل إتياهن سعيا وهو الحياة مرتبطا متفرعا على دعوة ابراهيم نفسه فهذه الدعوة هى السبب الذى يفيض عنه حياة ماارايد احيائه، ولا الاحياء إلّا بامر الله تعالى، قد كانت متصلة نحو اتصال بأمر الله الذى منه تترشح حياة الاحياء، وعند ذلك شاهده ابراهيم ورأى

كيفيـة فيضـان الأمر بالحياة، ولو كانت دعوة ابراهيم اياهن غير متصـلة بأمر الله الـذى هو ان يقول لشـىء اراده: كن فلا يكون فلا تأثير جزافى فى الوجود فيظهر من هـذا كله ان ابراهيم كان تصـرفه تكوينيا أى اعطاه الله الولاية التى نسـميها ولاية تكوينية وبأذن الله تعالى. وكـذلك قوله تعالى: (فسـخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) [۳۴۶] فى قضـية سليمان حيث اعطاه لله تبارك وتعالى ولاية وتصرف فى الريح وهل هذا إلّا ولاية وتصرف فى التكوينات؟ ومنها قوله تعالى: (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى بـل الله الأمر جميعا...) [۳۴۷] عن تفسير على بن إبراهيم قوله: ولو ان قرآنـاً الـخ الآيـة قـال: لو كان شـىء من القرآن كـذلك لكان هذا أقول: يعنى لو كان شـىء مما أقدره الله لعباده فيما انزل عليهم من الوحى مما فيه هذه القدرة، التى بها تسير الجبال وتقطع الأرض ويحى الموتى لكان هو هـذا القرآن المنزل عليه صـلى الله عليه وآله وسـلم. ولاريب ان هـذه الاثار الثلاثة تنبىء عن ان المنزل عليهم هـذا القرآن قـد امكنهم الله من هـذه الامور، فم أعطـاهم من القـدرة، التى بهـا يتصـرفون فى الموجودات، وهـذه حقيقة الولاية التكوينية الثابتة، لهم [صفحه ۲۵۷] بنص القرآن، وإليه يشـير ما عن اصول الكافى باسناده عن ابراهيم، عن ابيه، عن ابى الحسن الأوّل عليه السـلام «قـال: قلت له: جعلت فـداك، اخـبرنى عن النـبى ورث النبيين كلهم قـال: نعم، قلت: من لـدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قـال: مـا بعث الله نبيا إلّا ومحمـد صـلى الله عليه وآله وسـلم اعلم منه، قال: قلت ان عيسـى بن مريم كان يحيى الموتى باذن الله، قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدر على هذه المنازل؟ قال فقال: ان سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وغضب عليه (لأعذبنه عذابا شديدا او لا ذبحنه او ليأتينى بسـلطان مبين)، وانما غضب لانه كان يـدله على المـاء فهـذا وهو طـائر قـد اعطى مـالم يكن يعرف المـاء تحت الهواء وكـان الطير يعرفه، وان الله يقول فى كتابه: (ولو قرآنا سيرت به الجبـال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى). وقـد ورثنـا نحن هـذا القرآن الـذى فيه ما تسـير به الجبال، وتقطع به البلـدان ويحيى به الموتى، ونحن نعرف المـاء تحت الهواء، وان فى كتـاب الله لايـات مـايراد بهـا امر إلّا باذن الله به مع ماقـد يأذن الله بما كتبه المـاضون جعله الله لنـا فى أم الكتـاب، ان الله يقول: (ومـا من غائبـة فى السـماء والأرض إلّا فى كتاب مبين) ثم قال (ثم اورثنا الكتاب الـذين اصـطفيناه من عبادنا) فنحن الذين اصـطفانا الله عزوجل واورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شـى». حيث دل هذا الحديث على انه تعالى اعطى انبياءه الأئمة عليهم السـلام قدرة يتصـرفون بها فى الامور الغيبية، التى يعجز عنها غيرهم من احياء الموتى كما لعيسى ومن تسـيير الجبال وتقطيعها وتكليم الموتى وغيرها مما سـتأتى الاشارة إليه، ثم بين عليه السـلام جامعا كليا فى هـذا الأمر مما جعله الله لهم فى ام الكتـاب، واسـتدل عليه بـان قوله تعـالى: (وما من غائبـة فى السـماء والأرض إلّا فى كتاب مبين) يـدل على ان أى امر غائب عن الناس مما هو ثابت فى السـماء او الأرض يكون فى كتاب مبين. ثم بين قوله تعالى: ثم اورثنا الكتاب، دل على ان الكتاب الـذى مامن غائبة سـماوية او ارضـية إلّا وهى فيه، هو هذا الكتاب الذى اورثه الله تعالى اياهم فقوله عليه السـلام: فنحن اصطفانا الله عزوجل، اورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شىء، بيان لأن المراد من العباد فى الآية المباركة هو النبى والأئمة عليهم السلام. ثم ان [صفحه ۲۵۸] المراد من قوله فيه تبيان كل شـىء، اقتباسا من الآية الشـريفة لايراد التبيان العلمى، بل المراد الاعم منه، ومن التبيان الشهودى والعلمى بأعمال القدرة وما أقدرهم الله عليه كما لا يخفى على الناقد البصير، والله العالم وأولياؤه بكلامه، وقوله تعالى: (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضـرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشـرة عينا قد علم كل اناس مشربهم) [۳۴۸] ففى تفسـير البرهان عن الإمام العسكرى... إلى ان «قال عليه السـلام: ثم قال الله عزوجل: (واذ استسـقى موسـى لقومه) قال: واذكروا يابنى اسـرائيل اذ استسقى موسى لقومه، طلب لهم السقايا لما لحقهم العطش فى التيه، وضجوا بالبكاء، وقالوا: أهلكنا العطش يا موسى. فقال موسى: الهى بحق محمد سيد الأولياء، وبحق على سـيد الأوصـياء، وبحق فاطمـة سـيدة النساء، وبحق الحسن سـيد الأولياء، وبحق الحسـين افضل الشـهداء، وبحق عترتهم وخلفاؤهم سادة الازكياء لما سـقيت عبادك هؤلاء، فأوحى الله تعالى إليه، يا موسـى اضرب بعصاك الحجر، فضرب بها، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشـربهم، كل قبيلة من اولاد يعقوب مشـربهم، فلايز احمهم الاخرون فى مشربهم» الحديث. فظاهر هذا الحديث ونحوه اعطاءه تعالى هذا القدر لموسى عليه السلام بظهور هذا المعجز منه بواسطة ضرب العصا، وحقيقته ترجع إلى انه تعالى مكنه من

هـذا الأمر المعجز بما منحه من الولايـة التكوينيـة، التى اثرها التصـرف فى الموجودات وسـيجىء قريبا توضـيحه. ولعصا موسـى معاجز اخرى، منها ما فى تفسير نور الثقلين، عن تفسـير العياشـى، عاصم بن المصـرى فى قضـية بعثة موسـى إلى فرعون، إلى ان قال: فمكث بذلك ماشاء الله يسأله ان يسـتأذن له قال: فلما أكثر عليه (أى على الاذن) قال له: اما وجد رب العالمين من يرسله غيرك؟ قال: فغضب موسـى عليه السلام فضرب الباب بعصاه، فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلّا انفتح حتى انظر إليه فرعون وهو فى مجلسه، الخبر، وفيه عن اصول الكافى باسـناده إلى محمد ابن الفيض عن ابى جعفر عليه السـلام قال: كانت عصا موسـى لادم عليه السـلام فصارت إلى شعيب عليه السـلام ثم صارت إلى موسـى عليه السـلام وانها لعندنا، وان عهدى بها آنفا وهى خضـر [صفحه ۲۵۹] كهيئتهـا حين انتزعت من شجرتها، وانها لتنطق اذا استنطقت، اعدت لقائمنا يصنع بها ما كان يصنع موسى، وانها لتروع ولتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به، انها حيث اقبلت، تلقف مـا يـأفكون تفتـح لهـا، شـفتان احـدهما فى الأـرض والاـخرى فى السـقف وبينهمـا اربعون ذراعا تلقف ما يأفكون بلسانها، وفى تفسـير البرهان عنـد قوله تعالى: (وقطعناهم اثنتى عشـرة اسـباط) أى وأوحينا إلى موسـى اذا استسـقاه ان اضـرب بعصاك الحجر، حيث جـاء محمـد بن يعقوب باسـناده إلى أبى سـعد الخراسـانى، قـال: أبو جعفر عليه السـلام: ان القائم اذا قام بمكـة واراد ان يتوجه إلى الكوفـة نادى مناديه: ألا لا يحمل احـد منكم طعاما ولا شـرابا، ويحمل حجر موسـى بن عمران وهو وقر بعير، فلا ينزل منزلا إلاّـ انبعثت عين منه، فمن كان جائعا شـبع، ومن كان ظامئا روى، فهو زادهم تى ينزلوا النجف من ظهر الكوفـة. وفيه وعنه باسـناده عن ابى حمزة الثمالى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سمتعه يقول: الواح موسى عندنا وعصا موسى عندنا ونحن ورثة النبيين. فهذه الايات تثبت هـذا النحو من التصـرف للانبياء وهـذه الاحاديث دلت على انها للائمـة ايضا. اذن هـذه الادلة القرآنية يظهر منها ان الله تعالى قد اعطى الولاية التكوينية لكثير من الأنبياء وبأذنه يسـتعملونها وبأمره يعملون (وعباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون) وعليه لاـ مـانع من ان يتصـرفوا فى الكون بالقـدرة التى اودعهـا الله تعـالى فيهم لكن، لاـ على نحو الاسـتقلال بـل بـارادة الله تعالى فالله تعالى منحهم هذه القدرة فيقولون للشـىء كن فيكون لكن بارادة الله ومع وجود هذه القدرة فيهم فهم لا يتمكنون من اعمالها إلّا بامر من الله تعـالى وارادته، اما الـذى يقول ان الله تعالى لابـد ان يباشـر نفسه ادارة نظام الكون فان قوله هـذا مخالف لصـريح القران الكريم الـذى يقول (والمـدبرات أمرا) حيث جعـل الله تعـالى نظـام العليـة والمعلوليـة وسـيلة لصـدور كثير من الاشـياء فى الكون وكما بيّنا من خلال توضـيح الايـات المباركـة المتقدمـة وعلى هـذا الاسـاس فان الولايـة التكوينيـة ثابتـة للانبياء ولا وصـيائهم وامكانها متحقق فى القرآن الكريم. [صفحه ۲۶۰]

الولاية التكوينية لفاطمة

اشاره

بعـد ان ثبت لـدينا امكان وقوع الولايـة التكوينيـة لكثير من الأنبياء عليهم السـلام من خلال القران الكريم، نجد ايضا وقوع هذه الولاية من خلاـل اسـتقرائنا لكثير من الروايـات والحوادث التاريخيه التى قـدمت لنا الكثير من النماذج الخارقـة للعادة والتى صـدرت من ائمة أهل البيت عليهم السـلام ويكفى فى الدلالـة على ذلك بعـد ثبوت هذه الولاية من خلال القرآن الكريم. أقول: يكفى ما ورد فى متن الزيارة الجامعـة الكبيرة التى أثبتت الولايـة التكوينيـة لأهل البيت عليهم السـلام، وذلك من خلال التـدقيق فى مدلولاتها «بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم ينفس الهم ويكشف الضـر وعنـدكم مـانزلت به رسـله وهبطت به ملاـئكته» على ان هـذه الولاـية التكوينيـة كانت ثابتـة لأئمـة أهل البيت عليهم السـلام من خلال اسم الله الاعظم الـذى كان عندهم وفى بيان ذلك نقول: قد تقدم فى بدايـة البحث كيف ان آصف بن برخيا الـذى كان وزيرا لسـليمان عنـده علما من الكتاب وكان عنده ايضا اسم الله الاعظم على ما قيل واسـتطاع من خلاـل ذلـك التصـرف فى التكوينـات حتى بعرش ملكـة سـبأ فى أقل من طرفت عين، فاذا كان هـذا ثابت لوزير نبى الله

سليمان فما ظنك بأهل البيت عليهم السلام الذين هم أفضل من جميع الأنبياء ما خلا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانهم افضل واعظم فى هذه الولاية وتوجد عدة أدلة على ذلك، فان اصف برخيا، استخدم ولايته بما عنده من اسم الله الاعظم بينما عندنا احاديث مأثورة وشواهد تدل على ان أهل البيت عليهم السلام كان عندهم اسم الله الاعظم وخصوصا ان الاحرف التى عندهم من اسم الله الاعظم اكثر من الاحرف التى كانت عند آصف بن برخيا، فلقد ورد فى الحديث الشريف عن ابى جعفر عليه السلام قال: «ان اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وانما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت، اسرع من طرقة عين، ونحن عندنا من الاسم الاعظم اثنان [صفحه ۲۶۱] وسبعون حرفا، وحرف واحد عندالله استأثر به فى علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم [۳۴۹] [۳۵۰] وايضا عن ابى عبدالله عليه السلام قال: «ان الله عزوجل جعل اسمه الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفا فاعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً واعطى نوحاً منها خمسة عشر حرفاً واعطى منها ابراهيم ثمانية احرف واعطى موسى منها اربعة احرف واعطى عيسى منها حرفين وكان يحى بهما الموتى ويبرىء بهما الاكمة والابرص واعطى محمد صلى الله عليه وآله وسلم اثنين وسبعين حرفا و احتجب حرفا لئلا يعلم مافى نفسه ويعلم ما نفس العباد» [۳۵۱] . أقول: يظهر من الحديثين ان اسم الله الاعظم انه قد استفاد منه الأنبياء عليهم السلام فى استخدام ولايتهم التكوينية لاعمال المعجزات والكرامات وقضاء حاجات الناس وحسب ما ترتضيه المشيئة الالهية وعلى هذا الاساس نفهم ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار مما استأثرهم به الله تعالى هو اعطاءهم اسمه الاعظم وبقابلية أكبر واكثر من الأنبياء السابقين وأوصيائهم. اذن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته كانت لديهم هذه الولاية التكوينية ويستخدمونها بما عندهم من اسم الله الاعظم وبما فيهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام باعتبارها ام الأئمة ووعاء الإمامة وأم ابيها وكونها حجة الله الكبرى على الانبياء والأوصياء من ابناءها عليهم السلام وسيأتينا كيفية اعمال فاطمة لهذه الولاية والشواهد علهيا من خلال الاحاديث الشريفة.

الولاية التكوينية إنما يكون باذن الله تعالى

هذه بعض الأحاديث المأثورة تبين إنّ إعمال الولاية التكوينية إنما يكون باذن الله تعالى، وانها وقعت لأهل بيت النبوة هذه الولاية واستخدموها كما يظهر ذلك من [صفحه ۲۶۲] الاحاديث الاتية: ۱ ـ عن ابى بصير قال دخلت على ابى عبدالله عليه السلام وابى جعفر عليه السلام وقلت لها: انتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال نعم. قلت: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلما علموا؟ فقال لى: نعم. فقلت: انتم تقدرون على ان تحيوا الموتى وتبرؤه الاكمة والابرص فقال لى: نعم باذن الله ثم قال: اذن منى يا ابا محمد فمسح يده على عينى ووجهى وابصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شىء فى الدار. قال: اتحب ان تكون هكذا ولك مالناس وعليك ماعليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصا. قلت: اعود كما كنت قال فمسح عينى فعدت كما كنت. قال على: فحدثت به ابن ابى عمير. فقال: اشهد ان هذا حق كما ان النهار حق. ۲ ـ عن محمد بن الفضل عن ابى حمزة الثمالى عن على بن الحسين عليه السلام قال: قلت له أسالك فداك عن ثلاث خصال أنفى عنى فيه التقية قال: فقال ذلك لك، قلت: أسالك عن فلان بن فلان قال: فعليها لعنة الله بلعناته كلها ماتا والله وهما كافران مشركان بالله العظيم قلت الأئمة يحيون الموتى ويبرؤن الاكمة والابرص ويمشون على الماء قال: ما اعطى الله نبيا شيئا قط إلّا وقد اعطاه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واعطاه ما لم يكن عندهم. قلت: وكل ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد اعطاه امير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم ثم الحسن والحسين عليهم السلام ثم بعد كل امام اماما إلى يوم القيامة مع الزيادة التى تحدث فى كل سنة وفى كل شهر ثم قال: أى والله فى كل ساعة. ۳ ـ عن على بن معيد يرفعه قال: دخلت حبابة الوالبية على ابى جعفر عليه السلام محمد بن على عليهم السلام قال: يا حبابة مالذى ابطاك، قالت: قلت: بياض عرض لى فى مفرق راسى كثرت له همومى، فقال: ياحبابة ادنينى به قال: فدنوت منه فوضع يده فى مفرق رأسى،

ثم قال: ائتوا لها بالمرأة فأتيت فنظرت فاذا شعر مفرق راسی قد اسود فسررت بذلک وسر أبو جعفر علیه السلام بسروری. ۴ ـ وعن علی ابن ابی حمزة عن ابی بصیر قال حججت مع ابی عبدالله علیه السلام فلما کنا فی الطواف قلت له: جعلت فداک یابن رسول الله یغفر الله الخلق؟ فقال: یا ابا بصیر ان اکثر من تری قردة وخنازیر، قال: قلت له ارنیهم قال: فتکلم بکلمات ثم أمّر [صفحه ۲۶۳] یده إلی بصری فرایتهم قردة وخنازیر فهالنی ذلک ثم أمّر یده علی بصری فرایتهم کما کانوا فی المرة الاولی ثم قال: یا ابا محمد انتم فی الجنة تحبرون وبین اطباق النار تطلبون فلا توجدون والله لا یجتمع فی النار منکم ثلاثة لا والله ولا اثنان لا والله ولا واحد. ۵ ـ وعن أبی بصیر قال: قال لی أبو عبدالله علیه السلام ترید ان تنظر بعینک إلی السماء. قلت نعم فمسح یده علی عینی فنظرت إلی السماء. ۶ ـ وعن ابی عوف عن ابی عبدالله علیه السلام قال: دخلت علیه فالطفنی وقال ان رجلا مکفوف البصر أتی النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقال یا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ادع الله ان یرد علی بصری فدعا الله له فرد علیه بصره ثم أتاه آخر فقال یا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ادع الله لی ان یرد علی بصری قال فقال الجنة احب الیک ام ان یرد علیک بصرک قال یا رسول الله وان ثوابها الجنة فقال ان الله اکرم من ان یبتلی عبده المؤمن بذهاب بصره لا یثیبه الجنة. ۷ ـ وعن جمیل بن دراج قال: کنت عند ابی عبدالله علیه السلام فدخلت علیه امرأة فذکرت انها ترکت ابنها بالملحفة علی وجهه میتا قال لها: لعله لم یمت فقومی فاذهبی إلی بیتک واغتسلی وصلی رکعتین وادعی وقولی یامن وهبه لی ولم یک شیئا جدد لی هبته ثم حرکیه ولا تخبری بذلک احدا قال ففعلت فجائت فحرکته فاذا هو قد بکی.حدثنا احمد بن محمد عن علی بن الحکم عن علی بن المغیرة قال مر العبد الصالح علیه السلام بامرأة بمنی وهی تبکی وصبیانها حولها یبکون وقد ماتت بقرة لها فدنا منها ثم قال لها ما یبکیک یاامه الله قالت یاعبد الله ان لی صبیانا ایتاما فکانت لی بقرة معیشتی ومعیشة صبیانی کان منها فقد ماتت وبقیت منقطعة بی وبولدی ولا حیلة لنا فقال لها یا امة الله هل لک ان احییها لک قالت فالهمت ان قالت نعم یا عبدالله قال فتنحی یاحیة فصلی رکعتین ثم رفع یدیه یمینه وحرک شفتیه ثم قام فمر بالبقرة فنخسها نخسا او ضربها برجله فاستوت علی الأرض قائمة فلما نظرت المرأة إلی البقرة قد قامت صاحب عیسی بن مریم ورب الکعبة قال فخالط الناس وصار بینهم ومضی علیه السلام وعلی آبائه الطاهرین [۳۵۲] . [صفحه ۲۶۴] أقول: یظهر من هذه الأحادیث المأثورة ان أهل البیت علیهم السلام کانوا یعملون الولایة التکوینیة بما اعطاهم من علمه وبأذنه تعالی، وذلک لکونهم ورثوا علوم جمیع الأنبیاء، بل ان الذی عندهم افضل واعلی رتبة ودرجة فی العلم الربانی، وعلی هذا الاساس فان الولایة التکوینیة لهم ثابتة ولاینکرها إلّا معاند او لیس له حظ من العلم إلّا قلیلا، فهم علیهم السلام تارة یستخدمون هذه الولایة عن طریق اسم الله الاعظم فیتصرفون فی التکوینات وتارة من خلال ماعندهم من العلوم الربانیة التی ورثوها من الأنبیاء والأوصیاء السابقین بل من الذی ورثوه من جدهم رسول الله علیه السلام لذا نری فی الزیارات الواردة فی حقهم هذه العبارات الواضحة البیان بل هی مطلقة فی کل شی یرثونه من الأنبیاء حیث تقول هذه الزیارات «السلام علیک یا وارث آدم صفوة الله تعالی، السلام علیک یاروات نوح نبی الله السلام علیک یاوارث موسی کلیم الله السلام علیک یا وارث عیسی روح الله...» الخ. فدلالة قوله علیه السلام یا وارث أی مطلق الوراثة سواء المادیة او المعنویة، اذن فهم ورثة الأنبیاء فی کل ما أعطاهم الله تبارک وتعالی. وأیضاً استخدم أهل البیت علیهم السلام الولایة التکوینیة من خلال کرامات ومعجزات بل ازدادوا علیهم بأنهم ورثوا کل ماعند نبی عن الاخر زیادة، وهکذا الحال فی کل أهل البیت الذی عصمهم وامنهم الله من الزلل، ومن هنا کانت فاطمة الزهراء علیها السلام عندها الولایة التکوینیة حیث ثبتت لها من خلال عدة امور منها: انها حلیلة سید الأوصیاء امیر المؤمنین علی علیه السلام فهی کفوله وهو کفو لها وهذا یقتضی کونها عندها من المقامات مالامیر المؤمنین علی علیه السلام إلّا ماخصه الله تعالی من الولایة التی یتصدی بها لخلافة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، ومن المعلوم ان امیر المؤمنین عنده هذه الولایة أعنی الولایة التکوینیة وقد أعطت الکثیر من الکتب الشواهد العدیدة علی هذه القضیة ویکفی شاهد علی ذلک فی قضیة رده الشمس، وهل هذا الاتصرف تکوینی من خلال اسم الله الاعظم، وعلیه المقام ثابت للصدیقة الطاهرة فاطمة علیها السلام. انها حجة الله الکبری علی الخلق بما فیهم الأنبیاء والأوصیاء ویدل علی ذلک الحدیث المروی نصه: «ما تکاملت نبوة نبی حتی أقر

بفضلها ومحبتها وعلى معرفتها [صفحه ۲۶۵] دارت القرون الاولى»، فاذا كانت النبوة لا تكتمل لنبى من الأنبياء حتى يقر بفضلها ومحبتها، فمن باب الاولوية ان كل مقام من المقامات المعنوية والمادية التى كانت ثابتة للأنبياء كانت ثابته ايضا للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام إلّا ما خرج بالدليل مثل النبوة الخاصة بكل نبى، وايضا بينا فى حديث «نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة عليها السلام حجة الله علينا» قضية انها حجة الله الكبرى فما كان ثابت للائمة من الولاية التكوينية فهو ثابت لها عليها السلام، هذه بعض الادلة بصورة اجمالية ولو كان لنا تقصى المسألة لا حتجنا إلى كتاب خاص فى هذه المسألة، واعطى لك شاهدين على ثبوت الولاية التكوينية لفاطمة عليها السلام واترك لك مراجعة المطولات فى هذه القضية.... «عن أبى عبدالله عليه السلام عن سلمان الفارسى: انه استخرج أمير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمة حتى انتهت إلى القبر، فقالت: خلوا عن ابن عمى، فوالذى بعث محمداً بالحق لئن تخلوا عنه لا نشرن شعرى ولا ضعن قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رأسى ولا صرخن إلى الله، فما ناقة صالح بأكرم على الله من والدى. قال سليمان: فرأيت والله اساس حيطان المسجد تقلعت من اسفلها، حتى لو أراد وتعالى بعث اباك رحمة فلا تكونى نقمة، فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من اسفلها، فدخلت فى خياشيمنا» [۳۵۳] . وفى مشارق انوار اليقين ص ۸۶ مثل هذا الحديث ولكن باختلاف وهو: «ثم رفعت جنب قناعها إلى السماء، وهمت ان تدعو فارتفعت جدران المسجد عن الأرض وتدل العذاب... وأخيرا اختم هذا الموضوع بقول الإمام الخمينى قدس سره الذى يرى ثبوت الولاية التكوينية للصديقة الطاهرة فاطمة حيث يقول ما نصه: «وثبوت الولاية والحاكمية للامام عليه السلام لا تعنى تجرده عن منزلته التى هى له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحاكم فان للامام مقاماً محموداً ودرجة سامية [صفحه ۲۶۶] وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا ان لائمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبى مرسل، وبموجب مالدينا من الروايات والاحاديث فان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم انواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلّا الله وقد قال جبرئيل، كما ورد فى روايات المعراج لو دنوت انملة لا حترقت، وقد ورد عنهم عليهم السلام: ان لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبى مرسل، ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام لا بمعنى انها خليفة أو حاكمة أو قاضية، فهذه المنزلة شى آخر وراء الولاية والخلافة والأمرة، وحين نقول: ان فاطمة عليها السلام لم تكن قاضية أو حاكمة أو خليفة فليس يعنى تجردها عن تلك المنزلة المقربة كما لا يعنى ذلك انها امرأة عادية من المثال ما عندنا» [۳۵۴] . [صفحه ۲۷۱]

فاطمة ام ابيها

ألقاب بنت المصطفى كثيرة نظّمت منها نبذة يسيرة سيدة إنسيّة حوراء نوريّة حانية عذراء كريمة رحيمة شهيدة عفيفة قانعة رشيدة صفيّة عالمة علمية صابرة سليمة مكرمة صفيّة عالمة عليمة معصومة مغصوبة مظلومة ميمونة منصورة محتشمة جميلة جليلة معظمة حاملة البلوى بغير شكوى حليفة العبادة والتقوى حبيبة الله وبنت الصفوة ركن الهدى وآية النبوّة شفيعة العصاة أمّ الخيرة تفّاحة الجنّة والمطهّرة سيّدة النساء بنت المصطفى صفوة ربّها وموطن الهدى قرّة عين المصطفى وبضعته مهجة قلبه كذا بقيّته حكيمة فهيمة عقيلة محزومة مكروبة علية عابدة زاهدة قوّامة باكية صابرة صوّامة عطوفة رؤوفة حنّانة البرّة الشفيقة الأنّانة والدة السبطين دوحة النبيّ نور سماويّ و زوجة الوصيّ بدر تمام غرّة غرّاء روح أبيها درّة بيضاء واسطة قلادة والجود درّة بحر الشرف الوجود وليّة الله وسرّ الله أمينة الوحى وعين الله مكينة فى عالم السماء جمال الآباء شرف الأبناء درّة بحر العلم والكمال جوهر العزّة والجلال قطب رحى المفاخر الستيّة مجموعة المآثر والجلال مشكاة نور الله والزجاجة كعبة الآمال لأهل الحاجة ليلة قدر ليلة مباركة ابنة من صلّت به الملائكة قرار

قلب أمّها المعظّمة عالية المحلّ سرّ العظمة مكسورة الضلع رضيض الصدر مغصوبة الحقّ خفيّ القبر [۳۵۵] . عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال إن فاطمة عليها السلام كانت تكنى: أم أبيها [۳۵۶] . نقف مع هذه الحديث لكى نستلهم منه المعانى الرائعة والجميلة التى تضمنها بين طياته، فكلمة أم أبيها كلمة عذبة أفضل ما تفوهت به حنجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال مرحباً بأم أبيها، فهذه الكلمة رغم أنها صغيرة ولكنها فى نفس الوقت كبيرة مملوءة بالحب والأمل والعطف وكل ما فى القلب البشرى من الرقة والعذوبة، لذا نرى لا بد من تسليط الأضواء على هذه الكلمة لكى نستخلص روائع الفكر من هذا الحديث الشريف الذى قلده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بنته فاطمة فجعل جيدها يشع نوراً لمن أراد أن يستضى من نور معرفته. ولقد ورد فى صحاح اللغة العربية أن معنى كلمة أم هو الأصل كما هو معروف فى لسان القرآن الكريم حيث عبر عن مكة المكرمة بـ (أم القرى) أى أصل القرى فى الجزيرة العربية، ومنها انطلقت روح الحياة لكى تغذى القرى ومن حولها وتقوم برعايتها، وذلك لما لها من مكان وموقع جغرافى فى قلب الجزيرة العربية مما جعلها قطب الرحى لبقية القرى... وعلى هذا الأساس نفهم معنى هذا الحديث «أم أبيها» حيث نستطيع تفسير بأن فاطمة عليها السلام كانت مصدر ذرية رسول الله ومنبع نسله وهذا ينطبق ويتماشى مع تفسير الكوثر الذى هو مصدر ذرية رسول الله صلى الله عليه ومنبع نسله وهذا ينطبق ويتماشى مع تفسير الكوثر الذى هو مصدر ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أقول: إن فى التأمل فى حياة فاطمة عليها السلام واستقراء حياتها فى ظل رعاية أبيها رسول [صفحه ۲۷۲] الله صلى الله عليه وآله وسلم نجد عدة معانى وتفاسير تجعل هذا الحديث وهذه الكلمة أم أبيها كنظرية ولها تطبيقات عديدة فى حياة الصديقة الطاهرة عليها السلام وعلى هذا الاساس نرى الوقوف مع هذا الحديث مما يزيدنا معرفة فى فاطمة عليها السلام ويجعلنا نتقرب من الأسرار التى كانت تحيط بحياتها الشخصية وإليك بعض التفاسير والمعانى الرائعة لهذه الكلمة: ان التدقيق فى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع ابنته فاطمة عليها السلام يجعلنا نفهم معنى أم أبيها حيث أن الزهراء عليها السلام كانت تقوم بمداراة أبيها رسول الله ورعايته أفضل ما تكون المراعاة بالنسبة لأم لولدها وفى قبال ذلك كان الرسول يحترمها كما يحترم الولد أمه، وهذا نجد جلياً وواضحاً فى سيرته الشريفة وعلاقته بالبضعة الطاهرة عليها السلام حيث كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينادى بالزهراء عندما تقبل عليه: مرحباً بأم أبيها، ويقدم لها ضروب الإحترام وألوان التعظيم، حتى وصل الأمر إلى أن يقوم لها إجلالاً وتعظيماً ويأخذ يدها ويقبلها ثم يجلسها إلى جانبه ويقبل عليها بكليته، وكان إذا يقبلها يقول: أشم منها رائحة الجنة. إن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا بد لها من امتداد يمثلها فى كافة جوانبها ويعطيها التفسير الصحيح، وهذا لم نجده إلا من خلال الإمتداد الطبيعى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم المتمثل فى ذريته من فاطمة عليها السلام، لذا كان الرسول يقول: «حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً» أى إن الحسين ابنى وامتدادى الطبيعى فهو قرة عينى وثمرة فؤادى وفى نفس الوقت أنا من حسين، وعليه فإن هذا الحديث يحدد المفهوم الذى أراده من هذا الحديث أى بدقة متكاملة وبتمعن نرى أن هذا الأمر يعنى استمرار الرسالة السماوية وإحياء معالم الدين والعقيدة انما هو بوجود الحسين وذرية فاطمة من الأئمة المعصومين، لذلك قيل ان الدين الإسلامى محمدى الوجود حسينى البقاء وهذا ما نراه فى التضحية التى قدمها الحسين يوم عاشوراء حيث أرخص الغالى والنفيس لإحياء شجرة الرسالة المحمدية فى كل جوانبها فغذاها بدمه ودم عيالاته من الأطفال والشباب والشيوخ والنساء حتى الطفل الرضيع، وعلى هذا الأساس يكون معنى أم أبيها ان استمرار الإسلام وبقاء رسالة السماء وحفظ القرآن الكريم وعقائده مناهجه إنما يكون بواسطة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن خلال ذريتها، وهذا ما كان يراه الرسول فى فاطمة من خلال تطلعه إلى آفاق المستقبل الذى سيكون لولد فاطمة فكان يكرمها ويحترمها ويقول لها مرحباً بأم أبيها. ولعل وجه تكنيتها بأمّ أبيها هو أنه صلى الله عليه وآله وسلم يعاملها عليها السلام معاملة الولد أمه. وانها تعامله معاملة الأم ولدها كما ان التاريخ يؤيد ذلك والأخبار تعضده، ففى الأخبار الكثيرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم يقبل يدها ويخصها بالزيارة عند كل عودة منه إلى المدينة المشرفة ويودعها منطلقاً عنها فى كل أسفاره ورحلاته، وكأنه يتزود من هذا المدينة المشرفة ويودعها منطلقاً عنها فى كل أسفاره ورحلاته. وكأنه يتزود من هذا النبع الصافى عاطفة لسفره كما يتزود الولد المؤدب من

أمه، ونلاحظ من جهةٍ أخرى ان فاطمة الزهراء عليها السلام تحتضنه وتضمد جروحه وتخفف من آلامه كالأم المشفقة لولدها، وبالجملة كل ما يجده الولد فى امه من العطف والرقة والشفقة والأنس فهو صلى الله عليه وآله وسلم يجده فى فاطمة وكأنها أمه [۳۵۷] . ونقل المولى الأنصارى (ره): إنّ النكتة فى هذه التكنية إنما هى محض إظهار المحبة، فإن الإنسان إذا أحبّ ولده أو غيره وأراد أن يظهر فى حقّه غاية المحبّة قال: «يا أمّاه» فى خطاب المؤنّث، ويا «أياه» فى خطاب المذكّر، تنزيلاً لهما بمنزلة الأمّ والأب فى المحبّة والحرمة على ما هو معروف فى العرف والعادة [۳۵۸] . أو أنّ الله عزّ وجلّ لمّا شرّف وكرّم أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتكنيتهنّ بأمّهات المؤمنين صرن فى معرض أن يخطر ببالهنّ أنّهن أفضل النساء حتى من بضعة المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام، ولأجل ذلك كنّاها أبوها بأمّ أبيها صوناً لهذه الخواطر والوساوس، يعنى يا نساء النبى إن كنتنّ أمّهات المؤمنين، ففاطمة عليها السلام أمّ النبىّ، أمّ المصطفى، أمّ الرسول، أمّ أبيها. ويمكن أن يراد بهذه التكنية معنىً أدق وأعمق من الأول والثانى وإن كان الأول هو الأظهر، وهو: أنّ أمّ كلّ شىء أصله ومجتمعه كما صرّح به أهل اللغة كأم القوم وأمّ الكتاب وأم النجوم وأم الطرق وأم القرى وهى مكّة شرّفها الله تعالى، وأم الرأس وأم الدماغ و... فعليه يمكن أن يقال: إنّه صلى الله عليه وآله وسلم أراد منها أنّ ابنتى فاطمة هى أصل شجرة [صفحه ۲۷۴] الرسالة وعنصر النبوّة، كما قال الباقر عليه السلام: الشجرة الطيّبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرعها علىّ عليه السلام وعنصر الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتها [۳۵۹] وكما أنّه لولا العنصر يبست الشجرة وذهبت نضرتها، فكذلك لولا فاطمة لما اخضرّت شجرة الإسلام، فإنّ الشجرة تسمو وتنمو بتغذيتها من أصلها. وشجرة الشريعة الحنيفيّة قد سمعت ونمت بمجاهداتها ودفاعها من إمامها وبعلها الشريف المظلوم ومجاهدات أولادها وتضحيّاتهم، لا سيّما شبليها الكريمين، فإنّ الحسن عليه السلام بصلحه أبقى شجرة الإسلام ومنعها من الاصطدام والحسين عليه السلام بإبائه عن البيعة وبذل مهجته الشريفة سقاها وربّاها، ولولا صلح الحسن وقيام الحسين عليها السلام ليبست شجرة الإسلام وما قام لها عود ولا اخضرّ لها عمود. ولا يخفى أنّ أصل الحسن والحسين عليهما السلام أمّهما فاطمة الزهراء عليها السلام، ولولاها لم يكن أبوها وبعلها وبنوها عليهم السلام كما تقدم فى صدر الكتاب. ولتمام البحث فاستمع لم يتلى من بعض الأخبار فى هذا المعنى: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا شجرة، وفاطمة أصلها، وعلىّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرها [۳۶۰] . وعن المفضّل بن محمد الجعفىّ قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: (حبة أنبتت سبع سنابل) [۳۶۱] قال: الحبّة فاطمة عليها السلام، والسبع السنابل سبعة من ولدها، سابعها قائمهم... [۳۶۲] . وقال بعض أهل التحقيق: سرّ التعبير عنها عليها السلام بالحبّة يحتمل وجهين: الأول: إمّا كناية عن أنها هى المقصود أولاً وبالذات، وإما أن تكون مجرى هذه الأمانات الإلهيّة ومظاهر التوحيد الحقيقىّ صلوات الله عليها، ووجه التشبيه أنّ من لم يكن من الزرّاع عنده حبّه فهو آيس من تحصيل الزراعة، فأصل النظر عنه دائماً إلى الحبّة فقطّ وإلا فالنتيجة منها غير حاصلة، وكذلك وجود الزهراء صلوات الله عليها [صفحه ۲۷۵] هى المصدر والأصل لهذه الأنوار الإلهية، رزقنا الله حبّها وشفاعتها. الثانى: أنّ الزراعة أصلاً وحقيقة هى تلك الحبّة مع إضافات أخريأ عملت فيها، فتصور بصرة أخرى، وإنما الفرق بينهما الإجمال والتفصيل، وإلا هى هى مادة وأصلاً. فعلى هذا تكون الأنوار المقدّسة هى المتشعبّة والمشتقّة من هذه الحبّة الإلهية [۳۶۳] ... إن النبى كان يكشف عن مكانة فاطمة فى الإسلام، فى كل كلمة يقولها لفاطمة، وكل صنيع يصنعه لها. وهنا أراد النبى الكريم، أن يبيّن عظمة فاطمة الزهراء، وأنها تختلف عن نسائه اختلافاً كبيراً، أى أن مكانة الزهراء تفوق مكانة نساء النبى لأنها تختلف عن نسائه اختلافاً كبيراً، أى أن مكانة الزهراء تفوق مكانة نساء النبى لأنها معصومة.. وهنّ لسنن بمعصومات.. ولأنها مطهرة من الرجس، وهن لسن مطهرات من الرجس.. ففاطمة زعيمة آية التطهير، بينما لم تدخل واحدة من نساء النبى فى آية التطهير، حتى أم سلمة على جلالة قدرها، لما اقتربت من الكساء والنبى يقرأ قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) [۳۶۴] . وكان تحت الكساء يومها محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ أقول: لما اقتربت أم سلمة من طرف الكساء، وقالت: وأنا منهم يا رسول الله ـ روحى فداك ـ؟ قال: لا.. لست منهم، ولنك على خير، أو إلى خير. وفى يوم المباهلة نجد النبى لم يخرج معه من النساء سوى فاطمة

فى حين أن آيـة المباهلـة واضـحة بقولهـا: (فمن حاجـك فيه من بعـد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نـدعو أبناءنا وأبناءكم ونساءكم، وأنفسـنا وأنفسـكم، ثم نبتهل فنجعل لعنـة الله على الكاذبين). أقول: ولما خرج النبى إلى مباهلـة النصارى، لم يخرج معه سوى الحسـن والحسـين وفاطمة وعلى عليهم السلام فالحسن والحسين يمثلان الأبناء، وفاطمة تمثل النساء، وعلى يمثل نفس النبى، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن فاطمة سيدة النساء، ولو كانت واحدة من نساء النبى فى مستوى فاطمة لأخرجها معه، ولكنه ـ أى الرسول ـ لم يجد [صـفحه ٢٧۶] فى نسـائه، ولاـ فى بنى هـاشم ولا فى نساء الخلافـة، واحـدة تقوم مقام الزهراء، فاطمـة بنت محمـد ـ صـلوات الله وسـلامه عليها. والـذين يحاولون إدخال زوجات النبى فى أهل البيت، عليهم أن يتفكروا فى أمر آيـة المباهلـة لتسـتبين لهم جادة الحق والصواب كالشـمس الصافية المشـرقة. ولتأصيل هذا المعنى، وتأكيده اقرأوا معى إذا شئتم أول سورة التحريم، وهو قوله تعالى: (يا أيها النبى لم تحرم مـا أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك) [٣۶۵] ، والتعبير واضـح جداً. فحينما يقول: تبتغى مرضاة أزواجك، فإن معنى ذلـك أن رضـى زوجـات النبى لاـ قيمـة له أمام رضا الله سـبحانه وتعالى لأن رضا أزواج النبى خاضع للهوى، وليس لموازين الإيمان، وهـذا ليس انتقاصـاً لنساء النبى وإنما هو الواقع، والحقيقـة فنساء النبى لسن معصومات وما فيهن واحـدة يمكن أنت تصل إلى مسـتوى فاطمـة، لـذلك يقول القرآن فى اسـتنكار شديد (يا أيها النبى لم تحرم ما الله لك، تبتغى مرضاة أزواجك). علماً بأن النبى لا يحرّم ما أحل الله له فى التشـريع الإسـلامى الحنيف، وإنما كانت القضـية، مسألة خاصة تتعلق بشـىء من السـمن والعسل أهدى إلى زوجة النبى زينت بنت جحش، وحـدث أن كان النبى عندها، فقدمت له من ذلك الطعام شـيئاً يسـيراً فأكله النبى، غير أن غيرة عائشة وبعض نسائه أدت إلى أن تقوم اثنتـان من نسـاء النبى ـ كمـا ورد فى سورة التحريم ـ وهما عائشـة وحفصـة، أن تقوما بمظاهرة ضـد الرسول الأعظم محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم وبدأت المظاهرة بقول عائشة وحفصة للنبى إننا نشم من فمك رائحة كريهة، فتعجب النبى أن تكون رائحـة فمه كريهه وهو الـذى كـانت حبـات عرقه تتضوع عطراً، بـل كـان جسـمه يفوح بعطر الجنـة كما جاء ذلك فى سيرته الذاتيـة، وأحواله الشخصيـة.. ولكن لا بأس، إذا كان هـذا الطعام الـذى أكلته ـ هكذا قال النبى ـ فيه رائحة غير جيدة فقد حرمته على نفسـى أى أن النبى حرّم ذلك الطعام الذى هو [صـفحه ٢٧٧] عنـد زوجته زينب بنت جحش ولم يحرم كل أنواع العسل... ولـذلك قلت لكم ـ آنفـاً ـ إن التحريم كـان خاصـاً به ولم يكن عامـاً وشاملاً، لأن النبى لا يحرم ما أحل الله: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى). ومحل الشاهد هنا، هو قول الحق سـبحانه: (يا أيها النبى لم تحرّم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك). وهذا يدل بوضوح، على أن رضا أزواج النبى لا وزن ولا قيمـة له أمام رضا الله سـبحانه وتعالى. هذا بالنسـبة لرضا أزواج النبى ونسائه.. أما بالنسـبة لفاطمة الزهراء ـ سلام الله عليهـا ـ فالأـمر يختلف اختلافـاً جـذرياً. يقول النبى: «إن الله ليرضـى لرضا فاطمـة ويغضب لغضـبها». ويقول: يا فاطمـة إن الله ليرضـى لرضاك ويغضب لغضـبك. ويقول فى حديث ثالث: «رضا فاطمة من رضاى وسـخطها من سخطى». والويل لمن غضبت عليه فغضـبها يعنى غضـب الله، وإذا غضب الله على أحـد أحـل به نقمته، وجنّبه رحمته. يقـول: الله عزّ وجـلّ: (ومن يحلـل عليه غضـبى فقد هوى) [٣۶۶] . ونحن نعرف أن فاطمة ماتت وهى غاضـبة وواجدة على أبى بكر وعمر، كما جاء فى صحيح البخارى، فما أدرى كيف تكون المعادلة.. إذا كان غضب فاطمة، هو غضب الله، وأن الله ليرضـى لرضا فاطمة، ويغضب لغضبها، ثم تموت الزهراء، وهى واجدة ـ غاضـبة ـ على أبى بكر وعمر، فالقرآن يقول بصـراحة: إن الذى يحلل عليه غضب الله يكون من الهالكين: (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى). والعجيب أن هذه الأحاديث كلها موجودة فى صـحيح البخارى وفى كتب الصـحاح الأخرى، وكلها تؤكد أن الله ليرضـى لرضا فاطمـة ويغضب لغضـبها.. وأن فاطمـة ماتت وهى واجـدة على أبى بكر و عمر... ماتت ولم تكلمهما كلمـة واحـدة... ماتت ودفنت فى الليل ولم يحضـر أبو بكر ولا عمر تجهيزها ولا الصـلاة عليها.. وهذه قضية معروفة [صفحه ٢٧٨] لدى المسلمين كافة. أما لماذا يرضى الله لرضا فاطمـة ويغضب لغضـبها، فواضـح جداً وذلك أنها طاهرة نقية، معصومة لا تتعامل مع الخطأ فى قول ولا فعل وهى التى كانت تقول: «أيها الناس إعلموا أنى فاطمـة، وأبى محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم. أقول: حقاً عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شـططاً..» فلا غلط فى قولها.. ولا شـطط فى فعلها على الإطلاق. حادثتان تكشـفان حقيقـة حـديث النبى: والـذى يهمنى هنا هو

ذكر حادثتين اثنتين فقط، لأنهما تسلطان الضوء على الحديث الذى نحن بصدده، إضافة إلى كون الحادثتين اللتين سأذكرهما، تعكسان صورة واضحة وجلية تكشف لنا عن حقيقة حديث مرحباً بأم أبيها. الحادثة الأولى هى المؤاخاة، فقد آخى النبى بين كل أصحابه لينزع الغل من بعض القلوب، ويجعلهم صفاً واحداً فى مواجهة العدو، كأنهم بنيان مرصوص.. فقال: هذا أخو هذا، وفلان أخو فلان، حتى لم يبق أحد سوى على ظل واقفاً إلى جواز النبى فأخذ النبى بعضده وقال له: أنت أخى أو قال: «وهذا أخى..».. وهنا تجدر الملاحظة بدقة متناهية، حيث أن النبى اختار علياً من دون أصحابه ليكون أخاً له دون غيره. إذن اجعلوا هذه الحادثة، عالقة فى أذهانكم ثم تعالوا معى إلى الحادثة الثانية: وهى لما نزلت آية الحجاب: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهم من رواء حجاب) [۳۶۷] . قال طلحة: أيريد محمد أن يمنعنا من النظر إلى بنات عمنا، أما والله لئن مات محمد لنتزوجن نساءه، ونجول بين خلاخيلهن...!!... حقاً إنه عجب يثير الهم يجلب الحزن، أن نسمع مثل هذا الكلام من طلحة وهو من العشرة المبشرين بالجنة (....) ولا أعتقد أن بوابة الجنة سوف تنخلع أمامه ليدخل الجنة من أعرض الأبواب. هذا الذى لا يتورع من إظهار الهوى والغرام لزوجات النبى وهن أمهات المؤمنين. ولم يحفظ حرمة رسول الله. ولكن ما علينا بطلحة، لنتركه يعيش مع غرامه الباطل فإن عذاب جهنم كان غراماً. ولنرجع إلى الحادثة الثانية، [صفحه ۲۷۹] وهى حين نزلت آيات الحجاب، وظهر من بعض المنافقين مثل الكلام الذى قد مرّ نزلت آية تقول: (ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) [۳۶۸] . ثم جاء آية ثانية تتحدث عن مكانة زوجات النبى وأنهن بمثابة الأمهات لكم أيها المؤمنون قالت الآية: (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) [۳۶۹] . وهذا يعنى أن عائشة أم المؤمنين وأن زينب بنت جحش أم المؤمنين، ومارية القبطية أم المؤمنين، وحفصة أم المؤمنين، وخديجة الكبرى أم المؤمنين.. فأثارت هذه الآية سؤالاً عريضاً على الشفاه السؤال هو: إذا كانت كل واحدة من زوجات النبى أماً للمؤمنين.. فاطمة أم من؟ وهنا جاء الجواب على لسان الرسول الأمين الذى ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى حيث قال «فاطمة أم أبيها...» ومن ذلك الحين أصبحت فاطمة أم أبيها، وصار الرسول يناديها بأم أبيها، فيقول: مرحباً بأم أبيها. وأورد صاحب كتاب «رياحين الشريعة» جملة من الألقاب والكنى للسيّدة الكبيرة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وعلى بعلها وبنيها، وهى: ابنة الصفوة، إحدى الكبر، أرومة العناصر، أعزّ البريّة؛ أمّ الأئمّة المعصومين، أمّ الأبرار، أمّ الأبرار، أمّ الأخيار، أمّ الأزهار، أمّ الأطهار؛ أمّ الأنوار، أمّ البدريّين، أمّ البررة، أمّ البريّة، أمّ البلجة، أمّ التقى، أمّ الحسن: أمّ الحسين، أمّ الخيرة، أمّ الرأفة، أمّ الرواق الحسيبة، أمّ الريحانتين، أمّ السبطين؛ أمّ العطيّة، أمّ العلا، أمّ العلوم، أم الفضائل، أمّ الكتاب، أمّ المحسن، أمّ المؤمنين؛ أمّ الموانح، أم النجباء، أمّ النقى، أمّ النورين، أمة الله، آية الله، آية الله العظمى. باكية العين، البتول، برزخ النبوّة والولاية، بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بقيّة النبوّة، بهجة الفؤاد، بهجة بيضاء بضّة، تفّاحة الفردوس، التقيّة؛ ثالثة الشمس والقمر، ثمرة النبوّة، جرثومة المفاخر، جمال الآباء، الجميلة الجلية، حاملة البلوى، الحانية، الحبّة النابتة حبّها خير العمل، حبيبة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، حجاب الله المرخى، حجّة الله الكبرى، [صفحه ۲۸۰] الحرّة، الحصان، حظيرة القدس، الحوراء خامسة أهل العبا، الخيرة من الخير، درّة التوحيد، الدرّة المنضدة، الدعوة المستجابة، الذروة الشامخة، ذريعة الشيعة، الراضية، ربيبة مكّة، الرشيدة، ركن الدين، روح بين جنبى المصطفى، ريحانة النبى صلى الله عليه وآله وسلم. زجاجة الوحى، الزكيّة زوجة وليّ الله الأعظم، الزهراء، زين الفواطم، ستر الله الكبرى، سفينة النجاة، سلالة الرضوان، سلالة الفخر، سماء الكواكب الدريّة، السيّدة، سيّدة بنات آدم عليه السلام، سيّدة الأوّلين والآخرين، سيّدة نساء الجنّة، سيّدة نساء هذه الأمّة، سيدة النسوان، شرف الأبناء، شفيعة الأمّة، الشفيعة يوم القيامة، الشمس المضيئة، الشهيدة، الصائمة فى النهار، الصابرة فى المحن، صاحبة الأحزان الطويلة، صاحبة الجنّة السامية، صاحبة المصحف، الصادقة فى السرّ والعلن، الصدف الفخّار، الصدّيقة، الصدّيقة الكبرى، صفوة الشرف، صلوة الوسطى؛ امن الشفاعة، الطاهرة، الطاهرة فى الأفعال، الطاهرة الميلاد، ظلّ الله الممدود، العابدة التقيّة، العارفة بالأشياء، العالمة بما كان وما يكون، عالية الهمّة، عديلة مريم الكبرى، العذراء، عروة الوثقى، العفيفة، عقيلة الرسالة، عيبة العلم، عين الحجّة، عين الحياة الغرّة الغرّاء، الفاضلة الفضلى، فخر الأئمّة، فلذّة كبد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، القائمة فى الليل، القانتة، القانعة، والقدوة المسدّدة،

قرار القلب، قرّة عين الخلائق، قلادة الوجود، الكئيبة، الكريمة فى النفقة، كلمة الله التامّة، كلمة التقوى الكلمة الطيّبة، الكوثر، الكوكب الدرّى. ليلة القدر، المباركة، مبشّرة الأولياء، المتعوبة فى الدنيا، المتهجّدة، محترقة القلب، المحدّثة، المرضيّة، مريم الكبرى، المزوّجه فى الملأ الأعلى، مشكوة الأنوار، المضطهدة، المظلومة، معدن الحكمة، المعروفة فى السماء، معصّبة الرأس، المعصومة، المغصوبة حقّها، مقتولة الجنين، مكسورة الضلع، الممتحنة، الممنوعة إرثها، المنصورة، المنعوتة فى الإنجيل، المنهدّة الركن، الموصوفة بالبرّ والتبجيل، موطن الرحمة، مهجة العالم، مهجة قلب المصطفى، الميمونة، ناحلة الجسم، الناطقة بالشهادتين عند الولادة، النبيلة، نجمة إكليل النبوّة، نخبة أبيها، النعمة الجليلة، نور الأنوار، النوريّة، والدة الحجج، والدة الحسن والحسين عليه السلام، الوالهة الثكلى، الوحيدة الفريدة، وديعة الرسول، وعاء المعرفة، وليّة الله العظمى، الوليدة فى الإسلام، ينابيع الحكمة، ينبوع العلم. [صفحه ۲۸۵]

فلسفة تسبيح فاطمة الزهراء

اشاره

الشيخ صالح كواز الحلى الواثبين لظلم آل محمد ومحمد ملقى بلا تكفين والقائلين لفاطم آذيتنا فى طول نوح دائم وحنين والقاطعين اراكة كى ماتقيل بظل اوراق لها وغصون ومجمعى حطب على البيت الذى لم يجتمع لولاه شمل الدين والداخلين على البتولة بيتها والمسقطين لها أعز جنين والقائدين امامهم بنجاده والطهر تدعو خلفهم برنين خلو ابن عمى او لاـكشف للدعا رأسى وأشكو للاله شجّونى ما كان ناقة صالح وفصيلها بالفضل عند الله إلاّـ دونى ورنت إلى القبر الشريف بمقلة عبرى وقلب مكمد محزون قالت واظفار المصاب بقلبها غوثاه قل على العداة معينى أبتاه هذا السامرى وعجله تبعا ومال الناس عن هارون أى الرزايا اتقى بتجلدى هو فى النوائب مذ حييت قرينى فقدى ابى ام غصب بعلى حقه ام كسر ضلعى ام سقوط جنينى ام اخذهم ارثى وفاضل نحلتى ام جهلهم حقى وقد عرفونى قهروا يتيمبك الحسين وصنوه وسئلتهم حقى وقد نهرونى [۳۷۰] . فلسفة تسبيح فاطمة الزهراء من الشعائر الإسلامية التى أكد عليها القرآن الكريم هى شعيرة التسبيح، تلكم الشعيرة التى تزيد فى إيمان الإنسان وتضيف عليه هالة من النورانية عبر أداء هذه الركيزة الإسلامية التى أكد عليها القرآن الكريم فى كثير من آياته المباركة فقد جاء فى قوله تعالى (وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ليؤكد على هذه الحقيقة الخالدة التى أثبتها الله تبارك وتعالى لجميع الأشياء، فالكون يسبح والنجوم تسبح فى مداراتها الغارقة فى أعماق الفضاء والشجر والنباتات والحيوانات بكل صنوفها تشترك فى هذا الموكب الرهيب الذى يثير الدهشة ويجتذب القلوب، وفى ذلك يقول القرآن الكريم: (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) [۳۷۱] . وأيضاً قوله تعالى: (فسبح باسم ربك العظيم).. أى نزّه الله سبحانه عن السوء، والشرك وعظمه بحسن الثناء عليه، ومعناه أيضاً نزه اسمه عما لا يليق به... فلا تضف إليه صفة نقص أو عملاً قبيحاً.. ومعناه أيضاً قولوا سبحان ربى العظيم.. والعظيم فى صفة الله تعالى معناه كل شىء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغنى الذى لا يساويه شىء ولا يخفى عليه شىء جلت آلاؤه وتقدست أسماؤه. وورد فى التفسير المروى فى هذه الآية المباركة: أى فبرئ الله تعالى مما يقولون فى وصفه، ونزهه عما لا يليق بصفاته، وقيل معناه قل سبحان (لله) ربى العظيم، فقد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما نزلت هذه الآية قال «اجعلوها فى ركوعكم» وراجع فى ذلك تفسير مجمع البيان ليتضح لك الحال والبيان. ولقد ورد فى القرآن الكريم عدة ألفاظ للتسبيح فتارة يأتى على نحو صيغة الأمر تسبح وتارة أخرى بصيغة الماضى أو الحاضر.. يسبح.. تسبّح.. وسبحان الله.. وهذا [صفحه ۲۸۶] يعنى أن التسبيح له صفة الإستمرارية فى كل شىء وكما قلنا فالكون يسبح.. الخ. وإذا تفحصنا القرآن الكريم نجد زخماً كبير من الآيات المباركة تصل العشرات تؤكد على مسألة التسبيح ومنها: (سبّح لله ما فى السموات والأرض) [۳۷۲] (يسبح له ما فى السموات وما فى الأرض) [۳۷۳]

(وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) [۳۷۴] (صبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) [۳۷۵] . إذن رحلة التسبيح فى القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جداً كل ذلك ليكون إيمان الإنسان عبر التسبيح فى القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جداً كل ذلك ليكون إيمان الإنسان عبر التسبيح أعظم وأفضل ما يكون عليه الإيمان، وقد ذكرنا هذه المقدمة لتكون لنا عوناً على استيعاب الموضوع الذى نحن فيه ـ تسبيح الزهراء عليها السلام ـ ومن الطبيعى جداً نرجع إلى المصدر الأول للمسلمين الذى هو القرآن الكريم لنرى كيف أكد على هذا التسبيح، وبعد ننطلق ونسبح فى فضاء تسبيح الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام. فالقرآن الكريم قال ان الكل يسبح ولكن لا نعرف نحن القاصرون عن إدراك الكثير من الحقائق التى تخصنا نحن كبشر فى حياتنا، وإلا فالكل يسبح ولكن نحن لا نعرف لغة هذا التسبيح الذى يخص الكائنات الأخرى سواء النباتية أو الحيوانية وأو الجمادية أو الأفلاك المتحركة، فإن لهذه الوجودات لغات خارجة عن تصوراتنا وعن حدود معرفتنا، وليس لنا القابلية فى معرفة هوية هذا التسبيح الخاص بها، إلا من وفقه الله تعالى فى مجاهدة نفسه ووصل إلى مرحلة الكشف والشهود لكثير من الحقائق الكونية.. وهذا ما نجده متحقق فى كثير من الأنبياء عليهم السلام كما فى قصة سليمان عليه السلام الذى أعطاه الله تبارك وتعالى معرفة لغة الحيوانات (وعلمنا منطق الطير) ويقول الله تعالى فى ذلك: (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها) [۳۷۶] . [صفحه ۲۸۷] فسليمان يعرف لغة الغير من الحيوانات كالنمل والطير وإلا لو كان لا يعرف لغة النمل لما تبسم ضاحكاً من قولها، وعلى هذا الأساس فإن لكل شىء فى هذا الكون لغة ومنطق ولكننا لا نفقه لغته ولا نعرف منطقه ولا ندرك ذلك إلا لمن أعطاه الله تبارك وتعالى نور البصيرة فى كل شىء (ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور). إذن فكل شىء له لغة وله منطق غير أننا لا ـ نفقه تلك اللغات اللهم إلا أن يكون الإنسان نبياً أو وصى نبى أو أحد الأئمة الهداة الذين علمهم الله منطق كل شىء وكما ورد ذلك فى كتاب مدينة المعاجز الذى يعطيك عشرات الشواهد على ذلك.. أما نحن فلاحظّ لنا من ذلك على الإطلاق، وفى حديث أن الحصى كانت تسبح فى كف النبى والصحيح هو أن النبى كا يسمع صوت الحصى حينما تسبح الله وتقدسه... وإلا فالحصى هى مسبحة لله تعالى فى يد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفى يد غيره من البشر غاية ما فى الأمر أن الأنبياء لهم القدرة على سماع هذا التسبيح بشكل واضح وملموس. وبعد أن وقفنا بعض الشىء مع معالم التسبيح فى القرآن الكريم نأتى الآن إلى نورانية تسبيح فاطمة عليها السلام الذى يعبتر من الشعائر الدينية لدى الشيعة والسنّة والذى يعتزون به كأفضل الأعمال عقيب الصلاة المفروضة. ولقد جاء الحث عليه من قبل الأئمة عليهم السلام فى كثير من الأحاديث التى وصلت إلينا عبر الرواة والمحدثين ومنها ما جاء عن لسان أبى جعفر عليه السلام قال: «ما عبدالله بشىء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شىء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام» [۳۷۷] . وعنه عليه السلام قال: «من سبّح تسبيح الزهراء عليها السلام ثم استغفر غفر له وهى مائة باللسان، وألف فى الميزان، وتطرد الشيطان، وترضى الرحمان» [۳۷۸] . وجاء عن هارون المكفوف، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «يا أبا هارون! إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة فالزمه، فإنه لم يلزمه عبد فشقى» [۳۷۹] . [صفحه ۲۸۸] وأيضاً عن الصادق عليه السلام قال: «من سبح تسبيح فاطمة عليها السلام قبل أن يثنى رجله بعد انصرافه من صلاة الغداة غفر له ويبدأ بالتكبير» ثم قال أبو عبدالله عليه السلام لحمزة بن حمران: «حسبك بها يا حمزة» [۳۸۰] .

تشريع التسبيح

من منّا لا يعرف كفاح فاطمة عليها السلام وكيف كانت حياتها تجرى فى بيت زوجها على أمير المؤمنين ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ فالتاريخ يحدثنا أنها كانت قليلة الهجوع فى الليل، وكانت تستغفر الله فى الأسحار، فتقف فى محرابها للصلاة حتى تورمت قدماها من كثرة العبادة والدعاء... وكانت تذوب رقة وخشوعاً فى صلاتها وعند دعائها، ولدى قراءتها القرآن الكريم... فإذا مرت بآية فيها وعد أو وعيد رددتها فى بكاء وحزن ودموع... هذا كان بعض شأنها فى الليل... أما فى النهار، فقد كانت فاطمة تطحن بالرحى

حتى أثّرت الرحى بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وكنست البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأو قدت تحت القدر حتى طبع الدخان أثره على ملابسها وترك لونه على ثيابها وقت العمل بالطبع [۳۸۱] وبلغ بها الحال أن دخل عليها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذات صباح، وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل، وطفلها يبكى إلى جانبها، فبكى النبى، وقال «تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة» [۳۸۲] . وذات مرة، وقفت فاطمة الزهراء عليها السلام بين يدى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر اليها، وقد بدت آثار التعب على وجهها، من شدة الجوع والكفاح، فوضع يده الكريمة على صدرها، ورمق السماء بطرفه، وراح يدعو لها، والدموع تترقرق فى عينيه، وهو يقول: «يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا، لحلاوة الآخرة». وقد تكرر هذا الموقف من رسول الله [صفحه ۲۸۹] لفاطمة، وفى كل مرة يكرر عليها هذه العبارة: يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة... وفى ذلك درس عظيم لكل فتاة تبحث عن النجاح فى الحياة.. فيه درس عظيم لكل امرأة تفتش عن السمو.. تفتش عن التكامل فى الإسلام. يقول جابر بن عبدالله الأنصارى رحمه الله: رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة، وعليها كساء من أجلة الإبل، وهى تطحن بيدها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا بنتاه تجرعى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة، فقالت: الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه [۳۸۳] . إن فاطمة الزهراء من خلال سيرتها الذاتية هذه تعطى الفتاة المسلمة أعظم درس فى الحياة، يؤدى بها إلى سلوك الصراط المستقيم لتعيش فى ظلال رحمة الله سبحانه. أجل.. إن فاطمة تعلم المرأة كيف تصبح فتاةً مسؤولية...، تتحمل مسؤولية الأسرة، والمجتمع فى ثقة وشجاعة. ونعلم من سيرة الزهراء أنها لما أرهق بدنها الكدح والنضال، وأتعبها الطحن بالرحى، جاءت أباها تمشى على استحياء، تطلب منه خادمةً تساعدها على تخفيف أعباء المنزل، وثقل الحياة العائلية التى كانت تكابدها ليلاً نهاراً، علّها تخفّف عنها بعض همومها. وقفت بين يدى أبيها رسول الله، مطرقةً برأسها حياة بعد أن سلمت عليه، فرد عليها السلام، وكان من عادته أنه إذا أقبلت عليه فاطمة، كان يقوم إجلالاً لها ويقبل يدها ثم يجلسها فى مجلسه، فجلست وهى مطرقة برأسها إلى الأرض، وما كادت تجلس فى مكانها، حتى سألها الرسول الأعظم قائلاً: ما جاء بك... وما حاجتك أى بنية؟ فغلبها الحياء ولم تتمكن من سؤال النبى، فقالت: جئت لأسلم عليك.. وبعد لحظات قامت فودعها النبى، ورجعت إلى دارها دون أن تحقق هدفها الرامى إلى طلب فتاة لخدمة المنزل. وبعد هذا اللقاء بأيام وجدت فاطمة نفسها لا تستطيع مواصلة العمل دون وجود فتاة إلى جانبها فى البيت، فقررت أن تشكو حالها إلى أبيها الحبيب المصطفى لعله هذه [صفحه ۲۹۰] المرة يلبى نداءها، ويستجيب لدعوتها، خصوصاً وقد انتصر المسلمون فى معارك الجهاد، فاحرزوا غنائم كثيرة وأموالاً عظيمة.. فقامت فاطمة الزهراء عليها السلام من ساعتها، وأتت أباها النبى صلى الله عليه وآله وسلم وطلبت منه خادمة، فقال لها: يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم وم الدنيا وما فيها. قالت: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «تكبّرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بلا إله إلاّ الله، وذلك خير لك من الذى أردت ومن الدنيا وما فيها» [۳۸۴] . وإليك قضيته كما نقله كتاب من لا يحضره الفقيه: روى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل من بنى سعدٍ: ألا أحدّثك عنّى وعن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)؟ إنّها كانت عندى فاستقت بالقربة حتّى أثّر فى صدرها، وطحنت بالرحى حتّى مجلت يداها [۳۸۵] ، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأو قدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها [۳۸۶] فأصابها من ذلك ضرّ شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل. فأتت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت عنده حداثاً، فاستحيت فانصرفت، فعلم صلى الله عليه وآله وسلم أنها قد جاءت لحاجة، فغدا علينا ونحن فى لحافنا، فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا، ثمّ قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نردّ عليه أن ينصرف ـ وقد كان يفعل ذلك فيسلّم ثلاثاً، فإن اذن له وإلا انصرف ـ فقلنا: وعليك السلام يا رسول الله ادخل، فدخل وجلس عند رؤوسنا، ثمّ قال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمّد؟ فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فأخرجت رأسى فقلت: أنا والله اخبرك يا رسول الله، إنّها استقت بالقربة حتى أثّر فى صدرها، وجرّت [صفحه ۲۹۱] بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو

أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّما أنت فيه من هذا العمل. قال: أفلا اعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبّرا أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبّحا ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، واحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدةً. فأخرجت فاطمة رأسها وقالت: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسوله [۳۸۷] . وعادت فاطمة إلى دارها تحمل معها أعظم هدية ربّانية، وأكبر عطاء تربوى فكرى. تلكم كانت قصة حديث تسبيح فاطمة الذى أطلقوا عليه اسم تسبيح الزهراء، وشاع صيته فى الآفاق وأصبح المسلمون يرددونه فى أعماق كل صلاة فى خشوع ودموع. ولكن هل انتهت قصة هذا التسبيح العظيم ـ تسبيح الزهراء ـ؟ كلا.. بالطبع إن تسبيح الزهراء ـ سلام الله عليها يعتبر شعيرة عظيمة، من شعائر الله التى هى من تقوى القلوب. ونحن نعرف أن فاطمة لها أسلوب خاص، وسيرة ذاتية تتعامل بها مع شعائر الله.. إن مفهوم الشعائر عند فاطمة يختلف عن مفهوم الآخرين للشعائر.. ولكى تأتى الصورة ـ صورة البحث ـ أكثر وضوحاً، فإنه لا بد من الدخول فى الموضوع من أبوابه العريضة، ولكن باختصار شديد مع الوضوح الكاملى فى الفكرة والتعبير. إن الصفة الملازمة لفاطمة الزهراء ـ هى أنها تستطيع أن تصور الإسلام فى كل خطوة تخطوها، وفى كل شىء تلمسه بيدها الطاهرة وهى ـ أى هذه الصفة ـ وإن كانت موجودة فى كل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إلا أنها تتألق فى شخص الصديقة فاطمة الزهراء، بشكل يشد القلوب، ويبهر الألباب. إن فاطمة تصوّر الإسلام بكل أبعاده حيث تجلس إلى الرحى تطحن فيها القمح والشعير ـ لتسد أود أبنائها وبعلها ومن يلوذ بها فى ظل أهل البيت. وإن فاطمة تصور [صفحه ۲۹۲] الإسلام بكل أبعاده، حين تخرج مع أبيها رسول الله فى ساحات القتال والجهاد، تضمّد جراحه وجراح بعلها الوصى، وتمسح عنهما الآلام والأحزان، كانت تصور الإسلام، عندما تستقبل بطل الإسلام علياً أمير المؤمنين، وهو عائد من الحرب، فيدفع السيف لها قائلاً: أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديدٍ ولا بملميم أجل.. إنها تصور الإسلام عندما ما تخلع ثوبها ليلة الزفاف وتدفعه لفتاة فقيرة تبدو عليها رقة الحال، ويسألها أبوها عن ثوبها الجديد، فتجيبه بقولها: أبتاه يا رسول الله لقد طرقت علىّ الباب فتاة فقيرة تطلب ثوباً فأخذت ثوبى القديم القديم لأدفعه لها.. ولكننى تذكرت قوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) [۳۸۸] . وأنا أحب الثوب الجديد فآثرتها به على نفسى فخلعت ثوبى الجديد وأعطيته لها! أية عظمة هذه، وأية نفس كبيرة تطالعنا بها حياة فاطمة، وسيرتها العذبة التى تتضوع عطر الجنة؟! إن فاطمة تخطوها.. وبكل كلمة تقولها.. إن ذلك يظهر بوضوح فى خطبتها المشهورة المليئة بالفكر، والعطاء، والمبادرة، ان شعائر الإسلام تتحول إلى سلوك عندها فإذا أنت أمام شعائر تفور بالحركة، والعطاء، وتتفجر بالصور الساخنة، والمعانى الحية وتتحول فى النهاية إلى واقع معيوش أساسه الإيمان وركائزه الفضائل وهيا كله التسامح والرحمة. ليس عند فاطمة شعائر جامدة، ولا عبادة راكدة، ولا طقوس فارغة من المحتوى، بل الشعيرة الدينية عند فاطمة متدفقة بالعطاء، مليئة بالمبادرة والانطلاق الصائب نحو الهدف والغاية إن الشعيرة الدينية ـ أية شعيرة ـ من دون فاطمة، تغدو شعيرة جامدة باهتة، تجرى فى رتابة مملّة، فإذا لمستها فاطمة الزهراء، لمسة واحدة، اهتزت، وربت وأعطت ثمارها، ان لمسة واحدة من فاطمة للشعائر، تكفى لتحويله إلى سلوك عملى يمشى فى الناس مشية لنور.. وذلك أن فاطمة لا تتامل مع الشعارات الفارغة، ولا تتعاطى مع الأوهام.. وإنما هى تؤمن بالحق ولا تتعامل إلّا مع الحق والحقيقة. إن فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ لتضرب آباط الإبل بحثاً عن الحق وروادة.. علماً بأن الحق لا يتمثل إلّا بها ولكن مع هذه كله، ففاطمة البتول، تفتش أبداً عن أهل الحق، ولا تمشى إلا فى طريق الحق، كوان قلّ سالكوه، إنها لا تستوحش من طريق الحق لقلة سالكيه.. فإذا كان هناك واحد يمشى معها فى هذا الطريق، فإن ذلك يدخل السرور فى قلبها، ويجعلها تأنس برفيق الإيمان ولهذا كانت إذا نظرت إلى وجه الإمام على، تدفقت السعادة فى وجهها وإذا نظر على اليها أشرق وجهه بالبشرى، حتى كان يقول: إذا رأيت فاطمة انجلت عنى الهموم والأحزان، فهى حين علمها أبوها النبى، التسبيح المعروف بتسبيح الزهراء، أخذته بقوة لتحوله ـ رأساً ـ إلى منهج عملى، وسلوك يتحرك بنوره فى الناس.. فهى بدل أن تذهب إلى بيتها نراها ذهبت إلى قبر الحمزة بن عبد المطلب لتصنع من تراب القبر حبات لمسبحتها التى ستدير تسبيح الزهراء فيها! [۳۸۹] . ومن هذا القصة والقضية التى حصلت للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام شرّع هذا التسبيح المنسوب إليها.

كيفية التسبيح

قد وقع الخلاف بين العلامة والخاصة فى كيفية تسبيحها عليها السلام، ومنشأ هذا الإختلاف ناشئ من الأخبار المختلفة فى الباب من كلا الفريقين على أن كلاهما يقول عند البدء به بالتكبير ووقوع الإختلاف إنما كان فى تقديم التحميد على التسبيح أو العكس، واختلف أصحابنا والمخالفون فى ذلك، مع اتفاقهم جميعاً على استحبابه. وإليك الأقوال المختلفة فى الأخبار عند العامة ثم نقدم بعد ذلك أخبار وأقوال الخاصة من الشيعة الإمامية لكى يتضح لنا بعد ما هو الصحيح. عن مسند فاطمة للسيوطى: عن ابن شهاب [۳۹۰]. سمعت أبا هريرة يقول: سمعت [صفحه ۲۹۴] النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كلّ أمّتى معافى إلا الجاهرين، فان من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره ربّه فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربّه فيبيت يستره ويكشف ستر الله عنه... وكان يأمر عند الرقاد، وخلف الصلاة بأربع وثلاثين تكبيرة، وثلاث وثلاثين تسبيحة وثلاث وثلاثين تحميدة، فتلك مائة و.. ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك لابنته فاطمة عليها السلام [۳۹۱]. وعن الذريّة الطاهرة المطهرة: (بإسناده) عن أبى هريرة، عن فاطمة ابنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إنها انطلقت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم تسأله خادماً، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك؟ إذا أويت إلى فراشك فسبحى ثلاثاً وثلاثين، واحمدى ثلاثاً وثلاثين، وكبرى أربعاً وثلاثين، فهو خير لك من ذلك، أرضيت يا بنيّة! قالت: قدر رضيت [۳۹۲]. وعن شرح السنّة: (بإسناده) عن أبى هريرة قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم تسأله خادماً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلّك ما هو خير من خادم؟ تسبّحين الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين عند كلّ صلاة، وعند منامك. (هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم بن اميّة بسطام، ولم يذكر الصلاة) [۳۹۳]. وعن مسند أحمد بن حنبل: (بإسناده) عن شهر، قال: سمعت أمّ سلمة تحدّث، زعمت أنّ فاطمة عليها السلام جاءت إلى نبىّ الله صلى الله عليه وآله وسلم تشتكى إليه الخدمة: فقالت: يا رسول الله! لقد مجلت يدى من الوحى، أطحن مرّة، وأعجن مرّة؛ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن يرزقك الله شيئاً يأتك، وسأدلّك على خير من ذلك. إذا الزمت مضجعك فسبحى الله ثلاثاً وثلاثين، وكبرى ثلاثاً وثلاثين، واحمدى [صفحه ۲۹۵] أربعاً وثلاثين، فذلك مائة، فهو خير لك من الخادم... [۳۹۴]. أقول: يظهر من هذه الأخبار التى روتها العامة ان الإختلاف وقع بينهم فى قضية تقديم التكبير على التسبيح وبالعكس فالخبر الأول يقدم التكبير والخبر الثانى يقدم التسبيح ومنه يظهر التعارض بين أخبارهم على أنه هناك الكثير من الأخبار التى تنقل لنا هذا الإختلاف فيما بينهم ولا يسعنا المقام لنقل أخبارهم كله فنكتفى بهذه. وأما ما ورد عن الخاصة: فعن جامع الأحاديث: عن القاسم مولى معاوية: أنّه سمع علىّ بن أبى طالب عليه السلام فذكر أنّه أمر فاطمة عليها السلام تستخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: يا رسول الله، انّه قد شقّ علىّ الرحى ـ وأرته أثراً فى يديها من أثر الرحى ـ فسألته أن يخدمها خادماً، فقال: أولا اعلمّك خيراً من ذلك ـ أو قال: خيراً من الدنيا وما فيها؟ ـ إذا أويت إلى فاشك: فكبّرى أربعاً وثلاثين تكبيرة، وثلاثاً وثلاثين تحميدة، وثلاثاً وثلاثين تسبيحة، فذلك خير لك من الدنيا وما فيها [۳۹۵]. وع مشكاة الأنوار: قال: دخل رجل على أبى عبدالله عليه السلام وكلّمة فلم يسمع كلام أبى عبدالله عليه السلام وشكى إليه ثقلاً فى أذنيه، فقال له: ما ينعك؟ وأين أنت من تسبيح فاطمة عليها السلام؟ قال: جعلت فداك، وما تسبيح فاطمة عليها السلام؟ فقال: تكبّر الله أربعاً وثلاثين، وتحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وتسبّح الله ثلاثاً وثلاثين تمام المائة. قال: فما فعلت ذلك إلا يسيراً، حتّى أذهب عنّى ما كنت أجده [۳۹۶]. وعن المحاسن: عن يحيى بن محمد؛ وعمرو بن عثمان، عن محمد بن عذافر، قال: دخلت مع أبى على أبى عبدالله عليه السلام فسأله أبى عن تسبيح فاطمة عليها السلام؟ فقال: الله أكبر حتّى أحصاها أربعة وثلاثين، ثم قال: الحمد الله حتى بلغ سبعاً [صفحه ۲۹۶] وستّين، ثم قال: سبحان الله حتى بلغ مائة، يحصيها بيده جملة واحدة. أقول: هذه الأخبار ظاهرة فى تقديم التكبير أولاً ثم يعقبها بالتحميد وبعد ذلك التسبيح.. أما الطائفة من الأخبار التى رواها أصحابنا فهى ظاهرة فى أن التسبيح مقدم على التحميد وإليك بعضها: عن فقه الرضا عليه

السلام قال: إذا فرغت من صلاتك فارفع يديك ـ وأنت جالس ـ فكبّر ثلاثاً وقل: لا إله إلا الله وحده وحده [لا شريك له]، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأعزّ جنده وحده، فله الملك وله الحمد، يحيى ويميت، ويميت ويحيى، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير. وتسبّح بتسبيح فاطمة عليها السلام: وهو أربع وثلاثون تكبيرة، وثلاث وثلاثون تسبيحة وثلاث وثلاثون تحميدة؛ ثمّ قل: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، ولك السلام، وإليك يعود السلام، سبحان ربّك ربّ العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين. وتقول: السلام عليك أيّها النبّى ورحمة الله وبركاته، السلام على الأئمة الراشدين المهديّين من آل طه ويس... [۳۹۷] . وعن الإحتجاج: وسأل عن تسبيح فاطمة عليها السلام، من سهى فجاز التكبير أكثر من أربع وثلاثين، هل يرجع إلى أربع وثلاثين أو يستأنف؟ وإذا سبّح تما سبعة وستين هل يرجع إلى ستّة وستّين أو يستأنف، وماالذى يجب فى ذلك؟ فأجاب عليه السلام: إذا سهى فى التكبير حتّى تجاوز أربعاً وثلاثين، عاد إلى ثلاث وثلاثين، ويبنى عليها، واذا سهى فى التسبيح فتجاوز سبعاً وستّين تسبيحة عاد إلى ستّ وستّين، وبنى عليها، فإذا جاوز التحميد فلا شيء عليه [۳۹۸] . وعن التهذيب: علىّ بن حاتم، عن محمد بن جعفر بن أحمد بن بطّة القمّى، عن محمّد بن الحسين بن أبى الخطّاب، عن محمد بن سنان، وأبو محمد هارون بن موسى، قال: حدّثنا محمد بن على بن معمّر، عن محمد بن الحسين بن أبى الخطاب، عن محمد [صفحه ۲۹۷] بن سنان عن المفضّل بن عمر، عن أبى عبد عليه السلام ـ فى حديث نافلة شهر رمضان ـ قال: سبّح تسبيح فاطمة عليها السلام، وهو «الله أكبر» أربعاً وثلاثين مرّة، و «سبحان الله» ثلاثاً وثلاثين مرّة، و«الحمد لله» ثلاثاً وثلاثين مرّة؛ ـ فوالله ـ لو كان شيء أفضل منه لعلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياها [۳۹۹] . اقول: يظهر من هذه الأخبار اختلافها عن المتقدمة من جهة الحيثية التى استظهرناها، ومن هنا كان لابد لنا من معالجة الأخبار لكى نخرج هذا الاختلاف عن ظاهرة وتوجيهه التوجيه الصحيح بحيث لا يبقى أى اختلاف وتعارض قال فى المختلف: المشهور تقديم التكبير، ثم التحميد، ثم التسبيح ذكره الشيخ فى النهاية والمبسوط والمفيد فى المقنعة وسلار وابن الصلاح وابن ادريس. وقال على بن بابويه، يسبح تسبيح الزهراء، وهو أربع وثلاثون تكبيرة، وثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وهو يشعر بتقديم التسبيح على التحميد وكذا قال ابنه أبو جعفر وابن جنيد، والشيخ فى الاقتصاد واحتجوا برواية فاطمة عليها السلام. والجواب: انه ليس فيها تصريح بتقديم التسبيح، اقصى ما فى الباب ان قدمه فى الذكر، وذلك لا يدل على الترتيب، والعطف بالواو لا يدل عليه، انتهى. وقال الشيخ البهائى رحمة الله فى مفتاح الفلاح: أعلم ان المشهور استحباب تسبيح الزهراء عليها السلام فى وقتين: أحدهما بعد الصلاة، والآخر عند النوم، وظاهر الرواية الواردة فى تسبيح الزهراء عليها السلام على الاطلاق يقتضى تاخيره عنه. والمشهور الذى عليه العلماء فى التعقيبات: تقديم التحميد على التسبيح، وظاهر الروايات المعتبرة الصحيحة ذلك وهى شاملة بأطلاقها لما يفعل بعد الصلاة وما يفعل عند النوم، وما احتج به بعضهم فى كون تقديم التسبيح على التحميد انما يكون عند النوم مردود بكون الرواية التى استدلوها بها غير صريحة فى تقديم التسبيح على التحميد فان الواو لا ـ تفيد الترتيب وانما هى لمطلق الجمع على الاصح كما مبين فى محله من الاـصول، إلاّ ـ اللهم ان يقال ان ظاهر اللفظ يقتضى ذلك. [صفحه ۲۹۸] على انه لم يوجد قائلا بالفرق بين التسبيح عند النوم وبعد الصلاة بل يظهر من خلال تتبع اقوال الفريقين القائلين بتقديم التحميد بتقديم التحميد على التسبيح مطلقا سواء وقع بعد الصلاة كتعقيب او قبل النوم وهذا هو الصحيح، واما من ذهب بالتفصيل فقوله احداث لقول اخر فى مقابل الاجماع الذى عليه الشيعة وهو مخاف كما ترى.

التسبيح من شعائر الدين

من كتاب اعلموا انى فاطمة: ۲: ۶۴۲. فالتسبيح شعار، او قل: شعيرة من شعائر الدين ومحتواه الفداء والتضحية والفداء لا يكون إلاّ اذا سبقته تربية، وهو بعد ذلك كل يحتاج إلى رمز يدل عليه، وهنا نستطيع بقليل من التركيز والانتباه ان نلمس هذين الشرطين فى تسبيح الزهراء... الشرط الأوّل، هو الشرط التربوى.. ونلمسه فى تركيبة هذا التسبيح الذى علمه النبى ـ صلى الله على وآله وسلم ـ لا بنته فاطمة

الزهراء والتسبيح يتكون من أربع وثلاثين مرة الله اكبر... وثلاث وثلاثين مرة الحمد لله، وثلاث وثلاثين مرة سبحان الله... وفى نظرة واعية نلقيها على هذا الترتيب المتقدم نجد ان التسبيح يبدأ باسم الله وينتهى باسم الله، فهو لم يبدأ بالحمد الله، ولابدأ بسبحان الله، وانما بدأ بالله اكبر. وختم بسبحان الله حتى تكون اول كلمة فى التسبيح هى كلمة الله، واخر كلمة فى التسبيح هى كلمة الله. (الله اكبر.. سبحان الله.. الحمد لله). انظروا إلى الكلمتين اللتين احاطتا بالتسبيح كما يحيط الهلال بحفة النجوم فى صدره، هذا هو الشرط الأوّل، الشرط التربوى.. حيث ظهرت فيه الاشارة واضحة إلى المبدأ والمعاد.. فنحن من الله وسنرجع إليه... انا لله، وانا إليه راجعون، وهذا معناه ان القراءة والدعاء، والتسبيح وكل حركة فى الحياة يجب ان تكون باسم الله... كما كانت اول كلمة فى القرآن: (اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) [۴۰۰] . [صفحه ۲۹۹] فجعل القراءة منصبة فى قالب أدبى تربوى.. (اقرأ باسم ربك) أى ان القراءة يجب ان تنصب فى اطار تربوى أدبى، لأنّ التربية مشتقة من الرب، او كلمة الرب مشتقة من التربية وهو الاصح فى اللغة. هذا هو الشرط الأوّل، اما الشرط الثانى والذى يعنى ان هناك رمزاً نتخذ منه قدوة، واسوة حسنة فى تطبيق مضمون التسبيح، فهو الفداء، والتضحية... وهنا تجد فاطمة الزهراء عليها السلام حين اخذت درس هذا التسبيح من أبيها الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم اقول: حين اخذته من أبيها، هذا الدرس انطلقت به إلى قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عليه السلام وحين وصلت إلى القبر، جلست تصنع حبات لمسبحتها من تراب قبر الشهيد، اجل.. فاطمة تصنع مسبحة من تراب قبر الحمزة من اجل ان تعبق حبات هذه المسبحة برائحة الشهادة، وتتضوع بعطر الشهيد الذى أقدم الفداء والتضحية، من اجل الحق، من أجل ان يحيا الإنسان فى أمن وطمأنينة، من اجل ان يعبد الناس رب العالمين فى حرية ودون اكراه.. من اجل اعطاء الناس حرية وحقا وعدالة اجتماعية.. من اجل ان يندحر الظالمون، وينهزم المستكبرون ويذل الطغاة فى الأرض. وفاطمة الزهراء، هنا تعطى الصلاة بعدا جهاديا تربويا، انها تعطى العبادات ابعادا توعوية تزيد فى رشد الأمة، وتنقص من غبائها وبلادتها، نعم انها مسبحة للصلاة، ولكنها ليست مسبحة جامدة فيها حبات من الطين... كلا.. انما هى مسبحة مصنوعة من تراب ممزوج بدم الشهادة ونور الولاية.. وهذا هو الذى يجعل للصلاة معنى وقيمة ووزنا. ومن هنا جاءت فكرة السجود على تربة الحسين عليه السلام فى الصلاة وذلك حتى نتذكر دائما ان الصلاة لا تقوم فى الأرض إلّا بدماء الشهداء حيث: لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم من كل ذلك نخرج بحصيلة نافعة مفادها: ان الشعائر الفارغة لا تؤدى دورا نافعا فى الحياة... بخلاف الشعائر المليئة بالمضمون، والمحتوى فانها تبنى الحياة وتسعد القلوب، وتربى النفوس، وهى بعد ذلك قائمة على التقوى، وملاكها طهارة القلوب وصفاء النفوس. ولهذا نجد الزهراء، حولت الشعائر الاسلامية إلى سلوك يتحرك فى اعماق الإنسان، وبين يديه ومن خلفه.. ان فاطمة حركت الشعائر فى القلوب واعطتها قوة [صفحه ۳۰۰] دفع كبيرة يوم استطاعت ان تحرك العواطف، وكثيراً من المشاعر، وتغذى العقول بفصاحتها وبلاغتها وقوة بيانها. فهى لم تحرك مشاعر الذين عاصروها، بل وأيضاً استطاعت ان تؤثر فى كل الاجيال، وفى الشعوب كافة بحيث اصبح اسمها رمزا للفداء والتضحية والبطولة والعظمة. نعم، عندما يكون للشعار مضمون، فهذه كانت نظرة الزهراء الثاقبة فى التسبيح.

الشعار وحامله

شعارات كثيرة ارتفعت فى الدنيا، وزعماء لمعت اسماؤهم فترة من الزمن، ولكنهم انطفأوا وانطفأت أسماؤهم، عندما داست الجماهير شعارتهم تحت الارجل. فى حين نجد شعارات انطلقت على أفواه زعماء آخرين مخلصين فعاش الزعماء والقادة فى القلوب، وظلت الشعارات متوجهة متدفقة لا ينقطع عطاؤها أبداً.. ولم تستطع قوى الظلام والضلال مجتمعة ان تطفىء شعيرة واحدة من تلكم الشعائر.. لانها انطلقت من الصدق والحق والحرية فعاشت فى القلوب. ومن هنا نستطيع ان ندرك ـ على الفور ـ السبب المباشر فى بقاء شعائر، واندثار اخرى.. وفى انطفاء زعيم وعيش زعيم اخر. ان السبب الرئيسى فى كل ذلك هو الصدق.. والصدق وحده هو الذى يستبقى الشعار ويجعله خالداً.. لأنّ معنى ذلك ان ليس هناك تنافر ولا تنازع بين الشعار وبين المبدأ الذى يحمله هذا القائد او ذلك. ان اول

ما يؤدى سقوط الشعار هو ان يكون الشعار مخالفاً لسلوك الزعيم الذى يرفعه.. اما اذا التقيا: الشعار والمبدأ فان النتيجة واضحة وستكون حسنة وجيدة، وهى الخلود الكامل للشعار وحامله، ومن هنا فاننا نجد شعارات الاسلام وجيدة، وهى الخلود الكامل للشعار وحامله، ومن هنا فاننا نجد شعارات الاسلام خالدة وباقية لانها تنطلق من فطرة الإنسان تتغذى بالتقوى، والإيمان بالله. يقول الحق: (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) [۴۰۱] . أى ان القلوب المليئة بالتقوى هى وحدها التى تغذى هذه الشعائر وتحفظها من [صفحه ۳۰۱] الضياع، ومن هذا المنطلق نجد الشعائر حين تلمسها فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ تحولها إلى حياة ونور، وواقع.. وآلية تحفظ الحقوق وترعى الزمام، فمثلا ـ التسبيح من شعائر الله، لانه يعيد الإنسان إلى واقعه، وحقيقته التى خلق من اجلها، وهى العبادة المطلقة لله وحده والتوجه إلى الخالق القادر الذى لا اله غيره.. وهو ـ أى ـ التسبيح بعد كل ذلك رحلة ينسجم المرء فيها مع كل ما يجرى فى هذا الكون، لانه مامن شىء فى الأرض ولا فى السماء إلّا وهو يسبح الله ويقدسه، تقول الارقام العلية التى نأخذها من القرآن الكريم: ان كل شىء فى هذا الكون ساجد يسبح لله ويقدسه، اخذا من الذرة والخلية وانتهاء بأكبر سديم فى الفضاء ابتداء من الأميبا، الحيوان ذى الخلية الواحدة، وانتهاء باكبر جرم حيوانى فى الأرض. ابتداء من اصغر عشب نائم فى العراء، وانتهاء باكبر دوحة فى الأرض، هذه كلها تشترك فى تسبيحة واحدة، وسجود واحد وتقديس للحق جل وعلا.. ومن هنا جاءت فكرة التسبيح لترد الإنسان إلى هذه الحقيقة وهى الانسجام الكامل مع ما يجرى فى هذا الكون. هذا هو كل ما يمكن ان يقال فى التسبيح فى مثل هذا الجال.. ولكن تعالوا معى لنرى الصديقة الزهراء كيف حولت هذا الشعار إلى صهريج ملىء بالنور والحركة والعطاء.. انظروا كيف استطاعت الزهراء ان تجعل من هذه الشعيرة الاسلامية، منهجا تربوياً، حضاريا، يسكب الراحة والطمأنينة فى النفس، ويجعل المسلم اقوى من الجبال فى مواجهة الطغاة الظالمين. فالتسبيح بتسبيح الزهراء يبدأ بـ ۳۴ تكبيرة و ۳۳ تحميدة، و۳۳ تسبيحة، وهو تسبيح معروف، ومشهور، وخصوصا عند أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا يأمرون اولادهم بحفظه وقراءته، قبل النوم، وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول: كنا نعلم اولادنا، او قال: نعلم صبياننا حفظ هذا التسبيح وقرائته بعد الصلاة وفى اول دقائق النوم، وقد تقدم ذكر هذا التسبيح والتعليق، عليه، ونحن اذا اردنا ان ندرك ما تقول فاطمة.. علنيا أن نجعل منها قدوة، واسوة حسنة تفتح أبواب الحياة امامنا، وتضىء عالمنا الذى اطبق عليه الظلام، وذلك فى فهمنا لتسبيح الزهراء.. فعندما نسبح بتسبيح فاطمة فى اعقاب الفرائض.. يجب ان نتأثر به، ونتخلق بآدابه ونسعى إلى ان يترك اثره الطيب فى سلوكنا فى الحياة بحيث ان الذى يقرأ هذا التسبيح او يقدم على ان عمل فى حياته [صفحه ۳۰۲] اليومية عليه ان يشعر انه من احب الزهراء او من انصارها الذين يحملون مبادئها، وافكارها واهدافها إلى شعوب الارض وإلى الناس اجعين، ولم لا؟ الم تكن فاطمة رحمة للعالمين، كما كان أبوها النبى رحمة للعالمين؟.. واذا كانت كذلك، فان رسالتها هى رسائل لكل شعوب الأرض، وعلى شيعتها ان يرفعوا صوتها إلى العالم اجمع فانه احب واقرب صوت إلى القلوب.

الزهراء تعلمت التسبيح من النبى

وفى تسبيح الزهراء، نجد ان الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام قد حاولت هذا الشعار إلى سلوك يومى، وذلك عندما علمها أبوها النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا التسبيح، ذهبت إلى قبر الحمزة بن عبد المطلب.. وأخذت تصنع من تراب قبره حبات لمسبحتها لتدير بها هذا التسبيح. ومعنى ذلك انها اعطت الشعار محتوى ومضمونا، ومعنىّ، أى انها جعلته شعارا حيا، وليس مجرد كلمات تتحرك بها الشفاه واللسان، دون ادراك ولا ـ استيعاب. ان التسبيح هو تنزيه الله عن البعث، انه تسبيح يؤكد الحكمة التى اقامهاالله عزوجل عليها الكون والحياة والإنسان.. والشهادة هى قمة هذه الحكمة.. أى ان الشهيد قد بلغ حداً من الحكمة والكمال ليس بعده حد.. وهذه هى الفلسفة،والرشد، الذى تريده الزهراء، انه امتزاج بين التسبيح وبين دماء الشهداء. ان الصلاة من دون دم الشهيد لا تساوى شيئا. او قل؛ لولا الشهداء لما قام لهذا الدين عمود، وحمزة هو سيد الشهداء، طبعا قبل واقعة الط، وقبل مجىء يوم عاشوراء،

فلما جاء يوم عاشوراء، يوم الحسين، اصبح الحسين عليه السلام هو سيد الشهداء، كما انه سيد شباب أهل الجنة، وسيد الاحرار فى العالم، انه احتكاك فكرى، وحضارى بين التسبيح وبين دماء الشهداء، وهذا هو الفارق الذى تنفرد به الحضارة الاسلامية عن غيرها من حضارات خاوية فارغة، ونحن حينما نصلى على تربة الحسين، فاننا نقيم هذا المعنى فى القلوب، وهو: ان الصلاة لا تقوم إلّا بالشهادة، وذلك نخاطب الحسين فى الزيارة؛ اشهد انك قد أقمت الصلاة» أى اشهد انك بشهادتك قد أقمت الصلاة، وحفظتها من [صفحه ۳۰۳] الضياع، وانت قد أقمت الصلاة بأهدافها ومبادئها قبل مصرعك، وقبل يوم شهادتك. على ان السجود هو على التربة الحسينية، وليس للتربة، وهماك فرق بين السجود على الشىء والسجود للشىء، فالسجود للأشياء قطعا حرام. كأن يسجد احد الناس صنعم أى يسجد له لا عليه. فى حين ان السجود على التربة انما هو سجود لله وليس للتربة. فالتربة ليست اكثر من انها تحقق مصداق السجود على الأرض لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا، ونحن نعرف ان المسلمين كانوا يصلون على تراب المسجد فى ايام رسول الله. ثم ان التسبيح جاء فى اطار التربية، فهو يبدأ بالله، وينتهى بالله، وانه ليلخص مسيرة الحضارة الاسلامية، من منطلقها وإلى هدفها.. من الله وإلى الله فهو يبدأ بالله اكبر... وينتهى بسبحان الله، فيكون قد بدأ بالله واختتم بالله، فى حتى ان هذا المعنى لم يكن ليحصل لو كان البدأ بالحمد لله مثلاً. اذن: فالتسبيح ـ تسبيح الزهراء ـ قد جاء فى اطار تربوى لانه يستقى نوره من القرآن الكريم، والقرآ، قد جاء للتربية، واول آية، وسورة نزلت فى القرآن، نجدها نزلت فى اطار تربوى، فأول كلمة فيه هى: (اقرأ باسم ربك الذى خلق). ولم يقل: اقرأ باسم الله مثلاً، وانما قال: اقرأ باسم ربك وكلمة الرب مأخوذة من التربية، بمعنى ان القراءة يجب ان تأتى فى اطار تربوى. ونفس الشىء فى تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، وروى فى كتاب مزار المفيد عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: ان فاطمة كانت مسبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت عليها السلام بيدها تديرها تكبر وتسبح إلى ان مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت عليها السلام بيدها تديرها تكبر وتسبح إلى ان قتل حمزة بن عبد المطلب عليه السلام فاستعملت تربته وعملت التسابيح فاستعملها الناس.. [۴۰۲] وهنا اود ان اتوقف معكم لحظات نتأمل من خلالها هذا الحديث العظيم اذ لا ـ شك ان ذهابها إلى قبر سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب الذى هدّ مصرعه قلب النبى فقال فى تأبينه: ما وقفت موقفا أغيظ على من هذا الموقف حيث كانت هند زوجة ابى سفيان قد قامت بأبشع جريمة يمكن ان تقوم بها امرأة فى مثل وضع هند آكلة الاكباد، اذ شقت صدر الحمزة واخرجت كبده وارادت ان تمضغها [صفحه ۳۰۴] فحولها الله إلى حجر فى فمها فلفظتها، ثم فلفظتها، ثم جدعت انفه، واذنه، وقطعت اعضاءه وشوهت صورته النورانية بوحشية وحقد يظهران نكسة الشر فى طبعها، والدناءة والخباثة القابعة فى داخلها، والمعروف ان الحمزة بن عبد المطلب، ويوم شهادته فى احد، كان صائما فأفطر فى الجنة مع الشهداء والصديقين والزاكيات الطيبات فيما تغتدى وتروح على روحه الطاهرة، فهو يومذاك كان يمثل قمة الشهادة، وسيد الشهداء، لانه قتل يوم احد، وأحد قبل يوم كربلاء بقرابة خمسين عاما من الزمن، ومعنى ذلك الحمزة كان سيد الشهداء بحق ودون منازع، فماذا يعنى بالنسبة لنا ذهاب فاطمة إلى قبر الحمزة سيد الشهداء احد؟... ان فاطمة عندما تذهب إلى قبر الحمزة، وتصنع مسبحة من التراب الممزوج بدم الشهادة، فانها تعطينا درساً بليغا فى ان اشعار وحده لا يبنى مجتمعا، ويقيم امة، وانما لابد للشعار من محتوى عملى، ومنهج تطبيقى، وبكلمة.. لابد للشعار من ممارسة فعلية وذلك ان الشعار لابد له من هدف يتجه نحوه، ومن دون هدف، يغدو تافها لا يثير دهشة احد، ولا يشد انتباه احد، ولايربط على قلب احد. واقبح ما يكون ان يرفع الإنسان شعارا يخالفة، ويعمل ضده، يقول القرآن الكريم فى هذا المضمار: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) [۴۰۳] ولذلك كان ولايزال ملاك الشعائر وتطبيقها.. واصبح تعظيمها يعنى العمل بها.. ولا ـ يطبقها إلاّ ـ من امتحن الله قلبه للتقوى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) [۴۰۴] . وللفائدة أقول: إنه لا فرق بين الشعار والشعيرة فى هذا الموضوع بالذات.. فالشعار جمعه شعارات والشعيرة جمعه شعائر، وكلها تصب فى نهر واحد، لأنّ الغاية من ذكرها هنا تحقيق غاية سامية، وهدف شريف ربانى واذا كان الشعار وحده لا يبنى مجتمعا خاصة، اذا كان خاليا من محتوى، فان اهداف الشهادة هى المضمون الجيد للشعار، وهى المحتوى الراقى لشعائر الله والتسبيح معناه التنزية لله من كل عبث

فی الکون [صفحه ۳۰۵] والحیاة والإنسان، واذا کان التسبیح معناه التنزیه ومعناه معرفة الله، فمن ـ یا تری ـ ینزه الله، ویعرف اکثر من الشهداء؟ ان الشهید یشکل قمة حضاریة عالیة فی معرفة الحق سبحانه وتعالی، ولذلک صنعت فاطمة حبات المسبحة من تراب اقدس شهید هوی إلی الأرض بین یدی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ویکفی ان الزهراء حین تصلی وتسبح الله فی صلاتها، تتمثل صورة الشهادة فی انصع اشکالها، واروع معانیها امام عینیها وکفی بذلک فخراً وتربیة وارتفاعا فی سماء الجد، وآفاق السماحة والشجاعة، والفصاحة والمحبة فی قلوب المؤمنین، من هنا جاءت فکرة السجود علی تراب کربلاء، لأنّ تراب کربلاء تضمن جسد الحسین علیه السلام.. ومن هو الحسین؟ الحسین بن رسول الله... الحسین اب فاطمة.. الحسین الذی قال فیه النبی صلی الله علیه وآله وسلم: «حسین منی وأنا من حسین احب الله من احب حسینا» علما بان الرسول قال: «جعلت لی الأرض مسجدا وطهورا». فالسجود علی الأرض وترابها سنة شریفة متبعة فی سیرة النبی الاکرم.. ونحن عندما نسجد علی قطعة من تراب کربلاء ونحتفظ بها فی جیوبنا فان ذلک یرمز إلی شیئین: الأوّل: اننا نطبق سنة شریفة جاریة، وهی السجود علی الأرض وفقا لتعالیم الحبیب المصطفی. والثانی: اننا نتذکر الحسین دائما الذی کان اقرب الناس إلی قلب جده رسول الله، والذی کان یوم عاشوراء یلبس جبة النبی، وعمامته.. والقرآن الکریم یقول: (ما أتاکم الرسول فخذوه، ومانهاکم عنه فانتهوا) [۴۰۵] وقد أتانا النبی بالحسین وأهل بیته، فقال: «حسین منی وانا من حسین احب الله من احب حسینا». فکما ان الزهراء، ترید ان تجعل اهداف الشهداء نصب عینیها حین تصنع سبحة لها من تراب قبر الشهید، کذلک نحن نرید ان نتذکر اهداف الإمام الحسین ـ علیه السلام ـ حین نصلی علی قطعة من تراب ارض کربلاء المقدسة. اذن ففاطمة الزهراء بذهابها إلی قبر الحمزة، اعطت شعیرة للتسبیح هذه دفقا معنویا، وحیاة، وعطاء تربویا، لا حدود له، هذا بالاضافة إلی انها علمتنا کیف نتعامل مع شعائر الله، وکیف نحول الشعار إلی [صفحه ۳۰۶] سلوک عملی نمشی به فی الناس، علی ان تسبیح الزهراء، قد صبه النبی فی اطار تربوی عمیق حین جعله یبدأ وینتهی بالله عزووجل. ان نظرة فاحصة نلقیها علی هیکل التسبح المذکور، ترینا بوضوح، ان التسبیح مؤلف من اربع وثلاثین تکبیرة وثلاث وثلاثین تحمیدة... وثلاث وثلاثین تسبیحة وهذا یعنی انه بدأ بالله اکبر. فأول کلمة فی التسبیح کلمة الله اذ انه لو بدأ مثلا فی التحمید لکانت اول کلمة فیه کلمة الحمد ولیس کلمة الله، وهکذا اراد النبی لهذا التسبیح ان یصب فی قالب تربوی کما هو شأن کل الشعائر الاسلامیة.. فجعله یبدأ بالله اکبر.. وینتهی بسبحان الله انه بدأ بالله وختم بالله.. وهذا هو المراد من الاطار التربوی فی منهج التسبیح.. وهو موافق لسلسلة الفکر الاسلامی فی القرآن الکریم... فنحن نعرف ان اول کلمة نزلت فی القرآن هی: (اقرأ باسم ربک الذی خلق..) والرب کلمة مشتقة من التربیة، بمعنی ان القراءة المطلوبة یجب ان تکون فی اطار التربیة الربانیة.. وإلّا لکان یقول: اقرأ باسم الله الذی خلق... ولکنه لم یقل باسم الله الذی خلق، فی هذه السورة بالذات، وانما قال: (اقرا باسم ربک الذی خلق..) هذا بالاضافة إلی ان القراءة معناها تغذیة العقل، لأنّ العقل یتغذی بالعلم، ومن دون علم تموت العقول، وحین یقول الحق سبحانه: اقرا باسم ربک.. فان ذلک یعنی غذ عقلک بالتربیة العلمیة، حتی یصلعقلک إلی مرحلة الرشد الفکری، ان لفاطمة الزهراء ـ سلام الله علیها ـ قدرة عجیبة، ومدهشة علی تصویر المعانی الجافة واعطائها صورا حیة، ثم منحها ریشا رقیقا فیه المعانی فی ارفع درجات الفهم، والاستیعاب وان قدرتها کما قلت آنفا ـ علی تصویر قضایا الاسلام تصویرا دقیقا، لمدهشة جدا، فما من کلمة تقولها فاطمة، وما من دمعة تسکبها من عینها، ومامن خطوة تخطوها فاطمة إلّا صورت الاسلام بکل ابعاده تصویرا حقیقیا وواضحا، یبهر الالباب ویأخذ بمجامع القلوب، وهذه میزة فی أهل البیت لایشارکهم فیها احد من العالمین... بخلاف غیرهم من الناس، او بتعبیر اکثر دقة بخلاف الآخرین.. فالاسلام الذی یعرضه الاخرون یبدو اسلاما مزیفا مرقعا مهلهلا یضرب بعضه بعضا فی حین ان الاسلام یعرضه أهل البیت علیهم السلام یبدوا اسلاما یشد بعضه بعضا، وله نور وعلیه حلاوة وجمال رشیق، له قوة جذب شدیدة،وبکلمة: الحدیث [صفحه ۳۰۷] الذی یأتینا من النبی وأهل بیته، وهم فاطمة وعلی والحسن والحسین، والتسعة المعصومون، من ذریة الحسین علیهم السلام. أقول: الحدیث الذی أتینا من أهل البیت الذی اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا، یأتی حدیثا لهم نور هو من نور القرآن، بل اننا نجد حدیثهم یتعانق مع القرآن عناقا طویلا، فی مودة واخلاص.. فلیس هناک حدیث عن أهل البیت یخالف القرآن

ابداً.. ومن هنا جاء حديث الثقلين الشهير الذى تذكره كل كتب الصحاح والحديث بدءا من صحيح البخارى ومسلم، مرورا بصحيح الترمذى والنسائى وابن ماجه وابى داود، وانتهاء بمسند بن حنبل والصواعق المحرقة لابن حجر العسقلانى... كل هذه الكتب قد اجمعت واتفقت على كلمة واحدة وهى: ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى، وقد نبأنى اللطيف الخبير انهما، أى الكتاب والعترة لن يفترقا حتى يردا على الحوض». والآن وبعد هذه الجولة السريعة فى رحاب التسبيح، وبعد هذه السباحة فى شاطىء تسبيح الصديقة فاطمة الزهراء ـ صلوات الله وسلامه عليها ـ فانه يجدر بنا ان نرجع إلى معالم هذا التسبيح الذى اصبح شعاراً يرفعه المناضلون، والمجاهدون فى وجوه الطغاة والجلادين.. بل ان هذا التسبيح ـ أعنى تسبيح الزهراء ـ قد جمع كل مناهج الإنسان المؤمن فى، الحياة فهو يبدأ بالله اكبر.. ثم الحمد لله وينتهى بسبحان الله. وهذه هى مناهج المؤمن ومعالم الإيمان فى الأرض. ان تبدأ بسم الله.. وتعتقد ان الله اكبر من كل شىء فى هذا الوجود، انه اكبر من المال، واكبر من السطان، واكبر من لاهل، والنفس، والحياة، واذا كان اكبر من كل هذه الاشياء، فمعنى ذلك انك تكون على اهبة الإستعداد لأن تضحى بنفسك واهلك، ومالك وكل غال ونفيس فى سبيل كلمة «الله اكبر».. ومن هنا ندرك السر المكنون الذى جعل الصديقة الزهراء تذهب إلى قبر الحمزة سيد الشهداء وتصنع من تراب قبره حبات لمسبحتها، وكأنها بهذا العمل تلقنا درسا لاننساه ابدا، وهو ان كلمة الله اكبر التى جاءت فى أول تسبيح الزهراء، هذه الكلمة لا يحفظها إلاّ الشهداء، ولا يحصنها من غائلة العوادى إلاّ دماء الشهداء... ان كلمة الله اكبر.. تعنى الصدق والوفاء والاخلاص، والشجاعة والعفة والزهد، والشرف [صفحه ۳۰۸] الرفيع، وهذه لاتسلم ابدا من ايدى العابثين إلاّ بسفك المهج واراقة الدماء. وصدق الشاعر حين قال: لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم ويقول أبو القاسم الشابى إذا الشعب يوما اراد الحياة فلابد ان يستجيب القدر ولابد لليل ان ينجلى ولابد للقيد ان ينكسر اجل... ان فاطمة الزهراء عليها السلام لتدرك جيداً ان هذا الشعار الذى اخذته من النبى لايمكن حفظه إلاّ بالتضحية، والشهادة ولذلك قامت بخطوة تكريمية للشهداء، وهى انها جعلت من تراب قبر الشهيد حبات لمسبحتها، لتدير عليها هذا المنهج الملائكى النورانى الذى سمى: تسبيح الزهراء. ونفس الشىء يقال بالنسبة للحمد، فالحمد هو اعلى قمة يمكن ان يصل اليها الإنسان، ومن هنا كانت سورة الحمد ام الكتاب، لانها جمعت التعبير كله ولخصت مسيرة الأنبياء جميعا فى مضمونها، وكما فى التكبير والتحميد كذلك فى التسبيح، وهو سبحان الله وكما قلت سابقا ان هذا التسبيح جاء مصبوبا فى قالب ادبى واخلاقى وتربوى، وذلك انه بدأ بـ «اسم الله» وانتهى بـ «باسم الله» فهو يبدأ بـ «الحمد الله» مثلاـ لما حصل هذا المعنى وهذا الاطار التربوى الجميل، وهو مشتق ونابع من قول الله تعالى: (انا الله وانا إليه راجعون) اذن تسبيح فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ انما جاء ليزرع فى أعماقنا شتائل النور، ويبادر الحب والعطاء.. لقد جاء هذا التسبيح الجامعى العظيم، ليشعل فى قلوبنا قناديل الامل والرجاء ويمنحنا الطمأنينة والسلام، ولكى نتذوق حلاوة التسبيح، فانه لابد لنا من المواظبة على قراءته فى أعقاب كل صلاة نصليها وذلك لانه يدفع البلاء عنا، ويجلب الرزق ويعمنا بسحاب البركة والخير الكثير والله ولى التوفيق [۴۰۶] وختاما للموضوع نذكر اهم فوائد وآثار هذا التسبيح المبارك الذى منه رسول الله علينا من لسان ابنته [صفحه ۳۰۹] فاطمة علما بان هذه الاثار والفوائد انما اخذناها واستفدناها من خلال عد كبير من الاحاديث المأثورة عن لسان أهل البيت عليهم السلام. ۱ ـ ان تسبيح فاطمة عليها السلام من الخير الكثير للمؤمن [۴۰۷] . ۲ ـ من قرأ هذا التسبيح عند النوم بات وله الف حسنة وعند قيامه من نومه ـ الذى قرأ فيه التسبيح ـ له الف حسنة [۴۰۸] . ۳ ـ ان هذا التسبيح مائة باللسان وألف فى الميزان وذلك قوله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها» إلى مائة الف [۴۰۹] . ۴ ـ انه ما عبدالله تعالى بشىء من التمجيد افضل من تسبيح فاطمة [۴۱۰] . ۵ ـ من سبح هذا التسبيح ثم استغفر الهل غفر له وهى مائة باللسان ـ أى التسبيحة ـ وألف فى الميزان وتطرد الشيطان وترضى الرحمن [۴۱۱] . ۶ ـ انه مايلزمه عند مؤمن فشقى فى حياته [۴۱۲] . ۷ ـ انه من سبح هذا التسبيح فى دبر الصلاة المكتوبة من قبل ان يبسط رجليه اوجب الله له الجنة ـ وفى رواية غفر له [۴۱۳] . ۸ ـ من سبح هذا التسبيح قبل ان يثنى رجليه بعد انصرافه من صلاة الغداة غفر له [۴۱۴] . ۹ ـ ان من قرأه وكان فى سمعه ثقل دفع الله عنه هذا الثقل

الذى فى أذنيه [۴۱۵] . ۱۰ ـ ان هذا التسبيح افضل شى علمه رسول الله لفاطمة عليها السلام [۴۱۶] . [صفحه ۳۱۰] ۱۱ ـ ان هذه التسبيح عند الأئمة عليهم السلام دبر كل صلاة احب اليهم من صلاة الف ركعة فى كل يوم [۴۱۷] . ۱۲ ـ انه من الذكر الكثير ـ أى من سبح هذا التسبيح المبارك كان من الذاكرين من الله كثيرا «واذكروا الله ذكرا كثيرا» والذاكرين الله والذاكرات الله» [۴۱۸] . ۱۳ ـ ان من سبح تسبيح الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام بسبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب الله له اربعمائة حسنة ومحى عنه اربعمائة سيئة وقضيت له اربعمائة حاجة ورفع له اربعمائة درجة [۴۱۹] . [صفحه ۳۱۵]

معرفة فاطمة

اشاره

السيد محمد رضا حيدر شرف الدين العاملى ياصاح لا عذل ولا ارغام رفقا بنفسى فالملام حرام لا غرو خلى ان بكيت بعبرة حرى فقلبى ألهب وضرام ما كنت أذرف للصبابة أدمعى سفها ولا ادمى الفؤاد غرام حفت بشخصى الحادثات ترومنى فدفعت جيش الحزن وهو غرام ولكم جرعت من الحياة حميمها لم يثنى منها أذى وسقام صرعت فرسان الليالى والابا طبعى فأحنت هامها الايام ماهزنى الخطب المروع بعظه حتى ولو هتنت على سهام لكن يوم الدار خلف فى الحشى ندبا فمابين الضلوع حطام يوم به اربد الفضاء وغاض نور الخافقين فحلها الاظلام وتداعت الافلاك فى عليائها بالنوح والسبع الطباع جهام والشمس وارت فى الحجاب ضياءها حزنا وصدع البدر لايلتام اذ اوزفت بضغائن معهودة والناس فى مهد الخنوع نيام زمر النفاق تروم اكرم منزل فيه البتولة والفتى الضرغام هجموا على دار الوصى وحرقوا بابا اعز حريمه العلام وانهال صاحبهم يلوع فاطما بالسوط ضربا رق منه لئام ثم انبرى عصرا يهشم ضلعها فهوى الجنين وقد عراه حمام سقطت مضرجة تجود بنفسها لم يرع فيها للنبى ذمام فاهتز عرش الله من أناتها وبكى دما لمصابها الإسلام معرفة فاطمة «من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوة لنبى حتى أمر بفضلها ومحبّتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى» [۴۲۰] . تعتبر مسألة المعرفة والبحث عن الحقيقة من المسائل العقائدية المهمة التى تأخذ وتشغل حيزاً كبيراً فى العقيدة الإسلامية والتى لا بد من دراستها وتوجيه العقل نحوها لكى يدركها إدراكاً منطقياً عقلائياً، فلقد أقدمت المدرسة الشيعية الحقة على وضع الكثير من القضايا العقائدية على طاولة البحث والتحقيق للوصول إلى المعرفة الحقيقية التى تتمثل فى كافة المستويات العقائدية، وحسب ما أعتقده فإن أكثر المدارس وأفضلها فى تقديم الشروط الصحيحة واللازمة للوصول للحقيقة هى مدرسة الشيعة الإمامية، تلك المدرسة التى دعت الناس إلى التحقيق والتفكير والتفقه والتعقل فى عقائدها ومبادئها لكى يصلوا إلى نور الحقيقة وفهمها والإستضاءة من نورها فى كل جوانب الحياة الإنسانية، فنحن نرى أن أبسط حركات الإنسان الإرادية يجب أن تكون مدروسه ومسموحاً بها من جانب العقل، ففى وصية أمير المؤمنين على عليه السلام لكميل قال: «يا كميل ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة». وهذا يعنى أن الإسلام لا يسمح للإنسان بالقيام بعمل من دون التحقيق والعلم بصحته، لكى تكون النتيجة النهائية هى المعرفة الحقيقية، فأكثر المؤمنين أفضلية أكثرهم معرفة وإيماناً، والمعرفة لا تكون إلا بإدراك القضايا المطروحة ودراستها [صفحه ۳۱۶] الدراسة الصحيحة والتى يكون بناءها على ضوء الإستدلالات العقلية والمنطقية، من هنا كان لا بد لنا من الوقوف مع بعض الأحاديث المأثورة عن أهل بيت العصمة لكى نفهمها وندركها إدراكاً عقلياً ونورانياً وحسب ما يمليه علينا المنطق السليموالذوق الرفيع. ومرة أخرى نقف مع حديث آخر فى معرفة الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام لكى ندركه الإدراك الصحيح الذى جاء المدح عليه، وخاصة معرفة دراية الرواية وفهمها، وهذا ما أوصى به الإمام الباقر عليه

السلام لولده الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «يا بنى اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم فإن المعرفة هى الدراية للرواية». و«الرواية» هى عبارة عن كلام منقول عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام عليه السلام أما «الدراية» فهى عبارة عن التحقيق والدراسة والإجتهاد للمعرفة وإدراك المفهوم الحقيقى للرواية وعين م يقصده النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام عليه السلام، وبعبارة أخرى، الرواية هى حفظ الحديث ونقله، والدراية هى نفته الحديث وفهمه، والراوى هو ناقل الحديث والفقيه هو المحقق وعالم الحديث «درى دريا ودراية الشىء توصل إلى علمه.. المنجد». فالإمام الباقر عليه السلام يوصى ابنه الصادق عليه السلام أولاً بمعرفة منازل الشيعة على قدر رواياتهم ومعرفتهم، ثم يوضح بعد ذلك أن ما يعنيه من بالمعرفة. هو دراية الروايات، حيث يقول: «وبالدّرايات للرّوايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان». أى أن المهم، هو التحقيق والمعرفة وفهم الحديث لأن الرواية إذا لم تصحبها الدراية لا تجدى فتيلاً. وقال الإمام الصادق عليه السلام فى كلام آخر له بشأن قيمة دراية الرواية ومعرفة الحديث: «حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه» [۴۲۱] . فرواية الحديث ونقله، يمكن أن تكون لها فائدتها الكبيرة وقيمتها العظيمة، وتقع موقعها الأفضل لدى من ينقل الحديث اليهم ـ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه غير فقيه ـ ولكنها بالنسبة للراوى تكون مفيدة إذا ما اقترنت [صفحه ۳۱۷] بالدراية، ورواية الحديث دون درايته لا تجدى نفعاً للراوى ـ «وكما قال أمير المؤمنين» «قيمة كل امرءٍ وقدره معرفته» [۴۲۲] ـ بل ربما كانت فى بعض الأحيان مضرّة له ولغيره أيضاً إذ لو لم يكن الراوى على علم بالحديث فقد يتسبب حتى فى تحريفه ولهذا قال أمير المؤمنين: «عليكم بالدرايات لا بالروايات» [۴۲۳] . وجاء فى كلام آخر له عليه السلام: «همة السفهاء الرواية، وهمة العلماء الدّراية» [۴۲۴] . من هذا المنطلق وعلى هذا الأساس كانت لنا هذه الوقفة الجديدة مع حديث آخر يوضح لنا معرفة الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وارتباطها الوثيق بليلة القدر، وسيأتى إن شاء الله ارتباطها الوثيق بليلة فى البحث الثالث عشر. معرفة فاطمة عليها السلام إن من القضايا المهمة فى عقيدة الفرد المؤمن هى معرفة الحقيقة التى دعا اليها القرآن الكريم إضافة إلى دعوة أهل البيت عليهم السلام إلى الوقوف عليها ولو على قدر القابليات والإستعدادات التى يمتلكها الفرد المؤمن (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)، فلذا جاء فى الحديث المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام الذى يقول فيه «من كانت له حقيقة ثابتة لم يقم على شبهة هامدة حتى يعلم منتهى الغاية، ويطلب الحاديث من الناطق عن الوارث وبأى شىء جهلتم ما أنكرتم، وبأى شىء عرفتم ما أبصرتم إن كنتم مؤمنين»، أى لا بد من أن يكون للمؤمن حقيقة فى معرفة، والتى من شأنها (هذه الحقيقة) أن لا تخرج الإنسان عن الاستقامة عن الجادة التى أمرنا الله تعالى باتباعها والإلتزام بها، ومعرفة هذه الحقيقة يحتاج فيها الإنسان المؤمن إلى وجود عدة أمور لا يستغنى عنها فى سبيل تحصيل هذه الحقيقة، ومن هذه الأمور هو التعقل عن الله تعالى والذى من شأن هذا التعقل أن يؤدى إلى المعرفة الصحيحة التى لا تزيل قدم الإنسان المؤمن عن [صفحه ۳۱۸] الصراط المستقيم فيكون نور هذه الحقيقة يظهر فى قلب المؤمن على سبيل الذوق والوجدان فتأخذه هذه الحقيقة كل كيانه بل تكون هذه الشغل الشاغل فى حياته ويسعى إلى الوصول اليها وعلى قدر القابليات والإستعدادات التى منحها الله تبارك وتعالى إليه هذا ما نجده من خلال أصحاب الأئمة عليهم السلام الذين كانوا دائماً يسعون إلى الوصول والحصول على هذه الحقيقة فلذا ترى كميل بن زياد يسأل أمير المؤمنين على بن طالب عليه السلام عن هذه الحقيقة فى الحديث المروى وهو أنه سأله عن الحقيقة بقوله ما الحقيقة فقال له عليه السلام مالك والحقيقة؟ فقال كميل: «أولست صاحب سرك» قال: «بلى! ولكن يرشح عليك ما يطفح منى» فقال كيمل: «أو مثلك يخيب سائلاً؟». فقال عليه السلام: «الحقيقة كشف سجات الجلال من غير إشارة» فقال كميل: «زدنى فيه بياناً». قال الإمام عليها السلام: «صحو الموهوم مع محو المعلوم». قال كميل: «زدنى فيه بياناً» قال الإمام عليه السلام: «هتك السر لغلبة الستر» قال كميل: «زدنى فيه بياناً». قال الإمام عليه السلام: «نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره» قال كميل: «زدنى فيه بياناً». قال الإمام عليه السلام: «إطف السراج، فقد طلع الصبح». إذن بسؤال المؤمن عن الحقيقة يصل إلى العلم بها وببعض جوانبها فلربما لا يستطيع معرفة كنهها كما فى قضية كميل بن زياد التى مرت عليك الآن، فالعلم أول دليل يؤدى إلى المعرفة التى تنور القلب بحقيقة الإيمان، والتى تكون هذه المعرفة برهان صدقٍ

عليى نور الاسلام وحقيقة الإيمان، وعليه نجد فى كثير من الروايات الشريفة أن الأفضلية فيما بين المؤمنين بغض النظر عن التقوى الى هى من ملازمات المعرفة، أقول نجد أن الأفضلية هى بالمعرفة فيعضنا أكثر حجاً من بعض وبعضنا أكثر صياماً وصلاة وصدقة من البعض، ولكن الأفضلية بالمعرفة، وعليه نجد فى الروايات المأثور أن «أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة» [۴۲۵] . إذن يظهر من خلال استقراء الأحاديث المأثور عن أهل بيت العصمة أن قضية المعرفة الحقيقة فى حياة الفرد المؤمن مما لا يكن الإستهانة بها بل لا بد من السعى إلى [صفحه ۳۱۹] الوقوف عليها فى كل جوانبها التى تدعو إلى التعقل بها وهضمها بالصورة الصحيحة، فلقد جاء فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له...» [۴۲۶] . حيث دل هذا الحديث على أن العمل والمعرفة أحدهما ملازم للآخر وأن من الضرورى على أن الذى يعمل لا بد له من المعرفة بحقيقة عمله وإلا فان الله تعالى لا يقبل عملاً إلا بمعرفة، وعلى هذا الأساس تأخذ قضية المعرفة حيزاً كبيراً فى جميع جوانب الشريعة الإسلامية سواء كان على مستوى الأصول أو على مستوى الفروع، فعلى المستوى الأول الذى يتمثل فى التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد لا بد من المعرفة التى من شأنها أن تجعل الحقيقة التى سعى المؤمنون الأوائل فى الوقوف عليها ثابتة والراسخة فى قلوبهم تجعل الحقيقة التى سعى المؤمنين الأوائل فى الوقوف عليها ثابتة والراسخة فى قلوبهم لكى لا تميل بهم الأهواء شرقاً ولا غرباً، والمعرفة التى نسعى الوقوف عليها فى الجانب العقائدى المتمثل فى قضيتنا التى نطرحها الآن هى المعرفة الخاصة بالصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام لكى ندرك بعض الحقيقة الخاصة بها وإلا فالمعرفة الحقيقية لها لا يستطيع الوصول إلى طبيعتها ومعرفة كنهها إلا من كان فى مستواها وهذا لا يكون إلا فى الذى كان كفواً لها وهى كفو له ذلك هو أمير المؤمين على بن أبى طالب عليه السلام أما نحن فمعرفتنا لها تكون أما بالحواس الخمس أو تكون معرفتنا من خلال معرفة الشىء بأشباهه، أما الحواس الخمسة فان لا بد لها من من دليل يرشدها ويعرفها بالوجدان الأمر الذى يعرض عليها، وهذا ما جاء فى مناظرة الإمام الصادق عليه السلام للطبيب الهندى حيث قال له: «أما إذ أبيت إلا الجهالة وزعمت أن الأشياء لا تدرك إلا بالحواس فإنى أخبرك أنّه ليس للحواس دلالة على الأشياء ولا فيما معرفة إلا بالقلب، فانه دليلها ومعرّفها الأشياء التى تدعى أن القلب لا يعرف إلاّ بها» [۴۲۷] . حيث يظهر من هذا الحديث أن المعرفة الذوقية الوجدانية تكون نابعة من القلب، [صفحه ۳۲۰] لذا فإن معرفة فاطمة عليها السلام تحتاج إلى ذوق سليم ووجدان حكيم لكى تظهر لنا بعض أنوار هذه المعرفة، هذا من تجهة ومن ناحية أخرى يمكن معرفة فاطمة من خلال دراسة حياتها دراسة تحليلية مقارنة للقديسات والمؤمنات على مر العصور وان كان القياس مع الفارق وكما هو مثبوت فى محله فإن فاطمة لا تصل إلى مقامها أى إمرأة مهما كانت فى المستوى الإيمانى الذى تعلق بحياتها. وعلى كل حال فإن ما نطرحه فى هذا البحث حول معرفة فاطمة إنما هو معرفة ظاهرية وعلى ما نمتلكه من وسائل المعرفة الظاهرية وإلا فنحن كما قال أمير المؤمنين فى غرر الحكم: «كيف يعرف غيره من جهل نفسه» فأكثر الناس يجهلون حال انفسهم فكيف بغيرهم ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور فمن هذا الباب لابد لنا ان نلج فى هذا الأمر ونقف مع معفرفة فاطمة عليها السلام الحقيقية.

مستويات معرفة فاطمة

هناك عدة مستويات نستطيع من خلالها معرفة أى شخصية تاريخية او اسلامية ولابد لنا من الالتفات اليها ونحن نسعى فى طريق معرفة فاطمة ام ابيها فاطمة سلام الله عليها بل كل الأئمة عليهم السلام يتجلى هذا الأمر فى معرفتهم المعرفة الحقيقية اما المستويات فهى: ۱ ـ المستوى الأوّل: المعرفة التأريخية لها عليها السلام. ۲ ـ المستوى الثانى: المعرفة المناقبية لها عليها السلام. ۳ ـ المستوى الثالث: المعرفة العلمية والفكرية لها عليها السلام. ۴ ـ المستوى الرابع: المعرفة النورانية لها عليها السلام. [صفحه ۳۲۱] محمد جمال الهاشمى شعت فلا الشمس تحكيها ولا القمر زهراء من نورها الأكوان تزدهر بنت الخلود لها الأجيال خاشعة أم الزمان اليها تنتمى العصر روح الحياة فلولا لطف عنصرها لم تأتلف بيننا الارواح والصور سمت عن الأفق لاروح ولاملك وفاقت الارض

لاـجـن ولاـ بشـر مـجبولـة مـن جـلال الله طـينتهـا يـرف لطـفاً عـليها الصـون والخـفر مـاعاب مـفخرها التأنيث ان بـها عـلى الرجـال نسـاء الأـرض تـفتخر خـصالها الغرّ جلت ان تـلوك بـها مـنا المـقاول أو تـدنو لهـا الفكر معنى النبوة سـر الوحـى قـد نـزلت فى بيت عـصمتها الاـيـات والسـور حـوت خـلال رسـول الله أجـمعها لولا الرسـالـة سـاوى أصـله الثمر تـدرجت فى مراقـى الحقّ عـارجـة لمشـرق النـور حيث السـر مسـتتر ثـم انـثنت تـملأ الدنيا معارفـها تـطوى القـرون عياءا وهـى تـنتشر قل للذى راح يـخفى فـضلـها حسـداً وجـه الحـقيقـة عـنـا كـيف ينستر أتـقرن النـور بـالظلمـاء مـن سـفهٍ مـا أنت فـى القـول إلاّ كـاذب أشـر بـنـت النـبى الـذى لولاـ هـدايـته مـا كـان للحـق لاـعـين ولاـ أثـر هـى التـى ورثت حـقاً مـفاخرة والعـطر فيه الـذى فـى الورد مـدخر فـى عـيـد مـيلادها الامـلاك حـافلـة والحور فـى الجنـة العليا لهـا سـمر تزوجت فى السـما بـالمرتضى شـرفـا والشـمس يـقرنـها فـى الرتـبـة القـمر عـلى النبوة أضـفت فى مراتـبـها فـضـل الولايـة لا تـبقى ولا تـذر ام الأئـمـة مـن طـوعها لرغـبتهم يـعلو القـضـاء بـنـا او يـنزل القـدر قـف يـا يراعـىّ عن مـدح البـتـول ففى مـديحها تـهتـف الالـواح والزبـر وارجـع لنسـتخبر التـاريخ عـن نـبأٍ قـد فـاجئتنا بـه الانـبـاء والسـير هل اسقط القـوم حقا حـملها فـهوت تـئن مـما بـها والضـلع مـنكسر وهـل كـما قـيل قـادوا بـعلها فـعدت وراه نـادبة والدمـع مـنهمر ان كـان حـقا فـان القـوم قـد مـرقوا عن دينهم وبشـرع المـصطفى كـفروا [صفحه ۳۲۲]

المعرفة التاريخية لها

اشاره

وذلك من جهة ولادتها وشـهادتها زمانا ومكانا ومارافق ذلك من ملابسات واحداث مهمة وما عاصـرته تغيرات فى حياة الأمة سياسـيا وفكريا واجتماعيا وما يرتبط بذلك من سـلاطين الجور واتباع الظالمين وفقهاء الفسق والفجور وغدر لمنافقين والمتملقين واتباع اللقمة والراقصـين على رنين الدراهم والدنانير وانصار الوفاء والاخلاص وما سارق ذلك من تفصـيلات لها الاهمية فى حياتهم عليهم السـلام او فى حياة اتباعهم واولياؤهم.

ولادة فاطمة

أما ولادة الصديقـة فكان فى العشـرين من جمادى الاخرة كما صـرح به المفيد فى مساره [۴۲۸] ونقل عن حدائقه [۴۲۹] ، وصرح به الشـيخ فى مصباحه [۴۳۰] ، ورواه الطبرى الامـامى [۴۳۱] عن الصادق عليه السـلام ولم نقف على مخالف صـريح، وان سـكت تكثير. واختلف فى سنته فالكلينى [۴۳۲] قال: بعد النبوة بخمس سـنين وكذلك المسعودى فى الاثبات [۴۳۳] وذهب المفيد والكتابين [۴۳۴] إلى انه بعده باثنتين. [صفحه ۳۲۳] وفى مصباح الشيخ [۴۳۵] كان مولدها عليها السلام سنة اثنين من المبعث فى بعض الروايات، وفى رواية اول سـنة والعامة تروى قبل المبعث بخمس. والصـحيح الأوّل كما رواه ابن خشاب على نقل الكشف [۴۳۶] عن شيوخه، مرفوعاً عن البـاقر عليه السـلام، والطبرى إلامـامى [۴۳۷] مسـندا عـن الصـادق، والكلينى [۴۳۸] صـحيحا عن البـاقر عليه السـلام وذهب العـامة كمحمد بن اسـحاق [۴۳۹] ، وأبى نعيـم [۴۴۰] وأبى الفرج [۴۴۱] إلى انهـا كـانت قبـل النبوة حين تبنى قريش الكعبـة، ورواه الاخير باسناده عن الصادق والتعويل عليه على رواية الخاصة، ولايبعد انهم قالوا بكون مولدها قبل النبوة انكارا لما ورد ان النبى صلى الله عليه وآله وسـلم كان يقول اشم من فاطمـة رائحـة الجنـة لأنّ انعقادها كان من فاكهـة الجنة ليلة المعراج [۴۴۲] . عن أبى عبـدالله جعفر بن محمد بن على عليهم السلام، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: معاشر الناس، أتدرون لما خلقت فاطمة؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: خلقت فاطمة حوراء انسـية لا انسية، وقال: خلقت من عرق جبرئيل ومن زغبه. قالوا: يا رسول الله، استشكل

ذلک علینا، تقول: حوراء انسیهٔ لا انسیهٔ، ثم تقول: من عرق جبرئیل علیه السلام، فضمها إلی صدره فعرق جبرئیل، وعرقت التفاحهٔ، فصار عرقهما شیئا واحدا، ثم قال: السلام علیک یا رسول الله ورحمهٔ الله وبرکاته، قلت: وعلیک السلام یا جبرئیل فقال: ان الله اهدی الیک تفاحهٔ من الجنهٔ، فأخذتها وقبلتها ووضعتها علی عینی وضممتها إلی صدری. ثم قال یا محمد، کلها، قلت: یا حبیبی یا جبرئیل، هدیهٔ ربی تؤکل؟ قال: نعم، قد امرت بأکلها، فأفلقتها فرأیت منها نورا ساطعا ففزعت من ذلک النور، قال: کل فان ذلک نور المنصورهٔ قلت: یا جبرئیل، ومن [صفحه ۳۲۴] المنصور؟ قال: جاریهٔ تخرج من صلبک واسمها فی السماء منصورهٔ، وفی الأرض فاطمهٔ، فقلت: یا جبرئیل ولم سمیت فی السماء منصورهٔ وفی الأرض فاطمهٔ؟ قال: سمیت «فاطمهٔ» فی الأرض لانه فطمت شیعتها من النار، وفطموا أعداؤها عن حبها، وذلک قول الله فی کتابه: (ویؤمئذٍ یفرح المؤمنون بنصر الله) [۴۴۳] بنصر فاطمهٔ علیها السلام. بیان: الزغب: الشعیرات الصغری علی ریش الفرخ؛ وکونها من زغب جبرئیل إما لکون التفاحهٔ فیها وعرقت من بینها، أو لانه التصق بها بعض ذلک الزغب فأکله النبی صلی الله علیه وآله وسلم [۴۴۴] . وعن المفضل بن عمر قال: قلت لابی عبدالله جعفر بن محمد علیها السلام: کیف کانت ولادهٔ فاطمهٔ علیها السلام؟ قال: نعم، إن خدیجهٔ علیها رضوان الله لما تزوج بها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم هجرتها نسوهٔ مکهٔ، فکن لایدخلن علیها ولا یسلمن علیها ولا یترکن امرأهٔ تدخل علیها، فاستوحشت خدیجهٔ من ذلک، فلما حملت بفاطمهٔ علیها السلام صارت تحدثها فی بطنها وتصبرها، وکانت خدیجهٔ تکتم ذلک عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم. فدخل یوماً وسمع خدیجهٔ تحدث فاطمهٔ، فقال لها: یا خدیجهٔ، من یحدثک؟ قالت: الجنین الذی فی بطنی یحدثنی ویؤنسنی. فقال: لها: هذا جبرئیل یبشرنی أنها أنثی وأنها النسمهٔ الطاهرهٔ المیمونهٔ، وأن الله تبارک وتعالی سیجعل نسلی منها، وسیجعل من نسلها أئمهٔ فی الأمهٔ یجعلهم خلفاء فی أرضه بعد انقضاء وحیه فلم تزل خدیجهٔ رضی الله عنها علی ذلک إلی ان حضرت ولادتها، فوجهت إلی نساء قریش ونساء بنی هاشم یجئن ویلین منها ماتلی النساء من النساء، فأرسلن الیها: عصیتینا ولم تقبلی قولنا، وتزوجت محمداً یتیم أبی طالب فقیراً لا مال له، فلسنا نجیء ولانلی من أمرک شیئاً فاغتمت خدیجهٔ لذلک، فبینا هی کذلک اذ دخل علیها أربع نسوهٔ طوال کأنهن من من نساء بنی هاشم. ففزعت منهن، فقالت لها احداهن: لا تحزنی یا خدیجهٔ، فإنا رسل ربک الیک، ونحن أخواتک، أنا سارهٔ وهذه آسیهٔ بنت مزاحم وهی رفیقتک فی الجنهٔ، وهذه مریم بنت [صفحه ۳۲۵] عمران، وهذه صفراء [۴۴۵] بنت شعیب، بعثنا الله تعالی الیک لنلی من أمرک ماتلی النساء من النساء. فجلست واحدهٔ عن یمینها، والاخری عن یسارها، والثالثهٔ من بین یدیها، والرابعهٔ من خلفها، فوضعت خدیجهٔ فاطمهٔ علیها السلام طاهرهٔ مطهرهٔ. فلما سقطت إلی الأرض أشرق منها نور حتی بیوتات مکهٔ، ولم یبق فی شرق الأرض ولا غربها، موضع إلا أشرق فیه حتی دخل بیوتات مکهٔ، ولم یبق فی شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فیه ذلک النور فتناولتها المرأهٔ التی کانت بین یدیها، فغسلتها بماء الکوثر، وأخرجت خرقتین بیضاوین أشد بیاضاً من اللبن واطیب رائحهٔ من المسک والعنبر، فلفتها بواحدهٔ، وقنعتها بالاخر، ثم استنطقتها فنطقت فاطمهٔ علیها السلام بشهادهٔ «أن لا إله إلا الله، وأن أبی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم سید الأنبیاء وأن بعلی سید الأوصیاء، وأن ولدی سید الاسباط»، ثم سلمت علیهن، وسمت کل واحدهٔ منهن باسمها، وضحکن الیها، وتباشرت الحور العین، وبشر أهل الجنهٔ بعضهم بعضاً بولادهٔ فاطمهٔ علیها السلام، وحدث فی السماء نور زاهر لم تره الملائکهٔ قبل ذلک الیوم، فلذلک سمیت «الزهراء» علیها السلام، وقالت: خذیها علیها السلام فرحهٔ مستبشرهٔ فألقمتها ثدیها فشربت، فدر علیها. وکانت علیها السلام تنمی فی کل یوم کما ینمی الصبی فی الشهر، وفی شهر کما ینمی الصبی فی سنهٍ صلی الله علیها وعلی أبیها وبعلها وبنیها [۴۴۶] . وقیل: بینما النبی صلی الله علیه وآله وسلم جالس بالأبطح ومعه عمار ابن یاسر والمنذر بن الضحضاح وأبوبکر وعمر وعلی بن أبی طالب والعباس بن عبد المطلب وحمزهٔ بن عبد المطلب، إذ هبط علیه جبرئیل علیه السلام فی صورته العظمی، قد نشر أجنحته حتی أخذت من المشرق إلی المغرب، فناداه: یا محمد الاعلی یقرئ علیک السلام وهو یأمرک ان تعتزل عن خدیجهٔ أربعین صباحاً. فشق ذلک علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم وکان لها محباً وبها وامقاً [۴۴۷] . قال: فأقام النبی صلی الله علیه وآله وسلم أربعین یوماً یصوم النهار ویقوم اللیل، حتی إذا کان [صفحه ۳۲۶] فی آخر أیامه تلک، بعث إلی خدیجهٔ

بعمار بن ياسر وقال: قل لها: يا خديجة لا تظنى أن انقطاعى عنك (هجرة) ولاقلى، ولكن ربى عزوجل أمرنى بذلك لتنفذ امره، فلا تظنى يا خديجة الاّ خيراً، فان الله عزوجل ليباهى بك كرام ملائكته كل يوم مراراً. فإذا جنك الليل فأجيفى الباب [۴۴۸] وخذى مضجعك من فراشك فإنى فى منزل فاطمة بنت أسد. فجعلت خديجة تحزن فى كل يوم مراراً لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلما كان فى كمال الاربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد، العلى الاعلى يقرئك السلام وهو يأمرك، ان تتأهب لتحيته وتحفته، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل، وما تحفه ربّ العالمين؟ وما تحيته؟ قال: لاعلم لى. قال: فبينما النبى صلى الله عليه وآله وسلم كذلك اذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس ـ او قال استبرق ـ فوضعه بين يدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم حسست بثقل فاطمة فى بطنى [۴۴۹] ولقد علق العلامة الهمدانى على هذا الحديث بقوله: يستفاد من هذا الحديث الشريف امور مهمة وفوائد عظيمة هى دالة على سمو جلالة بضعة خير المرسلين، وعلو منزلة زوجة افضل الوصيين وام الائمة الطاهرين ـ صلوات الله عليهم اجمعين. منها نزول جبرئيل عليه السلام على صورته الاصلية كنزوله فى اول البعثة. ففى «البحار» ج ۱۸: ص ۲۴۷: «ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان بحراء، فطلع له جبرئيل عليه السلام من المشرق، فسد الافق إلى المغرب». ومعلوم ان مجيئه عليه السلام على هذه الهيئة لأمر عظيم. ومنها اعتكافه صلى الله عليه وآله وسلم اربعين يوما فى بيت فاطمة بنت اسد ـ رضى الله عنها ـ قائما ليلة، صائما نهاره، واعتزاله عن الناس وعن زوجته الكريمة خديجة الكبرى سلام الله عليها، كما كان معتكفا ومعتزلا فى اول البعثة بحراء، نعم كان اعتكافه صلى الله عليه وآله وسلم يؤمئذ لاجل ان يكون مهيئا للنبوة والرسالة، وفى هذا الموقف لكونه متأهبا للتحفة الالهية التى ستكون منشأ الإمامة والولاية، بل هى عنصر شجرة النبوة كما جاء عن الباقر عليه السلام [۴۵۰] ومنه نزول ترك سنته فى افطاره، من ادخال كل من يرد للافطار، واختصاصه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الطعام. ومنها ترك سنته فى التطهر عند وروده [صفحه ۳۲۷] المنزل للصلاة عند النوم. ولا يخفى ان الترك انما يكون للأهم، فتفطن.

تحقيق و تبيين

الذى يستفاد من الأخبار والاحاديث التى وصلت الينا من طريق أهل البيت عليهم السلام إن فاطمة عليها السلام ولدت على فطرة الإسلام وبعد نزول الوحى على أبيها صلى الله عليه وآله وسلم خلافا لما فى بعض كتب العامة، فاليك بعض نصوصها: ۱ ـ قال على بن الحسين عليهم السلام فى حديث طويل: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة عليها السلام على فطرة الاسلام إلاّ فاطمة عليها السلام، وقد كانت خديجة قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة [۴۵۱] ... ۲ ـ عن حبيب السجستانى قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: ولدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد مبعوث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين، وتوفيت ولها ثمانى عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما [۴۵۲] . ۳ ـ عن أبى بصير، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ولدت فاطمة فى جمادى الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين وبعد وفاة ابيها خمساً وسبعين يوماً [۴۵۳] . ۴ ـ قال ابن الخشاب فى تاريخ مواليد ووفاة أهل البيت عليهم السلام نقله عن شيوخه يرفعه عن أبى جعفر محمد بن على عليها السلام قال: ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وانزل عليه الوحى بخمس سنين وقريش تبنى البيت، وتوفيت ولها ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً [۴۵۴] . أقول: قوله «وقريش تبنى البيت» لا تنطبق على نزول الوحى، لأنّ بناء البيت منهم [صفحه ۳۲۸] كان قبل المبعث. ثم هذا الموقف أخبار تؤكد وتؤيد مضامين تلك الأخبار، وهى روايات تدل على انه صلى الله عليه وآله وسلم اسرى به إلى السماء وادخل الجنة فتناول من ثمار الجنة، فلما رجع واقع خديجة عليها السلام فتكوت نطفة فاطمة الزهراء عليها السلام من تلك الثمار، ومعلوم ان قضية الاسراء وقعت بعد البعثة بلا خلاف.

شهادة الصديقة فاطمة

إلام التوانى صاحب الطلعة الغرا اما آن من أعداك ان تطلب الوترا فديناك لم أغضيت عمّا جرى على بنى المصطفى منها وقد صدع الصخرا أتغضى وتنسى امك الطهر فاطما غداة عليها القوم قد هجموا جهرا أتغضى وشبوا النار فى باب دارها وقد اوسعوا فى عصرهم ضلعها كسرا أتغضى ومنها أسقطوا الطهر محسنا وقادوا على المرتضى بعلها قسرا أتغضى وسوط العبد وشح متنها ومن لطمة الطاغى غدت عينها حمرا أتغضى وقد ماتت وملؤ فوادها شجىً وعلى بعد شيّعها سرا [۴۵۵] .

اما كيفية شهادتها بنعل عليها السلام فلقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام سبب وفاتها عليها السلام: أن قنفذ مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً [۴۵۶] ، وكان على عليه السلام يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك السماء بنت عميس، وفى يوم دخلت نسوة من المهاجرين والانصار على فاطمة بنت رسول الله يعدنها فقلن: السلام عليك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكم، لفظتهم بعد اذ مجتهم وسئمتهم بعد ان سبرتهم، فقبحاً لافون الرأى وخطل القول وخور القناة، ولبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون لا جرم الله لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها فجدعا ورغما للقوم الظالمين. [صفحه ۳۲۹] ويحهم أنى زحزحوها عن ابى الحسن، مانقموا والله منه إلاّ نكير سيفه ونكال وقعه، وتنمره فى ذات الله، وتالله لو تكافوا عليه عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأتميله، ثم لسار بهم سيرة سجحا فانه قواعد الرسالة ورواسى النبوة، ومهبط الروح الامين، والطبيب بأمر الدين والدنيا والاخرة إلاّ ذلك هو الخسران المبين، والله لا يلتكم خشاشة، ولا يتعتع راكبه، ولا وردهم منهلا رويا فضفاضا تطفح ضفته، ولا صدرهم بطانا قد خثر بهم الرى، غير متحل بطائل إلاّ تغمر الناهل وردع سورة سغب، ولو فتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، فهلم فاسمع، فما عشت اراك الدهر عجبا، وان تعجب بعد الحادث، فما بالهم باى سند استندوا، ام بأى عروة تمسكوا، لبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا، استبدلوا الذنابى بالقوادم، والحرون بالقاحم، والعجز بالكاهل، فتعسا لقوم يحسبون انهم يحسنون صنعا، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، أفمن يهدى إلى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدى إلاّ ان يهدى لكم كيف تحكمون. لقحت قنطرة فنظرة ريثما تنتج، ثم احتبلوا طلاع القعب دما عبيطا، وذعافا ممضا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما أسس الاولون، ثم طيبوا بعد ذلك بانفسكم لفتنها، ثم اطمأنوا للفتنة جأشا وابشروا بسيف صارم، وهرج دائم شامل، واستبداد من الظالمين. يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لهم، ولقد عميت عليهم الانباء أنلزمكموها وانتم كارهون [۴۵۷] .

الهموم المتراكمة

ليس المرض لوحده سبب الام الزهراء، عليها السلام ووجدها وحزنها، وانما كانت الهموم تجتاحها من كل حدب وصوب، فحينما كانت تمد جسدها النحيل المكدور على جلد الكبش وتتكىء على وسادة الليف، تنساب الخواطر إلى رأسها الشريف، وتهجم عليها الهواجس، وكأنّ لسان حالها الشريف: آه... تركوا وصية ابى... وغصبوا الخلافة [صفحه ۳۳۰] من زوجى؟! ولن تنتهى آثارها إلى يوم القيامة... فبئس عاقبة الخلافة التى توسلت بالحيلة والجور.. بماذا سار المسلمون وانتشرت كلمة الاسلام؟! بوحدة الكلمة! والاتحاد بين فصائل المجتمع وصلوا إلى العظمة والرقى... آه.. اذهبوا ريحهم.. واوقعوا الخلاف بينهم، وبدلوا قوة الاسلام الواحدة وطاقة المسلمين المهيبة إلى قوى وطاقات متناثرة، وجروا العالم الاسلامى إلى العجز والضعف والفرقة والذالة... آه... انا فاطمة ـ عزيزة رسول الله ـ ارقد الآن على فراش المرض؟! لم يخف انينى من ضربات هذه الأمة المبرحة.. وأقف على اعتاب الموت؟... أين وصايا أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟. .. رباه.. أعلى الشجاع القوى أراه ـ اليوم ـ مضطراً إلى السكوت عن حقه المشروع لحفظ مصلحة الاسلام العليا؟... اقتربت ساعتى.. وحان أجلى.. وها أنذا أودع الحياة فى ربيع عمرى وأيام شبابى... وسأنجو من الهموم والغصص... ولكن..

ماذا عن أيتامى الذين سيبقون بعدى؟.. أولادى.. الحسن.. الحسين.. زينب.. أم كلثوم.. آه.. ياللمصائب التى تصب عليهم ـ أيتامى الأعزاء على قلبى ـ فانى سمعت ابى يقول ـ مراراً ـ: يموت ولدك الحسن مسموماً، والحسين مقتولاً بالسيف شهيداً عطشاناً.. وهذه علامات ذلك وامارته تلوح لى وأراها بعينى... كان صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ صغيرى الحسين ـ مرة ـ ويقبل نحره ويبكى لمصيبة، ويأخذ الحسن ـ اخرى ـ ويلصق صدره بصدره ويقبله فى فمه، ويذكر مصائب زينب، وأم كلثوم فيبكى... نعم.. كانت تمر هذه الخواطر فى ذهن فاطمة عليها السلام وتؤلمها، فتشحب يوما بعد يوم، وتنحل ساعة بعد ساعة، وقد ورد فى الاثر ان فاطمة لما حضرتها الوفاة بكت، فقال لها أمير المؤمنين: يا سيدتى ما يبكيك؟ قالت: أبكى لما تلقى بعدى، فقال لها: لا تبكى، فوالله ان ذلك لصغير عندى فى ذات الله [۴۵۸].

العيادة المبغوضة

كان الصحابة رجالاً ـ ونساءً يعودون فاطمة عليها السلام بين الحين والحين، إلّا عمر وأبابكر لم يعوداها لأنها قاطعتهم ورفضتهم ولم تأذن لهم بعيادتها، وحينما ثقل عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجدا بداً من عيادتها لئلا تموت بنت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهى ساخطة عليهما، وتبقى وصمة العار تلاحق الخليفة وجهازه الحاكم إلى يوم القيامة. فجاء لعيادتها تحت ضغط الرأى العام، فسألا عنها، وقالا لأمير المؤمنين عليه السلام: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فان رأيت ان تأذن لنا لنعتذر اليها من ذنبنا. قال: ذلك اليكما. فقاما فجلسا الباب. ودخل على عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: أيتها الحرة، فلان وفلان بالباب، يريدان ان يسلما عليك فما تريدين؟ قالت: البيت بيتك، والحرة زوجتك، افعل ما تشاء! فقال: شدى قناعك، فشدت قناعها، وحولت وجهها إلى الحائط. فدخلا وسلما وقالا: ارضى عنا رضى الله عنك، فقالت: مادعا إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا ان تعفى عنا. فقالت: ان كنتما صادقين فأخبرانى عم أسألكم عنه، فإنى لا أسألكما عن أمر إلّا وانا عارفة، بانكما تعلمانه، فان صدقتمانى علمت انكما صادقان فى مجيئكما. قالا: سلى عما بدالك. قالت: نشدتكما بالله، هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «فاطمة بضعة منى من آذاها فقد آذانى»؟ قالا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهم انهما قد أذانى، فأنا اشكوهما اليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما. قال: فعند ذلك دعا أو بكر بالويل والثبور، فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قول امرأة [۴۵۹]. [صفحه ۳۳۲]

وصية فاطمة

مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً، ومكثت اربعين ليلة فى مرضها، فلما نعيت اليها نفسها قالت لعلى عليه السلام: يابن عم، انه قد نعيت الى نفسى، وانى لا أرى مابى إلّا اننى لاحقه بأبى ساعة بعد ساعة، وانا أوصيك بأشياء فى قلبى. قال لها على عليه السلام: أوصى بما أحببت يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها وأخرج من كان فى البيت، ثم قالت: يابن عم، ما عهدتنى كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتنى. فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم الله وأبر واتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله، من أن أوبخك بمخالفة، وقد عزعلى مفارقتك وفقدك إلا انه أمر لابد منه، والله جددت على مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عظمت وفاتك وفقدك، بإنا الله وانا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه الله مصيبة لاعزاء لها، ورزية لا خلف لها، ثم بكيا جميعاً ساعة [۴۶۰]. لخّصت فاطمة عليها السلام فى هذا الحوار حياتها الزوجية فى هذه العبارات، فذكرت الامير عليه السلام باخلاصها وطهارتها واطاعتها لزوجها. وشكر لها الإمام وفاءها، وأثنى على طهارتها وقدسيتها ومعاناتها وتقواها، وأبدى لها حبة ووده وتعلقه بها. وهاجت بهما الذكريات وحاشت الخواطر وتذكرا حياتهما السعيدة التى غمرتها الغبطة والدفء، والوقوف جنباً إلى جنب فى مواجهة الاحداث والمشاكل وتذليل الصعاب، فانهمرت لذلك عيناهما بالدموع، لعلها تطفىء نار القلب

التى تقضى على الجسد. وبعد ان بكيا ساعة أخذ على عليه السلام رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصينى بم شئت، فانك تجدينى فيها أمضى كما امرتينى به، واختار أمرك على أمرى. ثم قالت: جزاك الله عنى خير الجزاء، وأوصته بوصاياها، وهى: ۱ ـ يابن عم، أوصيك ان تتزوج بعدى بابنة أختى امامة، فانها تكون لولدى مثلى، [صفحه ۳۳۳] فإنّ الرجال لابد لهم من النساء [۴۶۱] . ۲ ـ ان أنت تزوجت إمرأة فاجعل لها يوماً وليلة واجعل لاولادى يوماً وليلة، يا أبا الحسن لا تصح فى وجوههم فيصبحا يتيمين غريبين [۴۶۲] . ۳ ـ أوصيك يابن عم، ان تتخذ لى نعشا، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال لها: صفيه لى.. فوصفته، فاتخذه لها [۴۶۳] . ۴ ـ أوصت لأزواج النبى لكل واحدة منهن اثنتى عشرة أوقية [۴۶۴] . ۵ ـ ولنساء بنى هاشم مثل ذلك. ۶ ـ وأوصت لأمامة بنت أبى العاص بشىء [۴۶۵] . وكانت لها وصية مكتوبة جاء فيها: «هذا ما أوصت فاطمة بنت رسول الله بحوائطها السبع؛ ذى الحسنى والساقية، والدلال، والغراف، والرقمة، والهيثم، ومال أم ابراهيم، إلى على بن أبى طالب، ومن بعده فإلى الحسن، فإلى الحسين، ومن بعد الحسين فإلى الاكبر فالاكبر من ولده، شهد الله على ذلك وكفى به شهيداً، وشهد المقداد ابن الاسود، والزبير بن العوام، وكتب على بن أبى طالب [۴۶۶] . وروى ابن عباس وصية مكتوبة اخرى لها عليها السلام جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصت وهى تشهد ان لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله، وان الجنة حق، والنار حق، وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من فى القبور، يا على: أنا فاطمة بنت محمد، زوجنى الله منك لا كون لك فى الدنيا والآخرة، انت اولى بى من غيرى، حنطنى وغسلنى وكفنى بالليل وصل على وادفنى بالليل ولا تعلم أحدا، واستودعك الله وأقرأ على ولدى السلام إلى يوم القيامة» [۴۶۷] . [صفحه ۳۳۴]

لحظات عمرها الأخيرة

ثقل عليها المرض، والإمام لا يفارقها، وأسماء تمرضها، والحسن والحسين وزينب وام كلثوم عندها، وهى تفيق مرة ويغشى عليها اخرى من شدة المرض، وتجيل بصرها فى أولادها.. يقول الإمام على عليه السلام: انها لما حضرتها الوفاة فتحت عينيها وقالت: السلام عليك يا جبرئيل، السلام عليك يا رسول الله، اللهم احشرنى مع رسولك، اللهم اسكنى جنتك وفى جوارك. ثم قالت: هؤلاء ملائكة ربى، جبريل ورسول الله حاضرون عندى، وأبى يقول: القدوم الينا [۴۶۸] يقول على عليه السلام: فلما كان الليلة التى أراد الله ان يكرمها ويقبضها إليه اخذت تقول: وعليكم السلام. يابن عم،هذا جبريل أتانى مسلماً، وقال: السلام يقرئك السلام يا حبيبة حبيب الله وثمرة فؤاده ـ اليوم تلحقين بالرفيق الاعلى وجنة المأوى ثم انصرف عنى. ثم اخذت تقول: وعليكم السلام، وتقول: يابن عم، هذا ميكائيل يقول كقول صاحبه. ثم اخذت ثالثاً تقول: وعليك السلام، ثم فتحت عينيها شديداً وقالت: يابن عم هذا والله الحق، عزرائيل نشر جناحه فى المشرق والمغرب، وقد وصفه لى أبى وهذه صفته. ثم قالت: يا قابض الارواح عجل بى ولا تعذبنى، ثم قالت: اليك ربى لا إلى النار، ثم غمضت عينيها، ومدت يديها ورجليها، وكأنها لم تكن حية قط. أبكنى ان بكيت ياخير هادى وأسبل الدمع فهو يوم الفراق ياقرين البتول اوصيك بالنسل فقد أصبحنا حليف اشتياق أبكنى وابك لليتامى ولاتنسى قتيل العدى بطف العراق فارقوا فأصبحوا حيارى يخلف الله فهو يوم الفراق وروى عن اسماء ان فاطمة لما حضرتها الوفاة قالت لاسماء: ان جبرئيل أتى [صفحه ۳۳۵] النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ لما حضرته الوفاة ـ بكافور من الجنة فقسمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثا لعلى، وثلثا لى، وكان اربعين درهما، فقالت يا أسماء اتينى ببقية حنوط والدى من موضع كذا وكذا وضعيه عند رأسى، فوضعته ثم قالت يا أسماء أتينى ببقية حنوط والدى من موضع كذا وكذا وضعيه عند رأسى، فوضعته ثم قالت لاسماء حين توضأت وضوءها للصلاة، هاتى طيبى الذى أتطيب به، وهاتى ثيابى التى أصلى فيها، فتوضأت ثم تسجت بثوبها، ثم قالت: انتظرينى هنيئة وادعينى، فان اجبتك وإلّا فاعلمى انى قدمت على ابى فأرسلنى إلى على. فانتظرت هنيئة ثم نادتها، فم تجبها، فكشف الثوب عن وجهها فاذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها تقبلها، فبينا هى كذلك اذ دخل الحسن والحسين فقالا لها: يا أسماء ما ينيم امنا فى هذا الساعة، قالت: يا ابنى رسول الله. ليست

امكما نائمة، قد فارقت الدنيا، فوقع عليها الحسن يقبلها مرة ويقول: يا اماه كلميني قبل ان تفارق روحي بدني، وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: انا ابنك الحسين كلميني قبل ان يتصدع قلبي فأموت. قالت لهما اسماء: يا ابني رسول الله، انطلقا إلى أبيكما على فاخبراه بموت امكما، فخرجا حتى اذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فقالا: قد ماتت أمنا فاطمة عليها السلام فوقع على عليه السلام على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد، كنت بك أتعزى فبمن العزاء من بعدك؟ [۴۶۹].

التشييع والدفن

ارتفعت أصوات البكاء من بيت على عليه السلام فصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى على عليه السلام، وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، وخرجت ام كلثوم، وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن فقدناك حقا لا لقاء بعده ابدا. واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون، وينتظرون خارج الجنازة [صفحه ۳۳۶] ليصلوا عليها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فان ابنة رسول الله قد اخر اخرابها في العشية [۴۷۰] وأقبل أبوبكر وعمر يعزيان عليا عليه السلام، ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۴۷۱]. ولكن عليا غسلها وكفنها هو واسماء في تلك الليلة ثم نادى: يا ام كلثوم، يا زينب يا حسن، يا حسين، هلموا تزودوا من امكم فهذا الفراق واللقاء والجنة، وبعد قليل نحاهم امير المؤمنين عليه السلام [۴۷۲] عنها. ثم صلى على على الجنازة، وشيعها والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار وبريدة والعباس وابنة الفضل [۴۷۳]. فلما هدأت الاصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها امير المؤمنين عليه السلام ودفنها سرا وأهال عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، ويمنعهم المنافقون، فدفنوها وعفوا تراب قبرها.

وقوف الإمام على قبرها

انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف امرهم وهجوم القوم عليهم، فلما نفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن فقد بضعة الرسول التي تذكر به وزوجته الودود التي عاشت معه الصفا والطهارة والتضحية، وتحملت من اجله الاهوال والصعاب فواغوثاه... من هظمها.. من آلامها... من تصدع قلبها... وأغوثاه من كسر ضلعها... واسوداد عضدها... واسقاط جنينها... ولكن. لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل وان افتقادي فاطم بعد احمد دليل على ان لا يدوم خليل فأرسل دموعه على خديه، وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك، والبائنة [صفحه ۳۳۷] في الثرى ببقعتك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قل ـ يا رسول الله عن صفيتك صبرى وضعف عن سيدة النساء تجلدى، إلّا ان في التأسي لي بسنتك، والحزن الذي حل بي لفراقك، موضع التعزى، ولقد وسدتك في ملحودة قبرك، بعد ان فاضت نفسك على صدرى، وغمضتك بيدى وتوليت امرك بنفسي، نعم، وفي كتاب الله انعم القبول، انا الله وانا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، واخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما اقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله. اما حزني فسرمد، واما ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي او يختار الله لي دارك التي انت مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق الله (بيننا)، وإلى الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتظافر امتك على، وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال، فكم من عليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين. سلام عليك يا رسول الله، سلام مودع لاسئم ولا قال، فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين، الصبر أيمن واجمل. ولو لا غلبة المستولين علينا، لجعلت الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا، ويهتضم حقها قهرا، ويمنع ارثها جهرا، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فالى الله ـ يا رسول الله ـ المشتكى وفيك اجمل العزاء، فصلوات الله عليها ورحمة الله وبركاته [۴۷۴]. وروى ان عليا عليها السلام سوى قبرها مع الأرض مستويا، وقيل: سوى

حواليها قبورا مرورة سبعة حتى لا يعرف احد قبرها، وروى انه رش اربعين قبرا حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور خوفا من الاعداء [۴۷۵] فلما اصبح الناس اقبل عمر وأبو بكر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام. فقال المقداد: قد دفنا فاطمة عليها السلام البارحة. فالتفت عمر إلى ابى بكر فقال: الم اقل لك، انهم سيفعلون؟ قال العباس: انها اوصت ان لاتصليا عليها. فقال عمر: لا تتركون ـ بنى هاشم ـ حسدكم القديم لنا أبدا، ان هذه الضغائن التى فى [صفحه ۳۳۸] صدوركم لن تذهب، والله لقد هممت ان انبشها فاصلى عليها، فقال على عليه السلام: والله لو رمت ذاك لارجحت اليك يمينك، لئن سللت سيفى لا أغمدته دون ازهاق روحك، فانكسر عمر وسكت وعلم ان علياً اذا حلف صدق [۴۷۶] .

تاريخ وفاتها

لاشك ان وفاتها عليها السلام كانت فى السنة الحادية عشر من الهجرة ـ ظاهراً ـ لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم حج حجة الوداع فى السنة العاشرة وتوفى فى اوائل السنة الحادية عشر، واتفق المؤرخون والكتاب على ان فاطمة عاشت بعد ابيها اقل من سنة، الا انهم اختلفوا فى يوم وشهر وفاتها اختلافاً شديداً، فروى المعروف بالدلائل [۴۷۷] عن أبى بصير، عن الصادق عليه السلام قبضت فى جمادى الاخرة، يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى عشر من الهجرة. وبه صرح المفيد فى المسار [۴۷۸] ، وفى المصباح [۴۷۹] ، ونسبه الاقبال [۴۸۰] إلى جماعة، فقال: روينا عن جماعة من أصحابنا ذكرناهم فى كتاب التعريف للمولد الشريف، ان وفاة فاطمة عليها السلام كانت يوم ثالث جمادى الآخرة، وعن ابن همام، قال: روى لعشر بقين منه. وعن الكشف [۴۸۱] قيل: لثلاث ليال من شهر رمضان. ونقل عن العاصمى [۴۸۲] باسناده عن محمد بن عمر. ونقل المصباح [۴۸۳] ، عن ابن عياش انه فى اليوم الحادى والعشرين من رجب، وبعضهم لم يعين يومه، لكن قالوا بعيشها بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمدة واختلفوا. [صفحه ۳۳۹] قال أبو الفرج [۴۸۴] فالمكثر يقول: ثمانية اشهر، والمقلل، اربعين يوماً. إلّا ان الثابت فى ذلك ماروى عن ابى جعفر محمد بن على عليها السلام انها توفيت بعده بثلاثة أشهر. حدثنى بذلك الحسن بن على، عن الحارث، عن ابن سعيد، عن الواقدى، عن عمرو بن دينار، عنه عليه السلام. قلت: نقل الثلاثة اشهر، الكشف [۴۸۵] عن كتاب الذرية للدولابى عن رجاله، وعن ابن شهاب الزهرى ستة اشهر، وقال ابن قتيبة [۴۸۶] : مائة يوم بعده. وقال الكشف [۴۸۷] ، عن الباقر عليه السلام: خمس وتسعين ليلة. وروى الاحتجاج [۴۸۸] عن كتاب سليم: اربعين يوماً. وقال الكلينى [۴۸۹] : خمس وسبعون يوما. ورواه ابن الخشاب [۴۹۰] ، عن شيوخه، عن الباقر عليه السلام. وبه قال فى عيوم المعجزات [۴۹۱] ، ورواه الكلينى [۴۹۲] صحيحاً فى خبرين عن الصادق عليها السلام. سند أحدهما: أحمد بن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أبى محبوب، عن ابن رباب، عن أبى عبيدة، عنه عليها السلام. والآخر: العدّة [۴۹۳] ، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن هشام بن سالم، عنه عليها السلام. وفى خبر [۴۹۴] حسن وصحيح سنده على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن هشام بن سالم، عنه عليه السلام. ويمكن تأويل خمسة وسبعين فى الثلاثة بكونه محرف خمسة وتسعين، حتى ينطبق [صفحه ۳۴۰] على الخبر الدالّ على كونه فى ثالث جمادى الآخره، مع كون وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الثامن والعشرين من صفر، وينطبق على خبر ثلاثة أشهر مجمله على التسامح فى الكمية الزائدة. ويشهد له ما قاله الكشف [۴۹۵] عن الباقر عليه السلام خمس وتسعين إن صحت النسخة لكن وقوع التحريف فى أخبار ثلاثة مشكل، مع عدم ثبوت كون وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فى الثامن والعشرين من صفر، بل عرفت قول كثير بكونه الثانى عشر من ربيع الأوّل من أنذ الخبر الخامس من أربعين أبى نعيم فى أخبار المهدى الذى نقله الكشف [۴۹۶] ، قال علىّ عليه السلام: لم تبقى فاطمة بعده إلا خمسة وسبعين يوماً، حتى ألحقها الله به صلى الله عليه وآل وسلم. لكنّ الكلام فى ثبوت عدد صفر [۴۹۷] ، وإلّا فالتحريف للتشابه الخطّى ولو فى أكثر غير بعيد [۴۹۸] . [صفحه ۳۴۱]

المعرفة المناقبية لها

اشاره

وذلک بالإطلاع علی ماجزاها وکراماتها المحیرة للعقول والأفکار سواء فی حیاتها، أو بعد شهادتها علیها السلام وما انبأت به من غیب وأسرار تعجز أکثر العقول البشریة عن الإحاطة بها والإلمام بحقائق دقائقها، وما کانت علیه من أخلاق عالیة وشرف رفیع، وسمو أدب وکرامة نفس وسخاء طبع لامثله سخاء وعبادة لا نظیر لها، وعلی هذا الأساس سیکون کلامنا فی هذا المقام فی أمرین وهما: (۱) ـ معاجزها فی حیاتها علیها السلام: (۲) ـ أخلاقها علیها السلام.

معاجزها فی حیاتها

روی أنّ سلمان قال: کانت فاطمة علیها السلام جالسة قدّامها رحی تطحن بها الشعیر، وعلی عمود الرحی دم سائل، والحسین فی ناحیة الدار (یتضوّر من الجوع). فقلت: یا بنت رسول الله، دبرت کفّاک، وهذه فضّة؛ فقالت: أوصانی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أن تکون الخدمة لها یوماً، فکان أمس یوم خدمتها. قال سلمان: قلت إنّی مولی عناقة، إمّا أنا أطحن الشعیر أو اسکّت الحسین لک؟ فقالت: أنا بتسکیته أرفق، وأنت تطحن الشعیر. فطحنت شیئاً من الشعیر، فإذا أنا بالإقامة، فمضیت وصلّیت مع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فلمّا فرغت قلت لعلیّ ما رأیت، فبکی وخرج، ثمّ عاد فتبسّم. فسأله عن ذلک رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال: دخلت علی فاطمة وهی مستلقیة لقفاها، [صفحه ۳۴۲] والحسین نائم علی صدرها، وقدّامها رحی تدور من غیر ید. فتبسّم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقال: یا علیّ، أما علمت أنّ الله ملائکة سیّاره فی الأرض یخدمون محمداً وآل محمد إلی أن تقوم الساعة [۴۹۹] . وروی عن اسامة بن زید، قال: افتقد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ذات یوم علیّاً، فقال: اطلبوا إلیّ أخی فی الدنیا والآخرة، اطلبوا الی فاصل الخطوب اطلبوا إلیّ المحکّم فی الجنة فی الیوم المشهود، اطلبوا الی حامل لوائی فی المقام المحمود. قال اسامة: فلمّا سمعت من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ذلک، بادرت إلی باب علیّ، فنادانی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من خلفی: یا اسامة، عجّل علیّ بخبره وذلک بین الظهر والعصر. فدخلت فوجدت علیّاً کالثوب الملقی لاطیاً بالأرض، ساجداً یناجی الله تعالی، وهو یقول: سبحان الله الدائم، فکّاک المغارم، رزّاق البهائم، لیس له فی دیمومته إبتداء، ولا زوال ولا انقضاء. فکرهت أن أقطع علیه ما هو فیه حتی یرفع رأسه، وسمعت أزیز الرحی فقصدت نحوها لأسلّم علی فاطمة علیها السلام واخبرها بقول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی بعلها، فوجدتها راقدة علی شقّها الأیمن، مخمرة وجهها بجلبابها ـ وکان من وبر الإبل ـ وإذا الرحی تدور بدقیقها، وإذا کفّ یطحن علیها برفق، وکفّ اخری تلهی الرحی، لها نور لا أقدر أن أملی عینی منها، ولا أری إلا الیدین بغیر أبدان، فامتلأت فرحاً بما رأیت من کرامة الله لفاطمة علیها السلام. فرجعت إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وتباشیر الفرح فی وجهی بادیة، وهو فی نفر من أصحابه، قلت: یا رسول الله! انطلقت أدعو علیّاً، فوجدته کذا وکذا؛ وانطلقت نحو فاطمة علیها السلام فوجدتها راقدة علی شقّها الأیمن، ورأیت کذا وکذا! فقال: یا اسامة! أتدری من الطاحن، ومن الملهی لفاطمة؟ إنّ الله قد غفر لبعلها بسجدته سبعین مغفرة، واحدة منها لذنوبه ما تقدّم منها وما [صفحه ۳۴۳] تأخّر، وتسعة وستّین مذخورة لمحبّیه، یغفر الله بها بها ذنوبهم یوم القیامة. وإن الله تعالی رحم ضعف فاطمة لطول قنوتها باللیل، ومکابدتها للرحی والخدمة فی النهار، فأمر الله تعالی ولیدین من الولدان المخلّدین أن یهبطا فی أسرعت من الطرف، وإنّ أحدهما لیطحن، والآخر لیلهی رحاها. وإنّما أرسلتک لتری وتخبر بنعمة الله علینا، فحدّث یا اسامة! لو تبدیا لک لذهب عقلک من حسنهما، وإنما سألتنی خادماً فمنعتها؛ فأخدمها الله بذلک سبعین ألف ألف ولیدة فی الجنّة، الذین رأیت منهنّ. وإنّا من أهل بیت اختار الله لنا الآخرة الباقیة علی الدنیا الفانیة [۵۰۰] . وعن حماد بن سلمة، عن حمید الطویل، عن أنس قال: سألنی الحجاج بن یوسف عن حدیث عائشة، وحدیث القدر التی رأت فی بیت فاطمة بنت رسول الله صلی الله

عليه وآله وسلم وهى تحركها بيدها، قلت: نعم أصلح الله الأمير دخلت عائشة على فاطمة عليها السلام وهى تعمل للحسن والحسين عليهما السلام حريرة بدقيق ولبن وشحم، فى قدر، والقدر على النار يغلى (وفاطمة صلوات الله عليها) تحرّك ما فى القدر بإصبعها، والقدر على النار يبقبق [۵۰۱] . فخرجت عائشة فزعة مذعورة، حتى دخلت على أبيها، فقالت: يا أبه، إنى رأيت من فاطمة الزهراء أمراً عجيباً [عجبا]، رأيتها وهى تعمل فى القدر، والقدر على النار يغلى، وهى تحرّك ما فى القدر بيدها! فقال لها: يا بنيّة! اكتمى، فإنّ هذا أمر عظيم. فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الناس يستعظمون ويستكثرون ما رأوا من القدر والنار؛ والذى بعثنى بالرسالة، واصطفانى بالنبوّة، لقد حرّم الله تعالى النار على لحم فاطمة، ودمها، وشعرها، وعصبها، [وعظمها] وفطم من النار ذريّتها وشيعتها. إنّ من نسل فاطمة من تطيعه النار، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، وتضرب الجنّ بين يديه بالسيف، وتوافى إليه الأنبياء بعهودها، وتسلّم إليه الأرض كنوزها، تنزّل عليه من السماء بركات ما فيها [صفحه ۳۴۴] الويل لمن شكّ فى فضل فاطمة. [لعن الله من يبغضها] لعن الله من يبغض بعلها، ولم يرض بإمامة ولدها. إنّ لفاطمة يوم القيامة موقفاً، ولشيعتها موقفاً. وإنّ فاطمة تدعى فتكسى، وتشفع فتشفّع، على رغم كلّ راغم [۵۰۲] . روى عن جابر بن عبدالله قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقام أيّاماً ولم يطعم طعاماً حتّى شقّ ذلك عليه، فطاف فى ديار أزواجه فلم يصب عند إحداهنّ شيئاً، فأتى فاطمة فقال: يا بنيّة! هل عندك شىء آكله، فإنّى جائع؟ قالت: لا ـ والله ـ بنفسى وأمّى. فلمّا خرج عنها، بعثت جارية لها رغيفين وبضعة لحم، فأخذته ووضعته فى جفنة وغطّت عليها، وقال: لأوثرنّ بها بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرجع إليها فقالت: قد أتانا الله بشىء فخبّأته لك، فقال: هلمّى يا بنيّة، فكشفت الجفنة، هى مملوءة خبزاً ولحماً، فلمّا نظرت إليه بهتت وعرفت أنّه من عند الله، فحمدت الله، وصلّت على نبيّه أبيها، وقدّمته إليه فلمّا رآه حمد الله. وقال: من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، (إنّ الله يزرق من يشاء بغير حساب) [۵۰۳] . فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى على، فدعاء وأحضره، وأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين، وجميع أزواج النبى حتى شبعوا. قالت فاطمة عليها السلام: وبقيت الجفنة كما هى، فأوسعت منها على جميع جيرانى، جعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً [۵۰۴] . وعن أبى الفرج محمد بن المكّى، عن المظفر بن أحمد بن عبد الواحد، عن محمد بن على الحلوانى، عن كريمة بنت أحمد بن محمد الروندى: وأخبرنى أيضاً به عالياً قاضى القضاة محمد بن الحسين البغدادى، عن الحسين ابن [صفحه ۳۴۵] محمد بن على الزينبى، عن الكريمة فاطمة بنت أحمد بن محمد المروزيّة بمكّة حرسها الله تعالى، عن أبى على زاهر بن أحد، عن معاذ بن يوسف الجرجانى، عن أحمد بن محمد ابن غالب، عن عثمان بن أبى شيبة، عن نمير، عن مجالد، عن ابن عبّاس، قال: خرج أعرابى من بنى سليم يتبدّى فى البريّة، فإذا هو بضبّ قد نفر من بين يديه، فسعى وراءه، حتى اصطاده، ثمّ جعله فى كمّه، وأقبل يزدلف نحو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال ـ فقال: من يزوّد الأعرابى، وأضمن له على الله عز وجل زاد التقوى. قال: فوثب إليه سلمان الفارسى فقال: فداك أبى وأمّى وما زاد التقوى؟ قال: يا سلمان، إذا كان آخر يوم من الدنيا، لقّنك الله عزّ وجلّ قول: شهادة أن لا ـ إله إلا ـ الله وأنّ محمداً رسول الله؛ فإن أنت قلتها لقيتنى ولقيتك، وإن أنت لم تقلها لم تلقنى ولم ألقك أبداً. قال: فمضى سلمان حتى طاف تسعة أبيات من بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم، يجد عندهنّ شيئاً، فلمّا أن ولّى راجعاً نظر إلى حجرة فاطمة عليها السلام. فقال: إن يكن خير فمن منزل فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآل وسلم، فقرع الباب: فأجابته من رواه الباب: من بالباب؟ فقال لها: أنا سلمان الفارسى. فقالت له: يا سلمان! وما تشاء؟ فشرح قصّة الأعرابى والضبّ مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم. قالت له: يا سلمان! والذى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ نبيّاً إنّ لنا ثلاثاً ما طعمنا، وإنّ الحسن والحسين قد اضطربا علىّ من شدّة الجوع، ثمّ رقداكأنّهما فرخان منتوفان؛ ولكن لا أردّ الخير [إذا نزل الخير ببابى] يا سلمان؛ خذ درعى هذا، ثمّ امض به إلى شمعون اليهودى، وقل له: تقول فاطمة بنت محمد: أقرضنى عليه صاعاً من تمر وصاعاً من شعير أردّه عليك إن شاء الله تعالى. قال: فأخذ سلمان الدرع، ثمّ أتى به إلى شمعون اليهودى؛ قال: فأخذ شمعون الدرع، ثمّ جعل يقلّبه فى وعيناه تذرفان بالدموع وهو يقول: يا سلمان! هذا هو الزهد فى الدنيا، هذا الذى أخبرنا به موسى بن عمران فى التوراة، أنا أشهد أن لا إله إلا

الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه. ثمّ دفع إلى سلمان صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، فأتى به سلمان إلا فاطمة عليها السلام، [صفحه ۳۴۶] فطحنته بيدها، وأختبزته، ثمّ أتت به إلى سلمان؛ فقالت له: خذه وامض به إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فقال لها سلمان: يا فاطمة، خذى منه قرصاً تعلّلين به الحسن والحسين. فقالت: يا سلمان،هذا شيء أمضيناه لله عز وجل لسنا نأخذ منه شيئاً. قال: فأخذه سلمان، فأتى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا نظر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى سلمان قال له: يا سلمان، من أين لك هذا؟ قال: من منزل بنتك فاطمة. قال: وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يطعم طعاماً منذ ثلاث. قال: فوثب النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى ورد إلى حجرة فاطمة، فقرع الباب، وكان إذا قرع النبى صلى الله عليه وآله وسلم الباب لا يفتح له الباب إلى فاطمة؛ فلمّا أن فتحت له الباب، نظر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى صفار وجهها وتغيّر حدقتيها، فقال لها: يا بنيّة، ما الذى أراه من صفار وجهك وتغيّر حدقيت؟ فقالت: يا أبة، إن لنا ثلاثاً ما طعمنا طعاماً؛ وإن الحسن والحسين قد اضطربا علىّ من شدّة الجوع، ثمّ رقدا كأنّهما فرخان منتوفان. قال: فأنبههما النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاخذ واحداً على فخذه الأيمن، والآخر على فخذه الأيسر، وأجلس فاطمة عليها السلام بين يديه واعتنقها النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ودخل علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فاعتنق النبى صلى الله عليه وآله وسلم من ورائه، ثم رفع النبى صلى الله عليه وآله وسلم طرفه نحو السماء فقال: إلهى وسيّدى ومولاى، هؤلاء أهل بيتى، اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً! قال: ثمّ وثبت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت إلى مخدع لها، فصفّت قدميها، فصلّت ركعتين ثمّ رفعت باطن كفّيها إلى السماء وقالت: إلهى وسيدى، هذا محمد نبيّك، وهذا علىّ ابن عمّ نبيّك، وهذان الحسن والحسين سبطا نبيّك، إلهى أنزل علينا مائدة [من السماء] كما أنزلتها على بنى إسرائيل، أكلوا منها وكفروا بها، اللهم أنزلها علينا فإنّا بها مؤمنون. قال ابن عباس: ـ والله ـ ما استتمّت الدعوة، فإذا هى بصحفة من ورائها يفور قتارها، وإذا قتارها [۵۰۵] أزكى من المسك الأذفر، فاحتضنتها. ثمّ أتت بها إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلى والحسن والحسين، فلمّا أن نظر إليها على بن أبى [صفحه ۳۴۷] طالب عليه السلام قال لها: يا فاطمة، من أين لك هذا؟ ولم يكن أجد عندك شيئاً! فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم: كل يا أبا الحسن، ولا تسأل، الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رزقنى ولداً، مثلها مثل مريم بنت عمران (كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب) [۵۰۶] . قال: فأكل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلىّ والحسن والحسين، وخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم، الحديث [۵۰۷] .

وعن عبيد بن كثير ـ معنعنا ـ عن أبى سعيد الخدرى قال: أصبح على بن أبى طالب عليه السلام ذات يوم فقال: يا فاطمة! هل عندك شيء تغذينه؟ قالت: لا، والذى اكرم أبى بالنبوة، وأكرمك بالوصية، ما أصبح الغداة عندى شيء وما كان شيء أطعمنا مذ يومين إلّا شيء كنت أوثرك به على نفسى وعلى ابنى هذين الحسن والحسين عليهما السلام. فقال على عليه السلام: يا فاطمة! إلّا كنت أعلمتنى فأبغيكم شيئاً؟ فقالت: يا أبا الحسن! أنى لأستحى من الهى ان اكلف نفسك ما لا تقدر عليه. فخرج على بن ابى طالب عليه السلام من عند فاطمة عليها السلام واثقا بالله بحسن الظن بالله فاستقرض دينارا، فبينا الدينار فى يد على بن ابى طالب عليه السلام يريد ان يبتاع لعياله ما يصلحهم، فتعرض له المقداد بن الاسود فى يوم شديد الحر، قد لوحته الشمس من فوقه وآذته من تحته، فلما رآه على بن أبى طالب عليه السلام انكر شأنه، فقال: يا مقداد! ما ازعجك هذه الساعة من رحلك! قال: يا أبا الحسن خلى سبيلى ولاتسألنى عما ورائى. فقال: يا اخى انه لا يسعنى ان تجاوزنى حتى اعلم علمك. فقال: يا أبا الحسن! رغبة إلى الله واليك ان تخلى سبيلى ولا تكشفنى عن حالى. فقال [صفحه ۳۴۸] له: يا اخى انه لا يسعك ان تكمى حالك. فقال: يا أبا الحسن! اما اذا ابيت فو الذى اكرم محمدا بالنبوة، واكرمك بالوصية، ما ازعجنى من رحلى، إلّا الجهد، وقد تركت عيالى يتضرعون جوعا، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملنى الأرض، فخرجت مهموما راكبا رأسى، هذه حالى وقصتى، فانهملت عينا، على عليه السلام بالبكاء حتى بلت دمعته لحيته، فقال له: احلف بالذى حلفت، ما ازعجنى إلّا الذى ازعجك من وحلك، فقد استقرضت ديناراً، فقد آثرتك على نفسى، فدفع الدينار إليه، ورجع حتى دخل مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فصلى فيه يوم الظهر والعصر والمغرب. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

المغرب مر بعلى بن ابى طالب عليه السلام وهو فى الصف الأوّل، فغمزه برجله، فقام على عليه السلام متعقبا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحقه على باب من أبواب المسجد، فسلم عليه فرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه السلام. فقال: يا أبا الحسن! هل عندك شيء نتعشاه فنميل معك؟ فمكث مطرقا لا يحير جوابا، حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يعلم ما كان من امر الدينار ومن اين اخذه، واين وجهه، وقد كان اوحى الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يتعشى الليلة عند على ابن أبى طالب عليه السلام. فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سكوته، فقال: يا أبا الحسن! مالك لا تقول: لا، فانصرف، أو تقول: نعم، فأمضى معك؟ فقال ـ حياء وتكرما ـ: فاذهب بنا؟ فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يد على بن ابى طالب عليه السلام فانطلقا حتى دخلا على فاطمة الزهراء عليها السلام وهى فى مصلاها قد قضت صلاتها، وخلفها جفنة تفور دخانا، فلما سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى رحلها، خرجت من مصلاها، فسلمت عليه، وكانت اعز الناس إليه، فرد صلى الله عليه وآله وسلم، ومسح على رأسها، وقال لها: يا بنتاه! كيف امسيت رحمك الله. قالت: بخير، قال عشينا غفر الله لك، وقد فعل، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدى النبى وعلى بن ابى طالب عليهما الصلاة والسلام. فلما نظر على بن أبى طالب عليه السلام إلى الجفنة والطعام وشم ريحه، رمى فاطمة ببصره رميا شحيحا [۵۰۸] قالت: له فاطمة سبحان الله، ما اشح نظرك واشده! هل اذنبت فيما بينى [صفحه ۳۴۹] وبينك ذنبا استوجبت به السخطة؟! قال: وأى ذنب أعظم من ذنب اصبته، اليس عهدى اليك اليوم الماضى وانت تحلفين بالله مجتهدة، ماطعمت طعاما مذ يومين؟ قال: فنظرت إلى السماء، فقالت: الهى يعلم فى سمائه ويعلم فى ارضه انى لم أقل إلّا حقاً. فقال لها: يا فاطمة! انى لك هذا الطعام الذى لم انظر إلى مثل لونه قط، ولم اشم مثل ريحه قط، ومالم آكل اطيب منه قط؟ قال: فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفه الطيبة المباركة بين كتفى على بن ابى طالب عليه السلام، فغمزها، ثم قال: يا على! هذا بدل دينارك، وهذا جزاء دينارك من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب. ثم استعبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم باكيا، ثم قال: الحمد لله الذى هو ابى لكم ان تخرجا من الدنيا حتى يجزيكما، ويجزيك يا على، مجزى زكريا، ويجزى فاطمة مجزى مريم بنت عمران (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا [@۵۰۹] . - وروى عن يوسف بن يحيى، عن ابيه، عن جده، قال: رأيت رجلا بمكة شديد السواد له بدن، وخلق غابر، وهو ينادى، أيها الناس، دلونى على اولاد محمد، فأشار إليه بعضهم وقال: مالك؟ قال: انا فلان بن فلان. قالوا: كذبت ان فلانا كان صحيح البدن صبيح الوجه، وانت شديد السواد غابر الخلق. قال: وحق محمد انى لفلان، اسمعوا حديثى. اعلموا انى كنت جمال الحسين، فلما ان صرنا إلى بعض المنازل برز للحاجة وانا معه فرأيت تكة لباسه وكان اهداها ملك فارس حين تزوج بنت اخيه شاه زنان بنت يزدجود، فمنعنى هيبة أسألها اياه، فدرت حوله لعلى اسرقها، فلم اقدر عليها. فلما صار القوم بكربلاء، وجرى ما جرى، وصارت ابدانهم ملقاة تحت سنابك [صفحه ۳۵۰] الخيل، اقبلنا نحو الكوفة راجعين، فلما ان صرت إلى بعض الطريق ذكرت التكة، فقلت فى نفسى: قد خلا ماعنده، فصرت إلى موضع المعركة، فقربت منه فاذا هو مرمل بالدماء، قد حز رأسه من القفا وعليه جراحات كثيرة من السهام والرماح، فممدت يدى إلى التكة وهممت ان احل عقدها، فرفع يده وضرب بها يدى، فكادت اوصالى وعروقى تتقطع، ثم اخذ التكة من يدى، فوضعت رجلى على صدره وجهدت جهدى لازيل اصبعا من اصابعه، فلم اقدر، فأخرجت سكينا كان معى، فقطعت اصابعه ثم مددت يدى إلى التكة، وهممت بحلها ثانيا، فرأيت خيلا اقبلت من نحو الفرات، وشممت رائحة لم اشم رائحة اطيب منها، فلما رأيتهم قلت: انا الله وانا إليه راجعون، انما اقبلوا هؤلاء لينظروا إلى كل انسان به رمق «فيجهزوا عليه». فصرت بين القتلى، وغاب غنى عقلى من شدة الجزع، فاذا رجل يقدمهم ـ كان وجهه الشمس ـ وهو ينادى: انا محمد رسول الله، والثانى ينادى: انا حمزة اسد الله، والثالث ينادى: انا جعفر الطيار، والرابع ينادى: انا الحسن بن على. وأقبلت فاطمة وهى تبكى وتقول: حبيبى، وقرة عينى، ابكى على رأسك المقطوع، ام على يديك المقطوعتين، ام على بدنك المطروح، ام على اولادك الاسارى، ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: اين رأس حبيبى وقرة عينى الحسين، فرأيت الرأس فى كفى النبى، فوضعه على بدن الحسين، فاستوى جالسا، فاعتنقه النبى وبكى ـ فذكر الحديث ـ إلى أن قال ـ: فقال: ياعدو الله! ما حملك على قطع اصابع حبيبى وقرة

عينى الحسين ـ إلى ان قال: ـ ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: اخسأ ياعدوا الله! غير الله لونك، فقمت، فاذا انا بهذه الحالة [۵۱۰] . – وروى ان رجلاـ كان محبوسا بالشام مدة طويلة مضيقاً عليه، فرأى فى منامه كان الزهراء صلوات الله عليها أتته فقالت: ادع بهذا الدعاء، فتعلمه ودعا به فتخلص ورجع إلى منزله وهو: اللهم بحق والعرش ومن علاه، وبحق الوحى ومن اوحاه، وبحق النبى من نباه، وبحق البيت ومن بناه، ويا سامع كل صوت، ويا جامع كل فوت، يا بارىء النفوس بعد الموت، صل على محمد وأهل ابيته، وآتنا وجميع المؤمنين والمؤمنات فى مشارق الأرض ومغاربها فرجا من عند، عاجلا بشهادة إن لا إله إلّا الله، وان محمدا عبدك ورووللك، صلى الله عليه وعلى ذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما [۵۱۱] . وفى جواهر العقدين للشريف السمهودى المصرى من العجائب ان ابا الحسن نصر بن عيين الشاعر توجه إلى مكة المعظمة ومعه متاع ومال، فخرج عليه بعض الاشراف من بنى داود المقيمين بوادى الصغرى فأخذوا ما كان معه وجرحوه فكتب قصيدة إلى الملك، الناصر ان يذهب بالساحل ويفتحه من ايدى الافرنج القصيدة هذه: أغنت صفاتك ذاك المصقع السنا جزت بالجود حد الحسن والمحسنا ولا تقل ساحل الافرنج اقتحمه فما يساوى اذا قاسيته عدنا طهر سيفك بيت الله من دنس وما احاط به من خسة وخنا ولا تقل انهم اولاد فاطمة لو ادركوا آل حرب حاربوا الحسنا فلم اتم هذه القصيدة رأى فى النوم فاطمة عليها السلام وهى تطوف بالبيت فسلم عليها فلم تجبه، فتضرع اليها وتذلل عندها وسألها عن ذنبه الذى أوجب ذلك، فانشدت فاطمة عليها السلام هذه القصيدة: [صفحه ۳۵۲] حاشا بنى فاطمة كلهم من خسة يعرض او من خنا وانما ايام فى غدرها وفعلها السوء اساءت بنا لئن جنا من ولدى واحد تجعل كل السب عمدا لنا فتب إلى الله فمن يقترف اثما بنا لا يأمن مما جنا فاصفح لاجل المصطفى احمد ولا تثر من آله اعينا فكل ما نالك منهم غدا تلقى به فى الحشر منامنا ثم صب بيدها المباركة المكرمة المقدسة شيئا شبه الماء على جرحه، ثم ايقظ من منامه فرأى ان جراحته التى كانت فى بدنه صارت ملتئمة صحيحة، فكتب فورا قصيدة فاطمة صلى الله عليها السلام التى انشدتها فى رؤياه، ثم قال معتذرا: عذر إلى بنت نبى الهدى تصفح عن ذنب محب جنا وتوبة تقبلها عن اخى مقالة توقعها فى العنا والله لو قطعنى واحد منهم بسيف البغى او بالقنا لم اره بفعله ظالما بل انه فى فعله احسنا فكتب هذه الحكاية إلى ملك اليمن فارسل الملك الهدايا الكثيرة لهذه الاشراف وأهل مكة وهذه القصيدة مشهورة بين الناس ومسطورة فى ديوان ابن عيين [۵۱۲] . – وروى أن عليا عليها السلام أستقرض من يهودى شعيرا، فاسترهنه شيئا فدفع إليه ملاءة [۵۱۳] فاطمة، رهنا، وكانت من الصوف فأدخلها اليهودى إلى داره ووضعها فى البيت. فلما كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذى فيه الملاءة بشغل، فرأت نوراً ساطعاً فى البيت أضاء به كله فانصرفت إلى زوجها، فأخبرته بأنها رأت فى ذلك البيت ضوءاً عظيماً فتعجب اليهودى من ذلك وقد نسى ان فى بيته ملاءة فاطمة. فنهض مسرعاً ودخل البيت فاذا ضياء الملاءة ينشر شعاعها كأنه يشتعل من بدر منير، يلمع من قريب فتعجب من ذلك، فأنعم النظر فى موضع الملاءة، فعلم ان ذلك النور من ملاءة فاطمة عليها السلام، فخرج اليهودى يعدو إلى أقربائه وزوجته تعدوا إلى أقربائها [صفحه ۳۵۳] فاجتمع ثمانون من اليهود فرأوا ذلك فأسلموا كلهم [۵۱۴] . – وعن سلمان الفارسى: انه لما استخرج امير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمة حتى انتهت إلى القبر، فقالت خلوا عن ابن عمى فوالذى بعث محمدا بالحق لئن لم تخلوا عنه لا نشرن شعرى ولأضعن قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رأسى، ولأصرخن إلى الله، فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدى. قال سلمان: فرأيت والله اساس حيطان المسجد تقلعت من اسفلها، حتى لو اراد الرجل ان ينفذ من تحتها نفذ فدنوت منها وقلت: يا سيدتى ومولاتى: ان الله تبارك وتعالى بعث اباك رحمة فلاتكونى نقمة، فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت فى غياشيمنا [۵۱۵] .

اخلاقها

تجدست فى شخصية فاطمة عليها السلام مختلف ابعاد الاخلاق الاسلامية التى دعت واكدت عليها التعاليم القرآنية، ولقد ضربت

المثل الاعلى للمرأة المؤمنة الكاملة، وهذا مانراه واضحا، وجليا من خلال استقراء سيرتها عليها السلام وفى مختلف الابعاد الانسانية، فقد ورد عن على عليه السلام قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اخبرونى أى شيء خير للنساء؟ فعيينا بذلك حتى تفرقنا، فرجعت إلى فاطمة، فأخبرتها الذى قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد منا علمه، ولاعرفه. قالت: ولكنى أعرفه: خير للنساء ان لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله، سألتنا: أى شيء خير للنساء؟ وخيرهن ان لايرين الرجال ولايراهن الرجال. قال: من اخبرك، فلم تعلمه وأنت عندى؟ قلت فاطمة فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ان فاطمة بضعة منى [۵۱۶] . [صفحه ۳۵۴] أقول: والذى يظهر من هذه الاحاديث ان فاطمة حددت الضابطة الكلية التى فيها خير المرأة والصلاح لها فى الحياة الدنيا والاخرة ذلك هو ان لا يرى المراة رجل ولاترى رجل، وفى أمر ورد ايضا عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها: لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت عليها السلام: ان لم يكن يرانى فأنى أراه، وهو يشم الريح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشهد انك بضعة منى [۵۱۷] وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه عن المرأة، ماهى؟ قالوا: عورة: قال فمتى تكون أدنى من ربها؟ فلم يدروا، فلما سمعت فاطمة عليها السلام ذلك قالت: أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن فاطمة بضعة منى [۵۱۸] . أقول: يظهر من هذا الحديث ان الرسول سأل اصحابه ولم يكن فيهم على عليه السلام، وهذا معارض للحديث الأوّل من حيثية وجود على عليه السلام، فالحديث الأوّل بين ان الإمام على يعرف جواب السؤال الذى سأله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مخالف لكثير من الاحاديث التى تبين مقام على عليه السلام العلمية ولذا سيكون من حيث الدلالة الحديث الاخير الذى قدمناه وهو الاصح، وإلّا لو كان على عليه السلام حاضرا لأجاب على سؤال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخاصة نحن نعلم ان على عليه السلام وفاطمة احدهما كفوا للاخر فى كل الأمور التى أقرأتها الاحاديث التى وردت عن السان المعصومين عليهم السلام. وأعطى لك شاهداً واحداً من خلال استقراء احاديث العلماء والصالحين فى قضية اخلاق فاطمة الزهراء عليها السلام تاركا لك مراجعة أقوال الاخرين فضلا عن احاديث أهل البيت الذى هى بحر عميق لمن اراد الغوص فيه واستخراج الدرر المتناثرة فيه، ومن هذه الاقوال [۵۱۹] . لم تكن الزهراء امراة عادية كانت امرأة روحانية امرأة ملكوتية... كانت انسانا بتمام معنى الكلمة نسخة انسانية متكاملة... امرأة حقيقية كاملة... حقيقة الإنسان الكامل، لم امراة عادية، بل هى كائن ملكوتى تحلى فى الوجود بصورة [صفحه ۳۵۵] انسان... بل كائن الهى جبروتى ظهر على هيئة امرأة... فقد اجتمعت فى هذه المرأة جميع الخصال الكمالية المتصورة للانسان وللمرأة. انها المرأة التى تتحلى بجميع خصال الانبياء... المرأة التى لو كانت رجلا لكانت نبيا... لو كانت رجلا لكانت بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. غدا يوم المرأة حيث ولدت جميع ابعاد منزلتها وشخصيتها، غدا ذكرى مولد كائن الذى اجتمعت فيه المعنويات، والمظاهر الملكوتية، والالهية والجبروتية والملكية والانسية، غدا ميلاد الإنسان لجميع الانسانية من معنى، غدا ميلاد امرأة بكل ما تحمله كلمة «المرأة» من معنى ايجابى. ان المرأة تتسم بأبعاد مختلفة كما هو الرجل، وان هذا المظهر الصوروى الصبيعى يمثل ادنى مراتب المرأة، وادنى مراتب الرجل، بيد ان الإنسان يسمو فى مدارج الكمال انطلاقا من هذه المرتبة المتدنية، فهو فى حركة دؤوبة من مرتبة الطبيعة إلى مرتبة الغيب، إلى الفناء فى الالهية وان هذا المعنى متحقق فى الصديقة الزهراء، التى انطلقت فى حركتها من مرتبة الطبيعة وطوت مسيرتها التكاملية بالقدرة الالهية، بالمدد الغيبى وبتربية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتصل إلى مرتبة دونها الجميع. امرأة هى مغفرة بيت النبوة وتسطع كما تسطع الشمس فى جبين الاسلام العزيز، امرأة تماثل فضائلها الرسول الاكرم والعترة الطاهرة غير متناهية... امراة لا يفى حقها من الثناء كل من يعرفها مهما كانت نظرته، ومهما ذكر لأن الاحاديث التى وصلتنا عن بيت النبوة هى على قدر أفهام المخاطبين، واستيعابهم فمن غير الممكن صب البحر فى جرة، ومهما تحدث عنها الاخرون فهو على قدر فهمهم ولا يضاهى منزلتها. اذن فمن الاولى ان نمر سريعا من هذا الوادى العجيب. وكانت الصديقة فاطمة عليها السلام عادية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، فمتى ما كانت تقوم فى محرابها بين يدى الله

تعالى، زهر عند ذلك نورها لملائكة السماوات والأرض كما نير هو نور الكواكب لأهل الأرض [۵۲۰] ، وروت هى سلام الله عليها انها قالت: سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان فى الجمعة لساعة لا يراقبها رجل مسلم يسأل الله عزوجل فيها خيرا إلّا اعطاه اياه. فقلت: يا رسول الله أى ساعة هى؟ قال اذا تدلى [صفحه ۳۵۶] نصف عين الشمس للغروب. لذا نجدها سلام الله عليها كانت تقول لغلامها اصعد على الظراب فاذا رأيت نصف عين الشمس قد تدلى للغروب فاعلمنى حتى ادعوا ولذلك نجد فى كتب الادعية والزيارة استحباب قراءة دعاء السمات اخر ساعة من يوم الجمعة تأسيا بما ورد عن لسان فاطمة عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وورد عن الإمام الحسن عليها السلام انه قال: رأيت أمى فاطمة عليها السلام قامت فى محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى انصع عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولاتدعو لنفسها بشىء فقلت لم لهذا يا اماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنى الجار ثم الدار [۵۲۱] ، واخيرا قول الحسن البصرى الذى قال فى حقها عليها السلام: «ما كان فى هذه الأمة اعبد من فاطمة عليها السلام كانت تقوم حتى تتورم قدماها» [۵۲۲] . [صفحه ۳۵۷]

المعرفة العلمية والفكرية لها

اشاره

ألا- هل إلى طول الحياة سبيل وأنى وهذا الموت ليس يحول وانى وان اصبحت بالموت موقنا فلى امل من دون ذاك طويل وللدهر الوان تروح وتغتدى وان نفوسا بينهن تسيل ومنزل حقّ لا معرج دونه لكل امرىء منها إليه سبيل قطعت بأيام التعزز ذكره وكل عزيز ماهناك ذليل ارى علل الدنيا على كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل وانى وان شطت بى الدار نازحا وقد مات قبلى بالفراق جميل وقد قال فى الامثال فى البين قائل اضرّ به يوم الفراق رحيل لكلّ اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الفراق قليل وان افتقادى فاطما بعد احمد دليل على ان لايدوم خليل وكيف هناك العيش من بعد فقدهم لعمرك شىء ما إليه سبيل [۵۲۳] . وليس جليلا- رزء مالٍ وفقده ولكن رزء الاكرمين جليل يتساوى النساء فى الحقوق والجواجبا من جهة التشريع الاسلامى ومنطلقاته الاصلية، فهم سواسية كأسنان المشط فى المظهر الخارجى، ولكن من حيث حقيقة وجوهر كل انسان تختلف من شخصية إلى اخرى، وقديما قيل: الناس مخابر، وليسوا بمناظر أى الإنسان بجوهره وحقيقته، وذلك ان المخبر بكشف عن سلوك الإنسان ويبدو على سيرته الذاتية بشكل واضح لا لبس فيه... فما أضمر ابن ادم شيئا الا وظهر [صفحه ۳۵۸] على فلتات لسانه وصفحات وجهه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ذلك فى نهج البلاغة «تكملوا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت طيات لسانه» فالكلمة تعرف حقيقة الإنسان وطبيعة شخصية يكون عبر توجيه بعض الاسئلة إليه ومن خلال الجواب عليها يظهر طبع شخصيتها وحقيقتها ومدى سعتها واستيعابها، وهل هى شخصية عالية ذا همة كبيرة ام لا؟ وغير ذلك من الامور المعمة، ذلك ان الكلمة التى تخرج من الفم تحمل معها صورة قائلها ونبضات قلبه، وخلجات نفسه ودخائل شخصيته، وهذه حقيقة معروفة لدى علماء النفس والتربية والاجتماع، كل ذلك نقوله لكى نهتدى إلى سواء السبيل. وعلى هذا الاساس اننا نهتدى إلى معرفة الشخصية العلمية والفكرية بها سلام الله عليها من خلال عدة امور مهمة ومن خلالها نعبر إلى شخصيتها وندخل فى فهم حقيقتها وهذه الامور هى:

يمكن معرفة شخصيتها...

يمكن معرفة شخصيتها يمكن معرفة شخصيتها من خلال سيرتها الذاتية التى يرويها لنا أهل البيت عليهم السلام والاقربون من ذويها، ذلك لأنّ أهل البيت ادرى بما فيه وأه مكة ادرى بشعابها كما يقول المثل. إذ ان هناك امور فى الحياة صحيحة وثابته وفق مقاييس

العقل والبرهان ولا تحتاج إلى اثبات اثبات احقيتها واصحيتها إلى دليل من الخارج ولا تحتاج إلى اثبات صحة دعواها ايضا إلى شاهد فدليلها مستمد منها، ومن هذهالامور الثابتة فى حيات الإنسان الكامل «فاطمة الزهراء» هى سيرتها الذاتية التى تثبت من خلالها معرفتها الحقيقية فهذه السيرة هى السبيل الصحيح للوقوف على حياتها عليها السلام. فهى الضابط والمعاير الصحيح للحكم عليها من خلالها. فالإنسان لايعرف المعرفة الصحيحة إلّا من خلال هذه السيرة على وجه الدقة اما بقية المسائل الاخرى فى حياة المسائل الاخرى فى حياة الإنسان من الشعارات والاطروحات والادلة والشواهد وغير ذلك لاتمثل سوى الجانب النظرى من حياة الإنسان الشخصية، ومدى صدق هذه الدعوى [صفحه ۳۵۹] فهى متروكة للجانب التطبيقى فى حياته، اذن السيرة الذاتية الصديقة الطهرة تمثل جانب تطبيقى من حياتها الشخصية على كافة المستويات، ولا نريد الوقوف مع السيرة الذاتية لفاطمة عليها السلام فى هذا الكتاب بصورة تفصيلية حيث قد اعطينا بعض النماذج للسيرة الذاتية له فى نفس هذا الكتاب هذه النماذج، على شكل امور متناثرة فى طيات البحوث فلانقف تفصيليا معها هنا.

يمكن ان نعرف شخصيتها...

يمكن ان نعرف شخصيتها من خلال مواقفها لأنّ الموقف عمل والعمل ماهو إلّا انعكاس لطبيعة شخصية الفرد وهذا ما اثبته التاريخ الاسلامى لفاطمة عليها السلام حيث اخبرنا بمواقفها الفذة فى جميع الحالات التى مرت بها. فعندما كانت قريش تؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتتعرض له بأنواع المواجهة كانت الزهراء عليها السلام تقف إلى جانبه صابرة محتسبة، فيدخل إلى البيت وقد حثى الكافرون التراب على رأسه الشريف، فتستقبله الزهراء عليها السلام وتغسل التراب عن رأسه وهى باكية، فيقول لها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبكى فان الله نصار أباك، وعندما رمى أبو لهب رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم بروث البقر اندفعت فاطمة عليها السلام لتذب عن أبيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتسمع ابا لهب من الكلام ما يتوقف خلاله من الاندفاع بالسخرية برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كما انها عليها السلام التحقت بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته إلى المدينة مجازفة بحياته ومضحية، بروحها فى سبيل نصر الاسلام واعزاز مبادئه المثلى، ولا يمكن ان يغفل دورها فى الوقوف إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام دعوته المباركة، تؤنسه وتزيح عنه الهموم والآلام، وتعيد البسمة إلى وجهه المبارك اذا اشتدت عليه الخطوب. اضف إلى مواقفها الرسالية ايام الحروب وهى صغيرة السن بعد، ففى معركة أحد تكسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويشج جبينه، فتقبل الزهراء عليها السلام لتغسل وجهه، وتزيل الدماء عن محياه،وتعالج نزيف جراحاته، فقد جاء فى صحيح مسلم: «قال سهل بن سعد: جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة عن رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغسل الدم، وكان على بن أبى طالب [صفحه ۳۶۰] يسكب عليها بالمحن، فلما رأت فاطمة ان الماء لايزيد الدم إلّا كثرة، اخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم». ونقل ابى نعيم فى (حلية الأولياء) عن أبى ثعلبة انه قال: «قدم رسول الله من غزاة له، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم خرج فأتى فاطمة عليها السلام فبدأ به قبل بيوت ازواجه، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وجعلت تقبل عينيه ووجهه وتبكى» والاعجب من ذلك ان فاطمة عليها السلام كانت تهيء لابيها صلى الله عليه وآله وسلم السلاح فى المعركة التى جرت فى اليوم القادم. وفى معركة الخندق تقبل على ابيها بأقراص من الخبز معدودة بعد ان بقى اياما بلا طعام، فجاء فى ذخائر العقبى: «روى عن على عليه السلام فى حفر الخندق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فاطمة عليها السلام جاءت إليه بكسرة من خبزٍ فرفعتها إليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لابنتى جئتك منه بهذه الكسرة. فقال: يابنية اما انها لاول طعام دخل فى فم أبيك منذ ثلاث». وفى الفتح المبين نرى الزهراء عليها السلام تضرب لا بيها صلى الله عليه وآله وسلم خيمة وتهيء له طعاما ليستحم ويغتسل حتى يزول عن جسده المبارك غبار الطريق، ويرتدى ثيابا نظيفة يخرج بها لإلى المسجد الحرام، ومن موقع الامومة وكونها زوجة وفية مخلصة لعلى عليه السلام نرى انها

عليها السلام زهدت فى الدنيا وترفعت عن الدنيا، ولم يكن لها من هم إلاّ تحمل المسؤولية الالهية بجدارة واستحقاق وتجسيد الصفات الالهية كأمثل ما يكون. فيروى ان علياً عليه السلام قد اشترى لها عقدا عليها السلام من اموال الفيء، وتقلدته الزهراء عليها السلام وتقبلت هذه الهدية من زوجها بسرور، وبينما هى متقلدة ذلك واذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتى لزيارتها، فسلمت عليه وسلم عليها، إلاّ انها وعلى غير المعتاد رأت مسحة من الحزن يقولون ابنة محمد تلبس لباس الجابرة، ويوصيها ا تذخر ذلك لاخرتها لتكون اسوة فى الزهد ومثالا للايثار والقناعة، فتنزع الزهراء عليها السلام ذلك العقد وتتصدق بثمنه فى سبيل الله وهى مليئة بالرضا والقناعة. ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل يوما على فاطمة عليها السلام فيراها قد علقت سترا على احد الأبواب لتزين الدار، فيتألم رسول الله عليها السلام لذلك ويقول لابنته: «انى لا احب ان يأكل أهل بيتى طيباتهم فى حياتهم الدنيا». فتبادر الزهراء عليها السلام من حينها للقيام ونزع الستر ممتثلة اوامر أبيها، ومن اورع امثلة [صفحه ۳۶۱] للايثار ماطفحت به كتب الحديث والتفسير من تقديم الزهراء عليها السلام وزوجها وولديها لطعامهم لثلاثة ايام متوالية لمسكين ويتيم واسير وبقائهم جياعا طيلة هذه المدة قربة لوجه الله الكريم، فنزل بشأنهم: (ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد الله ويفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا، انم نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءا ولا شكورا). ومن المواقف التى خلدت من خلالها الزهراء عليها السلام الزهد والايثار والقناعة انها عليها السلام قد طلبت من ابيها صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون مهرها الشفاعة للمذنبين من امته يوم القيامة، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخبرا اياه بتلبية الله تعالى لطلب فاطمة عليها السلام وبما ان درع على عليه السلام كان المهر التقليدى لفاطمة عليها السلام فان اغلى قيمة ذكرت لذلك الدرع هى خمسمائة درهم [۵۲۴] .

و تستطيع معرفة فاطمة و شخصيتها...

وتستطيع معرفة فاطمة وشخصيتها الربانية من خلال نور كلامها الشريف الذى هو عبارة عن صورة حقيقية والنعكاس صادق لشخصيتها الالهية، فمن خلال اقوالها وكلماتها نستطيع ان نستدل عليها، ونكتشف حقيقتها فى سهولة ويسر وبساطة، ولقد تجلت انوار كلماتها المضيئة فى مختلف أبواب العلوم والفنون كعلم الفقه والاخلاق وسائر العلوم الاخرى التى تكلمت فيها، او عه عنها على اختلاف انواعها من علوم رتيبة او غريبة ظاهرة او باطنة، نقلية او عقلية، علمية او ادبية انسانية او طبيعية الهية او دنيوية فانها سلام الله عليها قد كشف القناع عن الكثير من الأسرار التى تخص هذا الوجود وبينت الكثير من عجائبه وفى كل ذلك نستطيع ان نلتمس منه وفيه شيئا يسيرا م معرفتها سلام الله عليها اما انوار كلامها فهذا ما بينته الكثير من الكتب الروائية التى نقلت لنا بين طياتها احاديثها وعد ذاتها احرازها وادعيتها وولايتها وغير ذلك فراجع المطويات للاطلاع والوقوف على هذه الأنوار الفاطمية. [صفحه ۳۶۲] قصيدة للشيخ المنصورى لك ذكرى تمر فى كل عام وعليها تمر مر الكرام هى ذكرى لها نقيم احتفالا بابتهاج وفرحة وابتسام هى ذكرى ولادة سرّ فيها سيد المرسلين خير الانام بصبوح يشع فى الكون شمسا لا كشمس الضحى وبدرالتمام هى شمس والشمس ياصاح فيها ان تقسمها فمالها من مقام هى شمس الهدى وشمس المعالى وهى احرى بالذكر والاحترام من سواها فخلنى وسرورى لحظات بعد الدموع السجام ان قلبى من الهموم مليء ومليء من الخطوب الجسام ثم أمسى خلى بال طروبا راقدا بين، نايه، والمدام ان ضرب الامثال فى مثل هذا هو ضرب، ومن فضول الكلام فالتزامى بحب آل رسول الله يغنى عن البيان التزامى فمصاب الزهراء روحى فداها هو فى وسط قلبى المستظام والحسين الشهيد فى الطف ليلا يتراءى لمقلتى فى المنام فكأن السيوف تنهل منه نصب عينى والظالمون امامى هو مرمى فوق الصعيد ومرمى بعد وخز الضبا لرشق السهام فساحا ام الحسين اذا ما شط بى مزبر الشجاء عن مرامى وطأة الرزء أثقلتنى فراحت دون قصد تخطه

أقـــلامی عـــلمتها انـــاملی ان تـــطیل القـــول فـــی وذم اللـــئام فـــعلیک الســـلام مـــنی یـــتری ان تـــفضلت فـــی قـــبول ســـلامی یـــا ابـــنة المـــصطفی ویـــا خـــیر ام لبـــنی المـــرتضی الهـــداة الکـــرام امـــنحینا بـــنظرة مـــنک فـــضلا فســـماها مـــلبد بـــالظلام انت بـــاب النـــجاة مـــنک فـــضلا فادفعی الســـوء عـــن ربـــی الاســـلام واحـــرسینا مـــن خـــصنا بـــدعاء هـــو امـــضی مـــن الف الف حســـام [صفحه ۳۶۳]

المعرفة النورانیة لها

وذلک بالاطلاع علی حقیقة نورها سلام الله علیها والمبدأ الذی منه انحدر وفیه علا ذلک النور، ویمکن مراجعة الکثیر من الروایات الواردة فی المقام لکی تعرف هذه المعرفة النورانیة لها والتی هی کفوا لعلی علیه السلام والذی یقول هو نفسه علیه السلام عندما سأله أبوذر الغفاری وسلمان رضوان الله علیهما عن معرفته بالنورانیة فقال علیه السلام. «انه لا یستکمل احد الإیمان حتی یعرفنی کنه معرفتی بالنورانیة فاذا عرفنی بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للایمان وشرح صدره اللاسلام وصار عرافا مستبصرا ومن قصر عن معرفة ذلک فهو شاک مرتاب. یا سلمان ویا جندب، قالا: لبیک یأ أمیر المؤمنین، قال علیه السلام: معرفتی بالنورانیة معرفة الله عزوجل، معرفة الله عزوجل، ومعرفة الله عزوجل ومعرفتی بالنورانیة وهو الدین الخالص الذی قال الله تعالی: (وما امروا إلّا لیعبدوا الله مخلصین له حنفاء ویقیمون الصلاة ویؤتوا الزکاة وذلک دین القیمة). إلی ان یقول علیه السلام: (یا سلمان ویا جندب، قالا: لبیک صلوات الله علیک، قال علیه السلام: أنا أمیر کل مؤمن ومؤمنة ممن مضی وممن بقی، وایدت بروح العظمة، وانما انا عبد من عبید الله لا تسمونا اربابا وقولوا فی فضلنا ماشئتم فانکم لن تبلغوا من فضلنا کنه ما جعله الله لنا، ولا معشار العشر». وهذا یؤیده علی ما ورد فی الزیارة الجامعة الکبیرة «من عرفکم فقد عرف الله» ای ان معرفتکم من شأنها ان تؤدی إلی معرفة الله تعالی لانهم هم الدالین علیه تعالی لذا ورد فی الحدیث عن جابر عن عبدالله الأنصاری یقول: «سمعت ابا جعفر علیه السلام یقول: انما یعرف الله عزوجل ویعبده من عرف وعرف امامه منا أهل البیت وعن لا یعرف الله عزوجل ولا یعرف الإمام منا أهل البیت فانما یعرف ویعبد غیر الله هکذا والله ضلالا» [۵۲۵] . اذن معرفة فاطمة بالنورانیة [صفحه ۳۶۴] کمعرفة علی علیه السلام بالنورانیة «نحن أهل البیت عجنت طینتنا بید العنایة بعد رش علینا فیض الهدایة ثم خمرت بخمیرة النبوة وسقیت بماء والوحی ونفخ فیها روح الأمر فلا أقدامنا تنزل، ولا أبصارنا تضل، ولا أنوارنا تفل، واذا ضللنا فمن بالقوم یدل». الناس من شجرة شتی وشجرة النبوة واحدة محمد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم اصلها وانا فرعها وفاطمة الزهراء ثمرها، والحسن والحسین اغصانها، أصلها نور وفرعها نور وثمرها نور، وغصنها نور، یکاد زیتها یضیء ولو لم تمسسه نار، نور علی نور» [۵۲۶] . علی ان هناک مراتب عدیدة للمعرفة فهی کلی مشکک له مراتب طولیة وعرضیة وقد قسموها إلی: ۱ ـ المعرفة البرهانیة: والتی تکون بالدلیل العقلی ۲ ـ المعرفة الإیمانیة: والتی تکون بالدلیل النقلی من الکتاب والسنة. ۳ ـ المعرفة الشهودیة: والتی تکون بالاشراف والکشف والشهود بالقلب. ولقد أضاف الیها سیدنا الاستاذ آیة الله السید عادل العلوی (دام ظله) تقسیماً آخر کما یلی: ۱ ـ المعرفة الجلالیة: وهی تعنی معرفة الشیء فی حدوده وشکله الهندسی کمعرفة الجبل من بعید. ۲ ـ المعرفة الجمالیة: وهی تعنی معرفة الشیء من باطنه وجوهره. ۲ ـ المعرفة الکمالیة: وهی تعنی الوقف علی هدف الشیء وغایته. [صفحه ۳۶۹]

فاطمة و لیلة القدر

للشیخ محمد علی الیعقوبی ولقد یعز علی رسول الله ماجنت الصحابة قد مات فانقلبوا علی الاعقاب لم یخشوا عقابه منعوا البتولة ان تنوح علیه او تبکی مصابه نعش النبی أمامهم ووراءهم نبذوا کتابه لم یحفظوا للمرتضی رحم النبوة والقرابة لو لم یکن خیر الوری بعد النبی لما استنابه قد اطفأوا نور الهدی ضرباً بحضرته المهابة وعدوا علی بنت الهدی ضرباَ بحضرته المهابة فی أی حکم قد أباحوا ارث فاطم واغتصابه بیت النبوة بیتها شادت ید الباری قبابه

اذن الاله برفعه والقوم قد هتكوا حجابة بأبى وديعة احمد جرعاً سقاها الظلم صابه عاشت معصبة الجبين تئن من تلك العصابة حتى قضت وعيونها عبرى ومهجتها مذابة وأمضّ خطب فى حشا الاسلام قد اورى التهابة بالليل واراها الوصى وقبرها عفى ترابه [۵۲۷] . فاطمة وليلة القدر «من عرف فاطمة حق معرفتها فقد ادرك ليلة القدر وانما سميت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها...». فى فاطمة الزهراء عليها السلام سر مستودع كما تقدم ذلك فى حديثنا حول هذا الموضوع ـ أى السر الستودع ـ وايضا فى ليلة القدر سر عظيم لا ـ يعرفه إلّا المقربون الذين امتحن الله قلوبهم للايمان والتقوى، فليلة القدر رفعها البارى عزوجل وجعلها خيراً من الف شهر وفيها تشويق لذيذ لمعرفة ذلكم السر المكنون فى اعماقها، (وما ادراك ماليلة القدر) حيث خاطب الله تعالى المؤمنين فى ضمائرهم لكى يحرك فيهم أمواج المعرفة عبر وسائل العلم والوعى ولتنفتح لهم اسرار ليلة القدر بالتمعن والتدقيق فيها، على ان معرفة ليلة القدر تفوق الادراك البشرى العادى أى انها تفوق ادراك سائر الناس من السواد الاعظم فانه لابد ان يكون فيها سر عظيم، والسر تقتضى معرفته استيعابا كاملا لمعنى ليلة القدر والغاية التى نزلت ليلة القدر من اجلها ولا جل تحقيقها فى الأرض. وعلى هذا الاساس لابد من معرفة الاساس الذى بنى عليه الحديث الذى ذكرناه فى أول بحثنا حول علاقة معرفة فاطمة عليها السلام بليلة القدر فانه لابد من وجود الترابط فى هذا الموضوع المهم، ففاطمة فيها سر مستودع وكذلك ليلة القدر فيها سر مكنون، فمن عرف فاطمة والسر المستودع فيها عرف سر ليلة وعظمتها، فليلة القدر عظيمة كعظمة فاطمة عليها السلام لذا كانت مجهولة فى اثباتها ودقتها من حيث الزمان لمختص بليالى شهر رمضان. على ان عرف فاطمة فقد ادرك ليلة القدر هذا كونه ناتج عن معرفة فاطمة التى [صفحه ۳۷۰] تجعلنا ندرك الاسلام ونستوعب اهمية ليلة القدر من خلال هذه المعرفة، ولقد طرح الكثير من العلماء أوجه للشبه بين ليلة القدر وفاطمة عليها السلام [۵۲۸] ومنها: – ليلة القدر وعاء وظرف زمانى لنزول كل القرآن الكريم (إنا أنزلناه فى ليلة القدر)، (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين)، لا يأتيه الباطل من بين يديه، وفيه كل شىء، وتبيان كل شىء، وسعادة الدراين. وكذلك الحوراء الانسية فاطمة الزكية، فان قلبها ظرف مكانى وروحانى، وصدرها وعاء الهى للقرآن الكريم والمصحف الشريف، وانها كانت محدثة تحدثها الملائكة، فهى وعاء للامامة وللمصحف الشريف. – وفى ليلة القدر يفرق كل أمرٍ أحكمه الله خلال السنة، فيفرق ما يحدث فيها من الامور الحتمية وغيرها، وينزل بها روح القدس على ولى العصر والزمان وحجة الله على الخلق الذى بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، وان الإيمان بليلة القدر فارق بين المؤمن والكافر. كذلك بفاطمة الزهراء الطيبة الطاهرة المطهرة يفرق بين الحق والباطل، والخير والشر، والمؤمن والكافر، وقد ارتد الناس فى العمل وفى الولاية بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ـ ثلاث. أو خمس أو سبع، وفيهم سيدة النساء فهم على حق، وغيرهم استحوذ عليهم الشيطان فاغرهم وأضلهم فكانوا أئمة الضلال. – وفى ليلة القدر معراج الأنبياء والأولياء إلى الله سبحانه فيزاد فى علمهم اللدنى والربانى ويكسبوا من الفيض الاقدس الالهى. كذلك ولاية فاطمة المعصومة النقية التقية، فهى مرقاة لوصولهم إلى النبوة ومقام الرسالة والعظمة الشموخ الانسانى والروحانى، فما تكاملت النبوة لنبى حتى أقر بفضلها ومحبتها وذلك فى عالم (ألست بربكم) أو فى عالم الذر أو عالم الانوار أو الارواح أو النشأة الإنسانية التى وراء نشأتنا هذه، وهذه انما هى صورة لتلك كما عند بعض الاعلام. ففاطمة، الزهراء قطب الأولياء والعرفاء ومعراج الأنبياء والأوصياء، صدرها خزانة [صفحه ۳۷۱] الأسرار، ووجودها ملتقى الانوار، فهى حلقة الوصل بين أنوار النبوة وأنوار الإمامة، فأبوها محمد رسول الله، وبعلها على وصيه وخليفته امام المتقين وامير المؤمنين، ومنها أئمة الحق والرشاد وأركان التوحيد وساسة العباد. – وليلة القدر خير من الف شهر فيضاعف فيها العمل والثواب كل واحدٍ بألف، فالتسبح والتمجيد والتهليل والتكبير والصلاة وكل عمل كل واحد بالف، فكذلك محبة الزهراء وولايتها يوجب مضاعفة الاعلمال فان تسبيحها (۳۴ مرة الله اكبر و۳۳ مرة الحمد الله و۳۳ مرة سبحان الله) بعد كل صلاة واجبة او نافلة يجعل كل ركعة بألف ركعة كما ورد فى الخبر الشريف. فمودتها هى الاكسير الاعظم، يجعل من كان معدنه الحديد ذهباً، وان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فمن والادها واحبها وأطاعها واطاع ابنائها الاطهار، وعادى عدوها واعداء ذريتها، فانه يكون كالذهب المصفى وباقى الناس كلهم التراب، وان الله يضاعف الاعمال بحبها كما

تضاعف فی لیلة القدر، وامتازت لیلة القدر عن کل لیالی السنة بالخیر والبرکة والشرافة والعظمة وعلو الشأن والرفعة، کذلک خیر نساء الاولین والاخرین فاطمة الزهراء علیها السلام فهی خیر أهل الأرض والسماء عنصرا وشرفا وکرامة بعد ابیها الرسول المصطفی وبعلها الوصی المرتضی. - ولیلة القدر لیلة مبارکة (انا انزلناه فی لیلة مبارکةٍ)، والبرکة بمعنی النماء والزیادة والخیر المستمر والمستقر الدائم والثابت وما یأتی من قبله الخیر الکثیر، ومن ألقاب فاطمة الزهراء انها (المبارکة) ففیها کل برکات السماوات والأرض، فهی الکوثر فی الدنیا والاخرة، وهی المنهل العذب والمعین الصافی لکل فی اراد البرکة، فما ادراک ما فاطمة، خیر من الوجود بعد أبیها وبعها. ولو کن النساء کمثل هذه لفضلت النساء علی الرجال ولا التأنیث لاسم الشمس عار ولا التذکیر فخر للهلال وقال آخر: هی مشکاة نور الله جل جلاله زیتونة عم الوری برکاتها فهی الکوثر، والکوثر، الخیر الکثیر (انا اعطیناک الکوثر)، ومنها ذریة الرسول [صفحه ۳۷۲] الاکرم، وعدم انقطاع نسله إلی یوم القیامة، وفی وصف النبی، انما نسله من مبارکة لها بیت فی الجنة لا صخب فیه ولا نصب، والعبادة فی لیلة القدر تکون منشأ للفیوضات الالهیة، والکمالات الربانیة والفیوضات القدسیة، والبرکات السماویة، کذلک التوسل بفاطمة الزهراء فهی منشأ البرکات والخیرات، ونزل القرآن الکریم وهو النور والفرقان والبیان والتبیان فی لیلة القدر، فلیلة القدر نزول النور الالهی، وفاطمة الزهراء علیها السلام هی نور الله، وهی الکوکب الدری، کما جاء ذلک فی تفسیر آیة النور فی قوله تعالی: (الله نور السماوات والأرض مثل نوره کمشکاة فیها مصباح المصباح فی زجاجة الزجاجة کانها کوکب دری یوقد شجرة مبارکة زیتونة لا شرقیة ولا غربیة یکاد زیتها یضیء ولو لم تمسسه نار نور علی نور الله یهدی لنوره من یشاء) [۵۲۹] . عن موسی بن القاسم عن علی بن جعفر قال: سألت ابا الحسن ـ الإمام الکاظم علیه السلام ـ عن قول الله عزوجل (کمشکاة فیها مصباح)، قال: المشکاة فاطمة والمصباح الحسن والحسین. (کانها کوکب دری) قال: کانت فاطمة کوکباً دریا من نساء العالمین. (یوقد من شجرة مبارکة)، الشجرة المبارکة ابراهیم (لا شرقیة ولا غربیة)، لا یهودیة ولا نصرانیة (یکاد زیتها یضیء) قال: یکاد العلم ان ینطق (ولو لم تمسسه نار نور علی نور)، قال: یهدی الله عزوجل لولایتنا من یشاء [۵۳۰] . عن فاطمة الزهراء سلام الله علیها: اعلم یا أبا الحسن ان الله تعالی خلق نوری وکان یسبح الله جل جلاله، ثم ادعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت، فلما فلما دخل ابی الجنة اوحی الله إلیه الهاما ان اقتطف الثمرة من تلک الشجرة وادرها فی لهواتک، ففعل، فأوعنی الله سبحانه صلب ابی صلی الله علیه وآله وسلم ثم اودعنی خدیجة بنت خویلد فوضعتنی، وانا من ذلک النور اعلم ما کان وما یکون وما لم یکن، یا أبا الحسن المؤمن ینظر بنور الله تعالی [۵۳۱] وما أروع ما یقوله الشاعر: [صفحه ۳۷۳] مشکاة نور الله جل جلاله زیتونة عم الوری برکاتها هی قطب دائرة الوجود ونقطة لما تنزلت اکثرت کثراتها هی أحمد الثانی واحمد عصرها هی عنصر التوحید فی عرصاتها ویقول المحقق العلامة الشیخ محمد باقر صاحب (الخصائص الفاطمیة) فی کتابه: سبحانک اللهم یا فاطر السماوات العلی وفالق الحب والنوی، انت الذی فطرت اسما من اسمک واشتقته من نورک، فوهبت اسمک بنورک حتی یکون هو المظهر لظهورک، فجعلت ذلک الاسم اصل لجملة اسمائک وذلک النور ارومة لسیدة امائک، ونادیت بالملا الاعلی: أنا الفاظر وهی فاطمة، وبنورها ظهرت الاشیاء من الفاتحة إلی الخاتمة، فاسمها اسمک ونورها نورک وظهورک ظهورها، ولا اله غیرک، وکل کمالٍ ظلک وکل وجود ظل وجودک، فلما فطرتها فطمتها عن الکدورات البشریة واختصصتها بالخصائص الفاطمیة، مفطومة عن الرعونات العنصریة، ونزهتها عن جمیع النقائص مجموعة من الخصائص الفاطمیة، مفطومة عن الرعونات العنصریة، ونزهتها عن جمیع النقائص مجموعة من الخصائل المرضیة بحیث عجزت العقول عن ادراکها، والناس فطموا عن کنه معرفتها، فدعا الاملاک فی الافلاک بالنوریة السماویة وبفاطمة المنصورة... ام السبطین واکبر حجج الله علی الخافقین، ریحانة سدرة المنتهی وکلمة التقوی والعروة الوثقی وستر الله المرخی والسعیدة العظمی والمریم الکبری والصلاة الوسطی والانسیة الحوراء التی بمعرفتها دارت القرون الاولی. وکیف احصی ثناها وان فضائلها لا تحصی وفواضلها لا تقضی، البتول العذراء الحرة البیضاء ام ابیها وسیدة شیعتها وبنیها، ملکة الأنبیاء الصدیقة فاطمة الزهراء علیها سلام الله [۵۳۲] . - وکثیر من الناس ادرکتهم السعادة فی لیلة القدر، فهی لیلة السعادة، وکذلک السیدة فاطمة الزهراء فهی سر السعادة، ومحبتها ومعرفتها

والاقتداء بها واطاعتها ونصرتها يوجب السعادة الابدية، ويحلق الإنسان فى آفاق الكمال ويسبح فى يم الجلال. وكم من شاهد وقصة تدل على ان هناك من ادركتهم السعادة ببركة فاطمة الزهراء عليها السلام، كما الله هدى ذلك المجوسى وأهل بيته إلى الاسلام فاسلموا جميعا لما [صفحه ۳۷۴] اكرم العلوية التى جاءت إليه تشكو حالها، كما يحدثنا بذلك العلامة المجلسى قدس سره فى كتابه القيم (بحار الانوار ۹۳: ۲۲۵ ـ ۲۳۶)، فراجع. ان الله سبحانه جعل حريماً لكل امر مقدس ومعظم، فانه لا صلاة إلّا بطهور وتكبيرة الاحرام، وان الحجر الاسود ومكة المكرمة جعل لها حرما، فلا يدخلها إلاّ من كان محرما، وقد حرم على نفسه الملاذ، كالنساء واستعمال الطيب ولبس المخيط وطلب الراحة كالاستظلال، فكان الحجر الاسود مواقعيت، وتقدست بقعة من الأرض لاجله، ولأنّ مكة المكرمة والكعبة المعظمة مهبط الوحى ونزول الرسالة المحمدية السمحاء المتمثلة بالقرآن الكريم، والكعبة المعظمة مهبط الوحى ونزول الرسالة المحمدية السمحاء المتمثلة بالقرآن الكريم، فمكة المكرمة مكان نزول القرآن وليلة القدر زمان نزوله، وصار للكعبة حرما اثر عظمة الوحى، وكذلك شهر رمضان، فانه نزل القرآن كله فى ليلة قدره، ولكن سرت القداسة والتكريم والتعظيم إلى ان كل ايام وليالى الشهر، بل تشرف ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن فأقسم به الله فى سورة العصر، كمما أقسم بالمكان الذى نزل فيه الوحى (لا اقسم بهذا البلد) فشعاع الوحى والقرآن الكريم قد نور ميدانا وسيعا فى الزمان والمكان. فما تقدس عند ربك الاكرم الذى علم الإنسان مالم يعلم، فانه يكون له حريم مقدس وتوابع مقدسة، كليلة القدر بشرفها تشرفت ليالى شهر رمضان وايامه، وكذلك فاطمة الزهراء تقدست عند ربها، فوجب اجلالها واكرامها، بل وينبغى تعظيم ذريتها ومودتهم وتكريمهم، فانه الف عين لاجل عين تكرم، فوجب على كل مسلم اكرام السادة والذرية الطيبة، من ولد فاطمة الزهراء وعلى المرتضى عليهما السلام، فالصالح منهم يكرم الله والطالح منهم لرسوله وعترته. ان الله سبحانه وتعالى قد دعا عباده لضيافتهم العامة فى شهر رمضان المبارك، فالصائم وافد على الله وضيفه ولكل ضيف قرى، وقرى الله الاعتاق من النار ودخول الجنة، وان الله ليغفر لعباده الصائمين ويعتق الرقاب من جهنم فى الشهر كله، فانها خير من الف شهر، كما جاء نص ذلك فى الأخبار، وفاطمة الزهراء عليها السلام سميت فاطمة، لانها تفطم شيعتها من النار، وتعتق رقابهم وتدخلهم الجنة (ومن زحزح عن [صفحه ۳۷۵] النار، وادخل الجنة فقد فاز) [۵۳۳] . عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انما سميت ابنتى فاطمة لأنّ الله فطمها وفطم محبيها عن النار [۵۳۴] . قال النبى: انما سميت فاطمة ابنتى لأنّ الله فطمها ومحبيها عن النار [۵۳۵] وانفردت ليلة القدر بعظمتها وشموخها من بين ليالى السنة، فليس لها مثيل ولا نظير، فهى سيدة الليالى والأيام. وفاطمة الزهراء عليها السلام لا مثيل لها بين النساء، فهى سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين فى الدنيا والاخرة، ولو لا امير المؤمنين على المرتضى عليها السلام لما كان لها كفؤ من الرجال آدم ومن دونه، وهذا مانصت علهى الأخبار الشريفة عند الفريقين السنة والشعية، ذات الله سبحانه سر لا يعلمه إلّا هو، وله فى خلقه اسرار لا يعلمها إلّا هو ورسوله والراسخون فى العلم من عترة النبى الهادى المختار عليهم السلام. وليلة اقدر سر من اسرار الله، وفاطمة الزهراء عليها السلام عصمة الله وسر من اسراره العظمى، لا يعرف حقيقتها ومقامها الرفيع وآياتها الباهرة إلّا الله ورسوله وأهل بيته الاطهار عليهم السلام، فهى سر فى وجودها وفى ولادتها وحياتها ورحلتها إلى جوار ربها. وليلة القدر قد جهلها الناس من حيث الليالى ومن حيث القدر والمنزلة فقطعوا وفطموا عن معرفتها، كذلك البضعة الاحمدية والجزء المحمدى فهى مجهولة القدر (وانما سميت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها)، كما جهل قدرها اولئك الكفرة احرقوا بابها وكسروا ضلعها واسقطوا جنينها وغصبوا فدكها وحقها، ولم ينصروها فخفى على الناس مقامها وقدرها حتى قبرها الشريف وتأريخ وفاتها، ليكون شاهدا فى التأريخ على مظلوميتها وشهادتها ومظلومية بعلها (اللهم العن اول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك). عن مجاهد: خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيد فاطمة فقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد، وهى بضعة منى وهى قلبى وهى روحى التى [صفحه ۳۷۶] بين جنبى من آذاها فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله [۵۳۶] ومن اذى الله لعنه الله ملأ السماوت والأرض [۵۳۷] ومن طرق العامة، عن نصر بن مزاحم، عن زياد بن المنذر، عن زادان، عن سلمان، قال: قال النبى: يا سلمان، من احب فاطمة بنتى فهو فى

الجنة معی ومن ابغضها فهو فی النار، یا سلمان، حب فاطمة ینفع فی مائة من المواطن، ایسر ذلک المواطن الموت والقبر والمیزان والمحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضیت عنه ابنتی فاطمة رضیت عنه ومن رضیت عنه رضی الله عنه، ومن غضبت علیه غضبت علیه، ومن غضبت علیه غضب الله علیه، یال سلمان، ویل لمن یظلمها ویظلم بعلها امیر المؤمنین علیا وویل لمن یظلم ذریتها وشیعتها [۵۳۸] . وأخیراً نختم هذا الموضوع بحدیث ورد فی معرفة لیلة القدر وما الذی یفرق فی هذه اللیلة حیث جاء عن زرارة عن حمران قال: «سألت ابا عبدالله عما یفرق فی لیلة القدر هل هو ما یقدر سبحانه وتعالی فیها؟ قال: لا توصف قدرة الله تعالی إلّا أنه قال فیها یفرق کل امر حکیم فکیف یکون حکیما إلّا ما فرق ولا توصف قدرة الله سبحانه لانه یحدث ما یشاء واما قوله «خیر من ألف شهر» یعنی فاطمة فی قوله تعالی «تنزل الملائکة والروح فیها» والملائکة فی هذا الموضع المؤمنون الذین یملکون علم آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم والروح روح القدس وهی فاطمة علیها السلام «من کل امر سلام» یقول کل امر سلمه حتی یطلع الفجر یعنی حتی یقوم القائم «عج» [۵۳۹] . [صفحه ۳۷۹]

فلسفة اسماء فاطمة الزهراء

اشاره

الشیخ صالح الکواز هل بعد موقفنا علی یبرین أحبی بطرفٍ بالدموع ضنین وإذٍ إذا عاینت بین طلوله أجریت عینی للظباء العین لم تخب نار قطینةٍ حتی ذکت نار الفراق بقلبی المحزون وابتاع جدّته الزمان بمخلق ورمی حماه بصفقةٍ المغبون قال الحداة وقد حبست مطّیهم من بعدما أطلقت ماء شؤونی ماذا وقوفک فی ملاعب خرّدٍ جدّ العفاء بربعها المسکون وقفوا معی حتی إذا ما استیأسوا خلصوا نجیّاً بعدما ترکونی فکأنّ یوسف فی الدیار محکم وکأننی بصواعه اتهمونی ویلاه من قوم أساؤوا صحبتی من بعد إحسانی لکلّ قرین قد کدت لولا الحلم من جزعی لما ألقاه أصفق بالشمال ویمینی لکنّما والدهر یعلم أننی ألقی حوادثه بحلم رزین قلبی یقل من الهموم جبالها وتسیخ عن حمل الرداء متونی وأنا الذی لا أجزعن لرزیةٍ لولا رزایاکم بنی یاسین تلک الرزایا الباعثات لمهجتی ماالیس یبعثه لظی سجّین کیف العزاء لها وکلّ عشیةٍ دمکم بحمرتها السماء ترینی والبرق یذکرنی ومیض صوارم أردتکم فی کفّ کلّ لعین والرعد یعرب عن حنین نسائکم فی کلّ لحنٍ للشجون مبین یندبن قوماً مأهتفن بذکرهم إلّا تضعضع کلّ لیث عرین السالبین النفس أول ضربةٍ والمبلسین الموت کلّ طعین لا- عیب فیهم غیر قبضهم اللّوا عند اصطکاک السمر قبض ضنین سلکوا بحاراً من دماء أمیةٍ بظهور خیلٍ لا بطون سفین [صفحه ۳۸۰] ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتکوا نصباً بیوم بالردی مقرون حتی إذا التقمتهم حوت القنا وهی الأمانی دون خیر أمین نبذتهم الهیجاء فوق تلاعها کالنون ینبذ بالعرا ذا النون خذ فی ثناثهم الجمیل مقرضاً فالقوم قد جلّوا عن التأبین هم أفضل الشهداء والقتلی الأولی مدحوا بوحیٍ فی الکتاب مبین لیت الکواکب والوصی زعیمها وقفوا کموقفهم علی صفین بالطفّ کی یروا الأولی فوق القنا رفعت مصاحفها إتقاء منون جعلت رؤوس بنی النبّی مکانها وشفت قدیم لواعجٍ وضغون الواثبین لظلم آل محمدٍ ومحمد ملقیً بلا- تکفین والقائلین لفاطم آذیتنا فی طول نوحٍ دائم وحنین والقاطعین اراکة کی لا-تقیل بظلّ أوراقٍ لها وغصون ومجمعی حطبٍ علی البیت الذی لم یجتمع لولا- شمل الدین والداخلین علی البتولة بیتها والمسقطین لها أعزّ جنین والقائدین إمامهم بنجاده والطهر تدعو خلفهم برنین خلوا ابن عمی أو لأکشف للدعا رأشی وأشکو للإله شجونی ما کان ناقة صالحٍ وفصیلها بالفضل عند الله إلا دونی ورنت الی

القبر الشريف بمقلةٍ عبى وقلبٍ مكمدٍ محزون نادت وأظفار المصاب بقلبها أبناه عزّ على العداة معينى أبتاه هذا السامرىّ وعجله تبعا ومال الناس عن هرون أىّ الرزايا أتقى بتجلدٍ هو فى النوائب مذ حييت قرينى فقدى أبى أم غصب بعلى حقه أم كسر ضلعى أم سقوط جنينى أم أخذهم إرثى وفاضل نحلتى أم جهلهم حقى وقد عرفونى قهروا يتميك الحسين وصنوه وسألتهم حقى وقد نهرونى [صفحه ۳۸۱] فلسفة أسماء فاطمة الزهراء عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّ وجل: فاطمة والصدّيقة والمباركة والطاهرة والزكيّة والراضية والمرضيّة والمحدّثة والزهراء [۵۴۰] . من الأمور المهمة التى أخذت جانباً وحيزاً واضحاً فى الشريعة الإسلامية وأكد عليها الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة: من خلال أحاديثهم المباركة مسألة تسمية المولود بإسم مبارك يدل على معنى لائق وجميل وحسب ما ترتضيه النفس المؤمنة ويميل إليه الوجدان الانسانى ذلك لأنّ الإسم الذى يمنحه الأب أو الأم للمولود يكون ذو أثر كبير ومهم فى النفس الإنسانية حيث اثبتت البحوث العلمية المتأخرة التى قام بها علماء النفس والإجتماع أن للإسم أثراً بالغاً على منشأ تصرفات وسلوك الأفراد الذين يحملون ذلك الإسم، وان كانت هذه المسألة تتفاوت فى مدى تأثيرها على السلوك الفردى للإنسان من فرد إلى آخر إلا أنه فى النتيجة النهائية يترك بعض الآثار المعينة الواضحة البرهان لذلك المعنى الذى يحمله الإسم، على أن هذه الأمور الواضحة تدرك بأدنى تأمل لدى الإنسان الواعى الفطن الذى يدرك الكثير من الحقائق المعنوية قبل أن تطرق ذهنه وسمعه. وعلى هذا الأساس نجد أن هناك تمايزاً واضحاً فى الأسماء التى تطرح وتعطى لأى فرد، حيث نجد أن الكثير م الأسماء التى حملها بعض الأفراد وان كانت ذات مغزى [صفحه ۳۸۲] لطيف وأصيل وحسن إلا أنه المسمى بها غير منزه بل أنه مثلاً يدل على خلاف اسمه، وهذا بخلاف ما نجده فى بعض الأسماء التى تحمل معنى قبيح وصاحبها ذو أصالة وأخلاق حسنة وأفعال جميلة. وهكذا نجد من خلال استقراء سيرة التاريخ فى هذا المجال أن هناك الكثير من الأسماء اللامعة والتى يشير اليها المسلمون بالبنان مثل عبد الملك وهارون الرشيد والمتوكل على الله والواثق بالله أن بينهم وبين أسماءهم وألقابهم البون الشاسع، فأسمائهم تدل على أنهم عاشوا فى ملكوت التوكل والرشد والتقوى والوثوق بالله والإعتصام به بينما السيرة الذاتية لحياتهم وشخصياتهم تدل على خلاف ذلك، فمثلاً لو طالعنا حياة هارون الرشيد ذلك الخليفة العباسى وكيف تصرف برعونة وحماقة مع الأحرار والسادة العلويين من ذرية رسول الله صلىالله عليه وآله وسلم، وخصوصا [۵۴۱] وخاصة اجرامه بحق الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام نجد ان هذا الأمر واضح وبصورة جلية، ولنعم ما قال الشاعر الكبير أبو فراس الحمدانى فى رائعته التى يقول فيها: الدين مخترم والحق مهتضم وفى آل رسول الله مقتسم إلى أن يقول... ليس الرشيد كموسى فى القياس ولا مأمونكم كالرضا ان أنصف الحكم إذا تلوا أية غنى خطيبكم قف بالديار التى لم يعفها القدم بينما إذا نظرنا إلى أهل بيت النبوة علهيم السلام نجد أن أسماءهم تدل على المعانى العالية المنال وفى نفس الوقت نرى أن السيرة الذاتية لحياتهم ومواقفهم وتصرفاتهم ذات دلالة واضحة على أسماءهم وألقابهم. فحين نقرأ سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام نجد كل ألقابه وكناه منطلقة من صفاته الأصيلة الثابتة فى أعماقه وفى جذوره المشرقة المضيئة بنور الله تعالى فهو الإمام العابد الزاهد الصادق القائد إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وهكذا فى الحسن المجتبى والحسين الشهيد والساجد والباقر عليهم السلام أجمعين. [صفحه ۳۸۳] ومن هذا المنطلق نرى أن الرسول وأهل بيته عليهم السلام قد أكدوا ومن خلال الكثير من الروايات على ضرورة تسمية المولود بخير الاسماء وافضلها وذلك لما يتركه الاسم من البصمات الواضحة والاثار الجميلة على طبيعة تصرف الفرد وعلى ضوء ذلك المعنى الذى يحمله الإسم، ولذلك جاءت الأحاديث لتؤكد على هذه المسألة وللفلسفة الرائعة لها، حيث ورد الإستحباب المؤكد على ضرورة تسمية المولود بأحسن الأسماء حيث روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يولد لنا ولد إلا سميناه محمد فإذا مضى لنا سبعة أيام فإن شئنا غيرنا وإن شئنا تركنا» [۵۴۲] . وقد أكد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على هذه التسمية بقوله: «من ولد له أربعة أولاد ولم يسمّ أحدهم بإسمى فقد جفانى» [۵۴۳] . وكان الديدن العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام على هذا الأمر والاهتمام به كل الإهتمام فهم

عليهم السلام كانوا يحثوا المسلمين على تسمية أبناءهم وبناتهم بالأسماء التالية (عبد الرحمن ـ وباقى أسماء العبودية ـ محمد، أحمد، على، حسن، حسين، جعفر، طالب، فاطمة) [۵۴۴] . وجاء التأكيد على هذه الأسماء من خلال عدة روايات أثبتت هذه المسألة المهمة كل ذلك لأجل تحصين الطفل من السخرية والإستهزاء من قبل الآخرين فى حالة تسميته بأسماء ورد فيها الكراهة مثل الحكم، خالد، مالك، حارث، ولئلا تكون سبباً للشعور بالنقص كما هو الحال فى الأسماء المستهجنة. وبعد هذه المقدمة المهمة فى مضمونها نصل إلى موضوع البحث الذى نريد الدخول فيه وهو أسماء فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وفلسفتها، فان أسمها بن البارى عز وجل وهو الواضع لهذه المعصومة الشهيدة اسمها وكما سيتبين من خلال البحث، وهنا فى هذا المقام ينقدح لدينا عدة أسئلة مهمة مرتبطة بصميم بحث أسماءها ألا وهى: ۱ ـ لماذا البارى عز وجل وضع الأسماء لفاطمة الزهراء عليها السلام؟ ۲ ـ وما فلسفة أسماءها؟ [صفحه ۳۸۴] ۳ ـ وماهية المعانى لها؟ ولم التأكيد من قبل الله تعالى على أهمية أسماء الزهراء عليها السلام؟ كل هذه الأسئلة لابد لنا من التوقف عندما والإلمام بمعرفتها من خلال مراجعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام واستظهارها وكيفية بيان معانى أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام. أما كون أسماءها من الله تعالى وهو الذى سماها بفاطمة فيوجد فى هذا المضار أحاديث كثيرة تبين هذه المنقبة لفاطمة (سلام الله عليها)، فلقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لفاطمة عليها السلام: «شقّ الله لك يا فاطمة اسماً من أسمائه، فهو الفاطر وأنت فاطمة». وجاء فى حديث عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدّثة والزهراء» [۵۴۵] . وفى حديث آخر قال أبو الحسن عليه السلام: «... فلما ولدت فاطمة سماها الله تبارك وتعالى فاطمة». أقول: فيتبين من خلال هذه الأحاديث وأحاديث أخرى أغفلنا من ذكرها لئلا يطول المقام بها إن أكثر أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام هى من وضع الله تعالى وهو الذى سماها بهذه الأسماء المباركة، ففى رواية يثبت الإمام عليه السلام أن للزهراء عليها السلام اسم واحد سماها به الله تعالى وفى رواية أخرى يثبت معصوم آخر أن للزهراء عليها السلام تسعة أسماء عند الله تبارك وتعالى، كل ذلك نتيجة المقام السامى لفاطمة الزهراء عند الله تعالى، وربما يوحى هذا الكلام أن هناك تعارض فى عدد أسماء الزهراء عليها السلام ولكن بأدنى تأمل للروايات يظهر لنا أن هذا ناشىء من طبيعة حال السائل، وعلى هذا الأساس انقدح فى ذهننا الأسئلة المتقدمة الذكر وهو لماذا البارى عز وجل هو الذى سمى فاطمة بهذه الأسماء؟ وما هى فلسفتها؟ وما هى المناسبة بين ذات الزهراء وأسماءها التى أعطاها الله تبارك إياها؟ وعليه كل الأسئلة المتقدمة سوف نجيب عليها من خلال [صفحه ۳۸۵] هذا البحث بإجماله. فنقول: إنما وضع الله أسماء فاطمة الزهراء عليها السلام منه لتكون علامة لشىء ما، وهذا الشىء سوف يتضح لنا من خلال الأبحاث القادمة، وربما تسأل أيها القارىء العزيز كيف يكون الإسم علامة للمسمى والمفهوم من العلامة هو الوسم والذى يظهر هذا من خلال مراجعة أفراد اللغة العربية؟ والجواب على ذلك: أن بين الأسماء والمعانى الموضوع لها مناسبة ذاتية، والواضع عندما يضع الإسم المعين للمسمى المعين يكون عالماً بالمناسبة وقادراً علهيا ولوجود الحكمة والإتقان فى وضع الأسماء لتلك المعانى، ومن هنا كان الواضع لأسماء فاطمة الزهراء هو الله تعالى وذلك لوجود المناسبة والحكمة فى ذات الزهراء عليها السلام، وكذلك اقتضت حكمة البارى عز وجل ان تكون العلامة فيها مناسبة لها وهى ذات الزهراء فى مادتها وصورتها حيث كانت دلالة فاطمة الزهراء ذاتية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع اسمها فكان التعبير من الله تعالى أدق فى التعريف لذات الزهراء عليها السلام وأظهر فى تميز ذاتها عن بقية الذوات. فالله سبحانه وتعالى لم يهمل الحكمة ولم يظلمها ولم يضعها فى غير ما جعلها مقتضية لها فمن شاء أن يطلعه على علل الأشياء وأسبابها علمه ذلك بتفهيمه أو بوضع القرائن له والامارات على ذلك وكما فعل ذلك مع أهل البيت عليهم السلام حيث هو الذى وضع أسماءهم وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائى لأهل البيت عليهم السلام، فالله تبارك وتعالى يحب أن تكون أسماء أهل البيت عليها السلام منه تعالى وكما قال الله تعالى: (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون). وأما إن قال شخص ما إن الواضع لأسماء فاطمة هو غير الله تعالى وبغض النظر عن الرواية الواردة فى المقام والشواهد والقرائن الأخرى؟ فالجواب عليه: أنه لو قلنا بأن الواضع غير الله تعالى لم يكن هناك محذور فى أن الألفاظ بينها

وبين المعانى مناسبة ذاتية لأن الوضع لا يمكن إلا ممّن له قوة المعرفة التى تنقص عن المعرفة بالمناسبة واعتبارها، ويدل على هذا إنّا وجدنا فى اللغة واشتقاق الألفاظ بعضها من بعض ونظمها على ما يوافق الحكمة ما يبصر العقول مع ما عرفنا [صفحه ۳۸۶] من قصورنا عن أكثر أسرارها ولا يكون ذلك إلا ممن يقدر على المناسبة ويعرف كمال حسنها وشرفها على عدمها وإذا كان قادراً على العلم بها وعلى معرفتها بأنّها أكمل وأدلّ على المطلوب وأوفق بالحكمة كان العدول عن ذلك نقصاً فى الكمال وعدولاً إلى الإهمال عن الحكمة لأن الأسماء فى الحقيقة صفات المسمّيات فلو لم يكن بين الصفة وموصوفها مناسبة ذاتية ومطابقة حقيقة لكانت صفة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) التى تطلب بها تمييزها تصلح أن تكون لغيرها وإذا صلحت لغيرها كان تميزها بها مماز فى الإلتباس وعدم المعرفة. وعلى كل حالٍ فإن البحث فى هذا المقام لطويل وشائك فالذى نريد القول به والنتيجة التى نريد استعراضها وإظهارها هو أن الواضع هو الله تبارك وتعالى لأسماء فاطمة الزهراء عليها السلام، وانما وضعها لتكون العلامات المميزات والصفات المعينات لفاطمة الزهراء عليها السلام، ولكى يتبين معرفة الحال فى المقام أكثر نقول: ان المراد من هذه الأسماء الأعم من اللفظية والمعنوية لأن العلامة والتمييز يحصل بكل منهما، والحاصل أن أسماءها (سلام الله عليها) التى اشير اليها فى الرواية المتقدمة الذكر سواءً كانت من الاسماء الصفاتية او الفظية فإنها مشتقة م أسمائه تعالى يعنى اشتقها سبحانه وتعالى م أسمائه وهذا معنى ما روى عن على بن الحسين عليه السلام حيث قال: حدثنى أبى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال: «قال الله يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقى وبرياتى هذا محمد وأنا الحميد المحمود فى فعالى شققت له اسماً من اسمى وهذا على وأنا العلى العظيم شققت له اسماً من اسمى وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائى من رحمتى يوم فصل قضائى وفاطم أوليائى عمّا يعّرهم ويشينهم شققت لها اسماً من اسمى...». وهذا يعنى أنها فيض وجودها ونورها من فيض نور الله تبارك وتعالى ونسبتها إلى الله تعالى من حيث وجودها ومبدأ نورها وصفاتها (سلام الله عليها) وبأبسط تأمل لهذا الحديث يظهر أنه سبحانه وتعالى يريد بالإسم ما هو أعم من اللفظ ولو أراد خصوص اللفظ فقط يعنى اسم فاطمة لما قال تعالى وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض ولو أراد خصوص المعنى لما علقه بالألفاظ ولكنه تعالى يريد الأسماء [صفحه ۳۸۷] المعنوية والأسماء اللفظية وهو المفهوم من أحاديثهم الكثيرة وكما سيتبين لنا من خلال اظهار معانى أسماء فاطمة (سلام الله عليها) فافهم تغنم [۵۴۶] .

معانى اسماء فاطمة الزهراء

اشاره

عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليها السلام لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّ وجل: فاطمة والصدّيقة والمباركة والطاهرة والزكيّة والراضية والمرضيّة والمحدّثة والزهراء [۵۴۷] . على ضوء هذا الحديث سوف يكون كلامنا حول أسماء فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) حيث نأخذ كل اسم من اسماءها وحسب تسلسله وورود فى الحديث المبارك ومن خلال ذلك نقف مع أقوال أهل البيت عليهم السلام فى ذلك وبيان أقوال العلماء فى هذه الأسماء المباركة.

فاطمة

إن الظاهر من خلال استقراء أحاديث أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) أن أول اسم سميت به بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو فاطمة، وهذا على القطع اليقينى ثابت ولا يعتريه الشك ولا الشبهة ولذا ورد فى كثير من أحاديث أهل البيت التأكيد على هذا الإسم وإكرامه وإطائه الهيبة اللائق به حيث كان لاسم فاطمة (سلام الله عليها) وقع كبير فى نفوس ومحبى أهل البيت وخصوصا فى نفوس أهل البيت عليهم السلام وكان له المنزلة العظمى كما يظهر من الروايات والأخبار الصحيحة المسندة. [صفحه ۳۸۸] فلقد

روى عن فضالة بن أيوب، عن السكونى قال: دخلت على أبى عبدالله عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لى: يا سكونى ما عمّ ك؟ فقلت: ولدت لى ابنة، فقال: يا سكونى على الأرض ثقلها، وعلى الله رزقها، تعيش فى غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسرى والله عنى، فقال: ما سميتها؟ قلت: فاطمة. قال: آه آه ثمّ وضع يده على جبهته ـ إلى أن قال ـ ثم قال: أمّا إذا سمّيتها فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها [۵۴۸] . وعن بشار المكارى قال: دخلت على أبى عبدالله عليه السلام بالكوفة وقد قدم له طبق طبرزد [۵۴۹] وهو يأكل، فقال: يا بشار أدن فكل. فقلت: هنّاك الله وجعلنى فداك، قد أخذتنى الغيرة من شىء رأيته فى طريق! أوجع قلبى وبلغ منّى، فقال لى: بحقى لما دنوت فأكلت. قال: فدنوت فأكلت، فقال لى: حديثك، قلت: رأيت جلوازاً [۵۵۰] يضرب رأس إمرأة ويسوقها إلى الحبس وهى تنادى بأعلى صوتها: «المستغاث بالله ورسوله» ولا يغيثها أحد. قال: ولم فعل بها ذلك؟ قال: سمعت الناس يقولون إنها عثرت فقالت: «لعن الله ظالميك يا فاطمة» فارتكب منها ما ارتكب. قال: فقطع الأكل ولم يزل يبكى حتى ابتل منديله ولحيته وصدره بالدموع. ثم قال: يا بشار، قم بنا إلى مسجد السهلة فندعوا الله عز وجل ونسأله خلاص هذه المرأة. قال: ووجّه بعض الشيعة إلى باب السلطان وتقدم إليه بأن لا يبرح إلى ان يأتيه رسوله، فان حديث بالمرأة حدث صار إلينا حيث كنّا. قال: فصرنا إلى مسجد السهلة، وصلى كل واحد منّا ركعتين، ثم رفع الصادق عليه السلام يده إلى السماء وقال: أنت الله ـ إلى آخر الدعاء ـ قال: فخر ساجداً لا أسمع منه إلاـ النفس ثم رفع رأسه فقال: قم فقد أطلقت المرأة. قال: فخرجنا جميعاً، فبينما نحن فى بعض الطريق إذ لحق بنا الرجل الذى وجهناه إلى باب السلطان، فقال له عليه السلام: ما الخبر؟ قال: قد اطلق عنها، قال: كيف كان أخراجها؟ قال: لا أدرى ولكننى كنت واقعاً على باب السلطان، إذ خرج حاجب فدعاها وقال لها: ما الذى تكلمت؟ قالت: عثرت فقلت «لعن الله ظالميك يا فاطمة» ففعل بى ما فعل. قال: فأخرج مائتى درهم وقال: خذى هذه واجعلى الأمير فى حل: فأبت أن تأخذها، فلما رأى ذل منها دخل وأعلم صاحبه بذلك ثم خرج فقال: انصرفى إلى بيتك فذهبت إلى منزلها. فقال أبو عبدالله عليه السلام: أبت أن تأخذ المائتى درهم؟ قال: نعم، وهى والله محتاجة اليها، قال: فأخرج من جيبه صرة فيها سبعة دنانير وقال: اذهب أنت بهذه إلى منزلها فأقرئها منى السلام، وادفع إليها هذه الدنانير، قال: فذهبنا جميعاً، فأقرأناها منه السلام، فقالت: بالله أقرأنى جعفر بن محمد السلام، فشقت جيبها ووقعت مغشية عليها قال: فصبرنا حتى أفاقت، وقال: أعدها علىّ، فأعدناها عليها حتى فعلت ذلك ثلاثاً، ثم قلنا لها: خذى، هذا ما أرسل به إليك، وأبشرى بذلك، فأخذته منا وقالت: سلوه أن يستوهب أمته من الله، فما أعرف أحداً توسّل به إلى الله أكثر منه ومن آبائه وأجداده عليهم السلام [۵۵۱] . أقول: الذى يظهر من خلال التأمل فى هذه الرواية أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يتأثرون أشد التأثر عندما يسمعون اسم فاطمة وخصوصا ما جرى عليها من الظلم والعدوان بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك نرى كيف أن الإمام ألقى اهتمامه البالغ بهذه المرأة التى لعنت ظالمى فاطمة الزهراء وعدى له الدعاء الذى على أثره أطلق الله سراحها، وكذلك كيف أكرمها بالسبعة دنانير لأنها موالية ومؤمنة بالتولى لأهل البيت والتبرى من أعدائهم. وورد عن سليمان الجعفرى أنه قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو على أو الحسن والحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء [۵۵۲] . [صفحه ۳۹۰] وأيضاً عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام فى حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قرب وفاته: «ألاـ ان فاطمة بابها بابى، وبيتها بيتى، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال عيسى (الراوى للحديث): فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلاً ـ وقطع بقية كلامه وقال: هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله يا أمّه ـ صلوات الله عليها [۵۵۳] . هذه هى بعض الأحاديث التى بينت كرامة اسم فاطمة عند الأئمة: أما معنى فاطمة وتسميتها بهذا الإسم المبارك فلا يخلو من أسباب ومناسبات فهلم معى إلى طائفة كبيرة من الأحاديث التى تذكر اسم سيدتنا فاطمة الزهراء ووجه التسمية وبيان معانى اسمها المبارك وأقوال العلماء فيه. وعن يونس بن ظبيان انه قال له الإمام أبو عبدالله عليه السلام: أتدرى أىّ شىء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرنى يا سيدى، قال: فطمت من الشرّ.قال: ثم قال: لولا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه [۵۵۴] . وعن على بن إبراهيم، عن اليقطينى، عن محمد بن زياد مولى

بنى هاشم قال: حدّثنا شيخ لنا ثقة يقال له نجيّة بن إسحاق الفزارىّ قال: حدّثنا عبدالله بن الحسن بن حسن قال: قال أبو الحسن عليه السلام: لم سميّت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقاً بينه وبين الأسماء. قال: إنّ ذلك لمن الأسماء، ولكنّ الاسم الذى سميّت به، أنّ الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتزوّج فى الأحياء وأنّهم يطمعون فى وراثة هذا الأمر من قبله، فلمّا ولدت فاطمة سمّاها الله تبارك وتعالى «فاطمة» لما أخرج منها وجعل فى ولدها، ففطمهم عمّا طمعوا؛ فبهذا سمّيت فاطمة «فاطمة» لأنّها فطمت طمعهم. ومعنى فطمت: قطعت [۵۵۵] . وعن أبى عبدالله عليه السلام أنّه قال: «إنّا أنزلناه فى ليلة القدر»الليلة: فاطمة، والقدر: [صفحه ۳۹۱] الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر. وإنّما سمّيت «فاطمة» لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها [۵۵۶] . وقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: شقّ الله لك يا فاطمة اسماً من أسمائه، فهو الفاطر وأن فاطمة [۵۵۷] . وقال علىّ عليه السلام: إنّما سمّيت فاطمة لأنّ الله فطم من أحبّها عن النار [۵۵۸] . وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إنّما سمّيت ابنتى فاطمة لأنّ الله فطمها وفطم محبّيها عن النار. وقال الصادق عليه السلام: تدرى أىّ شىء تفسير فاطمة؟ قال: فطمت من الشرّ. ويقال: إنّما سمّيت فاطمة لأنّها فطمت عن الطمث [۵۵۹] . وعن محمد بن مسلم الثقفى، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عينى كلّ رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً فتقول: إلهى وسيّدى سمّيتنى فاطمة وفطمت بى من تولانى وتولّى ذرّيتى من النار، ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت يا فاطمة، إنىّ سمّيتك فاطمة، وفطمت بك من أحبّك وتولّاك وأحبّ ذرّيتك وتولّاهم من النار، ووعدى الحقّ وأنا لا أخلف الميعاد ـ الحديث [۵۶۰] . وعن أبى جعفر عليه السلام قال: لمّا ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عزّ وجل إلى ملك فانطلق به لسان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فسمّاها فاطمة، ثم قال: إنّى فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطمث. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث بالميثاق [۵۶۱] . إأقول: أما معنى قوله «فطمتك بالعلم» يعنى أرضعتك بالعلم أو قطعتك عن الجهل [صفحه ۳۹۲] بسبب العلم، وهذا كناية عن كونها فى بدو فطرتها عالماً بالعلوم الرانية. وقال المولى محمد علىّ الأنصارى رحمه الله: وقد تلخّص منها (أى الأخبار) وجوه متعدّدة لتسميتها عليها السلام بتلك التسمية: مثل فطم نفسها بالعلم، وفطمهاعن الشرّ، وفطمها عن الطمث، وفطم ذرّيّتها وشيعتها من النار، وكذلك فطم من تولّاها وأحبّها منها، وفطم الأعداء عن طمع الوارثة فى الملك، وعن حبّها، ونحو ذلك. ولا مناقاة بين الأخبار، لأنّ الفطم معنى يصدق مع كلّ من الوجوه المذكورة؛ واختلاف الأخبار من جهة اختلاف حال الرواة والحضّار من حيث الاستعداد الذاتيّة، واختلاف المصالح فى الأزمنة والأمكنة؛ وكلّ هذه المعانى مرادة من اللفظ عند التسمية، ولا يلزم من ذلك استعمال اللفظ فى أكثر من معنى واحد، الذى هو مخالف للقواعد الظاهريّة اللفظيّة، لأنّ فاطمة مشتقّ من الفطم بمعنى الفصل، ومنه الفطام فى الطفل بمعنى فصله عن اللبن والارتضاع، يقال: فطمت المرضع الرضيع فطماً، من باب ضرب، فصلته عن الرضاع، فهى فاطمة، والصغير فطم بمعنى المفطوم. وأفطم الرجل: دخل فى وقت الفطام، مثل أحصد الزرع، إذا حان حصاده. وفطمت الحبل: قطعته. وفطمت الرجل عن عادته: إذا منعته عنها. وليس الفطم مخصوصاً بالفصل عن اللبن وإن كثر استعماله فيه، بل هو مطلق الفصل عن الشىء، ومعنى القطع والمنع راجع إليه أو متفرّع منه، فيكون معنى «فاطمة» فاصلة أو قاطعة أو مانعة، وكلّ منها معنى كلّىّ وماهيّة مطلقة يصدق مع القيود الكثيرة، فسمّيت من عندالله بها. ويلزم فى تحقّق معنى الفصل أن يكون هناك فاصل ومفصول له، مثلاً إذا كانت الامّ فاطمة لطفلها، فهى فاصلة، والطفل مفصول، واللبن مفصول عنه، والغذاء مفصول به. فيكون معنى فاطمة أنّها تفطم نفسها ولو بسبب قابليّتها الذاتيّة عن الجهل بالعلم، وعن الشرّ بالخير، وعن الطمث بالطهارة عن الحمرة، وتفطم ذرّيّتها وشيعتها ومن تولّيها وأحبّها من النار بالجنّة، وتفطم أعداءها عن طمع الوراثة باليأس عنها، وعن حبّها ببغضها. فلوحظ فى وجه تسميتها بهذا الاسم وجوه متعدّدة وهى غير داخلة فى مفهوم الاسم حتّى توجب تعدّد معانى اللفظ. بل هى لحاظات خارجيّة باعتبارها وقعت التسمية. [صفحه ۳۹۳] مثلاً لو كان مجىء زيد من جهة أغراض مختلفة وأسباب متعدّدة، فقيل: «جاء زيد»، لم يوجب ذلك كون المجىء مستعملا فى المعانى التعدّدة. نعم لو جعل فاطمة بالنسبة إلى

فطم الأعداء أو الأحبّاء بمعنى كونها ذات فطم من المبنيّ للفاعل ـ كما هو كذلك ـ أى ذات فاطميّة، وفى فطمها عن الشرّ بمعنى ذات فطم من المبنيّ للمفعول أى ذات مفطومية لزم المحذور المذكور،، ولكن على التقرير المسطور لا يلزم ذلك المحذور. ويمكن جعلها بمعنى ذات الفطم مطلقاً من باب النسبة فيكون جامداً يستوى فيه المذكّر والمؤنّث... نعم، يمكن جعل فاطمة فى جميع الوجوه بمعنى المفعول، أى المفطومة، من باب الصفة بحال المتعلّق بلحاظ المآل والحقيقة؛ أو جعله بمعنى ذات الفطم، من المصدرالمبنيّ للفاعل أو المفعول لكن على سبيل القضيّة الكلّيّة لا الجزئيّة، كما لا يخفى. وبالجملة فاختلاف الأخبار فى بيان وجه التسمية إشارة إلى عدم انحصاره فى شىء؛ أو كون معناها معنى كلّيا يشمل على وجوه كثيرة، فيحتمل احتمالاً ظاهراً أن يكون ملحوظاً فى وجه التسمية امور على حدة أيضاً كفطمها على الإخلاق الرذيلة بالأخلاق الفاضلة، وعن الأحوال الخبيثة بالأحوال الطيّبة الزكيّة، وعن الأفعال القبيحة بالأفعال الحسنة، وعن الظلمانيّة بالنورانيّة، وعن السهو والغفلة بالذكر والمعرفة، وعن عدم العصمة بالمعصوميّة، وبالجملة عن جميع جهات النقيصة بالكمالات العقلانيّة والورحانيّة والنفسانيّة ولوازمها الظاهريّة والباطنيّة، فيلزم حينئذٍ أن تكون لها العصمة الكبرى فى الدنيا والآخرة والاولى. فتكون حينئذ معصومة تقيّة نقيّة وليّة صدّيقة مباركة طاهرة إلى آخر الأسماء المذكورة فى الرواية وغير الرواية. وتخصيص أسمائها بالتسعة فى الخبر الصادقيّ عليه السلام إمّا من جهة اشتمالها من حيث المعنى على سائر الأسماء أيضاً؛ أو من جهة صدور التسمية بها من جانب الله سبحانه بلا واسطةٍ كما يشعر به قوله عليه السلام: لفاطمة تسعة أسماء عند الله [۵۶۲] ... وقال العلامة الهمدانى [۵۶۳] فى بيان اسم فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) ما نصة: هذا الإسم سواء كان من عند الله عزّ وجل أو بإلهام من الله تعالى كما لا حظت فى [صفحه ۳۹۴] الأخبار الماضية، لم يكن للعلامة تمييز المسمّاة به عن غيرها فحسب، كما فى أسامى سائر الناس التى لم تراع المناسبة غالباً بينها وبين الأعيان والذوات، بل فى هذا الجعل وهذه التسمية الإلهيّة حكمة وسرّ وتناسب عميق بين الإسم والمسماة به. وإن مادّة «فطم» على أىّ وجه فرضت فيها فاعلاً ـ أو مفعولاً ـ كانت بمعنى القطع والفصل على نحو الإطلاق، ولا يختصّ بأحد الوجوه السابقة من الشرّ والطمث والجهل والخطأ وسوء الخلق والحمرة والحيض وما أشبه ذلك، لأنّها (سلام الله عليها) متّصفة بجميع المكارم، منفطمة عن جميع العيوب والنقائص، فتناسب الاسم لها ـ فاعلاً ـ لكونها (سلام الله عليها) فطمت نفسها وذرّيّتها وشيعتها من النار وما يوجب الشنار والعار، وتناسبه لها ـ مفعولا ـ لأنّها (سلام الله عليها) مفطومة عن معرفتها الناس فهو وصف المتعلّق. فمن الذى يبلغ معرفتها؟! هيهات! ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخشئت العيون، وتصاغرت العلماء، وحصرت الخطباء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الادباء، وعييت البلغاء عن وصف شأنٍ من شأنها، ودرك درجة من سموّ رفعتها. هى قطب دائرة الوجود ونقطة لمّا تنزّلت اكثرت كثراتها هى أحمد الثانى وأحمد عصرها هى عنصر التوحيد فى عرصاتها ومن عرف فاطمة عليها السلام حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر [۵۶۴] والتشابه من وجوه: الأول: إنّ ليلة القدر مجهولة للناس من حيث القدر والمنزلة والعظمة، والناس فطموا وقطعوا عن معرفتها، وكذلك البضعة الأحمديّة والجزء المحمّديّة عليها السلام مجهولة قدرها، محفيّة قبرها. والثانى: كما أنّ ليلة القدر يفرق فيها كلّ أمر حكيم، كذلك بفاطمة يفرق بين الحقّ والباطل، والمؤمن والكفار. والثالث: كما صارت ليلة القدر ظرفاً لنزول الآيات والسور، فهى (سلام الله عليها) [صفحه ۳۹۵] صارت وعاءً للإمامة والمصحف. الرابع: إنّ ليلة القدر معراج الأنبياء والأولياء، وكذلك ولايتها مرقاة لوصولهم إلى النبوّة الرسالة والعظمة [۵۶۵] . والخامس: إنّ ليلة القدر منشأ للفيوضات والكمالات، وكذلك التوسّل بها وسيلة للخيرات والبركات ودفع البليّات [۵۶۶] . والسادس: إنّ ليلة القدر خير من ألف شهر، وكذلك هى (سلام الله عليا) خير نساء الأولين والآخرين، بل إنّ فاطمة خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً. هى مشكاة نور الله جلّ جلاله زيتونة عمّ الورى بركاتها وهى (سلام الله عليها) كما قال الباقر عليه السلام عنصر الشجرة الطيّبة التى هى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصلها وفرعها علىّ عليه السلام. فلاحظ هذا الحديث وتدبّر فيها، ثم ارجع البصر كرّتين حتى يظهر لك المعارف والحكم وسرّ «لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علىّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما» وسرّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علىّ، أنفذ ما أمرتك به الزهراء عليها السلام» وسرّ قول علىّ عليه

السلام: «يا بقيّة النبوّة»، فوالله لولا فاطمة ما قام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمود، ولا اخضرّ له عود. ولنعم ما قال الازرىّ رحمه الله: نحن من بارى السماوات سرّ لو كرهنا وجودها ما براها بل بآثارنا ولطف رضانا سطح الأرض والسماء بناها وبأضوائنا التى ليس تخبو حوت الشمس ما حوت من سناها وممّا ينبغى لفت النظر إليه هو أنّ المعصومين ينتمّون بهذا الإسم الشريف اهتماماً شديداً، ويكرمونه إكراماً عظيماً، وإذا سمعوا به يبكون ويتأسّفون، ويحبّون التى سمّيت به، ويحبّون بيتاً كان فيه اسم فاطمة، وهم يتوسّلون به. فلاحظ الحديث الذى نقلناه عن أبى جعفر عليه السلام فإنّه ذيّله بالقسم والتأكيد بقوله: والله فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث بالميثاق. [صفحه ۳۹۶] وأيضاً إنّه عليه السلام ـ إذا وعكه الحمّى (وقبل وجعها آلمها) استعان بالماء البارد، ثم ينادى حتى يسمع صوته على باب الدار: فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم. قال العلّامة المجلسى رحمه الله: لعلّ النداء كان استشفاعاً بها صلوات الله عليها للشفاء. قال المحدّث القمّى: إنّى أحتمل قوّياً كما أنّه أثّر الحمّى فى جسده اللطيف كذلك أثّر كتمان حزنه على أمذه المظلومة فى قلبه الشريف، فكما أنّه يطفى حرارة جسده بالماء، يطفى لوعة وجده بذكر اسم فاطمة سيّدة النساء، وذلك مثل ما يظهر من الحزين المهموم من تنفّس الصعداء، فإنّ تأثير مصيبتها صلوات الله عليها على قلوب أولادها الأئمة الأطهار آلم من حزّ الشفار، وأحرّ من جمرة النار [۵۶۷] .

الصديقة

وهو ثانى الأسماء المباركة لفاطمة الزهراء الذى هو معروف على لسان أهل البيت:، وقد سماها به الله تبارك وتعالى أجلالاً وإكراماً لمقامها السامى ولما وصلت إليه من التصديق بكل ما اتاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والصديقة صيغة مبالغة فى الصدق والتصديق أى انها سلام الله عليها كثيرة الصدق، ولقد ورد فى كتاب تاج العروس معنى التصديق والصدق حيث قيل ان الصدّيق أبلغ من الصدوق، وقيل: انه الكامل فى الصدق الذى يصدق قوله بالعمل، البار، الدائم التصديق، وقيل: انه من لم يكذب قط، وقيل: من صدق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه بفعله، وأياً كان منها معنى الصديق فان فاطمة الزهراء سلام الله عليها تنطبق عليها جميع الأقوال فهى سلام الله عليها كانت المداومة على التصديق بما يوجبه الحق جلّ وعلا ـ حيث كانت المصدقة بكل ما أمر الله به وبأنبيائه ولا يدخلها فى أى شىء من ذلك أى شك كان وكانت المصداق الأفضل ـ مع أوليائه المعصومين ـ لقوله تعالى: (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصّدّيقون) [۵۶۸] وقوله تعالى: (وما المسيح بن مريم إلا ـ رسول قد خلت من قبله [صفحه ۳۹۷] الرسل وأمه صدّيقة) [۵۶۹] ، حيث فسرت كلمة صديقة فى هذا الآية المباركة بأنها تصدق بآيات ربها، ومنزلة ولدها وتصدقه فيها أخبرها به، بدلالة قوله تعالى: (وصدقت بكلمات ربها)، وقيل: لكثيرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها. وعلى كل حال فإن فاطمة الزهراء سلام الله عليها كانت الصديقة الطيبة التى صدّقت بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالى وكانت المؤمنة بكل عقائدها الربانية والتى كانت تعمل على ضوء تلك العقائد والمعتقدات ولقد جاءت الروايات الكثيرة لكى تؤكد على هذه الحقيقة الواضحة للزهراء عليها السلام فلقد ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل: يا علىّ، إنّى قد أوصيت فاطمة ابنتى بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليك، فأنفذها، فهى الصادقة الصدوقة، ثم ضمّها إليه وقبّل رأسها، وقال: فداك أبوك يا فاطمة [۵۷۰] . وعن مفضّل بن عمر قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: من غسل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أميرالمؤمنين عليه السلام،فكأنّما استضقت (استفظعت) ذلك من قوله، فقال لى: كأنّك ضقت ممّا أخبرتك به، فقلت: قد كان ذلك جعلت فداك، فقال: لا يضيقنّ فإنّها صدّيقة لم يكن يغسّلها إلا صدّيق، أما علمت أنّ مريم لم يغسّلها إليعيسى؟ [۵۷۱] ـ الحديث. وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّه قال لعلىّ عليه السلام: أوتيت ثلاثاً لم يؤتيهنّ أحد ولا أنا: أوتيت صهراً مثلى ولم اوت أنا مثلى، واوتيت زوجة صدّيقة مثل ابنتى ولم اوت مثلها زوجة، واوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم اوت من صلبى مثلهما، ولكنّكم منّى وأنا منكم [۵۷۲] . وجاء عن على بن جعفر، عن أخيه، عن أبى الحسن عليه السلام قال: «إنّ فطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة». والصدّيقة فعّيلة للمبالغة

فى الصدق والتصديق، أى كانت كثيرة التصديق لما [صفحه ۳۹۸] جاء به أبوها صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت صادقةً فى جميع أقوالها، مصدّقةً أقوالها بأفعالها، وهى معنى العصمة، ولا ريب فى عصمتها صلوات الله عليها لدخولها فى الذين نزلت فيهم آية التطهير بإجماع الخاصّة والعامّة، والروايات المتواترة من الجانبين [۵۷۳] . وقال الصادق عليه السلام: وهى الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الاولى [۵۷۴] .

المباركة

وهو ثالث الأسماء التى وردت عن لسان المعصوم عليه السلام لفاطمة الزهراء سلام الله عليها عند البارى عز وجلّ: والظاهر من خلال سيرتها عليها سلام وما تركت من ذرية طيبة من بعدها أن مسألة البركة واضحة البرهان فى حياته الواقعية، حيث نجد أن ذرية كل رسول من ولده وخصوصاً الذكور إلا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث كانت ذريته من ابنته المباركة فاطمة سلام الله عليها، وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائى فى حياة الرسول وأهل بيته عليهم السلام. وقبل الدخول فى أحاديث أهل البيت عليهم السلام ومدى دلالات هذه الأحاديث على هذا الإسم لفاطمة سلام الله عليها نراجع كتب اللغة لنرى مدى انطباق معنى المباركة أو البركة على حياتها الشخصية وما تركته فى هذه الدنيا. فلقد ورد فى معنى كلمة البركة هى النماء والزيادة، وعن الزجاج المبارك ما يأتى من قبله الخير الكثير [۵۷۵] . وقيل: ان البركة: هى النماء والسعادة والزيادة [۵۷۶] . وقال الراغب: ولما كان الخير الإلهى يصدر من حيث لا يحبس، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل ـ لكل ما يشاهد منه زيادة محسوسة هو مبارك فيه وفيه بركة. [صفحه ۳۹۹] ولا شك ولا ـ ريب ومن خلال استقراء حياة فاطمة عليها السلام قبل وبعد وفاتها هى الخير الكثير الذى ورد فيه قوله تعالى: (إنا اعطيناك الكوثر)، ولقد انطبقت عليها هذه المعانى لكثرة بركتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته وعلى شيعة أمير المؤمنين، فأى بركة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل فاطمة والتى على معرفتها دارت القرون الاولى، وأى بركة أكبر وأفضل من بركة فاطمة سلام الله عليها على الشيعة وخاصة فى هذه الحياة الدنيا حيث كانت الوعاء الأكبر للإمامة التى مثلت أفضل مصاديق الولاية الكبرى وأى بركة أفضل منها عندما تأتى يوم القيامة وتخلص شيعتها ومحبيها من عذاب النار. ولقد طفحت كتب السيرة والتاريخ دلالة على كثرة بركة فاطمة الزهراء سلام الله عليها وكذلك الكتب الروائية والكلامية والتفسيرية حيث أظهرت من خلال طيات صفحاتها هذه الصفة الواردة فيها، فاقرأ معى ما كتب حول بركة الزهراء سلام الله عليها فيما ورد عن عبدالله بن سليمان قائلاً... (قرأت فى الإنجيل فى وصف النبى صلى الله عليه وآله وسلم: نكّاح النساء ذو النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيت فى الجنة لا صخب فيه ولا نصب، يكفلها فى آخر زمان كما كفل زكريا أمك، لها فرخان مستشهدان) [۵۷۷] . ولقد ورد فى تفسير سورة الكوثر (إنا أعطيناك الكوثر) أ، الكوثر هى فاطمة الزهراء سلام الله عليها، والكوثر معناه الخير الكثير. ويعنى ذلك أن لكثرة ذرية رسول الله من جهة إبنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها خاطب القرآن الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه له الكوثر كرامة من الله تعالى له. قال العلامة الطباطبائى رحمة الله: إنّ كثرة ذرّيته هى المراده وحدها بالكوثر الذى اعطيه النّبى صلى الله عليه و آله وسلم أو المرادبها الخير الكثير، وكثرة الذرّيّة مرادة فى ضمن الخير الكثير، ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: (إنّ شانئك هو الأبتر) خالياً عن الفائدة. وقد استفاضت الروايات أنّ السورة إنّما نزلت فيمن عابه صلى الله عليه وآله وسلم بالأبتر بعد ما مات ابنه القاسم وعبدالله، وبذلك يندفع ما قيل: إنّ مراد الشانىء بقوله (أبتر) المنقطع عن [صفحه ۴۰۰] قومه أو المنقطع عن الخير، فردّ الله عليه بأنّه هو المنقطع من كلّ خير. ولما فيه قوله (إنّا أعطيناك) م الامتنان عليه صلى الله عليه وآله وسلم جىء بلفظ المتكلّم مع الغير الدالّ على العظمة، ولما فيه من تطيب نفسه الشريفة أكدّت الجملة بإنّ، وعبّر بلفظ الإعطاء الظاهر فى التمليك. وبالجملة لا تخلو من دلالة على أنّ ولد فاطمة عليها السلام ذرّيته صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا فى نفسه من ملامح القرآن الكريم، فقد كثّر الله تعالى نسله بعد كثرة لا ـ يعادلهم فيها أىّ نسل آخر، مع ما نزل عليهم من النوائب، وأفنى جموعهم من المقاتل الذريعة [۵۷۸] . وقال الفخر

الرازى فى تفسير قوله تعالى: (إنّا أعطيناك الكوثر)، والقول الثالث: الكوثر أولاده. قالوا: لأنّ هذه السورة إنما نزلت ردّاً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بنى ـ اميّة فى الدنيا أحد يعبأ به! ثمّ انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكيّة وأمثالهم [۵۷۹] . وقال أيضاً: إنّا إذا حملنا الكوثر على كثرة الأتباع أو على كثرة الأولاد وعدم انقطاع النسل كال هذا إخباراً عن الغيب، وقد وقع مطابقاً له، فكان معجز [۵۸۰] . وقال الآلوسى فى تفسير: (إنّ شانئك هو الأبتر)، الأبتر: الذى لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر، وأمّا أنت فتبقى ذرّيّتك... عليه دلالة على أنّ أولاد البنات من الذرّيّة [۵۸۱] . وقال العلامة القزوينىّ: ووجه المناسبة أنّ الكافر شمت بالنبّى صلى الله عليه وآله وسلم حين مات أحد أولاده وقال: إنّ محمداً أبتر، فإن مات مات ذكره. فأنزل الله هذه السورة على نبيّه عليه السلام تسلية له، كأنّه تعالى يقول: إن كان ابنك قد مات فإنّا أعطيناك فاطمة، وهى وإن كانت واحدة وقليلة ولكنّ الله سيجعل هذا الواحد كثيراً. [صفحه ۴۰۱] وتصديقاً لهذا الكلام ترى فى العالم ـ اليوم ـ ذرّية فاطمة الزهراء عليه السلام الذين هم ذرّية رسول الله عليه السلام منتشرين فى بقاع العالم، ففى العراق حوالى مليون، وفى إيران حوالى ثلاث ملايين، وفى حصر خمس ملايين، وفى المغرب، الأقصى خمس ملايين، وفى الجزائر وتونس وليبيا عدد كثير، وكذلك فى الاردن وسوريا ولبنان والسودان وبلاد الخليج والسعوديّة ملايين، وفى اليمن والهند وباكستان والأفغان وجزر أندونيسيا حوالى عشرين ملايين، وقلّ أن تجد فى البلاد الإسلاميّة بلدة ليس فيها أحد من نسل السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ويقدّر مجموعهم بخمسة وثلاثين مليوناً، ولو اجريت إحصائيّات دقيقة وصحيحة فلعلّ العدد يتجاوز هذا المقدار [۵۸۲] . ويؤيّد ما استفادة العلّامة (ره) وغيره أخبار كثيرة وردت من الفريقين العامّة والخاصّة، كما روى الحافظ الكنجىّ الشافعىّ عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ جعل ذرّية كلّ نبىّ فى صلبه، وإنّ الله عزّ وجلّ جعل ذرّيّتى فى صلب على بن أبى طالب». قلت: رواه الطبرانى فى معجمه الكبير، فى ترجمة الحسن. فإن قيل: لا اتّصال لذرّيّة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بعلّى عليه السلام إلا من جهة فاطمة عليها السلام، وأولاد البنات لا تكون ذرّيّة لقول الشاعر: بنونا بنو وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد قلت: فى التنزيل حجّة واضحة تشهد بصحّة هذه الدعوى، وهو قوله عزّ وجلّ فى سورة الأنعام: (ووهبنا له (أى لإبراهيم) إسحاق ويعقوب كلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذرّيّته (أى ذرّيّة نوح) داود وسليمان (إلى أن قال) وزكريّا ويحيى وعيسى وإلياس) [۵۸۳] . فعدّ عيسى عليه السلام من جملة الذرّيّة الذين نسبهم إلى نوح عليه السلام وهو ابن بنت لا اتّصال له إلا من جهة امّه مريم. وفى هذا أكدّ دليل [على] أنّ أولاد فاطمة عليها السلام ذرّيّة للنبّى صلى الله عليه وآله وسلم ولا ـ عقب له إلا ـ من جهتها... وقد قال عطاء ومن شايعه من المفسّرين: الهاء من قوله (ومن ذرّيّته) راجعة إلى إبراهيم. ويحصل فى هذا فائدة [صفحه ۴۰۲] اخرى لطيفة وهو أنه عدّ من جملة الذرّيّة الذين نسبهم إلى إبراهيم لوطاً ولم يكن من صلبه، لأنّ لوطاً ابن أخى إبراهيم، والعرب تجعل العمّ أباً كما أخبر عزّ وجلّ عن ولد يعقوب حيث قال: (نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) ومعلوم أنّ إسماعيل عمّ يعقوب ولكن نزّله منزلة الأب، فيحصل من هذا جواز انتساب أولاد علىّ عليه السلام إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق، لأنّه أخوه وهو منه بمنزلة هارون من موسى، كما نسب الله لوطاً إلى إبراهيم، ولوط إنّما هو ابن أخيه، وكذلك هنا... ابن حصين عن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: كلّ بنى أنثى فإنّ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنّى أنا عصبتهم وأنا أبوهم [۵۸۴] . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث طويل: يا فاطمة، ما بعث الله نبيّاً إلا جعل له ذرّيّة من صلبه، وجعل ذرّيّتى من صلب علىّ، ولولا علىّ ما كانت لى ذرّيّة [۵۸۵] . قال ابن أبى الحديد فى ذيل كلام علىّ عليه السلام: «املكوا عنّى هذا الغلام لا يهدّنى، فإنّنى أنفس بهذين ـ يعنى الحسن والحسين ۸ ـ على الموت لئلاّ ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۵۸۶] . فإن قلت: أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما أبناء رسول الله وولد رسول الله وذرّيّة رسول الله ونسل رسول الله؟ قلت: نعم، لأنّ الله سماهم أبنائه فى قوله تعالى: (ندع أبنائنا وأبنائكم) [۵۸۷] ، وإنما عنى الحسن والحسين... وسمّى الله تعالى عيسى ذرّيّة إبراهيم فى قوله: (ومن ذرّيّته دواد وسليمان ـ إلى أن قال ـ ويحيى وعيسى)... فإن قلت: فما

تصنع بقوله تعالى: (ما كان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم) [۵۸۸] ؟ قلت: أسألك عن أبوّته لأبراهيم بن ماريهٔ، فكلّ ما تجيب به عن ذلك فهو جوابى عن الحسن والحسين عليهما السلام. والجواب الشامل للجميع أنّه عنى زيد بن حارثهٔ، لأنّ [صفحه ۴۰۳] العرب كانت تقول: زيد بن محمّد، على عادتهم فى تبنّى العبيد، فأبطل الله ذلك ونهى عن سنّهٔ الجاهليّهٔ... قيل لمحمّد ابن الحنفيّهٔ: لم يغرّر بك أبوك فى الحرب ولم لا يغرّر بالحسن والحسين؟ فقال: لأنّهما عيناه، وأنا يمينه، وهو يذبّ عن عينيه بيمينه [۵۸۹] . وروى الخطيب عن عبدالله بن عبّاس قال: كنت أنا وأبى العبّاس بن عبد المطّلب جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ دخل على بن أبى طالب، فسلّم فردّ عليه رسول الله: وبشّ به وقام إليه واعتنقه قبّل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العبّاس: يا رسول الله، أتحبّ هذا؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عمّ رسول الله، والله لله أشدّ حباً له منّى، إنّ الله جعل ذرّيهٔ كلّ نبىّ فى صلبه، وجعل ذرّيتى فى صلب هذا [۵۹۰] . وجرت مناظرهٔ طويلهٔ بين الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام وبين هارون الرشيد، وفيه قال له هارون: لم جوّزتم للعامّهٔ والخاصّهٔ أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم ويقولون لكم: يا بنى رسول الله، وأنتم بنو علىّ؟ وإنّما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمهٔ إنّما هى وعاء، والنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم جدّكم من قبل أمّكم! فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله! ولم لا اجيبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك. فقلت: لكنّه عليه السلام لا يخطب إلىّ ولا ازوّجه. فقال: ولم؟ فقلت: لأنّه ولدنى ولم يلدك. فقال: أحسنت يا موسى. ثم قال: كيف قلتم إنّا ذرّيّهٔ النبى، والنبىّ صلى الله عليه وآل وسلم لم يعقب، وإنّما العقب للذكر لا للانثى، وأنتم ولد الابنهٔ ولا يكون لها عقب؟ فقلت: أسألك بحقّ القرابهٔ والقبر ومن فيه إلا ما أعفيتنى عن هذه المسألهٔ، فقال: أولا تخبرنى بحجّتكم فيه يا ولد علىّ، وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم؟ كذا انهى إلىّ، ولست أغفيك فى كلّ ما أسالك عنه حتّى تأتينى فيه بحجّهٔ من كتاب الله، فأنتم تدّعون معشر ولد علىّ أنّه لا يسقط عنكم منه شىء ألف ولا واو إلا وتأويله عندكم، واحتججتم بقوله عزّ وجلّ: (ما فرّطنا فى [صفحه ۴۰۴] الكتاب من شىء) [۵۹۱] وقد استغنيتم عن رأى العلماء وقياسهم. فقلت: تأذن لى فى الجواب؟ قال: هات. فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم (ومن ذرّيّته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريّا ويحيى وعيسى) [۵۹۲] ، من أبو عيسى، يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب، فقلت: إنّما الحقناه بذرارى الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك الحقنا بذرارى النّبى صلى الله عليه وآله وسلم من قبل امّنا فاطمهٔ عليها السلام. أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات. قلت: قول الله عزّ وجلّ: (فمن حاجّك فيه من بعد ما جائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنهٔ الله على الكاذبين) [۵۹۳] ، ولم يدّع أحد أنّه أدخل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء عند مباهلهٔ النصارى إلا علىّ بن أبى طالب وفاطمهٔ والحسن والحسين عليهم السلام، وكان تأويل قوله عزّ وجلّ (أبنائنا) الحسن والحسين (ونسائنا) فاطمهٔ (وأنفسنا) علىّ بن أبى طالب. إنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم احد: «يا محمّد، إنّ هذه لهى المواساهٔ من علىّ. قال: لأنّه منّى وأنا منه. فقال: جبرئيل: وأنما منكما يا رسول الله. ثمّ قال: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إل علىّ» فكان كما مدح الله عزّ وجلّ به خليله عليه السلام إذ يقول: (فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) [۵۹۴] ، إنّا معشر بنى عمّك نفتخر بقول جبرئيل إنّه منّا. فقال: أحسنت يا موسى ـ الحديث [۵۹۵] . عن عبد الصمد بن بشير، عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السلام، قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود، ما يقولون فى الحسن والحسين عليها السلام؟ قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فبأىّ شىء احتججتم عليهم؟ قلت: بقول الله عزّ وجلّ فى عيسى بن مريم: (ومن ذرّيّته داود وسليمان (إلى قوله) وكذلك نجزى المحسنين)، وجعل عيسى من ذرّيهٔ إبراهيم، قال: فأىّ شىء قالوا لكم؟ قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنهٔ من الولد ولا يكون من الصلب. قال: فبأىّ شىء احتججتم عليهم؟ قال: قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى: (قل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم) الآيهٔ: قال: فأىّ شىء قالوا لكم؟ قلت: قالوا قد يكون فى كلام العرب ابنى رجل واحد، فيقول: أبنائنا، وإنّما هما ابن واحدٍ. قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: والله يا أبا الجارود لاعطينّكها من كتاب الله

تسمّى لصلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردّها إلّا كافر. قال: قلت: جعلت فداك، وأين؟ قال: حيث قال الله (حرمّت عليكم امّهاتكم وبناتكم (إلى أن ينتهى إلى قوله) وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) [۵۹۶] ، فسلهم يا أبا الجارود، هل حلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا: نعم، فكذبوا والله وفجروا، وإن قالوا: لا فهما والله ابناه لصلبه، وما حرمتا عليه إلّا للصلب [۵۹۷] . وعن عامر الشعبىّ إنّه قال: بعث إلىّ الحجّاج ذات ليلة، فخشيت، فقمت وتوضّأت وأوصيت، ثم دخلت عليه فنظرت فإذا نطع منشور وسيف مسلول، فسلّمت عليه، فردّ السلام فقال: لا تخف، فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر. وأجلسنى عنده، ثمّ أشار فأتى برجل مقيّد بالكبول والأغلال، فوضعوه بين يديه فقال: إنّ هذا الشيخ يقول: إنّ الحسن والحسين كانا ابنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ليأتينّى بحجّة من القرآن وإلا لأضربنّ عنقه. فقلت: يجب أن تحلّ قيده فإنّه إذا أحتجّ فإنّه لا محالة يذهب، وإن لم يحتجّ فإنّ السيف لا يقطع هذا الحديد. فحلّوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك وقلت: كيف يجد حجّة على ذلك من القرآن؟ فقال له الحجّاج: أئتنى بحجّة من القرآن على ما ادّعيت وإلا أضرب عنقك. فقال له: انتظر فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك، فقال: انتظر. فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب (إلى [صفحه ۴۰۶] قوله) وكذلك نجزى المحسنين). ثم سكت. وقال للحجّاج: اقرأ ما بعده، فقرأ: (وزكريّا ويحيى وعيسى)، فقال سعيد: كيف يليق ههنا عيسى؟ قال: إنّه كان من ذرّيته، قال: اين كان عيسى من ذرّيّة إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ابنة فنسب إليه مع بعده، فاحسن والحسين أولى أن ينسبا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع قربهما منه. فأمر له بعشرة آلاف دينار وأمر بأن يحملوها معه إلى داره، وأذن له فى الرجوع. قال الشعبّى: فلما أصبحت قلت فى نفسى: قد وجب علىّ أن آتى هذا الشيخ فأتعلّم منه معانى القرآن، لأنّى كنت أظنّ أنّى أعرفها فإذا أنا لا أعرفها، فأتيته فإذا هو فى المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرّقها عشراً عشراً ويتصدّق بها، ثم قال: هذا كلّه ببركة الحسن والحسين عليهما السلام، لئن أغممنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله ورسوله [۵۹۸] .

الطاهرة

من الأسماء الجميلة والتى تدل على معنى يصبو إليه كل مؤمن هو الطهارة الباطنية والظاهرية، حيث سميت به فاطمة سلام الله عليها، وقد دلت عدة روايات مهمة فى هذا الباب على مدى طهارتها عليها السلام هذا بالإضافة إلى الشواهد الأخرى التى أيدت هذه المسألة عنها عليها السلام من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة بل هى المحور الذى يدور عليه أهل البيت عليهم السلام، وأفضل دليل على طهارتها هو آية التطهير، فهى سلام الله عليها مطهرة نقية مبرءة من كل الأرجاس الظاهرية والباطنية وإليك بعض الأحاديث والشواهد التى تدل على أنها طاهرة سواء الطهارة الظاهرية أو الباطنية. فلقد ورد عن أبى جعفر، عن آبائه: قال: إنّما سمّيت فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم «الطاهرة» لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رفث، وما رأت قطّ يوماً حمرة [صفحه ۴۰۷] ولا نفاساً [۵۹۹] . وعن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله حرّم النساء على علىّ ما دامت فاطمة حيّة، لأنّها طاهرة لا تحيض [۶۰۰] . ولقد بيّن العلامة المولى محمد على الأنصارى وجه الطهارة عن أهل البيت: بما فيهم فاطمة سلام الله عليها حيث قال: ووجه الطهارة فى جميع ما ذكر منهم من حيث الحكمة أنّ منشأ النجاسة ونحوها إنّما هو جهة النفسانيّة، وليس فى تلك الأنوار الإسفهبديّة جهة النفسانيّة بالمرّة ولو مثقال ذرّة. وما ورد فى طهارة أجسادهم الشريفة إنّما هو محمول على أجزائها الظاهريّة والباطنيّة من كلّ حيثيّة، وإلا فظواهر الأجساد طاهرة من كلّ مسلم أيضاً فلا يكون لهم حينئذ فضل من هذه الجهة... [۶۰۱] . أما قضية سد الأبواب بالنسبة للمسجد النبوى الشريف إلّا لأهل البيت عليهم السلام فى زمن النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهى أفضل شاهد على طهارتهم الظاهرية والباطنية. وقال العلامة الأمينى [۶۰۲] رحمه الله إشارة إلى هذا المسألة: إنّ سدّ الأبواب الشارعة فى المسجد كان لتطهيرة عن الأدناس الظاهريّة والمعنويّة، فلا يمرّ به أحد جنباً، ولا يجنب فيه أحد. وأمّا ترك بابه صلى الله عليه وآله وسلم وباب أمير

المؤمنين عليه السلام فلطهارتهما عن كلّ رجس ودنس بنصّ آية التطهير، حتّى إنّ الجنابة لا تحدث فيهما من الخبث المعنوى ما تحدث فى غيرهما... وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا إنّ مسجدى حرام على كلّ حائض من النساء وكلّ جنب من الرجال إلّا على محمد وأهل بيته عليهم السلام على وفاطمة والحسن والحسين [۶۰۳] (صلوات الله عليهم أجمعين). وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا لا يحلّ هذا المسجد لجنب ولا الحائض إلّا لرسول الله وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بيّنت لكم الأسماء أن لا تضلّوا [۶۰۴] ... [صفحه ۴۰۸] فزبدة المخض من هذه كلّها أنّ إبقاء ذلك الباب والإذن لأهله بما أذن الله لرسوله ممّا خصّ به مبتنٍ على نزول آية التطهير النافية عنهم كلّ نوع من الرجاسة. وقال العلامة الشيخ السعيد جمال الدين الحسن بن زين الدين الشهيد الثانى رحمه الله: وروى الصدوق فى كتاب «من لا يحضره الفقيه» عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مرسلًا أنّه قال: «إنّ فاطمة (صلوات الله عليها) ليست كأحد منكنّ، إنّها لا ترى دماً فى حيض ولا نفاس كالحوريّة...» ولا يخفى ما فى هذه الروايات من المافاة لما سبق فى حديث قضاء الحائض للصوم دون الصلاة من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر فاطمة عليه السلام بذلك. ووجه الجمع حمل أمره صلى الله عليه وآله وسلم لها عليها السلام على إرادة تعليم المؤمنات، وهو نوع من التجوّز فى الخطاب شائع، ولعلّ المقتضى له فى هذا الموضع رعاية خفاء هذه الكرامة كغيرها ممّا ينافى ظهوره بلاء التكليف [۶۰۵] وفى ختام هذا البحث ينبغى أن تلاحظ ما جاء فى غسلها ووصيّتها عليه السلام قبل الوفاة، وهو أدلّ دليل وأقوى حجّة على أنّها كانت طاهرة ميمونة فى حياتها وبعد مماتها، ولم يحدث الموت فيها رجاسة ولا دناسة، مع أنك تعلم أنّه ممّا لا خلاف فيه تنجّس البدن بعد الموت وبعد خروج النفس عنه، ولأجل ذلك لا بدّ أن يغسّل الميّت حتّى يطهّر بدنه وينظّف جسمه، إلا أنّ سيّدة النساء عليه السلام أوصت أن لا يكشفها أحد، وأن تدفن بغسلها قبل الوفاة. روى أحمد فى مسنده عن أمّ سلمى (زوجة أبى رافع) قالت: اشتكت فاطمة شكواها التى قبضت فيه، فكنت امرّضها، فأصبحت يوماً كأمثل من رأيتها فى شكواها تلك، قالت: وخرج علىّ لبعض حاجته، فقالت: يا امّه اسكبى لى غسلًا. فسكبت لها غسلًا، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغسل، ثم قالت: يا أمّه أعطينى ثيابى الجدد، فأعطيتها، فلبستها، ثم قالت: يا أمّه قدّى لى فراشى وسط البيت، ففعلت؛ واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدّها، ثم قالت: يا امّه إنّى مقبوضة الآن وقد تطهّرت، فلا يكشفنى أحد، فقبضت مكانها، قالت: فجاء علىّ فأخبرته [۶۰۶] . [صفحه ۴۰۹] وقال فى «كشف الغمّة»: واتفاقهما من طرق الشيعة والسنة على نقله مع كون الحكم على خلافة عجيب، فإنّ الفقهاء من الطرفين لا يجيزون الدفن إلا بعد الغسل إلا فى موضع ليس هذا منه... ولعلّ هذا أمر يخصّ ها عليها السلام. نعم إنّها عليها السلام كأبيها فى طهراتها كما تقدّم عن الصدق عليه السلام إنّه لمّا سئل: هل اغتسل علىّ حين غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: النّبى طاهر مطهّر ولكن اغتسل علىّ عليه السلام وجرت به السنة.

الزكية

ومعنى هذا الاسم مماثل ومرادف للمباركة، والذى يقتضى الحال ان الزكاة هى النمو والزيادة فى الشىء على وجه ما بحيث يكون ذا أثر واضح نتيجة تلك الزيادة التى تطرأ عليه، فالزهراء زكية من جهة أن الله تعالى قد جعل ذرية الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ازدادت ونمت عن طريق الرحم الطاهر للزهراء سلام الله عليها فلقد كثر وبانت ذرية الرسول من جهتها سلام الله عليها وهذا يقتضى أن تكون الزهراء هى المنبع الذى عن طريقه كثرة ذرية رسول الله، فهى الزكية بكثرة بركتها على شيعتها ويمن المراجعة فى هذا الموضوع فى باب اسمها المباركة فإنه كما هى مباركة فهى زكية بسبب اخلاصها وحبها الله تعالى تفانيها فى ذات الله.

الراضية

من الأمور المهمة والتى تكون ذا أهمية كبيرة فى معرفة درجة أيمان الفرد المسلم مسألة الرضا عن الله تعالى.، فمقام الرضا يحتاج إلى معرفة ويقين حتى يصل إليه الإنسان ويكون من الراضين بما قسم الله تعالى حتى يصل فى النهاية إلى مرحلة إيمانية [صفحه ۴۱۰]

عالية جداً، وكما ورد فى دعاء كميل «وتجعلنى بقسمك راضياً قانعاً» أى أن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى مقام الرضا منه جل وعلا فى كل ما يقسمهُ له سواء من خير أو غير ذلك، ومع هذا كله فلقد وردّ فى عدة أحاديث مروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أن رأس طاعة الله تعالى الصبر والرضا عن الله تبارك وتعالى. فلقد جاء فى الحديث الشريف عن على بن الحسين عليه السلام أنه قال: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلا ما هو خير له» [۶۰۷] لأنه سبحانه وتعالى كما ورد فى بعض الأخبار ـ عند حسن ظن عبده المؤمن به، إضافة إلى أن الله سبحانه لا ـ يختار لعبده إلا ـ ما فيه خيره ومصلحته، وان خفيف تلك المصلحة على العبد لمحدوديته وقصوره عن الإحاطة بمصالحه ومفاسده. وجاء فى حديث آخر عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل [۶۰۸] . فمن خلال هذا الحديث وأحاديث أخرى يظهر مقام الزهراء سلام الله عليها العلى حيث أنها كانت راضية عن الله تعالى بكل ما قدر لها من خير وبلاء، وهذا ينم عن الحالة الإيمانية عند فاطمة سلام الله عليها، فمبلاحظة اسمها إلا لمن حاز على مرتبة شريفة وسامية، فبملاحظة أمور أخرى فى حياتها سلام الله عليها يتضح ويظهر آنها عليها السلام كانت ذا مرتبة علمية وعرفانية بلغت أوج عظمتها، وكما ورد على لسان المعصوم عليه السلام «نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة حجة الله علينا» والحجة لا يكون على الآخرين إلا إذا كان ذو مقام علمى وسامى على الآخرين وإلا لا يكون حجة على غيره. إذن فاطمة كانت راضية وهذا يظهر من خلال أبسط تأمل لحياتها وما جرى عليها [صفحه ۴۱۱] من الظلم والأذى، وبما قدّر لها من مرارة الدنيا ومشقاتها ومصائبها وبلاياها. وبمراجعة بعض الروايات فى المقام يظهر ان هناك حالة ترابط بين اسم الصديقة لفاطمة سلام الله عليها وبين اسمها الراضية، فهناك حالة تلازم كما يظهر من الحديث الذى سوف أنقله إليك بين حالة الرضا بقضاء الله تعالى وبين الصدّيق الذى يكون عند الله بهذا المقام، فلقد روى عن أبى عبدالله عليه السلام أنه قال: «قال الله عز وجل: عبدى المؤمن لا أصرفه فى شىء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائى، وليصبر على بلائى، وليشكر نعمائى أكتبه، أكتبه يا محمد من الصدّيقين عندى» [۶۰۹] . وتمام هذا الحديث منطلق على سيرتها الذاتية عليها السلام فهى كانت راضية بقضاء الله تعالى وصابرة على ما جرى عليها من الظلم والهوان، وكانت شاكرة لله تعالى فالشكر يدى على الرضا، وبملاحظة أسماء الزهراء فى الرواية المتقدمة فى أول الفصل نجد أن من أسماءها الصديقة وأن من الأسماء الأخرى لها هو الراضية، إذن الرضا يؤدى بالعبد إلى درجة الصديقين، والزهراء من خلال استقراء حياتها وسيرتها الذاتية نجد أنها كانت راضية بكل ما قدر الله لها، فهى إذن صديقة وهذا من أفضل البراهين على أنها كانت صديقة سلام الله عليها. أما من خلال الأحاديث والأقوال الواردة فى المقام فهى كثيرة والتى من خلالها بينت أن فاطمة سلام الله عليها كانت الراضية،وكما قلنا أن سيرتها الذاتية طافحة بالأحداث الكثيرة التى أثبت أنها كانت راضية بما قدر الله لها، فعن على بن أعبد قال: قال لى علىّ رضى الله عنه: ألا أحدّثك عنّى وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت من أحبّ أهله إليه؟ قلت: بلى. قال: إنّها جرّت بالرحى حتّى أثّر فى يدها، واستقت بالقربة حتّى أثّر فى نحرها، وكنست البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت القدر حتّى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرّ، فأتى النبىّ عليه السلام خدم، فقلت: لو أتيت أباك فسألته خادماً. فأتته فوجدت عنده حدّاثاً، فاستحيت فرجعت، فأتاها من الغد، فقال: ما كان حاجتك؟ فسكتت، فقلت: أحدّثك يا رسول عليه السلام، جرّت عندى [صفحه ۴۱۲] بالرحى حتّى أثّر فى يدها، وحملت القربة حتّى أثّر فى نحرها وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، [و] أوقدت القدر حتّى دكنت ثيابها، فلمّا جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتسخدمك خادماً يقيها حرّ ماهى فيه. قال: اتّقى الله يا فاطمة، وأدذى فريضة ربّك، واعملى عمل أهلك، إن أخذت مضجعلك فسبّحى ثلاثاً وثلاثين، وكبرى أربعاً وثلاثين، فتلك مائة، فهى خير لك من خادم. فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله؛ ولم يخدمها [۶۱۰] . ولقد ذكر المولى محمد على الأنصارى شارح الخطبة، فى مسالة رضاها سلام الله عليها ومسألة من وجوه اقتضاها حال الرواية حيث قال: وإطلاق الرضيّة لرضاها عن الله ورسوله حين ذهبت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فطلبت منه خادمة وقالت: لا اطيق على شدائد أشغال البيت، فعلّمها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم تسبح فاطمة وبشّر لها بقوابه: فقالت ثلاثاً: رضيت عن

الله ورسوله. فرجعت إلى بيتها فقالت: طلبت من أبى خير الدنيا، فأعطانى خير الآخرة. أو لرضاها عن الله تعالى فيما أعطاها من القرب والمنزلة وطهارة الطينة وغير ذلك من المراتب والعالية فى الدنيا والبرزخ والآخرة من حيث الجاه والمنزلة النعمة الشرف والفضيلة. أو لرضاها عنه تعالى فى جعل الشفاعة الكبرى بيدها من الإنتقام من قتلة ولدها فى الدنيا والآخرة [۶۱۱] .

المرضية

وهذا اسم آخر لفاطمة الزهراء سلام الله عليها، والذى يظهر من خلال التأمل والتدير فى السيرة الذاتية لها أنه هناك احتمالا، فى معنى كونها مرضية، أحدهما هو كون جميع أعمالها وأفعالها وأقوالها وما صدر منها خلال مسيرة حياتها مرضية عند الله تبارك وتعالى فهى رضى الله عنها ورضت عنه، فهى راضية مرضية راضية عن [صفحه ۴۱۳] البارى عز وجل ومرضية بما وعد الله تبارك وتعالى عباده بالرضوان الأكبر. والإحتمال الآخر أنها سلام الله عليها كانت مرضية، من جهة ما أعطاها الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التى بها فضلها على غيرها وكذلك، ومن خلال ما اعطاها تبارك وتعالى من الذرية الكثيرة حيث جعل منها الائمة الهاديين، وكذلك هى مرضية سلام الله عليها من جهة أن لها مقام الشفاعة الكبرى وكما ورد فى أحاديث مجيئها يوم القيامة وكيفية شفاعتها لشيعتا ومحبيها، وهذا ما بحثناه فى الفصل الخاص الذى بيناه فيه مقاماتها سلام الله عليها، وأياً كان تفسير معنى المرضية سواء كان الاحتمال الأولى أو الثانى، فغن فاطمة سلام الله عليها قد حازت وفازت بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة الراقية فهى راضية مرضية أعمالها عند الله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى).

المحدثة

اشاره

ونقف هنا فى هذا الصفحات مع اسم آخر لفاطمة سلام الله عليها والذى نستفيده من خلال مراجعة مصادر اللغة إن هذا الإسم ومن دون تحريك حرف الدال نحتمل فيه اما أن تكون الدال المشدّدة مكسورة واما أن تكون الدال المشددة فيه مفتوحة. وعلى الاحتمال الأول يكون معنى هذا الإسم أنها سلام الله عليها كانت تحدث امها خديجة عليه السلام وهذا ما يظهر من خلال مراجعة بعض الروايات، حيث أنها سلام الله عليها كانت تحدث أمها وهى فى بطنها، وكما ورد عندما سئل رسول الله من زوجته خديجة اثناء دخوله عليها قائلاً لها مع تتحدثين قالت: الجنين الذى فى بطنى يؤنسنى ويحدثنى. وعلى الإحتمال الثانى وهو الأصح على ما يظهر من بعض الأحاديث فى المقام (وسوف تأتينا خلال البحث) يكون معنى المحدّثة هو أنها سلام الله عليها كانت تحدثها الملائكة وتؤنسها وخصوصا بعد فقد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهنا سؤال يطرح نفسه فى المقام وينقدح فى ذهن القارى ء وهو هل من الممكن أن [صفحه ۴۱۴] تكون الملائكة تحدث بعض الناس مع أن المعلوم أن الوحى انقطع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفى حالة تكون تحديث الملائكة وامكان وقوعه ولو على غير نحو الوحى هل يقع هذا مع فاطمة سلام الله عليها؟ وللإجابة على هذا السؤال لا ـ بد لنا من مراجعة القرآن الكريم ونستقرأه فى هذه المسألة وامكان وقوعها فى الأمم السابقة باعتبار أن القرآن الكريم المصدر الأول للمسلمين فى عرض الأشياء عليه. فنجد من خلال عدة آيات قرآنية كثيرة جداً ثبتت هذه الحقيقة وهى أن الملائكة يمكن أن تتحدث مع البشر، فهذا صريح القرآن يثبت هذه الحقيقة الواضحة البرهان والتى لا يبقى معها شك وإليك بعض هذه الآيات القرآنية التى ثبتت هذه المسألة: ۱ ـ قال الله تعالى (واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً...) [۶۱۲] . ۲ ـ (وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك...) [۶۱۳] . ان الظاهر من خلال التأمل فى الآتين المباركتين أن مريم سلام الله عليها تحدثت مع الملائكة، وهذا منأفضل الأدلة على مسألة تحدث الملائكة مع أناس ليسوا بأنبياء فإن

مريم سلام الله عليها لم تكن بنبى ولم تكن إمام بل هى أم نبى من انبياء الله تعالى، ومع ذلك فالملائكة تحدثت معها. ۲ ـ قوله تعالى: (وامرأته قائمة...) [۶۱۴] . ۴ ـ وقوله تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) [۶۱۵] وقوله تعالى: (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرة وعشياً) [۶۱۶] (فقضهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها) [۶۱۷] (وإذ أوحيت [صفحه ۴۱۵] إلىالحواريين أن آمنوا بى وبرسولى) [۶۱۸] . (إذ يوحى ربّك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) [۶۱۹] . (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً) [۶۲۰] . (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) [۶۲۱] . (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) [۶۲۲] . اذن يظهر من خلال هذه الآيات القرآنية وآيات أخرى أن الوحى ليس مختص بالأنبياء والرسل فقط بل هو يتعدى إلى أولياء الله تعالى، نعم الوحى هنا فى هذه الآيات المفهوم منه غير الوحى فى إبلاغ الرسالات إلى الأنبياء بل هو شأن آخر من الوحى. فالوحى لغة الإعلام الخفى السريع، واصطلاحاً الطريقة الخاصة التى يتصل بها الله تعالى برسله وأنبيائه لاعلامهم ألوان الهداية والعلم، وانما جاء تعبير الوحى عن هذه الطريقة باعتبارها خفية عن الآخرين ولذا عبر الله تعالى عن اتصاله برسوله الكريم بالوحى [۶۲۳] . قال سبحانه (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده...) [۶۲۴] . وقال الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم) [۶۲۵] . وهذه الآية الآخيره حددت معنى الوحى الذى يختص بالأنبياء والمرسلين أما الآيات الاخرى المتقدمة الذكر فلها معانى آخر للوحى، والذى نقول به أن فاطمة الزهراء إنما كانت محدّثة من قبل الملائكة بنحو من أنحاء الوحى الذى بينته الآيات [صفحه ۴۱۶] الآنفة الذكر، فلا محالة أن تكون قد حدثت من قبل الملائكة كما دل القرآن على إمكان وقوع ذلك كما حديث مع أم موسى وكيفية إيحاء الله تعالى لها. وثمة شواهد أخرى تدل على على أنها كانت محدثة من قبل الملائكة، وهذا ما نجده فى المأثور الروائى الذى نقل إلينا عبر الرواة والمحدثون. فعن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن على قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّما سمّيت فاطمة محدّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتى لربّك واسجدى واركعى مع الراكعين [۶۲۶] . فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها، وإنّ الله جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها وسيّدة نساء الأولين والآخرين [۶۲۷] . وعن عبدالله بن الحسن المؤدّب، عن أحمد بن على الاصفهانى، عن إبراهيم بن محمد الثقفى، عن اسماعيل بن بشّار قال: حدّثنا علىّ بن جعفر الحضرمىّ بمصر منذ ثلاثين سنة قال: حدّثنا سليمان قال: محمد بن أبى بكر لمّا قرأ: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبىّ) [۶۲۸] ولا محدّث، قلت: وهل يحدّث الملائكة إلاّ الأنبياء؟ قال: إنّ مريم لم تكن نبيّة وكانت محدّثة، وأمّ موسى بن عمران كانت محدّثة ولم تكن نبيّة، وساره امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشّروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيّة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت محدّثة ولم تكن نبيّة [۶۲۹] . وجاء فى الكتاب القيم (الغدير الذى يعتبر من أهم الكتب التى ألفت فى حق ولاية أهل البيت عليهم السلام) حول مسألة الأناس المحدثون حيث قال: «أصفقت الامّة الإسلامية على أنّ فى هذه كما لدى الامم السابقة اناس محدّثون ـ على صيغة المفعول ـ [صفحه ۴۱۷] وقد أخبر بذلك النبى الأعظم كما ورد فى الصّحاح والمسانيد من طريق الفريقين الامّة والخاصّة، والمحدّث من تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، أو يلهم له ويلقى فى روعه شىء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، او ينكت له فى قلبه من حقايق تخفى على غيره، أو غير ذلك من المعانى التى يمكن أن يراد منه. فوجود من هذا شأنه من رجالات هذه الأمّة مطبق عليه بين فرق الإسلام، بيد أنّ الخلاف فى تشخيصه. فالشيعة ترى عليّاً أمير المؤمنين وأولاده الأئمة صلوات الله عليهم من المحدّثين...» [۶۳۰] . وقال رحمة الله: «إنّ فى هذه الامّة اناس محدّثون كما كان فى الامم الماضية، وأمير المؤمنين وأولاده الأئمة الطاهرون علماء محدّثون وليسوا بأنبياء. وهذا الوصف ليس من خاصّة منصبهم ولا ينحصر بهم بل كانت الصدّيقة كريمة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم محدّثة، وسلمان الفارسىّ محدّثاً، نعم كلّ الأئمّة من العترة الطاهرة محدّثون، وليس كلّ محدّث بإمام، ومعنى المحدّث هو العالم بالأشياء بإحدى الطرق الثلاث

المفصّلة فی الأحادیث. هذا ما عند الشیعة لیس إلا» [۶۳۱] . وورد عن العلامة المناوی فی ذیل الحدیث الذی جاء عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم حول مسألة تحدیث الملائکة مع الناس ما نصه: «قد کان فیما مضی قبلکم من الامم اناس محدّثون». قال القرطبیّ: الروایة بفتح الدال، اسم مفعول جمع محدّث بالفتح أی ملهم، أو صادق الظنّ، وهو من القی فی نفسه شیء علی وجه الإلهام والمکاشفة من الملأ الأعلی، أو من یجری الصواب علی لسانه بلا قصد، أو تکلّمه الملائکة بلا نبوّة، أو من إذا رأی رأیاً أو ظنّ ظنّاً أصاب، کأنّه حدّث به والقی فی روعه من عالم الملکوت فیظهر علی نحو ما وقع له. وهذه کرامة بکرم الله بها من شاء من صالح عباده، وهذه منزلة جلیلة من منازل الأولیاء [۶۳۲] . إذن یظهر من الأحادیث والأقوال المأثورة عن الخاصة والعامة أن مسألة تحدیث [صفحه ۴۱۸] الملائکة لأناس لیسوا بأنبیاء متسالمة وما شذ عنها إلا من یدعی الزور والبهتان ضد الشیعة، فالأمم الماضیة وقع فیها هذا الأمر وهذا ما ظهر لنا من خلال القرآن الکریم حیث آوحی الله إلی الحواریین وإلی الملائکة وإلی النحل وإلی أم موسی...

مصحف فاطمة

وعلی هذا الأساس کان مصحف فاطمة سلام الله علیها، هذا المصحف الذی أثاروا علیه الأقویل الباطلة التی لیس لها أی حقیقة وأی برهان سوی أنهم اعتبروا إطلاق هذا المصحف علی أنه قرآناً غیر القرآن الموجودة حالیاً وأنه عند الشیعة یخفونه تقیة، وأمثال هذا الدعاوی الباطلة والتی لا تمت إلی الدین بصلةٍ وکل دلیلهم الذی اعتمدوا علیه هو أن لفظ المصحف یطلق علی القرآن لذلک قالوا بأن مصحف فاطمة قرآن غیر هذا القرآن الکریم المتداول الآن. أما القول الصحیح فی هذا المقام فبعد معرفة أن فاطمة سلام الله علیها کانت محدّثة دون أن تکون نبیة وحسب ما ورد من الإستدلال علی هذه المسألة، فإن حدیث الملائکة لها کان یکتب من قبل الإمام علی علیه السلام أو من قبل فاطمة نفسها سلام الله علیها وهذا ما یظهر من الأحادیث الآتیة، أما مضمون هذا المصحف وماهیته وکیف نعطی القول الفصل فیه فهذا ما سیتبین من خلال بیان معنی لفظ المصحف، وماهیة مضمون هذا المصحف وما فیه من العلم والأحادیث والأمور الغیبیة. أما لفظ المصحف فی صحاح اللغة: ورد فی کتاب لسان العرب: المصحف والمصحف الجامع للصّحف المکتوبة بین الدفتین کأنه أصحف والکسر والفتح فیه لغة. وفی المصباح المنبر: والصحیفة قطعة من جلد أو قرطاس کتب فیه... والجمع صحف بضمتین وصحائف... والمصحف بضم المیم أشهر من کسرها. وفی أقرب الموارد: المصحف اسم مفعول... وحقیقتها مجمع الصحف أو ما جمع منها بین دفتی الکتاب المشدود... وفیه لغتان أخریات وهما المصحف والمصحف جمع [صفحه ۴۱۹] مصاحف. إذن یظهر من هذه المعانی التی وردت فی صحاح اللغة أن المصحف ما جمعت فیه الصحف ولیس کما یدعی أنه قرآن غیر هذا القرآن الموجودة. وهناک شواهد أخری تثبت هذه الحقیقة حیث ورد فی حدیث عن الإمام أبی عبدالله علیه السلام أنه قال: مصحف فیه مثل قرآنکم هذا ثلاث مرات والله ما فیه من قرآنکم حرف واحد، إنما هو شیء أملاها الله وأوحی إلیها. قال: قلت: هذا والله العلم [۶۳۳] . إن هذا الحدیث یعطی دلالة واضحة علی أن مصحف فاطمة سلام الله علیها یختلف اختلافاً کبیراً عن ما موجود فی القرآن من جهة مضمونه، وقد علق العلامة السید محسن العاملی (ره) علی هذه المسألة بقوله: «لا یخفی أنه قد تکرر نفی أن یکون فیه شیء من القرآن والظاهر أنه لکون تسمیته بمصحف فاطمة یوهم أنه أحد قد نسخ المصاحف الشریفة، فنفی هذا الإیهام وفی بعض الأحادیث أن فیه وصیتها، ولعل أحد محتویاته، ثم إن بعضها دال علی أنه من إملاء رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وخط علی علیه السلام» [۶۳۴] . وعلق العلامة الخطیب محمد کاظم القزوینی (ره) علی هذه الروایة بقوله: «ولیس معناه أن القرآن الموجود بین أیدینا ناقص، وأن مصحف فاطمة مکمل له، کلا وألف کلا، ولیس معناه أن الله أنزل علی فاطمة علیها السلام قرآناً وکل من ادعی غیر هذا فهو إما جاهل أو معاند مفتر کذاب» [۶۳۵] . أقول: یظهر من أقوال علماء الشیعة الإمامیة وعلی ما ورد فی أحادیث أهل البیت أن مسألة مصحف فاطمة قد تسالمت علیه الشیعة، ویؤمنون به، ویعتبرونه من المواریث التی ترکتها فاطمة سلام الله علیها لابناءها الأئمة المعصومین، ولا یظهر هذا المصحف إلا بظهور الحجة بن الحسن العسکری عجل الله تعالی فرجه باعتباره الوریث الشرعی لجدته

الزهراء سلام الله عليها. [صفحه ۴۲۰]

مصحف فاطمة فى الأحاديث الشريفة

فى حديث عن أبى عبدالله عليه السلام: «ومصحف فاطمة ما أزعم أنّ فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد حتّى إنّ فيه الجلده ونصف الجلده وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش» [۶۳۶] . وفى حديث طويل عن أبى عبدالله عليه السلام: «وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث، مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنّما هو شىء أملاها الله وأوى إليها. قال: قلت: هذا والله العالم... [۶۳۷] ». وفى حديث آخر: «وخلّفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن، ولكنّه كلام من كلام الله أنزل عليها، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ على [۶۳۸] . وعن أبى عبدالله عليه السلام، قيل له: إنّ عبدالله بن الحسن يزعم أنّه ليس عنده من العلم إلا ما عند النس، فقال: «صدق والله ما عنده من العلم إلا ما عند الناس، ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام، وعندنا الجفر، أفيدرى عبدالله أمسك بعير أو مسك شاة؟ وعندنا مصحف فاطمة، اما والله ما فيه حرف من القرآن، ولكنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ على عليه السلام، كيف يصنع عبدالله إذا جاء الناس من كلّ فنّ يسألونه، أما ترضون أن تكونوا يوم القيامة آخذين بحجزتنا، ونحن آخذون بحجزة نبيّنا، ونبيّنا آخذ بحجزة ربّه»؟ [۶۳۹] . وعن حمّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «تظهر زنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأنّى نظرت فى مصحف فاطمة. قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة من وفاته [صفحه ۴۲۱] من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ، فأرسل اليها ملكاً يسلّى عنها غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولى لى. فأعلمته، فجعل يكتب كلّ ما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحفاً. قال: ثم قال: أما إنّه ليس الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون» [۶۴۰] . وفى حديث آخر قال له الراوى: فمصحف فاطمة؟ فسكت طويلاً ثمّ قال: «إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ونكانه، ويخبرها [۶۴۱] . وعن أبى بصير قال: سألت أبا جعفر محمد بن على عليها السلام عن مصحف فاطمة، فقال: «أنزل عليها بعد موت أبيها. قلت: ففيه شىء من القرآن؟ فقال: ما فيه شىء من القرآن. قلت فصفه لى، قال: له دفّتان من زبرجدتين على طول الورق، وعرضه حمراوين. قلت: جعلت فداك فصف لى ورقه، قال: وروقه من درّ أبيض، قيل له: كن فكان. قلت: جعلت فداك فما فيه؟ قال: فى خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماءٍ سماءٍ، وعدد ما فى السموات من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كلّ م خلق الله مرسلاً وغير مرسل وأسماؤهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذّب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولّين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كلّ بلد فى شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كلّ من كذّب، وصفة القرون الاولى وقصصهم، ومن ولى من الطواغيت ومدّة ملكهم وعددهم. وأسماء الأئمّة وصفتهم، وما يملك كلّ واحدٍ واحدٍ، وصفة كبرائهم، وجميع من تردّد فى الأدوار. قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام. وهى سبعة أدوار، فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم، وصفة أهل الجنّة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما انزلت، وعلم الإنجيل كما انزل كما انزل، وعلم الزبور، وعدد كلّ شجرة ومدرة فى جميع البلاد». قال أبو جعفر عليه السلام: «ولمّا أراد الله تعالى أن ينزل عليها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوه فينزلون به عليها، وذلك فى ليلة الجمعة من الثلث الثانى من الليل، فهبطوا به وهى قائمة تصلّى، فما زالوا قيّاماً حتّى قعدت، ولمّا فرغت من صلاتها سلّموا عليها وقالوا: السلام يقرئك السلام؛ ووضعوا المصحف فى حجرها، فقالت: لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام، ثمّ عرجوا إلى السماء. فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتّى

أتت على آخره. ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس، والطير والوحش، والأنبياء والملائكة». قلت: جعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيّها؟ قال: «دفعته إل أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين عليهما السلام، ثم عند أهله حتّى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر. فقلت: إنّ هذا العلم كثيرا! قال: يا أبا محمد، إنّ هذا الذى وصفته لك لفى ورقتين من أوّله، وما وصفت لك بعد ما فى الورقة الثانية ولا تكلّمت بحرف منه» [۶۴۲] .

وختاماً للبحث حول اسم المحدثة نذكر ما قاله العلامة الهمدانى تعليقاً حول الروايات الواردة فى هذا المقام حيث قال تحت عنوان فائدتان: إنّ ما يستفاد من هذا الأخبار فى شأن مصحف فاطمة سلام الله عليها فى وجوه مختلفة: منها: ما يدلّ على أنّ الله تعالى أرسل ملكاً أو يأتيها جبرئيل بعد قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم يحدّها عليه السلام ويكتب عليّ عليه السلام، كما فى الحديث الأوّل والثانى من البحار. ومنها: ما يدلّ على أنّ مصحف فاطمة عليه السلام كان موجوداً فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما [صفحه ۴۲۳] لاحظت فى حديث «البصائر» بقوله عليه السلام: ولكنّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ عليّ عليه السلام. ومنها: ما يدلّ على أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليها كا لاحظت فى الحديث الثالث من «البصائر» بقوله عليه السلام: «إنّما هو شىء أملاها الله وأوحى إليها». ويستفاد أيضاً أنّ مصحفها سلام الله عليها يشتمل على جميع الأحكام الشرعيّة من نصف الجلدة أو جلدة واحدة حتى أرش الخدش، وأنّ فيه أسماء جميع الناس والكائنات جميعها من الشجر والمدر وغير ذلك كما فى حديث «دلائل الإمامة»، وفيه ذكر الحوادث المهمّة إلى يوم القيامة. ويستفاد أيضاً أنّ من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام وكانوا يرجعون إليه [۶۴۳] .

الزهراء

وهو من أشهر أسماءها وأشهرها شيوعاً عند الشيعة، فنراهم كثيراً ما يسمون أسماء مواليدهم من الاناث بهذا الاسم المبارك اضافة إلى اسمها فاطمة، وقد تقدم بنا الحديث فى كيفية تطابق الإسم على المسمى وبيان فلسفته، وكذلك الحال فى هذا المقام، ففاطمة سلام الله عليها سميت بهذا الإسم (زهراء) لأن نورها الذى زهرت به السموات والأرض ولم يأت هذا الإسم اعتباطاً وإنما جاء ليعبر عن طبيعة ذاتها، فنجد ومن خلال مطابقة الكثير من الروايات التى تروى مبدء نور فاطمة وخلقته ان لها نوراً يسطع من جبينها ومن وجهها المتلألىء بنور الله تعالى والذى كان من شأنه أن زهرت به السموات والأرض كرامةً من الله تعالى لها ولمقامها السامى عنده، أما بيان هذا الاسم فانه لا يحتاج إلى كثير تأمل وخاصة بالنسبة للمطلع على الأسماء العربية، فانها بسيطة ومفهومةً عندما تطرق الأذهان، ومع ذلك نقف مع هذه الروايات التى تبين علة تسميتها الزهراء ففى حديث طويل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: [صفحه ۴۲۴] «ثم أظلمت المشارق والمغرب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكّلم الله جلّ جلاله كلمة فخلق منها روحاً، ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نوراً، فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش، فزهرت المشارق والمغارب فهى فاطمة الزهراء، ولذلك سمّيت «الزهراء» لأنّ نورها زهرت بن السموات [۶۴۴] »، الحديث. وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: يا ابن رسول الله، لم سمّيت الزهراء «زهراء»؟ فقال: «لأنّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام فى النهار ثلاث مرّات بالنور، كان يزهر نور وجهها الغداة والناس فى فراشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيض حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة فى محرابها تصلّى والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلون أنّ الذى رأوه كان من نور فاطمة، فإذا انتصف النهار وترتّبت للصلاة، زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة فى حجرات الناس، فتصرّ ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة فى محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة، فيعلمون أنّ الذى رأوا كان من نور وجهها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس، أحمّ وجه فاطمة، فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عزّ وجلّ، فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون فإذا كان آخر

النهار وغربت الشمس، احمرّ وجه فاطمة، فاشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً الله عزّ وجلّ، فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة، فيرونها جالسة تسبّح وتمجّده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنّ الذى رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل ذلك النور فى وجهها حتّى ولد [صفحه ۴۲۵] الحسين عليه السلام، فهو يتقلّب فى وجوهنا إلى يوم القيامة فى الأئمة منّا أهل البيت إمام بعد إمام» [۶۴۵] . وعن أبى هاشم العسكرى قال: سألت صاحب العسكر عليه السلام: لم سمّيت فاطمة «الزهراء» عليه السلام؟ فقال: «كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عليه السلام من أوّل النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرّىّ» [۶۴۶] . وعن الحسن بن يزيد قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: لم سمّيت فاطمة «الزهراء»؟ قال: «لأنّ لها فى الجنّة قبّة من ياقوت حمراء ارتفاعها فى الهواء مسيرة سنة. معلّقة بقدرة الجبّار، لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها، لها مائة آلف باب، على كلّ باب بألف من الملائكة، يراها أهل الجنة كما يرى أحدكم الكوكب الدرّىّ الزاهر فى افق السماء، فيقولون: هذه الزهراء لفاطمة» [۶۴۷] . وعن ابن عمارة، عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن فاطمة لم سمّيت «زهراء»؟ فقال: «لأنّها كانت إذا قامت فى محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض» [۶۴۸] . وعن جابر، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قلت: لم سمّيت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال: «لأنّ الله عزّ وجلّ خلقها من نور عظمته، فلمّا أشرقت أضاءت السموات والأرض بنورها، و غشيت أبصار الملائكة، وخرّت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نورى، وأسكنته فى سمائى، خلقته من عظمتى، اخرجه من صلب نبيّ من أنبيائى، افضّله على جميع الأنبياء، واخرج من ذلك النور أئمّة يقومون بأمرى، ويهدون إلى حقّى، وأجعلهم خلفائى فى أرضى بعد انقضاء وحيى» [۶۴۹] . [صفحه ۴۲۶] وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا خلق الله آدم وحوّاء تبخترا فى الجنّة، فقال آدم لحوّاء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا. فأوحى الله إلى جبرئيل عليه السلام: ائت بعبدىّ الفردوس الأعلى. فلمّا دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنّة، وعلى رأسها تاج من نور، وفى أذنيها قرطان من نور قد أشرقت الجنان من حسن وجهها، فقال آدم: حبيبى جبرئيل! من هذه الجارية التى قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد نبيّ من ولدك يكون فى آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذى على رأسها؟ قال: يعلها علىّ بن أبى طالب عليه اسلام... قال: فما القرطان اللذان فى اذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين. قال آدم: حبيبى جبرئيل! خلقوا قبلى؟ قال: هم موجودون فى غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة» [۶۵۰] . فى الدّرّ كوّنها البارى وصوّرها من قبل إيجاد خلق اللوح والقلم وتوّجت تاج نور حوله درر يضى كالشمس أو كالنجم فى الظلم لله اشباح نور طالما سكنوا سرّ الغيوب فسادوا سائر الامم قال العلامة المقرّم: اشتهرت الصدّيقة بالزهراء لجمال هيئتها والنور الساطع فى غرّتها، حتّى إذا قامت فى محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر الكوكب لأهل الارض، وإن حضرت للإستهلال أوّل الشهر لا يرى نور الهلال لغلبة نور وجهها على ضيائه [۶۵۱] ... وعن سلمان الفارسّى (ره) مرفوعاً قال: كنت جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فى المسجد إذا دخل العبّاس بن عبد المطّلب، فسلّم، فردّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ورحّب به، فقال: يا رسول الله بما فضّل الله علينا أهل البيت علىّ بن أبى طالب والمعادن واحدة؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إذن أخبرك يا عمّ، إنّ الله خلقنى وخلق علياً ولا سماء ولا أرض ولا جنّة ولا نار ولا لوح ولا قلم. فلمّا أراد الله عزّ وجلّ بدو خلقنا تكلّم بكلمة فكانت نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما واعتدلا، فخلقنى وعلياً منهما. [صفحه ۴۲۷] ثمّ فتق من نورى نور العرش، فأنا أجلّ من العرش. ثمّ فتق من نور علىّ نور السماوات، فعلىّ أجلّ من السماوات. ثمّ فتق من نور الحسن نرو الشمس، ومن نور الحسين نور القمر، فهما أجلّ من الشمس والقمر. وكانت الملائكة تسبّح الله تعالى وتقول فى تسبيحها: «سبّوح قدّوس من أنوارها ما أكرمها على الله تعالى»! فلمّا أراد الله تعالى أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة، وكانت الملائكة لا تنظر أوّلها من آخرها ولا آخرها من أوّلها، فقالت الملائكة، إلهنا وسيّدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحقّ هذه الأنوار إلا ما كشفت عنّا. فقال الله عزّ وجلّ: وعزّتى وجلالى لأفعلنّ؛

فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذ كالقنديل، وعلّقه فى قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سمّيت فاطمة «الزهراء». وكانت الملائكة تسبّح الله وتقدّسه، فقال الله: وعزّتى وجلالى، لأجعلنّ ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبّى هذه المرأة وأبيها...». إذن قد تبين من هذه الأخبار والأحاديث الشريفة الوجه من تسميتها بالزهراء فتارة لأشراق نورها للإمام على عليه السلام وأخرى لأن الأرض والسموات العلى زهرت من نورها، وتارة أخرى نتيجة عبادتها ودخول نورها إلى بيوتات المدينة وإشعاع هذا النور على جميع الناس آنذاك. خجلاً من نور بهجتها تتوارى الشمس بالشفق وحياءً من شمائلها يتغطى الغصن بالورق

البتول

جرت عادة الباحثين والكاتبين حول حياة السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها عند التعرض لاسمها المبارك (البتول) البحث حول قانون العلية والمعلولية كقانون وسنة ربانية جعلها البارىء عزوجل منذ الخلقة الاولى، فنجد أنه لا يوجد معلول دو علة مؤثرة فيه أو لا توجد أسباب إلا ولها مسبب حقيقى، وبعبارة أخرى لا [صفحه ۴۲۸] يوجد أى شىء دون أن تكون له علة مؤثرة فيه، وعلى هذا الأساس نجد أن الكثير قد طعنوا فى اسمها الذى نحن بصدد الوقوف معه فى هذه الصفحات حيث يقتضى اسم البتول مخالفة قانون العلية كل ذلك لما لهذا الإسم (البتول) من معنى مؤثر وفاعل على طبيعة الحياة البشرية، ولو أن هؤلاء الذين وقفوا موقف التعنت لهذه الكرامة ولهذا المقام السامى وتأملوا فى مراجعة القوانين الكونية والسنن الإلهية لوجدوا أن هناك الكثير من هذه القوانين قد خرقت وبتأييد من الله تعالى وهذا ما نجده من خلال مراجعة القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامى ولقضايا المهمة التى ربما لا يوجد لها حل (ونزلنا القرآن تبياناً لكل شىء) أى لا يوجد شىء من الامور التى تعرض لنا فى الحياة إلا وله أساس ومعرفة وبيان من القرآن الكريم، أما من الذى يستطيع إدراك هذا البيان ومعرفته المعرفة الحقة فهذا ما نراه واضحاً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من بعده: ثم من بعد ذلك نرجع إلى الذين أوصى بهم الأئمة بالعودة اليهم بعد غيبة القائم عجل الله تعالى فرجه «وأما الحوادث الواقعة فى زمن الغيبة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فانهم حجتى عليكم وأنا حجة الله عليهم)، إذن لا بد بالنتيجة النهائية أن نرجع إلى القرآن الكريم ونرى هل ان هناك قوانين شذ عنها الكثير من الناس وحسب ما ارتضاه تبارك وتعالى؟ (نعم) بهذا القول سوف يجيبنا القرآن الكريم فثمة هناك شواهد واضحة البرهان جلية البيان، صريحة فى معناها متقدة فى مغزاها أثبتت من خلال واقعيتها مدى صحة مدركيتها فهذه النار التى جعلت لإبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً وخالفت قوانين الطبيعة فى سلوكها وخاصيتها المحرقة وهذه شجرة من يقطين أنبتت ليونس عليه السلام بعد أن نبذه الحوت بالعراء وهو سقيم، مع العلم بأن حبة اليقطين تحتاج إلى مدة غير قصيرة، حتى تثبت وتورق وتستر بورقها جسم إنسان أو غير إنسان، وهكذا نجد فى شذوذ الكثير من المسائل عن القوانين والسنن الإلهية، فهذه مريم مخالفة فى ولادة عيسى عليه السلام من غير أب مسألة قانون التناسل البشرى الطبيعى، وكذلك هناك طوائف عديدة وأمثلة واضحة تدل دلالة صريحة على أنه هناك الكثير من القوانين قد خرقت بقدرة الله تعالى باعتباره هو مسبب الأسباب الطبيعى بل هو الجاعل لهذه السنن القدرة بهذه [صفحه ۴۲۹] الكيفية كل هذا المقال الذى قلنا به وبيّنا الشىء اليسير منه لكى نرجع إلى قضية فاطمة سلام الله عليها فى كونها بتول منقطعة عن الحيض، فهل هذا اخلاف وتغير فى قانون الطبيعة أم هى كرامة من الله تعالى لها؟ وهل لهذه مسألة وجه يخرج عنه المتحير فكره إلى الصحيح من البيان؟ نعم نقول فى فاطمة عليها السلام كانت بتول بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وسبق أن قلنا أن هذه المسألة لم تكم الفريدة من نوعها، بل توجد شواهد قرآنية عليها ومن خلال أبسط استقراء للقرآن الكريم نرى هذا الشىء الواضح. أما بيان البتول والوقوف عليها، وبيان الوجه فى ذلك فهذا ما سيظهر لنا من خلال مراجعة كتب اللغة والحديث والتاريخ لنرى كيف كانت فاطمة سلام الله عليها بتول بكل ما تحمل هذه الكلمة من مدلولات واضحة. أما بيان معنى هذه الكلمة من خلال مراجعة كتب اللغة فيظهر من خلال هذه الكتب أنه سئل أحمد بن يحيى عن

فاطمة رضوا الله عليها بنت سيدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم قيل لها: البتول؟ فقال: لا نقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الامّة عفافاً وفضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عزّ وجلّ... وقيل: تبتيل خلقها انفراد كلّ شيء عنها بحسنه لا يتّكل بعضه على بعض. قال ابن الأعرابيّ: المبتّلة من النساء: الحسنة الخلق، لا يقصر شيء عن شيء لا تكون حسنة العين سمجة الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة العين، ولكن تكون تامّة [۶۵۲] . وقال ابن الأثير: وامرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم: وبها سمّيت مريم أمّ المسيح عليهما السلام. وسمّيت فاطمة «البتول» لا نقطاعها من نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لا نقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى [۶۵۳] . وقال الطريحي: والبتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قيل: سمّيت بذلك لانقطاعها إلى الله وعن نساء زمانها فضلاً، وعن نساء الامّة فضلاً وحسباً وديناً [۶۵۴] . [صفحه ۴۳۰] وورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «سمّيت فاطمة بتولاً ـ لأنّها تبتّلت وتقطّعت عمّا هو معتاد العورات فى كلّ شهر، ولأنّها ترجع كلّ ليلة بكراً. وسمّيت مريم بتولاً لأنّها ولدت عيسى بكراً» [۶۵۵] . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «وإنّما سمّيت فاطمة «البتول» لأنّها تبتّلت من الحيض والنفاس...» [۶۵۶] . وعن علىّ عليه السلام قال: «إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سئل: ما البتول؟ فإنّا سمعناك يا رسول الله تقول: إنّ مريم بتول، وفاطمة بتول؟ فقال: البتول التى لن تر حمرةً قطّ، أى لم تحض، فإنّ الحيض مكروه فى بنات الأنبياء» [۶۵۷] . وعن عائشة قال: إذا اقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت لا تحيض قطّ، لأنّها خلقت من تفّاحة الجنّة، ولقد وضعت الحسن بعد العصر، وطهرت من نفاسها، فاغتسلت وصلّت المغرب [۶۵۸] ... وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ ابنتى فاطمة حوراء، إذ لم تحض ولم تطمث» [۶۵۹] . وروى الحافظ أبو بكر الشافعى عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إبنتى حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث...» [۶۶۰] ... الخ. وروى ابن عساكر عن أنس بن مالك عن ام سليم قالت: لم تر فاطمة (رضى الله عنها) دماً فى حيض ولا فى نفاس [۶۶۱] . وروى الطبرى عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت: (أى ولدت) فاطمة بالحسن فلم أر لها فى حيض ولا ـ نفاس، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «أما علمت أن ابنتى طاهرة، لا يرى لها دم فى طمث ولا ولادة» [۶۶۲] . [صفحه ۴۳۱] وعن أبى عبدالله عليه السلام قال: حرّم الله النساء على علىّ ما دامت فاطمة حيّة، لأنها طاهرة لا تحيض» [۶۶۳] . وفى كتاب «مولد فاطمة عليها السلام» لابن بابويه، يرفعه إلى أسماء بنت عميس قالت: قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كنت شهدت فاطمة إنّ فاطمة خلقت حوريّة فى صورة إنسيّة [۶۶۴] . وعن أبى جعفر عليه السلام، عن آبائه: قال: «إنّما سمّيت فاطمة بنت محمّد «الطاهرة» لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رفث، وما رأت قطّ يوماً حمرةً ولا نفاساً» [۶۶۵] . أقول: يظهر من التأمل فى كلمات أصحاب الصحاح من أهل اللغة والبيان أنهم حملوا معنى الانقطاع بالنسبة للفظ البتول محملاً جيداً وفسروه بأنه انقطاع عن نساء زمان فاطمة سلام الله عليها من ناحية العفة والفضل والدين والحسب، وكذلك حملوه على الزهد عن الدنيا وانقطاعها سلام الله عليها عن الدنيا وهذه المعانى التى حملوا اسم البتول عليها وان كانت جيدة ومفيدة وواضح من خلال السليقة العربية ومفاهيمها إلا ـ واقع الحال والمقام لا يساعد على هذا الحمل ولا يظهر فيه نتيجة وجود مرجحات وشواهد وقرائن واضحة لمن أراد استقصاءها فى معنى اسم البتول، وخير شاهد على هذه القرائن هو ما قدمناه من الروايات الواردة فى المقام من الخاصة والعامة، فهى أفضل دليل على أن المراد من كلمة واسم البتول هو ما أطلقت وبينت الروايات الشريفة، فالمقول الذى نقول به ونرجحه على كلمات أهل اللغة فى معنى البتول فى انه هذا الاسم ظاهر فى التى لم تر حمرة قط ولم تحض أبداً وهو الذى يساعد عليه المقام فتأمل فى هذه الروايات المباركة. أما ما يظهر من كلمات بعض الذين وقفوا موقف المتحير ولا يجد أى طريق لحل هذه المعضلة والتى حسب آرائهم انها مخالفة لنظام العلل والمعاليل والأسباب، وان [صفحه ۴۳۲] قصية أن فاطمة سلام الله عليها لا ترى الدم ولا الحيض وأمثال هذه القذارة، فحسب قولهم انها مخالفة لحديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «أبى الله أن يجرى الأشياء إلا بأسبابها فجعل لكل شيء سبباً» وذلك من جهة خروجها عن هذا النظام الأكمل فى الطبيعة فنقول: قد تبين الحال من خلال مراجعة القرآن الكريم وان الكثير من الشواهد القرآنية تدل دلالة قطعية على أن الله تعالى قد تصرف فى ملكه وقهر الكثير من القواعد المطردة فى الطبيعة

الكونية «ذلت لقدرتك الصعاب وتسببت بلطفك الأسباب» «ويا مسبب الأسباب من غير سبب». وقد علق المحقق الهمدانى [۶۶۶] على هذه المسألة ببيان واضح ذو فائدة جلية ومضامين عالية وغير مخالفة لما هو الأساس من هذه المسألة حيث قال: توجد فى القرآن الكريم طائفة من القصص والوقائع والحوادث لا- يساعد عليها جريان العادة المشهورة فى عالم الطبيعة على نظام العلّة والمعلول المعهودة، كحمل مريم سلام الله عليها، فإنّها مع أنّه لم تمسسها بشر حملت بولدها عيسى عليه السلام، وكحمل سارة بإسحاق عليه السلام مع أنّها كانت عجوزاً، وكحمل امرأة زكريّا بيحيى مع أنّها كانت عاقراً، وأمثال ذلك فى العجزات وخوارق العادات التى يثبتها القرآن لعدّة من الأنبياء الكرام كمعجزات نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، فإنّ كلّ ذلك امور خارقة للعادة. فبعد هذا البيان يظهر للقارئ الكريم بطلان ما يقال: إنّ الحيض فى النساء من لوازم الخلقة، فخلوّ المرأة عنه نقص، وإنّ العادة الشهريّة علامة وسبب للولادة؛ لأنّا نقول: ليس الخروج من مضايق الطبيعة نقصاً بل ربما يكون كرامة يا لها من كرامة! على أنّ الحيض بنفسه قذارة ورجس، كما قال الله عزّ وجلّ (قل هو أذىً) أى قذارة يتأذّى منها، فإنّ المرأة حين حدثت لها العادة الشهريّة تنفعل وتخجل وتنكسر ولا ترضى أن تصرّح بها لكلّ أحد وإن كان أمسّ الناس إليها من الرجال والنساء، وقد تحدث فيها ضعف، ومن ذلك سقطت عنها فى هذه الأيّام الصلاة والصوم، وحرم عليها اللبث فى [صفحه ۴۳۳] المساجد، وغير ذلك من الأحكام المذكورة فى كتب الفقه، حتّى حين حاضت صارت ناقصة الإيمان كما نبّه عليه الإمام علىّ عليه السلام بقوله: «فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصيام فى أيّام حيضهنّ» [۶۶۷] . فعل هذا: إنّ الل عزّ وجلّ تفضّل على سيّدة النساء فاطمة البتول العذراء سلام الله علهيا بالولادة الكاملة من دون رؤية هذه القذارة. وهذا فضيلة سامية لها، وتطهير زائد فى ذاتها سلام الله عليها. وإنّ الله عزّ وجلّ لا يرضى أن تتلوث سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين بهذه القذارة أو غيرها ظاهرة كانت أو باطنة، كما قال فى حقّها: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)؛ وعن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا حميراء إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميّين لا تعتلّ كما يعتللن [۶۶۸] . [صفحه ۴۳۷]

فدک عنوان الولاية

اشاره

لبعض أشراف مكة [۶۶۹] . ما لعينى قد غاب عنها كراها [۶۷۰] وعراها من عبرةٍ ماعراها ألدارٍ نعمت فيها زماناً ثم فارقتها فلا أغشاها أم لحىّ بانوا باقمار ثمّ يتجلّى الدجى بضوء سناها حاش لله لست أطمع نفسى أخر العمر فى اتّباع هواها بل بكائى لذكر من خصّها الله تعالى بلطفه واجتباها ختم الله رسله بأبيها واصطفاه لوحيه واصطفاها وحباها بالسيّدين الزكيين الأمامين حنه حين حباها ولفكرى فى الصاحبين الّلذين أأمامين منه حين حباها منعا بعلها من العهد والعقد وكان المنيب والأوّاها واستبدّا بأمرةٍ دبّراها قبل دفن النبىّ وانتهزاها وأتت فاطم تطالب بالأرث من المصطفى فما ورثاها ليت شعرى لم خولفت سنن القرآن فيها والله قد أبداها نسخت آية المواريث منها أم هما بعد فرضها بدّلاها قالا أبوك جاء بهذا حجة من عنداهم نصباها قال للأنبياء حكم بأن لا يورثوا فى القديم وانتهراها أفبنت النبىّ لم تدر إن كا ن نبىّ الهدى بذلك فاها بضعة من محمدٍ خالفت ما قال حاشا مولاتنا حاشاها سمعته يقول ذاك وجاءت تطلب الارث ضلة وسفاها هى كانت لله أتقى وكانت افضل الخلق عفّةً ونزاها أو تقول النبىّ قد خالف القر آن ويح الأخبار ممن رواها سل بإبطال قولهم سورة النمل وسل مريم التى قبل طه [صفحه ۴۳۸] فهما ينبئان عن إرث يحيى وسليمان من أراد انتباها فدعت واشتكت إلى الله من ذا ك وفاضت بدمعها مقلتاها ثمّ قالت فنحلة لى من والدى

المصطفى فلم ينحلاها فأقامت بها شهوداً فقالوا بعلها شاهد لها وابناها لم يجيزوا شهادة ابنى رسول الله هادى الأنام إذ ناصباها لم يكن صادقاً على ولافا طمة عندهم ولا ولداها كان أتقى لله منهم فلان قبح القائل المحال وشاها جرّعاها من بعد والدها الغيض مراراً فبئس ماجرعاها ليت شعرى ما كان ضرّهما الحفظ لعهد النبيّ لو حفظاها كان إكرام خاتم الرّسل الها دى البشير النذير لو اكرماها ولو ابتيع ذاك بالثمن الغا لى لما ضاع فى اتّباع هواها ولكان الجميل أن يقطعاها فدكاً لا الجميل أن يقطعاها أترى المسلمين كانوا يلومو نهما فى العطاء لو أعطياها كان تحت الخضراء بنت نبيّ صادقٍ ناطقٍ أمين سواها بنت من أمّ من حليلة من ويل لمن سنّ ظلمها وأذاها قل لنا أيها المجادل فى القول عن الغاصبين إذ غصباها أهما ما تعمّداها كما قلت بظلم كلّا ولا اهتضماها فلماذا إذ جهزت للقاء الله عند الممات لم يحضراها شيعت نعشها ملائكة الرحمن رفقاً بها وما شيّعاها كان زهداً فى أجرها أم عناداً لأبيها النبيّ لم يتبعاها أم لأنّ البتول أوصت بألا يشهدا دفنها فما شهداها أغضباها وأغضبا عند ذاك الله ربّ السماء إذ أغضباها وكذا أخبر النبى بأنّ الله يرضى سبحانه لرضاها لا نبيّ الهدى أطيع ولا فاطمة أكرمت ولا حسناها ولأىّ الامور تدفن سرّاً بضعة المصطفى ويعفى ثراها [صفحه ۴۳۹] فدك عنوان الولاية قد تعرض الكثير من الباحثين والمحقّقين لقضية فدك وكتبت أقلامهم الشريفة فى ما يتعلق بها من أمور عقائدية وولائية أفضل وأروح الكتب والتحقيقات سواء كانت هذه المؤلفات من الأفذاذ من العلماء الدينيين وكتّاب الشيعة المخلصين أو الذين تنورت بصيرتهم بنور الإيمان من جمهور العامة، حيث تعتبر هذه الكتب من روائع التراث الأسلامى عبر مرّ السنين والدهور، وفى خضم الأحداث إلى وقتنا الحاضر فى أرث الزهراء عليها السلام خاصة والولاية لعلى عليه السلام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم عامة، ويدافعون عن الباطل ويمدهم الشيطان بطغيانهم لحرف المسلمين عن الطريق المستقيم، والمحجة البيضاء بولاية علىّ و أولاده الأئمة الاطهار عليهم السلام. فمن هذا المنطلق كان لابدلنا من وقفة يسيرة من عنوان الولاية والحق السليب من أهل بيت النبوة عليهم السلام تلك هى فداك التى جاءت لتعبر عن معانى الولاء أو البراءة بالنسبة للذين يقفون فى سدة الحكم الإسلامى إذ بان رحلة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وفدك قرية بالحجاز، بينهما وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى سنة «سبع» صلحاً، وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل خيبر وفتح حصونها، ولم يبق إلا ثلاث واشتد بهم الحصار، راسلوا رسول الله يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل، وبلغ ذلك من أهل فدك، فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك، فهى ممالم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيها عين خوارة ونخيل كثير، وهى التى أقطعها رسول الله فاطمة صلوات الله عليها [۶۷۱] ولقد نزلت الآيات القرآنية الكريمة على قلب الرسول الأكرم كى تثبت حقيقة خالدة على من العصور ألا وهى منح فاطمة الزهراء فدكا وعلى لسان القرآن الكريم، لذلك تعتبر فدك منحة ربانية قبل أن تكون هدية نبوية، حيث جاء قوله تعالى: (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القربى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل لكيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) [۶۷۲] . ليكون دليلاً على أنّ قوله تعالى «وآت ذا القربى حقه» هو كون فدك للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، ولقد أيدت هذا القول الكثير من الكتب الواردة فى تفسير قوله تعالى «وآت ذا القربى حقه» منها كشف الغمة [۶۷۳] وتفسير العياشى [۶۷۴] وكتاب تأويل الآيات [۶۷۵] وتفسير مجمع البيان [۶۷۶] وتفسير فرات [۶۷۷] ، حيث أجمعت جميع هذه الكتب أنّ فدك هبة من الله تعالى فى القرآن الكريم وعلى لسان الرسول لفاطمة عليها السلام، والذى يظهر من جميع هذه الكتب ان فدك لفاطمة ولعقبها من بعدها أى للائمة عليهم السلام، ولقد غصبت فدك ظلماً وعدواناً بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أما الشاهد على كونها هبة من الله تعالى ما روى فى تفسير الإمام الرضا عليه السلام،

فی مسألـة اصـطفاء أهل البیت فی الکتاب العزیز فی أثنی عشـر موطناً... قال علیه السـلام: والآیـة الخامسة: قول الله عزوجل: (وآت ذی القربی حقه)؛ خصوصـیة خصـهم الله العزیز الجبار بها، واصـطفاهم علی الأمـة؛ فلما نزلت هذه الآیة علی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم قال أدعوا إلیّ فاطمـة، فـدعیت له: «فقال، قالت: لبیک یا رسول الله. فقال: هذه فدک، هی مما لم یوجف علیه بخیل ولا رکاب وهی لی خاصة، دون المسـلمین، قد جعلتها لک لما أمرنی الله تعالی به، فخذیها لک ولی ولدک» [۶۷۸] . [صفحه ۴۴۱] ولکن القوم لم یتحملوا أن تکون فدک خالصة لأهل بیت النبوة بل شـحت علیها أنفس القوم، وإلی ذلک أشار الإمام علی علیه السـلام فی رسالته لابن حنیف: «بلی کـانت فی أیـدینا فـدک من کل ما أضـلته السـماء فشـحت علیها نفوس قوم وسـخت عنها نفوس قوم آخرین ونعم الحکم الله» [۶۷۹] ، والـذی یظهر من جمیع الروایات الواردة فی المقام: إن فدک کانت فیئاً أفاءها الله علی نبیه خاصة دون المسـلمین لانه لم یوجف علیه بخیـل ولا رکاب، فأنزل الله تعالی: (وآت ذی القربی حقه) فقال صـلی الله علیه وآله وسـلم لجبرائیل علیه السـلام ومن ذا القربی؟ وما حقه؟: أعط فاطمة فدکاً، فأعطاها حوائط فدک، ومالله ولرسوله فیها فدعا حوائط فدک، وما الله ولرسوله فیها فدعا حسـناً وحسیناً وفاطمة علیهم السلام وقال لها علیه السلام: إن الله قد أفاء علی أبیک فدکاً، واختصه بها، فهی لی خاصة دون المسلمین، أفعـل بها ما أشاء. وقال: کان لأمک خدیجـة علی أبیک مهر وأنّ أباک قـد جعل فـدک لک بـذلک. أقول: یظهر من هـذا الکلام أنّ مسألـة المهر الحاضـر للزوجة یکون فی ذمة الرجل فی حالة عدم دفعه بعد وفاة الزوجة ولابد من أعطاءه للورثة الذین هم أبناء الزوجة لذا کانت فاطمة وریثة أمها خدیجة فی مهرها فأعطاها فدک فی قبال ذلک، هذا مانسـتفیده من خلال الروایة وقال صلی الله علیه وآله وسـلم: نحلتکها لتکون لک ولولدک من بعدک فخذیها، وقال صـلی الله علیه وآله وسلم: أکتب لفاطمة نحلة من رسول الله. وبالجملة فرسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم أعطاها حقها بأمر الله فـدکاً، فکانت لها من الله تعالی وقد جعلها فی حیاته لها نحلة، وأشـهد علی ذلک أمیر المؤمنین وأم أیمن. وقالت فاطمة علیها السـلام: لست أحدث فیها حدثاً وأنت حی، أنت أولی بی من نفسـی ومالی لک ثم قالت فی احتجاجها علیها السـلام فی مسـجد النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: هذا کتاب رسول الله أوجبها لی ولولدی دون احتجاجها علیها السـلام فی مسـجد النبی صـلی الله علیه وآله وسلم: هذا کتاب رسول الله أوجبها لی ولولدی دون المؤمنین، وعلی کل فلیس فی الروایات فی تعیین من له فدک، ذکر علی أو ما یشـعر بأن فدکاً له وهو أول الأئمة، أو لخصوص الأئمة من ولد الحسـین علیه السـلام، أو للامامـة ومن یتصدی لها، بل هی عطیة ونحلة وهبها وأعطاها النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فاطمة علیها السـلام لذی قربی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم فی الیوم، وهم فاطمة وولدیها الحسن والحسین علیهم السلام کما [صفحه ۴۴۲] دعاهم واعطاها لتکون لفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام ولا إختصاص فی عقب فاطمة علیها السلام بالأئمة من ولد الحسین دون الحسن علیهم السلام، وبعـد فاطمـة والحسـن والحسـین علیهـم السـلام تکـون میراثـاً لعقب الحسن والحسـین علیهم السـلام. ثمّ قـالت فنحلـة لی مـن والـدی المـصـطفی فـلم یـنحلاها فأقـامت بـهـا شـهوداً فـقـالوا بـعلها شـاهـد لهـا وابناها لم یجیزوا شـهادة ابنی رسول الله هادی الانـام إذ نـاصباها

اخراج عمال فاطمة من فدک

وردت عدة أحادیث وروایات أثبتت حقیقة واضحة البرهان [۶۸۰] جلیلة البیان وهی أنه لما بویع أبو بکر، واسـتقام له الأمر علی جمیع المهاجرین والأنصار، بعث إلی فدک وأخرج وکیل فاطمة علیها السـلام بنت رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم منها، فجاءت فاطمة علیها السـلام مسـتعدیة فطالبها بالبینة؛ فجاءت بعلی والحسـنین صـلوات الله علیهم وأم أیمن المشـهود لها بالجنة، فرد شهادة أهل البیت علیهـم السـلام بجرّ النفع وشـهادة أم أیمـن بقصورهـا عـن نصـاب الشـهادة ثـم أدعتهـا علی وجـه المیراث، فغضـبت علیـه وعلی عمر فهجرتهمـا، واوصت بـدفنها لیلاً، لئلاً یصـلّیا علیها فاسـخطا بـذلک ربّهما ورسوله، واسـتحقا الیم النکال، وشدیـد الوبال، ثم لما انتهت الإمارة إلی عمر بن عبد العزیز ردّها علی بنی فاطمة علیهم السـلام، ثم انتزعها منهم یزید بن عبدالملک، ثم دفعها السـفاح الی الحسن

بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام، ثم أخذها المنصور، ثم اعادها المهدى، ثم قبضها الهادى، ثم ردها المأمون لما جاءه رسول بنى فاطمة، فنصب وكيلاً- من قبلهم وجلس محاكماً فردها عليهم، وفى ذلك يقول دعبل الخزاعى: أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمون هاشماً فدكا [صفحه ۴۴۳]

خطأ الخليفة الأول

ولنبين خطأ أبى بكر فى تلك القضية مع وضوحها بوجوه: أما أن فدكاً كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمما لا نزاع فيه، وقد أوردنا من رواياتنا وأخبارنا للمخالفين مافيه كفاية ونزيده وضوحاً بما رواه فى جامع الأصول: مما أخرجه من صحيح «أبى داود» عن عمر، قال: إنّ أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسول مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة قرى عرينة وفدك عرينة وفدك وكذا وكذا ينفق على أهله منها نفقة سنتهم، ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله وتلا: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) الآية. وروى أيضاً: عن مالك بن أوس قال: كان فيما احتج به عمر أن قال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث صفايا: بنو النضير، وخيبر، وفدك، إلى آخر الخبر. وروى ابن أبى الحديد: قال أبو بكر: حدّثنى أبو زيد عمر بن شبّه، قال: حدثنا حيان ابن بشير، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: أخبرنا ابن أبى زائدة [۶۸۱] ، عن محمد ابن إسحاق، عن الزهرى، قال: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا؛ فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحقن دماءهم ويسيرهم، ففعل، فسمع ذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، وكانت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب «قال»: قال أبوبكر: وروى محمد بن اسحاق أيضاً: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصالحوه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق، أو بعد ما قدم المدينة [۶۸۲] ، فقبل ذلك منهم وكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالصة له، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، قال: وقد روى انه صالحهم عليها كلّها، الله أعلم أىّ الأمرين كان، انتهى. وسيأتى اعتراف عمر بذلك فى تنازع علىّ عليه السلام والعباس؛ وأما أنّه وهبها لفاطمة عليها السلام [صفحه ۴۴۴] فلأنّه لاخلاف فى أنّها صلوات الله عليها ادّعت النحلة مع عصمتها بالأدلة المتقدمة، وشهد له من ثبت عصته بالأدلة الماضية والآتية والمعصوم لا يدّعى، إلاّ الحقّ ولا يشهد إلاّ بالحقّ ويدور الحقّ معه، حيثما دار؛ وأمّا انها كانت فى يدها صلوات الله عليها فلأنّها ادعتها بعد الوفاة صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الاستحقاق وشهد المعصوم بذلك لها، فإن كانت الهبة قال الموت تبطل بموت الواهب، كما هو المشهود، ثبت القبض وإلاّ فلا حاجة إليه فى إثبات المدّعى. قد مرّ من الأخبار الدالّة على نحلتها وانّها كانت فى يدها عليها السلام مايزيد على كفاية المنصف بل يسدّ طريق إنكار المتعسف، ويدّل على أنها كانت فى يدها صلوات الله عليها ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فى كتابه إلى عثمان بن حنيف، حيث قال: «بلى عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله «وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها فى غير جدث!» [۶۸۳] . وأمّا أنّ أبا بكر وعمر أغضبا فاطمة عليها السلام فقد اتضح بالاخبار المتقدمة، ثم اعلم أنا لم نجد أحداً من المخالفين أنكر كون فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته، ولا أحداً من الأصحاب طعن على أبى بكر بإنكاره ذلك، إلاّ ما تفطّن به بعض الافاضل من الاشارف، من أنه يظهر من أخبار المؤالف والمخالف ذلك. وقد تقدم ما رواه ابن ابى الحديد فى ذلك، عن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وغيرها من الأخبار، [صفحه ۴۴۵] ولا- يخفى، ان ذلك يتضمن إنكار الآية وإجماع المسلمين: إذ القائل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصرف شيئاً من غلّة فدك وغيره من الصفايا فى بعض مصالح المسلمين، لم يقل بأنها لم تكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل قال: بأنه فعل ذلك على وجه التفضّل وابتغاء مرضاة الله، وظاهر الحال أنه أنكر ذلك دفعاً لصحة النحلة، فكيف كان يسمع الشهود على النحلة مع ادّعائه أنها كانت من أموال المسلمين. واعتذر المخالفون من قبل أبى بكر بوجوه سخيفة: الأول: منع عصمتها صلوات الله عليها، وقد تقدمت الدلائل المثبتة لها. الثانى: أنه لو

سلم عصمتها، فليس للحاكم أن يحكم بمجرد دعواها، وإن تيقن صدقها، وأجاب أصحابنا بالادلة الدالة على أن الحاكم يحكم يعلمه؛ وأيضاً اتّفقت الخاصة والعامة على رواية قصة خزيمة بن ثابت وتسميته بذى الشهادتين لما شهد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بدعواه، ولو كان المعصوم كغيره لما جاز النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبول شاهد واحد والحكم لنفسه، بل كان يجب عليه الترافع إلى غيره، وقد روى أصحابنا: أن أمير المؤمنين عليه السلام خطّا شريحاً فى طلب البيّنة، وقال: إن إمام المسلمين يؤتمن من امور على ماهو أعظم من ذلك، وأخذ ما ادّعاه من درع طلحة بغير حكم شريح، والمخالفون، حرّفوا هذا الخبر وجعلوه حجة لهم، واعتذروا بوجوه اخرى سخيفة لا يخفى على عاقل بعد ما أوردنا فى تلك الفصول ضعفها ووهنها، فلا نطيل الكلام بذكرها.

بطلان دعوى عدم توريث الأنبياء

ستدل أصحابنا على بطلان ذلك بآى من القرآن الكريم منها: قوله تعالى مخبراً عن زكريا عليه السلام: (وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليّاً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّاً) قوله تعالى: «ولياً» أى: ولداً يكون أولى بميراثى، وليس المراد بالوالىّ من يقوم مقامه ولداً كان أو غيره، لقوله [صفحه ۴۴۶] تعالى حكاية عن زكريّا (ربّ هب لى من لدنك ذرية طيبة).وقوله (ربّ لا تذرنى فرداً وأنت خير المؤمنين - فاستجبنا له ووهبنا له يحيى)، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً، واختلف المفسرون فى أن المراد بالميراث العلم أو المال فقال ابن عباس والحسن والضحاك: أن المراد به فى قوله تعالى: «يرثنى» وقوله سبحانه: (ويرث من آل يعقوب) ميراث المال. وقال أبو صالح: المراد به فى الموضعين ميراث النبوة. وقال السدى ومجاهد والشعبى: المراد فى الأول: ميراث المال، وفى الثانى: ميراث النبوة، وحكى هذا القول عن ابن عباس والحسن والضحاك. وحكى عن مجاهد، أنه قال: المراد من الأول: العلم، ومن الثانى: النبوة. وأما وجه دلالة الآية على المراد فهو أن لفظ الميراث فى اللغة والشريعة والعرف إذا اطلق ولم يقيد، لا يفهم منه إلّا الأموال ومافى معناها، ولا يستعمل فى غيرها إلّا مجازاً، وكذا لا يفهم من قول القائل: «لا وارث لفلان» إلّا من ينتقل إليه وأمواله وما يضاهيها دون العلوم وما يشاكلها، ولا يجوم العدول، عن ظاهر اللفظ وحقيقة إلّا لدليل، فلو لم يكن فى الكلام قرينة توجب حمل اللفظ على أحد المعنيين، لكفى فى مطلوبنا، كيف والقرائن الدالة على المقصود موجودة فى اللفظ. أما أوّلاً: فلأنّ زكريا عليه السلام اشترط فى وارثه أن يكون رضياً، وإذا حمل الميراث على العلم والنبّوة لم يكن الإشتراط معنى، بل كان كان لغواً عبثاً، لأنّه إذا سأل من يقوم مقامه فى العلم والنبوة فقد دخل فى سؤاله الرضا، وما هو أعظم منه، فلا معنى لاشتراطها، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد: اللهم ابعث إلينا نبياً واجعله مكلفاً عاقلاً. وأما ترى أنه لا يحسن الخوف من بنى العمّ ومن يحذر حذوهم يناسب المال دون النبوة والعلم، وكيف يخاف مثل زكرياً عليه السلام من أن يبعث الله تعالى إلى خلقة نبياً يقيمه مقام زكرياً ولم يكن أهلاً للنبوة والعلم سواء كان من موالى زكرياً أو من غيرهم؛ على أن زكرياً عليه السلام كان إنما بعث لإذاعة العلم ونشره فى الناس، فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذى هو الغرض فى بعثته؛ فإن قيل: كيف يجوز على مثل زكرياً عليه السلام الخوف من أن يرث الموالى ماله، وهل هذا إلّا الشحّ والبخل؟ قلنا: لمّا علم زكرياً عليه السلام من حال الموالى أنهم من أهل الفساد، خاف أن ينفقوا أمواله [صفحه ۴۴۷] فى المعاصى، ويصرفوه فى غير الوجوه المحبوبة، مع أنّ فى وراثتهم ماله كان يقوى فسادهم وفجورهم، فكان خوفه خوفاً من قوة الفسّاق، وتمكنهم فى سلوك الطرائق المذمومة وانتهاك محارم الله عزّ وجلّ، وليس مثل ذلك من الشحّ والبخل؛ فإن قيل: كما جاز الخوف على المال جاز الخوف على وراثتهم العلم، لئلّا يفسدوا به الناس ويضلّوهم، ولا ريب فى أنّ ظهور آثار العلم كان فيهم من دواعى إتباع الناس وإياهم وانقيادهم لهم؟ قلنا: لا يخلو هذا العلم الذى ذكرتموه من أن يكون هو كتب علمية وصحف حكمية، لأنّه قد يسمى علما مجازاً، أو يكون هو العلم الذى يملأ القلوب وتعيه الصدور؛ فإن كل الأوّل، فقد رجع إلى معنى المال، وصح أن الأنبياء عليهم السلام يورثون الاموال وكان حاصل خوف زكرياّ عليه السلام أنه خاف من أن ينتفعوا ببعض أمواله نوعاً خاصاً من الإنتفاع، فسأل ربّه ان يرزقه الولد حذراً من ذلك؛ وإن كان الثانى: فلا يخل أيضاً من أن يكون هو العلم، الّذى بعث النبى

لنشره وأدائه إلى الخلق، أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلق بشريعة، ولا يجب إطلاع الأمة عليه كعلم العواقب وما يجرى فى مستقبل الأوقات ونحو ذلك. والقسم الأول: لا يجوز أن يخاف النبى من وصوله إلى بنى عمّه، وهم من جملة امته المبعوث إليهم لأن يهديهم ويعلمهم وكان خوفه من ذلك خوفاً من غرض البعثة. والقسم الثانى: لا معنى للخوف من أن يرثوه إذ أمره بيده، ويقدر على ن يليقه إليهم ولو صحّ الخوف على القسم الأوّل لجرى ذلك فيه أيضاً فتأمل. هذا خلاصة ما ذكره السيّد المرتضى رضى الله عنه فى الشافى عند تقرير هذا الدليل وما أورده عليه من تأخّر عنه يندفع بنفس التقرير، كما لا يخفى على الناقد البصير فلذا لانسوّد بإيرادها الطوامير. الآية الثانية: قوله تعالى: (وورث سليمن داود) وقال: (يا أيها الناس علّمنا منطق الطير واوتينا من كلّ شىء إن هذا لهو الفضل المبين) وجه الدلالة هو أنّ المتبادر من قوله تعالى ورث: أنّه ورث ماله كما سبق فى الآية المتقدمة، فلا يعدل عنه إلاّ لدليل؛ [صفحه ۴۴۸] وأجاب قاضى القضاء فى المغنى: بأن فى ما يدل على أن المراد وراثة العلم دون المال، وهو قوله تعالى: وقال: (يا أيّها الناس علّمنا منطق الطير)، فإنه يدل على أنّ الّذى ورث هو هذا العلم وهذا الفضل، وإلاّ لم يكن لهذا تعلّق بالاول؛ وقال الرازى فى تفسيره: لو قال تعالى ورث سليمن داود ماله لم يكن لقوله تعالى وقال: (يا أيها الناس علّمنا منطق الطير) معنى، وإذا قلنا: ورث مقامه من النبوّة والملك حسن ذلك، لانّ علم منطق الطير يكون داخلاً فى جملة ماورثه، وكذلك قوله: (واوتينا من كل شىء) لأن وارث العلم يجمع ذلك، ووارث المال لا يجمعه، وقوله: (إنّ هذا لهو الفضل المبين) يليق أيضاً بما ذكر دون المال، الّذى يحصل للكامل والناقص. وما ذكره الله تعالى من جنود سليمان بعده، لا يليق إلاّ بما ذكرنا فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنّه لا يورث إلاّ المال فأما إذا ورث المال والملك معاً؛ فهذا لا يبطل بالوجوه الّذى ذكرنا بل بظاهر قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث»؛ وردّ السيّد المرتضى رضى الله عنه فى الشافى كلام المغنى بأنّه: لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصّة، ثمّ يقول مع ذلك إنّا علّمنا منطق الطير ويشير بالفضل المبين إلى العلم والمال جميعاً، فله فى الأمرين جميعاً فضل على من لم يكن كذلك؛ وقوله: (وأوتينا من كلّ شىء) يحتمل المال كما يحتمل العلم، فليس بخالص لما ظنه ولو سلّم دلالة الكلام لما ذكره، فلا يمتنع، أن يريد أنه ورث المال بالظاهر والعلم بهذا النوع من الإستدلال، فليس يجب إذا دلّت الدلالة فى بعض الألفاظ على المجاز أن نقتصر بها عليه، بل يجب ان نحملها على الحقيقة التى هى الأصل، إذا لم يمنع من ذلك مانع؛ وقد ظهر بما ذكره السيد قدس سره، بطلان قول الرازى أيضاً، وكان القاضى يزعم أنّ العطف لو لم يكن للتفسير لم يكن للمعطوف تعلق بما عطف عليه، وانقطع نظام الكلام وما اشتهر من أن التأسيس أولى من التأكيد، من الأغلاط المشهورة، وكان الرازى يذهب إلى أنّه لامعنى للعطف، إلاّ إذا كان المعطوف داخلاً فى المعطوف عليه، فعلى أى شىء يعطف حينئذ قوله تعالى: (وأوتينا من كل شىء) فتدبروا: أمّا قوله: أنّ المال يحصل للكامل والناقص، فلو حمل الميراث على المال لم يناسب قوله: (إن هذا الفضل المبين) فيرّد عليه: أنّه إنما يستقيم إذا كانت الإشارة إلى أوّل الكلام فقط، وهو وراثة المال وبعده ظاهر، [صفحه ۴۴۹] ولو كانت الإشارة إلى مجموعة الكلام كما هو الظاهر أو إلى أقرب الفقرات؛ أعنى قوله: (واوتينا من كل شىءٍ) لم يبق لهذا الكلام مجال؛ وكيف لا يليق الإشارة دخول المال فى جملة المشار إليه وقد منّ الله تعالى على عباده، وفى غير موضع من كلامه المجيد بما أعطاهم فى الدنيا من صنوف الأموال وأوجب على عباده الشكر عليه، فلا دلالة فيه على عدم إرادة وراثة المال سواء كان من كلام سليمان أو من كلام المالك المنّان؛ وقد ظهر بذلك بطلان قوله أخيراً إنّ كلام سليما أو من كلام المالك المنّان؛ وقد ظهر بذلك بطلان قوله أخيراً إنّ ما ذكره الله من جنود سليمان لا يليق إلاّ بما ذكرنا، بل الاظهر أنّ حشر الجنود من الجن والإنس والطير قرينة على عدم إرادة الملك من قوله: (ورث سليمان داود) فإنّ تلك الجنود لم تكن لداود حتّى يرثها سليمان، بل كانت عظّية مبتدئة من الله تعالى لسليمان عليه السلام، وقد أجرى الله تعالى على لسانه أنّه أخبر الإعتراف بأنّ ما ذكره لا يبطل قول من حمل الآية على وارثةالملك معاً فإنّه يكفينا فى إثبات المدّعى؛ وسيأتى الكلام فى الحديث الّذى تمسّك به. الآية الثالثة: ما يدّل على وارثة الاولاد والأرقاب، كقوله تعالى: (للرجال نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون ممّا قلّ نصيب أو كثر مفروضاً) وقوله تعالى: (وصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظّ الأثنين) وقد اجتمعت الأمّة على عمومها إلاّ من أخرجه

الدليل، فيجب أن يتمسك بعمومها إلّا إذا قامت دلالة قاطعة؛ وقد قال سبحانه عقيب آيات الميراث: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم - ومن يعص الله و رسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)؛ ولم يقل دليل على خروج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: نحن معاشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة؛ قال صاحب المغنى: لم يقتصر أبو بكر على رواية حتّى استشهد عليه عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف، فشهدوا به فكان لا يحل لأبى، وقد صار الأمر إليه أن يقسم التركة ميراثاً، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنّها صدقة وليس بميراث؛ وأقلّ ما فى الباب أن يكون الخير من أخبار الآحاد، فلو أنّ شاهدين شهدا [صفحه ۴۵۰] فى التركة أنّ فيها حقّاً، أليس كان يجب أن يصرفه عن الإرث؟ فعلمه بما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع شهادة غيره أقوى، ولسنا نجعله مدعياً، لأنّه لم يدّع ذلك لنفسه وإنّما بين أنه ليس بميراث، وأنه صدقة ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخص فى العبد والقاتل وغيرهما. ويرد عليه: أنّ الإعتماد فى تخصيص الآيات، إمّا على سماع أبى بكر ذلك الخبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجب على الحاكم ان يحكم بعمله؛ وإما على شهادة من زعموهم شهوداً على الرواية، أو على مجموع الأمرين، أو على سماعه من حيث الرواية منع انضمام الباقين إليه؛ فإن كان الأول فيرد عليه بوجوه من الايراد عليه: الأول: ما ذكره السيّد رضى الله عنه فى «الشافى» من أنّ أبا بكر فى حكم المدّعى لنفسه والجار إليها نفعاً فى حكمه، لأن أبابكر وسائر المسلمين سوى أهل البيت عليه السلام تحل لهم الصدقة، ويجوز أن يصيبوا منها، وهذه تهمة فى الحكم والشهادة ثمّ قال رضى الله عنه: وليس له ان يقول يقتضى أن لا تقبل شهادة شاهدين فى تركة فيها صدقة بمثل ما ذكرتم، وذلك لأن الشاهدين إذا شهدا بالصدقة فحظهما منها كحظّ صاحب الميراث، بل سائر المسمين، وليس كذلك حال تركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ كونها صدقة يحرّمها على ورثته، ويبيحها لسائر المسلمين، انتهى. ولعلّ مراده رحمهم الله أنّ لحرمان الورثة فى خصوص تلك المادة شواهد على التهمة بأن كان غرضهم إضعاف جانب أهل البيت عليهم السلام، لئلاّ يتمكنوا عن المنازعة فى الخلافة، ولا يميل الناس لنيل الزخارف الدنيوية، فيكثر أعوانهم وأنصارهم ويظفروا بإخراج الخلافة والإمارة من أيدى المتغلبيّن، اذ لا يشك أحد ممن نظر فى أخبار العامة والخاصة، فى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان فى ذلك الوقت طالباً للخلافة، مدّعياً لإستحقاقه لها، وأنّه لم يكن إنصراف الاعيان والاشراف عنه، وميلهم إلى غيره إلا لعلمهم بأنه لا يفضّل أحداً منهم على ضعفاء المسلمين، وأنه يسوىّ بينهم فى العطاء والتقريب، ولم يكن إنصراف سائر الناس عنه إلا لقلة ذات يده، وكون المال والجاه مع غيره. والأولى أن يقال فى الجواب: أنه لم تكن التهمة لأجل أن له حصة فى التركة، بل لأنه [صفحه ۴۵۱] كان يريد أن يكون تحت يده، ويكون حاكماً فيه يعطيه من يشاء، ويمنعه من يشاء ويؤيده: قول أبى بكر فيما رواه فى جامع الاصول من سنن أبى داود، عن أبى الطفيل، قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبى بكر تطلب ميراثها من أبيها، فقال لها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله إذا أطعم نبياً طعمة فهو للذى يقوم من بعده؛ ولا ريب فى أنّ ذلك ممّا يتعلق به الأغراض، ويعد من جلب المنافع، ولذا لا تقبل شهادة الوكيل فيما هو وكيل فيه والوصى فيما هو وصى فيه؛ وقد ذهب قوم إلى عدم جواز الحكم بالعلم مطلقاً لأنّه مظنة التهمة، فكيف إذا قامت القرائن عليه من عداوة ومنازعة، وإضعاف جانب ونحو ذلك، والعجب أنّ بعضهم فى باب النحلة منعوا بعد تسليم عصمة فاطمة عليها السلام جواز الحكم بمجرد الدعوى وعلم الحاكم بصدقها، وجوزوا الحكم بأن التركة صدقة، للعلم بالخبر مع معارضته للقرآن وقيام الدليل على كذبه. الثانى: أنّ الخبر معارض للقرآن لدلالة الآية فى شأن زكريّا وداود عليهم السلام على الوارثة وليست الآية عامّة حتّى تخصص بالخبر فيجب طرح الخبر، لايقال: إذا كانت الآية خاصّة فينبغى تخصيص الخير بها، وحمله على غير زكريا وداود عليهما السلام لأنّا نقول: الحكم بخروجهما عن حكم الأنبياء مخالف لإجماع الأمة، لإنحصارها بالإيراث مطلقاً، وعدمه مطلقاً، فلا محيص عن الحكم بكذب الخبر، وطرحه. الثالث: أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يرى الخبر موضوعاً باطلاً، وكان عليه السلام لا يرى إلّا الحق والصدق، فلابد من القول بأنّ من زعم أنّه سمع الخبر كاذب. أما الأولى: فلما رواه مسلم، فى «صحيحة» وأورده فى «جامع الأصول» أيضاً عن مالك بن أوس - فى رواية طويلة - قال: عمر لعلىّ عليه

السلام والعبّاس، قال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا نورث، ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بار راشد تابع للحق، ثمّ توفى أبو بكر، فقلت: أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولى أبى بكر، فرأيتمانى كاذباً غادراً آثماً خائناً، والله يعلم أنّى لصادق بار تابع للحقّ فولّيتها. وعن البخارى: فى منازعة على والعباس فيما أناه الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من بنى [صفحه ۴۵۲] النضير، أنه قال عمر بن الخطاب: قال أبو بكر: أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقبضها فعمل فيها بها عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنتما حينئذ ـ وأقبل على على عليه السلام والعباس تزعمان أن أبابكر فيها كذا. والله يعمل أنّه فيها صادق بار راشد تابع للحق وكذلك زاد فى حق، نفسه، قال: والله يعلم أنّى فيها صادق بار راشد تابع للحق، إلى آخر الخبر، وقد روى ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة،: من كتاب «السقيفة» عن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى «مثله» بأسانيد. وأما المقدمة الثانية: فلما مر وسيأتى من الأخبار المتواترة، فى أنّ عليّاً عليه السلام لا يفارق الحق والحق لا يفرقه، بل يدور معه حيث ما دار، ويؤيده روايات السفينة والثقلين وأضرابهما. الرابع: أنّ فاطمة عليها السلام أنكرت رواية أبى بكر، وحكمت بكذبه فيها، ولا ـ يجوز الكذب عليها، فوجب الرواية وراويها. أما المقدمة الاولى: فلما مر فى خطبتها وغيرها، وسيأتى من شكايتها فى مرضها وغيرها، وقد رووا فى صحاحهم: أنها عليها السلام انصرفت من عند أبى بكر ساخطة، وماتت عليه واجدة، وقد اعترف بذلك ابن أبى الحديد؛ وأما الثانية: فلما من من عصمتها وجلالتها عليها السلام. الخامس: أنّه لو كانت تركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقة، ولم يكن لها صلوات الله عليها حظّ فيها، لبيّن النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحكم لها إذا التكليف فى تحريم أخذها، يتعلق بها ول بينه لها لما طلبتها لعصمتها، ولايرتاب عاقل فى أنّه لو كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيتهأن تركتى صدقة لاتحل لما خرجت ابنته وبضعته من بيتها مستعدية ساخطة صارخة فى معشر المهاجرين، والانصار، تعاتب إمام زمانها بزعمكم، وتنسبه إلى الجور والظلم فى غصب تراثها، وتستنصر المهاجر، والانصار، فى الوثوب عليه، وإثارة الفتنة بين المسلمين، وتهيّج الشرّ، ولم تستقر بعد أمر الامارة والخلافة، وقد أيقنت بذلك طائفة من المؤمنين، أن الخليفة غاصب للخلافة ناصب لأهل الإمامة، فصبّوا عليه اللعن والطعن إلى نفخ الصور وقيام النشور؛ وكان ذلك من أكد الدواعى إلى شقّ عصا المسلمين، وافتراق كلمتهم، وتشتت الفتهم، وقد كانت تلك النيران يخمدها بيان الحكم لها ولامير المؤمنين عليه السلام، ولعله لا يجسر من اوتى حظاً من الاسلام على القول [صفحه ۴۵۳] بان فاطمة عليها السلام مع علمها بأن ليس لها فى التركة بأمر الله نصيب، كانت تقدم على مثل ذلك الصنيع، أو كان أمير المؤمنين عليه السلام مع علمه بحكم الله، لم يزجرها عن التظلم والإستعداء، ولم بالقعود فى بيتها، راضية بأمر الله فيها، وكان ينازع العباس، بعد موتها ويتحاكم إلى عمر ابن الخطاب؛ فليت شعرى هل كان ذلك الترك والإهمال لعدم الإعتناء بضعته الّتى كانت تؤذيه ما آذاها، ويريبه مارابها، أو بأمر زوجها وابن عمّه وأخيه المساوى لنفسه ومواسيه بنفسه، أو لقلة المبالاة بتبليغ أحكام الله وأمر امته، وقد أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً للعالمين. السادس: أنّا مع قطع النظر عن جميع ما تقدم، نحكم قطعاً بأن مدلول هذا الخبر كاذب باطل ومن اسند إليه هذا الخبر، لا يجوز عليه الكذب، فلابد من القول بكذب من رواه، والقطع بأنه وضعه وافتراه؛ وأما المقدمة الثانية فغنية عن البيان. وأما الاولى: فبيانها أنّه قد جرت عادة الناس قديماً وحديثاً بالإخبار عن كل ما جرى، بخلاف المعهود بين كافة الناس، وخرج عن سنن عاداتهم، سيمّا إذا وقع فى كل عصر وزمان، وتوفرت الدواعى، إلى نقله وروايته؛ ومن العلوم لكل أحد، أن جميع الامم على اختلافهم فى مذاهبهم يهتمون بضبط أحوال الأنبياء وسيرتهم، وأحوال أولادهم، وما المعلوم أيضاً أنّ العادة قد جرت من يوم خلق الله الدنيا واهلها، إلى زمان انقضاء مدتها وفنائها، بأن يرث الاقربون من الاولاد، وغيرهم أقاربهم وذوى أرحامهم، وينتقعون ماموالهم وما خلفوه بعد موتهم؛ ولا ـ شك لأحد فى أنّ عامة الناس، عالمهم وجاهلهم، وغنيهم وفقيرهم وملوكهم، ورعاياهم يرغبون إلى كل ما نسب إلى ذى شرف وفضيلة، ويتبركون به ويحرزه الملوك فى خزائنهم، ويوصون به لاحب أهلهم، فكيف بسلاح الانبياء فى ثيابهم وأمتعتهم، ألا ترى إلى الاعمى إذ أبصر فى مشهد من المشاهد المشرفة، أو توهمت العامة أنّه أبصر اقتطعوا ثيابه وتبركوا بها وجعلوها حرزاً من كل بلاء؛ إذا تمهّدت المقدمات فنقول: لو كان ما

تركه الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى ال عليه وآله وسلم صدقة، لقسمت بين الناس، بخلاف المعهود من توارث الآباء والاولاد وسائر الاقارب، ولا يخلو الحال: إمّا أن [صفحه ۴۵۴] يكون كلّ نبى يبين الحكم لورثته بخلاف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، أو يتركون البيان كما تركه صلى الله عليه وآله وسلم فجرى على سنّة الذين خلوا من قبله، من أنبياء الله عليهم السلام: فإن كان الأوّل، فمع أنّه خلاف الظاهر، كيف خفى هذا الحكم على جميع أهل الملل والأديان، ولم يسمعه أحد إلاّ أبوبكر، ومن يحذو حذوه، ولم ينقل أحد أنّ عصا موسى عليه السلام فجرى على وجه الصدقة إلى فلان، وسيف سليمان عليه السلام صار إلى فلان، وكذا ثياب سائر الأنبياء وأسلحتهم وأدواتهم فرقّت بين الناس، ولم يكن فى ورثة أكثر من مائة الف نبى، قوم ينازعون فى ذلك، وإن كان بخلاف حكم الله عزوجل؛ وقد كان أولاد يعقوب عليه السلام مع علوّ قدرهم يحسدون على أخيهم، ويلقونه فى الجبّ لما رأوه أحبّهم إليه، أو وقعت تلك المنازعة كثيراً، ولم ينقلها أحد فى الملل السابقة وأرباب السير، مع شدّة اعتنائهم بضبط أحوال الأنبياء وخصائهم، وما جرى بعدهم كما تقدم؛ وإن كان الثانى، فكيف كانت حال ورثة الأنبياء أكانوا يرضون بذلك ولا ينكرون؟ فكيف صارت ورثة الأنبياء جميعاً يرضون بقول القائمين بالأمر مقام الأنبياء، ولم ترض به سيّده النساء؟ أو كانت سنة المنازعة جارية فى جميع الامم، ولم ينقلها أحد ممّن تقدّم، ولا ذكر من انتقلت تركات الأنبياء إليهم؛ إنّ هذا لشىء عجاب، وأعجب من ذلك، أنّهم ينازعون فى وجود النص على أمير المؤمنين عليه السلام، مع كثرة الناقلين له من يوم السقيفة إلى الآن؛ ووجوه الأخبار فى صحاحهم، وادّعائهم الشيعة تواتر ذلك، من أول الأمر إلى الآن ويستندون فى ذلك إلى أنه لو كان حقاً، لما خفى ذلك لتوفر الدواعى إلى نقله وروايته، فانظر بعين الإنصاف أن الدواعى لشهرة أمر خاص، ليس الشاهد له إلاّ قوم مخصوص من أهل قرن معين أكثر، أم لشهرة أمر قل زمان من الأزمنة من لدن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله سلم عن وقوعه فيه؟ مع أنّه ليس يدعو إلى كتمانه وإخفائه فى الامم السالفة داع، ولم يذكره رجل فى كتاب، ولم يسمعه أحد من أهل ملّة؛ ولعمرى لا أشك فى أن من لزم الإنصاف وجانب المكابرة، والإعتساف، وتأمل فى مدلول الخبر وأمعن النظر، يجزم قطعاً بكذبه وبطلانه؛ وإن كان القسم الثمانى،وهو أن يكون إتماد أبى بكر فى تخصيص الآيات بالخبر من حيث رواية الرواة له دو علمه بأنه من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لسمعه باذنه فيرد عليه أيضاً وجوه من النظر: الأوّل: أن ما ذكره قاضى القضاة، من أنه شهد بصدق الرواية فى أيام أبى بكر: عثمان وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمان، باطل غير مذكور فى سيرة ورواية من طرقهم وطرق أصحابنا؛ وإنما المذكور فى رواية مالك بن أوس التى رووها فى صحاحهم: أنّ عمر بن الخطاب لمّا تنازع عنده أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس استشهد نفراً فشهدوا بصدق الرواية: ولنذكر ألفاظ صحاحهم فى رواية مالك بن أوس على اختلافها، حتّى يتضح حقيقة الحال: روى البخارى ومسلم وأخرجه الحميدى، وحكاه فى جامع «الأصول» فى الفرع الرابع من كتاب الجهاد من حرف الجيم، عن مالك أنّه قال: أرسل إلىّ عمر فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته فى بيته جالساً على سرير مفضياً [۶۸۴] ، إلى رماله، متكئاً على وسادة [۶۸۵] من أدم، فقال لى: يا مالك، أنّه قد دفّ أهل أبيات من قومك [۶۸۶] وقد أمرت فيهم برضخ [۶۸۷] فخذه فأقسم بينهم قال: قلت: لو أمرت بهذا غيرى، قال: خذه يا مالك، قال: فجاء يرفأ [۶۸۸] فقال: هل لك فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد؛ فقال عمر: نعم فأذن لهم فدخوا؛ ثمّ جاء فقال: هل لك فى عباس وعلى عليه السلام قال: نعم فأذن لهما: فقال العباس: اقض بينى وبين هذا، فقال القوم أجل! فاقض بينهم وارحهم، قال مالك بن أوس: فخيل إلى أنهم قد كانوا قدموهم لذلك، فقال عمر اتّئدوا [۶۸۹] : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نوّرث ما تركنا صدقة؟ قالوا: نعم؛ ثم أقبل على العبّاس وعلىّ عليه السلام فقال: أنشدكما بالله الذى بأذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أنّ رسول [صفحه ۴۵۶] الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نورث، ما تركنا صدقة؟ قالا: نعم، إلى آخر الخبر؛ ثمّ حكى فى جامع الأصول، عن البخارى ومسلم، أنّه قال عمر لعلى عليه السلام: قال أبوبكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا نورث، ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً، خائناً، وتزعمان أنّه فيها كذا كما نقلنا سابقاً؛ وحكى فى جامع الاصول، عن أبى دواد، أنّه قال أبو البخترى: سمعت حديثاً من رجل فأعجبنى، فقلت: اكتبه لى،

فاتى به مكتوباً مدبراً [۶۹۰] ، دخل العباس وعلى عليه السلام على عمر، وعنده طلحة والزبير وعبدالرحمان وسعد وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمان وسعد: ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كل مال النبى صلى الله عليه وآله وسلم صدقة، إلّا ماأطعمه أهله، أو كساهم، إنا لانورث؟ قالوا: بلى [۶۹۱] . توضيح: ولا يذهب على ذى فطنة أن شهادة الاربعة التى تضمنتها الرواية الاولى والثانية على اختلافهما، لم يكن من حيث الرواية والسماع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل لثبوت الرواية عندهم بقول أبى بكر، بقرينة أن عمر ناشد علياً عليه السلام والعباس: أتعلمان أن الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نورث، ما تركناه صدقة؟ فقالا: نعم؛ وذلك لانه لا يقدر أحد فى ذلك الزمان على تكذيب تلك الرواية، وقد قال عمر فى آخر الرواية: رأيتماه، يعنى أبا بكر كاذباً آثماً غادراً خائناً، وكذا فى حق نفسه؛ والعجب أن القاضى لم يجعل علياً عليه السلام والعباس شاهدين على الرواية مع تصديقهما كما صدّق الباقون، بل جميع الصحابة لأنهم يشهدون بصدقهما. وقال ابن أبى الحديد بعد حكاية كلام السيد رضى الله عنه فى أن الاستشهاد كان فى خلافة عمر دون أبى بكر، وأن معول المخالفين على إمساك الأمة عن النكير على أبى بكر دون الاستشهاد ما هذا لفظه: قلت: صدق المرتضى فيما قال، أما عقيب وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومطالبة فاطمة عليها السلام بالإرث فلم يرو الخبر إلّا أبا بكر وحده، وقيل: إنّه رواه معه مالك بن أوس ابن الحدثان؛ وأما المهاجرين الذين ذكرهم قاضى القضاة فقد شهدوا بالخبر فى خلافة عمر، وتقدم ذكر ذلك، وقال فى الموضع المتقدم الذى أشار إليه، [صفحه ۴۸۷] وهو الفضل الذى ذكر فيه روايات أبى البخترى على مارواه أحمد بن عبد العزيز الجوهرى، بإسناده عنه: قال جاء علىّ والعباس إلى عمر، وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبدالرحمان وسعد: أنشدكم الله، أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كل مال نبى فهو صدقة إلاّ ما أطعمه أهله، إنّا لا نورّث! فقالوا: نعم؛ قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتصدّق به، ويقسم فضله، ثمّ توفّى، فولّيه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنتما تقولان، إنه كان بذلك خاطئاً، وكان بذلك ظالماً وما كان بذلك إلّا راشداً، ثم ولّيته بعد أبى بكر فقلت لكما: إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهده الذى عهد فيه، فقلتما: نعم، وجئتمانى الآن تختصمان؛ يقول هذا: اريد نصبى من ابن أخى، ويقول هذا: اريد نصبى من امرأتى! والله لا أقضى بينكما إلّا بذلك. قال ابن ابى الحديد: قلت: وهذا أيضاً مشكل، لأن أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلاّ أبا بكر وحده، ذكر ذلك معظم المحدثين، حتى أن الفقهاء فى أصول الفقه أطبقوا على ذلك فى إحتجاجهم فى الخبر برواية الصحابى والواحد. وقال شيخنا أبو على: لا يقبل فى الرواية إلاّ رواية إثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلّهم، واحتجّوا عليه بقبول الصحابة رواية أبى بكر وحده، قال: «نحن معاشر الأنبياء لانورث» حتّى أن أصحاب أبى على تكلف لذلك جواباً، فقال: قد روى أن أبا بكر يوم حاجّ فاطمة عليها السلام قال: انشد الله امرءً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا شيئاً! فروى مالك بن أوس بن الحدثان: أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الحديث ينطق بأنه استشهد عمر وطلحة والزبير وعبد الرحمان وسعداً، فقالوا: سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأين كانت هذه الرواية أيّام أبى بكر! ما نقل أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة عليها السلام وأبى بكر روى من هذا شيئاً. انتهى. فظهر أنّ قول القاضى ليس إلا شهادة زور، ولو كان لما ذكره من إستشهاد أبى بكر مستند لاشار إليه كما هو الدأب فى مقام الإحتجاج، وأما هذه الرواية التى رواها ابن أبى الحديد فمع أنّها لا تدل على الإستشهاد فى خلافة أبى بكر، فلا تخلو من تحريف، لما عرفت من أن لفظ رواية [صفحه ۴۵۸] أبى البخترى على ما رواه أبو داود، وحكاه فى جامع الاصول [۶۹۲] : ألم تعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كلّ مال النبى صدقة أسمعتم [۶۹۳] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما رواه الجوهرى، على أنّه لا يقوم فيما تفر دّوابه من الأخبار حجّة علينا، وأنّما الإحتجاج بالمتفق عليه، أو ما اعترف به الخصم والإستشهاد على الرواية لم يثبت عندنا لا فى أيّام أبى بكر ولافى زمن عمر ثمّ أورد السيد رحمه الله على كلام صاحب المغنى بأنا لو سلّمنا إستشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة، لأن الخبر على كل حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم، وهو فى حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجرى هذا المجرى،

لأن المعلوم لا يخص إلّا بمعلوم؛ قال: على أنّه لو سلم لهم أنّ الخبر الواحد يعمل به فى الشرع لا حتاجوا إلى دليل مستأنف على نّه يقبل فى تخصيص القرآن لأن مادل على العمل به فى الجملة لا يتناول هذا الموضع كما لا يتناول جواز النسخ به، وتحقيق هاتين المسئلتين من وظيفة اصول الفقه. والثانى: أنّ رواه الخبر كانوا متّهمين فى الرواية بجلب النفع من حيث حلّ الصدقة وما أجاب به شارح كشف الحق من الفرق بين الرواية والشهادة، وأنّ التهمة إنّما تضر فى الشهادة دون الرواية، فسخيف جداً ولم يقل أحد بهذا الفرق غيره. الثالث و الرابع: ما تقدم فى الإيراد الثالث والرابع من القسم الأوّل. الخامس: ما تقدم من وجوب البيان للورثة. أما القسم الثالث: وهو أن يكون مناط الحكم على علم أبى بكر مع شهادة النفر؛ وكذلك الرابع: وهو أن يكون الإعتماد على روايته معهم، فقد ظهر بطلانها مما سبق، فإن المجموعة وإن كان أقوى من كل واحد من الجزئين، إلّا أنه لا يدفع التهمة ولامناقضة الآيات الخاصة ولا باقى الوجوه السابقة؛ وقد ظهر بما تقدم أن الجواب عن قول أبى على: «أتعلمون كذب أبى بكر أم تجوزون صدقة، وقد علم أنّه لا شىء يعلم به كذبه قطعاً فلابد من تجويز كونه صادقاً كما حكاه فى المغنى» هو أنا نعلم كذبه قطعاً والدليل عليه: [صفحه ۴۵۹] ما تقدم من الوجوه الستّة المفصلة، وأن تخصيص الآيات من هذا الخبر ليس من قبيل تخصيها فى القاتل والعبد كما ذكره قاضى القضاة. إذ مناط الثانى روايات معلومة الصدق، والأول خبر معلوم الكذب. وقد سبق فى خطبة فاطمة عليها السلام إستدلالها بقوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) وبثلاث من الآيات السابقة، وهو يدل مجملاً، على بطلان ما فصّلوه من الأجوبة؛ ثمّ إن بعض الاصحاب حمل الرواية على وجه لا يدل على ما فهم منها الجمهور وهو أن يكون ما تركناه صدقة مفعولاً ثانياً للفعل أعنى «نورث» سواء كان بفتح الراء على صيغة المجهول من قولهم: ورثت أبى شيئاً، أو بكسرها من قولهم: أورثه الشىء أبوه. وأما بتشديد الراء فالظاهر أنه لحن، فإن التوريث إدخال أحد فى المال على الورثة كما ذكره الجوهرى وهو لا يناسب شيئاً من المحامل ويكون صدقة منصوباً على أن يكون مفعولا لتركنا، والإعراب لا تضبط فى أكثر الروايات؛ ويجوز أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقف على الصدقة فتوهّم أبو بكر أنه بالرفع وحينئذ يدل على أن ماجعلوه صدقة فى حال حياتهم لا ينتقل بموتهم إلى الورثة أى مانووا فيه الصدقة من غير أن يخرجوه من أيديهم لاينال الورثة حتى يكون للحكم إختصاص بالإنبياء عليهم السلام ولا يدل على حرمان الورثة مما تركوه مطلقاً؛ والحق أنه لا يخلو عن بعد، ولا حاجة لنا إليه لما سبق، وأما الناصرون لأبى بكر فلم يرضوا به وحكموا ببطلانه، وإن كان لهم فيه التخلص عن القول بكذب أبى بكر، فهو إصلاح لم يرض به أحد المتخاصمين، ولا يجرى فى بعض رواياتهم. واعلم أن بعض المخالفين استدلوا ـ على صحّة الرواية وما حكم به أبو بكر ـ بترك الامة النكير عليه، وقد ذكر السيد الأجل رضى الله عنه فى الشافى كلمهم ذلك على وجه السؤال، وأجاب عنه بقوله فإن قيل: إذا كان أبو بكر قد حكم بخطأ فى دفع فاطمة عليها السلام من الميراث واحتج بخبر لا حجة فيه، فما بال الامة اقرّته على هذا الحكم ولم تنكر عليه وفى رضاها وإمساكها دليل على صوابه؛ قلنا قد مضى أن ترك النكير لا يكون دليل الرضا، إلّا فى الموضع الّذى لا يكون له وجه سوى الرضا وبينا فى الكلام على إمامة أبى بكر هذه الموضع بياناً شافياً. [صفحه ۴۶۰] وقد أجاب أبو عثمان الجاحظ فى كتاب العباسية عن هذا السؤال جواباً جيّد المعنى واللفظ، نحن نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه فى العثمانية وغيرها. قال: وقد زعم ناس أن الدليل على صدق خبرهما يعنى أبابكر وعمر فى منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النكير عليهما؛ ثمّ قال: فيقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ليكونن ترك النكير على المتظلمين منهما والمحتجين عليهما والمطالبين لهما بدليل دليلاً على صدق دعواهم وإستحسان مقالتهم لا سيما وقد طالت المشاحات، وكثرت المراجعة والملاحات، وظهرت الشكيمة، واشتدت الموجدة، وقد بلغ ذلك من فاطمة عليها السلام حتى أنّها أوصت أن لا يصلى عليها أبو بكر وقد كانت؛ قالت له حين أتته طالبة بحقها ومحتجة برهطها: من يرثك يا أبا بكر، إذا مت؟ قال: أهلى وولدى، قالت: فما بالنا لا نرث النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فلما منعها ميراثها وبخسها حقها، واعتل عليها، ولج فى أمرها، وعاينت التهضم، وآيست من النزوع، ووجدت مس الضعف وقلة الناصر؛ قالت: والله لأدعونّ الله عليك، قال: والله لا دعون الله لك. قالت: ـ والله ـ لا اكلمك أبداً، قال: والله أهجرك أبداً؛ فإن يكن

ترک النکیر علی أبی بکر دلیلاً ـ علی صواب منعه إنّ فی ترک النکیر علی فاطمهٔ علیها السلام دلیلاً علی صواب طلبها؛ وأت ما کان یجب علیهم فی ذلک تعریفها ما جهلت عادلاً ـ أو تقطع واصلاً، فإذا لم نجدهم أنکروا علی الخضمین جمیعاً فقد تکافأت الامور واستوت الاسباب والرجوع إلی أصل حکم الله فی المواریث أولی بنا وبکم، وأوجب علینا وعلیکم، وإن قالوا کیف یظن ظلمها والتعدی علیها؟ وکلما، ازدادت فاطمهٔ علیها السلام غلظهٔ ازداد علیها لیناً ورقّهٔ حیث تقول: ـ والله ـ لا اکلّمک أبداً فیقول: والله لا أهجرک أبداً، ثم تقول: والله لأدعونّ الله علیک فیقول: والله لأدعون الله لک؛ ثم یحتمل هذا الکلام الغلیظ والقول الشدید فی دار الخلافهٔ وبحضرهٔ قریش والصحابهٔ مع حاجهٔ الخلافهٔ إلی البهاء والرفعهٔ وما یجب لها من التنویه والهیبهٔ، ثم لم یمنعه ذلک أن قال معتذراً أو متقرباً کلام المعظم لحقها، المکبر لقیامها والصائن لوجهها، والمتحنن علیها: ما أحد أعزّ علیّ منک فقراً ولا حبّ إلیّ منک غنیّ [صفحه ۴۶۱] ولکن سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول: إنّا معاشر الأنبیاء لا نورّث ما ترکناه فهو صدقهٔ؛ قیل لهم: لیس ذلک بدلیل علی البرائهٔ من الظلم والسلامهٔ من الجور، وقد یبلغ من مکر الظالم ودهاء الماکر إذا کان أریباً وللخصومهٔ معتاداً أن یظهر کلام المظلوم وذلّهٔ المنتصف، وجدهٔ الوامق، ومقهٔ المحق؛ وکیف جعلتم ترک النکیر حجّهٔ قاطعهٔ ودلالهٔ واضحهٔ؟ وقد زعمتم أنّ عمر قال علی منبره: متعتان کان علی عهد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم متعهٔ النساء ومتعهٔ الحجّ، أنا أنهی عنهما وأعاقب علیهما، فما وجدتم أحداً أنکر قوله، ولا استشنع مخرج نهیه، ولا خطأه فی معناه، ولا تعجب منه ولا استفهمه، وکیف تقضون بترک النکیر، وقد شهد عمر یوم السقیفهٔ، وبعد ذلک أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: الأئمهٔ من قریش ثم قال فی مکانه: لو کان سالم حیّاً ما یخالجنی فیه شک حین أظهر الشک فی استحقاق کل واحد من الستهٔ الذین جعلهم شوری وسالم عبد لأمراهٔ من الأنصار وهی اعتقته وحازت میراثه، ثم لم ینکر ذلک من قریش قوله منکر ولا ـ قابل إنسان بین قولیه ولا تعجب منه؛ وإنما یکون ترک النکیر علی من لا رغبهٔ ولا رهبهٔ عند دلیلاً علی صدق قوله وثواب عمله، فأما ترک النکیر علی من یملک الضعهٔ والرفعهٔ والأمر والنهی والقتل والإستحیاء والحبس والإطلاق فلیس بحجهٔ تشفی ولا دلیل یغنی؛ قال: وقال آخرون: بل الدلیل علی صدق قولهما وصواب عملهما إمساک الصحابهٔ عن خلعهما والخروج علیهما وهم الذین وثبوا علی عثمان فی أیسر من جحد التنزیل وردّ النصوص، ولو کانوا یقولون ویصفون ما کان سبیل الامهٔ فیهما إلّا کسبیلهم فیه وعثمان کان أعزّ نفراً وأشرف رهطاً وأکثر عدداً وثروهٔ وأقوی عدهٔ. قلنا: إنهما لم یجحدا التنزیل ولم ینکرا المنصوص ولکنهما بعد إقرارهما بحکم المیراث وما علیه الظاهر من الشریعهٔ ادّعیا روایهٔ وتحدثا بحدیث لم یکن محالاً ـ کونه ولا ـ یمتنع فی حجج العقول مجیئه وشهد لهما علیه من علته مثل علتهما فیه؛ ولعل بعضهم کان یری التصدیق للرجل إذا کان عدلاً فی وهطه مأموناً فی ظاهره، ولم یکن قبل ذلک عرفه بفجرهٔ، ولا جرّب علیه غدرهٔ، فیکون تصدیقه له علی جههٔ حسن الظن وتعدیل الشاهد؛ ولأنه لم یکن کثیر منهم یعرف حقائق الحجج والذی یقطع بشهادته علی [صفحه ۴۶۲] الغیب، وکان ذلک شبههٔ علی أکثرهم، فلذلک قلّ النکیر وتواکل الناس واشتبه الأمر، فصار لا یتخلص إل معرفهٔ حق ذلک من باطله إلّا العالم المتقدم والمؤید المرشد؛ ولأنه لم یکن لعثمان فی صدور العوام، وفی قلوب السفلهٔ والطغات ما کان لهما من الهیبهٔ والمحبهٔ، ولأنهما کانا أقل استیثاراً بالفیء واقل تفکهاً بمال الله منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ماوفر علیهم أموالهم ولا یستأثر بخراجهم ولم یعطل ثغورهم؛ ولأن الذی صنع أبو بکر من منع العترهٔ حظها والعمومهٔ میراثها قد کان موافقاً لجلهٔ قریش ولکبراء العرب، ولأن عثمان أیضاً کان مضعوفاً فی نفسه مستخفاً بقدرهٔ لا یمنع ضیماً ولا یقمع عدواً؛ ولقد وثب ناس علی عثمان بالشتم والقذف والتشنیع والنکیر لامور لو أتی عمر أضعافها وبلغ أقصاها لما اجترؤا علی اغتیابه فضلاً عن مباداته والإغراء به ومواجهته کما أغلظ عیینهٔ بن حصین له: فقال: أما إنّه لو کان عمر لقمعک ومنعک؛ فقال عیینهٔ: إنّ عمر کان خیراً إلی منک أرهبنی فابقانی، ثم قال: والعجب أنّا وجدنا جمیع من خالفنا فی المیراث علی اختلافهم فی التشبیه والقدر والوعید یرد کل صنف منهم من أحادیث مخالفیه وخصومه، ما هو أقرب استناداً وأوضح رجالاً وأحسن اتّصالاً حتّی إذا صاروا إلی القول فی میراث النبی صلی الله علیه وآله وسلم نسخوا الکتاب وخصوا الخبر العام بما لا یدانی بعض ما رووه وأکذبوا ناقلیه وذلک أنّ کل إنسان منهم إنما یجری إلی هواه ویصدق ما وافق وضاه،

هـذا آخر كلام الجاحظ؛ ثم قال السـيد رضـى الله عنه: فإن قيل: ليس ما عارض به الجاحظ من الإسـتدلال بترك النكير، وقوله كما لم ينكروا على أبى بكر فلم ينكروا أيضاً على فاطمة عليها السـلام ولا غيرها من المطالبين بالميراث كالازواج وغيرهن معارضته صحيحة؛ وذلك أن نكير أبى بكر لذلك ودفعه والإحتجاج عليه يكفيهم ويغنيهم عن تكلف نكير ولم ينكر على أبى بكر مارواه منكر فيستغنوا بإنكـاره؛ قلنـا: أوّل مـا يبطـل هـذا السؤال أن أبـا بكر لم ينكر عليهـا مـا أقـامت عليه بعـد إحتجاجها بالخبر من التظلم والتألم والتعنيف والتبكيت وقولهـا على ما روى: والله لأدعون الله عليك، ولا كلّمتك أبـداً، وما جرى هـذا المجرى فقـد كان يجب أن ينكره غيره فمن المنكر الغضب على المنصف وبعد فإن كان إنكار أبى بكر مقنعاً أو مغنياً عن إمكار غيره من المسـلمين، [صـفحه ۴۶۳] فإنكار فاطمة عليهـا السـلام حكمه مقامهـا على التظلم منه يغنى عن نكير غيرهـا، وهـذا واضـح لمن أنصف من نفسه، انتهى كلامـه «رفع الله مقـامه» الخـامس: قـال ابن أبى الحديـد: اعلم أن النـاس يظنون أن نزاع فاطمـة عليهـا السـلام أبا بكر كان فى أمرين فى الميراث والنحلـة، وقد وجدت فى الحديث أنّها نازعت فى أمر ثالث ومنعها أبو بكر إيّاها أيضاً وهو سهم ذى القربى؛ روى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى عن أنس، أن فاطمـة عليها السـلام أتت أبا بكر فقالت: قـد علمت الذى حرم علينا أهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم فى القرآن من سـهم ذوى القربى، ثم قرأت عليه قوله تعـالى: (واعلموا أنّما غنمتم من شـىء فان الله خمسه وللرسول ولـذى القربى) الآيـة: فقال لها أبو بكر: بأبى أنت وأمّى وولـدى وولـدك، السـمع والطاعـة لكتاب الله ولحقّ رسوله وحقّ قرابته وأنا أقرأ من كتاب الله الّـذى تقرأين، ولم يبلغ علمى منه أنّ هذا السـهم من الخمس مسلّم إليكم كاملاً، قالت: أملك هو لك ولا قربائك؟ قال: لا، بل أنفق عليكم منه وأصـرف الباقى فى مصالح المسلمين. قالت: ليس هذا بحكم الله تعالى، فقال: هذا حكم الله فإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم عهد إليك فى هذا عهداً صدقّتك وسـلّمته كلّه إليك وإلى أهلك. قالت: إنّ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم لم يعهد إلىّ فى ذلك بشـىء إلاّ أنّى سـمعته يقول لمّا أنزلت هـذه الآيـة: ابشـروا آل محمد فقد جاءكم الغنى، قال أبوبكر: لم يبلغ من هذه الآيـة أن أسـلم اليكم هذا السهم كلّه كاملاً ولكن لكم الغنى الّذى يغنيكم ويفضل عنكم، هذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهما فاسأليهم عن ذلك وأنظرى هل يوافقك على ماطلبت أحد منهم؟ فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبى بكر، فقال لها مثل ما قال لها أبو بكر فتعجبت فاطمـة عليها السـلام من ذلك وتظنّت قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه. ثم قال: قال أحمد بن عبد العزيز: حدثّنا أبو زيد بإسـناده إلى عروة قال: أرادت فاطمة عليها السلام أبا بكر على فدك وسهم ذى القربى تأبى عليها وجعلهما فى مال الله تعالى. ثمّ روى عن الحسن بن علىّ عليه السـلام: أنّ أبـا بكر منع فاطمـة عليهـا السـلام وبنى هـاشم سـهم ذى القربى وجعلهـا فى سبيل الله فى السـلاح والكراع. ثمّ روى بإسـناده عن محمّد بن [صفحه ۴۶۴] إسـحاق قال: سألت أبا جعفر محمد بن على عليه السـلام قلت: أرأيت علياً عليه السلام حين ولّى العراق وما ولى من أمر الناس، كيف صنع فى سهم ذى القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبى بكر وعمر، قلت: كيف ولم وأنتم تقولون، ما تقولون: أما والله ما كان أهله يصـدرون إلاّ عن رأيه، فقلت: فما منعه، قال: يكره أن يدعى عليه من مخالفة أبى بكر وعمر. انتهى ما أخرجه ابن أبى الحديد بن كتاب أحمد بن عبدالعزيز. وروى فى جامع الأصول: من سـنن أبى داود، عن جبير بن مطعم: أنّ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم لم يكن يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل من الخمس شيئاً كما قسم لبنى هاشم قـال: وكـان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم غير أنه لم يكن يعطى منه قربى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم كما يعطيهم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وكان عمر يعطيهم ومن كان بعـده منه. وروى مثله بسـند آخر، عن حبير بن طعم؛ ثمّ قـال: وفى اخرى له والنسـائى: لمّا كان يوم خيبر وضع رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم سـهم ذى القربى فى بنى هـاشم وبنى عبـد المطلب. ثمّ قال: وأخرج النسائى أيضاً بنحو من هـذه الروايات من طرق متعـددة بتغيير بعض ألفاظها وإتفاق المعنى. وروى أيضاً، عن أبى داود بإسـناده، عن يزيد بن هرمز: أنّ ابن الزبير أرسل إلى ابن العباس يسأله عن سـهم ذى القربى لمن يراه؟ فقال له: لقربى رسول الله صـلى الله عليه و آله سـلم، قسّـمه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم لهم، وقـد كـان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا ورددناه عليه وأبينا أن نقبله. وروى مثله عن النسائى أيضاً وقال: وفى اخرى له مثل أبى داود، وفيه: وكان الـذى

عرض عليهم أن يعين ناكحهم ويقضى عن غارمهم ويعطى فقيرهم وأبى أن يزيدهم على ذلك. وروى العياشى فى تفسيره: رواية ابن عبّاس ورويناه فى موضع آخر. وروى أيضاً: عن أبى جميلة، عن بعض أصحابه، عن أحدهما عليهم السلام، قال: قد فرض الله الخمس نصيباً لآل محمد عليهم السلام فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم، حسداً وعداوة، وقد قال الله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون)؛ والأخبار من طريق أهل البيت عليهم السلام فى ذلك أكثر من أن تحصى؛ وسيأتى [صفحه ۴۶۵] بعضها فى أبواب الخمس والانفال إن شاء الله تعالى؛ فإذا اطّلعت على ما نقلناه من الأخبار من صحاحهم، نقول: لا ريب فى دلالة الآية، على اختصاص ذى القربى القربى بسهم خاص؛ سواء كان هو سدس الخمس كما ذهب إليه أبو العالية، وأصحابنا، ورووه عن أئمتنا عليهم السلام وهو الظاهر من الآية كما اعترف به البيضاوى وغيره؛ أو خمس الخمس لإتّحاد سهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الله للتعظيم كما زعم ابن عباس، وقتادة وعطا؛ أو ربع الخمس، والأرباع الثلاثة الباقية للثلاثة الاخيرة، كما زعمه الشافعى؛ وسواء كان المراد بذى القربى أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته، وبعده الإمام من أهل البيت كما ذهب إليه أكثر أصحابنا، أو جميع بنى هاشم كما ذهب إليه بعضهم وعلى ما ذهب إليه الاكثر يكون دعوى فاطمة عليها السلام نيابة عن أمير المؤمنين عليه السلام تقيّة أو كان المراد بنى هاشم وبنى المطلب كما زعمه الشافعى، أو آل علىّ، وعقيل وآل عبّاس، وولد الحارث بن عبد المطلب، كما قال أبو حنيفة. وعلى أى حال فلا ريب أيضاً فى أن الظاهر من الآية تساوى السّتة فى السهم، ولم يختلف الفقهاء فى أنّ إطلاق الوصيّة والإقرار لجماعة معدودين يقتضى التسوية لتساوى السنة، ولم يشترط الله عزّ وجلّ فى ذى القربى فقراً أو مسكنة بل قرنه بنفسه وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم للدلالة على عدم الإشتراط؛ وأما التقييد إجتهاداً فمع بطلان الإجتهاد الغير المستند إلى حجة فعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدفع التقييد لدلالة خبر جبير وغيره على أنّه لم يعطيها ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيهم، وقد قال أبوبكر فى رواية أنس: لكم الغنى الّذى يغنيكم ويفضل عنكم؛ فما زعمه أبو بكر من عدم دلالة الآية على أن السهم مسلم الذى القربى ووجوب صرف الفاضل من السهم عن حاجتهم فى مصالح المسلمين مخالف للآية والأخبار المتفق على صحّتها؛ وقد قال سبحانه فى آخر الآية: (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا)؛ واعترف الفخر الرازى فى تفسيره بأن من لم يحكم بهذه القسمة فقد خرج عن الإيمان، وقال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فالئك هم الكافرون)؛ وقال: هم الفاسقون، وقال هم الظالمون، فاستحق بما صنع ما يستحقه الراد على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. [صفحه ۴۶۶] السادسة: مادلت عليه الروايات السالفة وما سيأتى فى باب شهادة فاطمة عليها السلام، من أنّها أوصت أن تدفن سراً، وأن لا يصلى عليها أبو بكر وعمر لغضبها عليهما فى منع فدك وغيره من أعظم الطعون عليهما؛ وأجاب عنه قاضى القضاة فى «المغنى» بأنه قد روى أنّ أبا بكر هو الذى صلى على فاطمة عليها السلام وكبر أربعاً، وهذا أحد ما استدل به كثير من الفقهاء فى التكبير على الميّت ولا يصح أنّها دفنت ليلاً؛ وإن صحّ ذلك فقد دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً وعمر دفن ليلاً، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل؛ فما فى هذا ما يطعن به بل الاقرب فى النساء أنّ دفنهنّ ليلاً أستر وأولى بالسنة. وردّ عليه السيّد الأجلّ فى الثانى: بأن ما ادّعيت من أنّ أبا بكر هو الذى صلّى على فاطمة عليها السلام وكبر أربعاً، وإنّ كثيراً من الفقهاء يستدلون به فى التكبير على الميت فهو شىء ما سمع إلاّ منك وإن كنت تلقّيته عن غيرك فممن يجرى مجراك فى العصبيّة وإلاّ فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل فى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صلّى على فاطمة عليها السلام إلاّ رواية شاذّة نادرة وردت بأن العباس صلّى عليها. روى الواقدى: بإسناده، عن عكرمة، قال: سألت ابن عباس متى دفنتم فاطمة عليها السلام؟ قال: دفناها بليلٍ بعد هدأة. قال: قلت: فمن صلّى عليها؟ قال: علىّ عليه السلام. وروى الطبرسى، عن الحرث بن أبى أسامة، عن المداينى، عن أبى زكريا العجلانى أن فاطمة عليها السلام عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت وقالت: سترتمونى ستركم الله. قال أبو جعفرمحمد بن جرير: والثبت فى ذلك أنّها زينب؛ لأن فاطمة عليها السلام دفنت ليلاً ولم يحضرها إلاّ العباس وعلىّ عليه السلام، والمقداد والزبير. وروى القاضى أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده فى تاريخه: عن الزهرى، قال: حدّثنى عروة بن الزبير، أنّ عائشة أخبرته: أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستّة أشهر فلما توفيت دفنها على عليه السلام ليلاً وصلّى عليها علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وذكر فى كتابه هذا أنّ أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام دفنوها ليلاً وغيّبوا قبرها. [صفحه ۴۶۷] وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو عن الحسن بن محمد: أنّ فاطمة عليها السلام دفنت ليلاً وروى عبدالله بن أبى شيبة، عن يحيى بن سعيد العطار، عن معمر،عن الزهرى: مثل ذلك؛ وقال البلاذرى فى تاريخه: إن فاطمة عليها السلام لم تر مبتسمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها؛ والأمر فى هذا أوضح وأظهر من أن يطنب فى الإستشهاد عليه، وبذكر الروايات فيه، فأما قوله ولا يصح، أنّها دفنت ليلاً، وإن صحّ فقد دفن فلان وفلان ليلاً فقد أنّ دفنها ليلاً فى الصحّة كالشمس الطالعة، وأن منكر ذلك كدافع المشاهدات ولم نجعل دفنها ليلاً بمجرد، وهو الحجّة. فيقال: فقد دفن فلان وفلان ليلاً بل مع الإحتجاج بذلك على ما وردت به الروايات المستفيضة الظاهرة الّتى هى كالمتواتر أنها عليها السلام أوصت بأن تدفن ليلاً حتى لا يصلى عليها الرجلان، وصرّحت بذلك وعهدت فيه عهداً بعد أن كانا استاذنا عليها فى مرضها ليعوداها فأبت أن تأذن لهما فلّما طال عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فى أن يستأذن لهما وجعلاها حاجة إليه فكلّما أمير المؤمنين عليه السلام فى ذلك وألحّ عليها فأذنت لهما فى الدخول ثمّ أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلمهما؛ فلمّا خرجا قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: قد صنعت ما أردت، قال: نعم؛ قالت: فهل أت صانع ما آمرك؟ قال: نعم؛ قالت: فإنّى أنشدك الله لا يصليا على جنازتى، ولا يقوما على قبرى، وروى أنه عليه السلام عمى على قبرها، ورشّ أربعين قبراً فى البقيع ولم يرش على قبرها حتى لا يهتديا إليه، وأنهما عاتباه على ترك إعلامهما بشأنها وإحضارهما للصلاة عليها، فمن هاهنا احتججنا بالدفن ليلاً، ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدم عليه وتأخر عنه، لم يكن فيه حجّة، انتهى كلامه رفع الله مقامه. ومما يدل من صحاح أخبارهم على دفنها ليلاً، وأن أبا بكر لم يصلّ عليها، وعلى غضبها عليه وهجرتها إيّاه: مارواه مسلم فى «صحيحة» وأورده فى «جامع الاصول» فى الباب الثانى من كتاب الخلافة والإمارة من حرف الخاء عن عائشة ـ فى حديث طويل ـ بعد ذكر مطالبة فاطمة عليها السلام أبا بكر فى ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفدك وسهمه من خيبر؛ قالت: فهجرته فاطمة عليها السلام، فلم تكلّمة فى ذلك حتى ماتت، فدفنها على عليه السلام ولم يؤذن بها [صفحه ۴۶۸] أبابكر؛ قالت: فكان لعلّى وجه من الناس حياة فاطمة عليها السلام فلّما توفيت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عن علىّ، ومكثت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ستة أشهر ثم توفيت، وروى ابن أبى الحديد: عن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى، عن هشام بن محمد، عن أبيه، قال: قالت فاطمة عليها السلام لأبى بكر: إنّ أمّ أيمن تشهد لى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطانى فدك، فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله ما خلق الله خلقاً احب إلى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيك ولودّت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لئن تفتقر عائشة أحب إلى من أن تفتقرى، أترانى اعطى الأسود والأحمر حقّه وأظلمك حقّك وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ هذا المال لم يكن للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ولّيته كما كان يليه، قالت: والله لا كلمتك أبداً قال: والله لا هجرتك أبداً قالت: والله لادعون الله عليك قال: والله لأدعون الله لك: فلّما حضرتها الوفاة أوصت أن لا يصلى عليها، فدفنت ليلاً وصلى عليها العباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم إثنتان وسبعون ليلة، ومما يؤيّد إخفاء دفنها، جهالة قبرها والإختلاف فيه بين الناس إلى يومنا هذا، ولو كان بمحضر من الناس لما اشتبه على الخلق ولا اختلف فيه. السابعة: ممّا يرد على الطعون على أبى بكر فى تلك الواقعة. أنّه مكّن ازواج النبىّ التصرفّ فى حجراتهّن بغير خلاف ولم يحكم فيها بأنّها صدقة، وذلك يناقض ما منعه فى أمر فدك وميراث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإن انتقالها إليهنّ إمّا على جهة الإرث أو النحلة والأوّل مناقض لروايته فى الميراث؛ والثانى يحتاج إلى الثبوت ببيّنة ونحوها ولم يطالبهنّ بشىء منها كما طلب فاطمة عليها السلام فى دعواها وهذا من أعظم الشواهد لمن له أدنى بصيرة على أنّه لم يفعل إلاّ عداوة لأهل بيت الرسالة ولم يقل ما قال إلاّ إفتراء على الله وعلى رسوله!! ولنكتف بما ذكرنا، فإن بسط الكلام فى تلك المباحث ممّا يوجب كثرة حجم الكتاب وتعسّر تحصيله على الطلاّب؛ فانظر أيّها العاقل المنصف بعين البصيرة فيما اشتمل عليه الأخبار الكثيرة التى أوردوها فى

كتبهم المعتبرة عندهم، من حكم سيدة النساء صلوات الله عليها مع عصمتها وطهارتها باغتصابهم للخلافة، وأنّهم اتباع الشيطان وأنّه ظهر فيه حسيكة النفاق، وأنّهم أرادوا إطفاء نور الدين وإهماد سنّ سيد [صفحه ۴۶۹] المرسلين صلوات الله عليه وآله و أنّهم آذوا أهل بيته واضمروا لهم العداوة وغير ذلك ممّا اشتملت عليه الخطبة الجليلّة فهل يبقى بعد ذلك شك فى بطلان خلافة أبى بكر ونفاقه ونفاق أهل بيته؟! ثمّ أنّها عليها السلام حكمت بظلم أبى بكر فى منعها الميراث صريحاً بقولها عليها السلام لقد جئت شيئاً فريّاً، ودعت الأنصار إلى قتاله فثبت جواز قتله، ولو كان إماماً لم يجز قتله، ثمّ انظر إلى هذا المنافق كيف شبّه أمير المؤمنين وسيّد الوصيين وأخا سيد المرسلين وزوجته الطاهرة بثعالة شهيده ذنبه وجعله مريّاً لكل فتنة! ثمّ إلى موت فاطمة صلوات الله عليها ساخطة على أبى بكر، مغضبة عليه منكرة لإمامته وإلى انكار أبى بكر كون فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه آله وسلم مع كونه مخالفاً للآية والإجماع وأخبارهم وإلى أنّه انتزع فدك من يد وكلاء فاطمة عليها السلام وطلب منها الشهود مع أنّها لم تكن مدعية، فحكم بغير حكم الله وحكم الرسول وصار بذلك من الكافرين بنص القرآن وإلى طلب الشاهد من المعصومة وردّ شهادة المعصومين الذين أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل وقال فيهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما قال، ومنعها الميراث خلافاً لحكم الكتاب وافترائه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بما شهد الكتاب والسنة بكذبه فتبوء مقعده من النار وظلمه عليها صلوات الله عليها فى منع سهم ذى القربى خلافاً لله تعالى ومناقضة لما رواه حيث مكن الازواج من التصرف فى الحجر وغيرهما ممّا يستنبط من فحاوى ما ذكر من الأخبار ولا يخفى طريق استنباطها على أولى الابصار.

احتجاج فاطمة الزهراء

اشاره

على القوم لمّا منعوها فدك [۶۹۴] . روى عبدالله بن الحسن عليه السلام بإسناده عن آبائه عليهم السلام أنّه لمّا أجمع [۶۹۵] أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها [۶۹۶] ، واشتملت بجلبابها [۶۹۷] ، وأقبلت فى لمةٍ [۶۹۸] من حفدتها [۶۹۹] ونساء قومها، تطأ ذيولها [۷۰۰] ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۷۰۱] ، حتّى دخلت على أبى بكرٍ ـ وهو فى حشدٍ [۷۰۲] من المهاجرين [صفحه ۴۷۱] والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة [۷۰۳] ، فجلست، ثم أنّت أنّه أجهش القوم [۷۰۴] لها بالبكاء. فارتج المجلس [۷۰۵] ثم أمهلت هنيّة [۷۰۶] .حتى اذا سكن نشيج القوم [۷۰۷] ، وهدأت فورتهم [۷۰۸] ، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله، فعاد القوم فى بكائهم، فلّما أمسكوا عادت فى كلامها، فقالت عليها السلام: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها [۷۰۹] ، وسبوغ آلاء أسداها [۷۱۰] ،وتمام منٍ والاها [۷۱۱] ، جمّ عن الاحصاء عددها [۷۱۲] ، ونأى عن الجزاء أمدها [۷۱۳] ، وتفاوت عن الإدراك أبدها [۷۱۴] ، وندبهم [صفحه ۴۷۲] لاستزادتها بالشكر لا تصالها [۷۱۵] ، واستحمد إلى الخلايق بإجزالها [۷۱۶] ، وثنّى بالندب إلى أمثالها [۷۱۷] وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها [۷۱۸] ، وضمن القلوب موصولها [۷۱۹] ، وأنار فى الفكر معقولها [۷۲۰] . الممتنع من [صفحه ۴۷۳] الأبصار رؤيته [۷۲۱] ، ومن الألسن صفته [۷۲۲] ، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لامن شىء كان قبلها [۷۲۳] ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلةٍ امتثلها [۷۲۴] ، كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجةٍ منه إلى تكوينها، ولافائدة له فى تصويرها إلّا تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته [۷۲۵] ، وإظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته [۷۲۶] ، وإعزازاً لدعوته [۷۲۷] . ثمّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادةً لعباده عن نقمته [۷۲۸] ، وحياشةً منه إلى جنته [۷۲۹] . أشهد أن أبى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتبله [۷۳۰] ، واصطفاه قبل ان ابتعثه، اذ الخلائق بالغيب مكنونة وبستر الأهاويل مصونة [۷۳۱] ، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله تعالى بمآيل [صفحه ۴۷۴] الأمور [۷۳۲] ،

وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور [۷۳۳] ، ابتعثه الله تعالى إماماً لأمره [۷۳۴] وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه [۷۳۵] فرأى الامم فرقاً فى أديانها، عكّفاً على نيرانها [۷۳۶] عابدة لأوثانها منكرةً لله مع عرفانها [۷۳۷] . فأنارالله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ظلمها [۷۳۸] وكشف عن القلوب بهمها [۷۳۹] ، وجلى عن الابصار غممها [۷۴۰] وقام فى الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية [۷۴۱] ، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفةٍ واختيار [۷۴۲] ورغبةٍ وايثار بمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم [۷۴۳] عن تعب هذه الدار فى راحةٍ، قد حفّ بالملائكة [صفحه ۴۷۵] الأبرار ورضوان الرّب الغفار، ومجاورة الملك. صلى الله على أبى نبيّه وأمينه على الوحى، وصفيه وخيرته من الخلق ورضيه، والسلام عليه رحمة الله وبركاته. ثمّ التفت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه [۷۴۴] وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الامم [۷۴۵] ، وزعمتم حق لكم [۷۴۶] لله فيكم، عهد قدمه اليكم، وبقية استخلفها عليكم [۷۴۷] : كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره [۷۴۸] ، منكشفة سرائره [۷۴۹] ، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه [۷۵۰] ، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤدٍ إلى النجاة إسماعه [۷۵۱] به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة [۷۵۲] ، وشرايعه المكتوبة. [صفحه ۴۷۶] فجل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس [۷۵۳] ونماء فى الرزق [۷۵۴] ، والصيام تثبيتاً للإخلاص [۷۵۵] ، والحجّ تشييداً للدين [۷۵۶] ، والعدل تنسيقاً للقلوب [۷۵۷] ، واطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونةً على استيجاب الأجر [۷۵۸] ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبر الوالدين وقايةً من السخط [۷۵۹] ، وصلة الارحام منماةً للعدد [۷۶۰] ، والقصاص حصناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين [صفحه ۴۷۷] تغييراً للبخس [۷۶۱] ، والنهى عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس [۷۶۲] ، واجتناب القذف حجاباً عن اللّعنة [۷۶۳] ، وترك السرقة إيجاباً للعفة [۷۶۴] ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، (فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون) وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه (إنّما يخشى الله من عباده العلماء). ثمّ قالت: أيّها الناس! اعلموا أنّى فاطمة، وأبى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، أقول عوداً وبدءاً [۷۶۵] ، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً [۷۶۶] : (ولقد جاءكم رسول من أنفسكم [۷۶۷] عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم [۷۶۸] بالمؤمنين روؤف رحيم [۷۶۹]) [۷۷۰] فإنّ تعزوه [۷۷۱] وتعرفوه تجدوه أبى دون نسائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم، ولنعم المعزّى إليه صلى الله عليه وآله سلم. فبلغّ الرسالة صادعاً بالنذارة [۷۷۲] مائلاً عن مدرجة [صفحه ۴۷۸] المشركين [۷۷۳] ، ضارباً ثبجهم [۷۷۴] ، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة [۷۷۵] ، يكسر الأصنام وينكت الهام [۷۷۶] حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى نفرّى اللّيل عن صبحه [۷۷۷] وأسفر الحق عن محضه [۷۷۸] ، ونطق زعيم الدين [۷۷۹] ، وخرست شقاشق الشياطين [۷۸۰] ، طاح وشيظ النفاق [۷۸۱] ، انحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص [۷۸۲] فى نفر من البيض الخماص [۷۸۳] ، وكنتم على شفا [صفحه ۴۷۹] حفرةٍ من النار [۷۸۴] ، مذفة الشارب، ونهزة الطامع [۷۸۵] ، وقبسة العجلان [۷۸۶] ، وموطىء الاقدام [۷۸۷] ، تشربون الطرق [۷۸۸] ، وتقتاتون الورق [۷۸۹] ، أذلةً خاسئين [۷۹۰] ، «تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم» [۷۹۱] فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا والتى [۷۹۲] ، وبعد أن منى ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب [۷۹۳] ، «كلما [صفحه ۴۸۰] أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله»، أو نجم قرن للشيطان [۷۹۴] ، وفغرت فاغرة من المشركين [۷۹۵] قذف أخاه فى لهواتها [۷۹۶] ، فلا ينكفىء [۷۹۷] حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه [۷۹۸] ، مكدوداً فى ذات الله [۷۹۹] ، مجتهداً فى أمر الله، قريباً من رسول الله سيد أولياء الله [۸۰۰] ، مشمّراً ناصحاً [۸۰۱] ، مجداً كادحاً [۸۰۲] ، وأنتم فى رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون [۸۰۳] ، تتربصون بنا الدوائر [۸۰۴] ، وتتوكّفون [صفحه ۴۸۱] الأخبار [۸۰۵] ، وتنكصون عند النزال [۸۰۶] ، وتفرون عند القتال. فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق [۸۰۷] ، وسمل جلبات الدين [۸۰۸] ، ونطق كاظم الغاوين [۸۰۹] ، ونبغ خامل الأقلّين [۸۱۰] ، وهدر فنيق المبطلين

[۸۱۱] . فخطر فی عرصاتکم [۸۱۲] ، وأطلع الشیطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بکم، فألفاکم لدعوته مستجیبین [۸۱۳] ، وللغرّة فیه ملاحظین [۸۱۴] ثم استنهضکم [۸۱۵] فوجدکم [صفحه ۴۸۲] خفافاً [۸۱۶] ، وأحمشکم فألفاکم غضاباً [۸۱۷] ، فوسمتم [۸۱۸] غیر ابلکم، وأوردتم غیر شربکم [۸۱۹] ؛ هذا والعهد قریب، والکلم رحیب، والجرح لمّا یندمل [۸۲۰] ، والرسول لمّا یقبر [۸۲۱] زعمتم خوف الفتنهٔ [۸۲۲] ، «ألا فی الفتنهٔ سقطوا وإنّ جهنم لمحیطهٔ بالکافرین» [۸۲۳] . فهیهات منکم، وکیف بکم، وأنّی تؤفکون؟ وکتاب الله بین أظهرکم [۸۲۴] ، اموره ظاهرهٔ، وأحکامه زاهرهٔ [۸۲۵] ، وأعلامه باهرهٔ، وزواجره لائحهٔ، وأوامره واضحهٔ، قد خلّفتموه وراء ظهورکم، أرغبهً عنه تریدون، أم بغیره تحکمون، «بئس للظالمین بدلاً [۸۲۶] » [۸۲۷] «ومن یبتغ غیر الإسلام دیناً فلن یقبل منه وهو فی الآخرهٔ من [صفحه ۴۸۳] الخاسرین» [۸۲۸] ثم لم تلبثوا إلا ریث أن تسکن نفرتها، ویسلس قیادها [۸۲۹] ثم أخذتم تورون وقدتها [۸۳۰] ، وتهیّجون جمرتها [۸۳۱] ، وتستجیبون لهتاف الشیطان الغوی [۸۳۲] ، وإطفاء أنوار الدین الجلی، وإهماد سنن النبی الصفی [۸۳۳] ، تسرون خشوا فی أرتعاء [۸۳۴] ، وتمشون لأهله ووله فی الخمر والضراء [۸۳۵] ، ونصبر منکم علی مثل حزّ المدی [۸۳۶] ، ووخز السّنان فی الحشا [۸۳۷] ، وأنتم تزعمون ألاّ إرث لنا، «أفحکم [صفحه ۴۸۴] الجاهلیهٔ تبغون ومن أحسن من حکماً لقوم یوقنون» [۸۳۸] أفلا تعلمون؟ بلی تجلّی لکم کالشمس الضاحیهٔ [۸۳۹] أنّی ابنته. أیها المسلمون أاغلب علی إرثیه [۸۴۰] یا ابن أبی قحافهٔ أفی کتاب الله أن ترث أباک، ولا أرث أبی؟ «لقد جئت شیئاً فریاً [۸۴۱] » [۸۴۲] ، أفعلی عمدٍ ترکتم کتاب الله، ونبذتمونه وراء ظهورکم، إذ یقول: «وورث سلیمان داود» [۸۴۳] , وقال فیما اقتصّ من خبر یحیی بن زکریا علیها السلام إذ قال ربّ «هب لی من لدنک ولیّاً یرثنی ویرث من آل یعقوب» [۸۴۴] وقال: «واولوا الأرحام بعضهم اولی ببعض فی کتاب الله» [۸۴۵] وقال:«یوصیکم الله فی أولادکم للذّکر مثل حظ الانثیین» [۸۴۶] وقال: «إن ترک خیراً الوصیّهٔ للوالدین والأقربین بالمعروف حقاً علی المتقین» [۸۴۷] ، وزعمتم ألاّ حظوهٔ لی [۸۴۸] ، ولا إرث من أبی لا رحم بیننا! [صفحه ۴۸۵] أفخصّکم الله بأیهٔ أخرج منها أبی؟ أم هل تقولون أهل ملّتین لا یتوارثان، ولست أنا وأبی من أهل ملّهٔ واحدهٔ؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبی وابن عمّی [۸۴۹] ؟ فدونکها مخطمهٔ مرحولهٔ [۸۵۰] تلقاک یوم حشرک، فنعم الحکم الله، والزّعیم محمدّ [۸۵۱] ، والموعد القیامهٔ، وعند الساعهٔ ما تخسرون [۸۵۲] ، ولا ینفعکم إذ تندمون، «ولکل نبأٍ مستقرّ وسوف تعلمون من یأتیه عذاب یخزیه [۸۵۳] ویحلّ علیه عذاب مقیم» [۸۵۴] ثم رمت بطرفها [۸۵۵] نحو الأنصار فقالت: یا معاشر الفتیهٔ [۸۵۶] ، وأعضاد الملّهٔ [۸۵۷] ، وأنصار الإسلام! ما هذه الغمیزهٔ فی حقّی [۸۵۸] ؟ والسّنهٔ عن [صفحه ۴۸۶] ظلامتی [۸۵۹] ، أما کان صلی الله علیه وآله وسلم أبی یقول: «المرء یحفظ فی ولده»؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالهً [۸۶۰] ، ولکم طاقهٔ بما احاول، وقوّهٔ علی ما أطلب وازاول! أتقولون مات محمد صلی الله علیه وآله وسلم؟! فخطب جلیل استوسع وهیه [۸۶۱] ، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه [۸۶۲] ، وأظلمت الأرض لغیبته، وکسفت النجوم لمصیبته [۸۶۳] ، واکدت الآمال [۸۶۴] ، وخشعت [صفحه ۴۸۷] الجبال، واضیع الحریم [۸۶۵] ، وازیلت الحرمهٔ عند مماته [۸۶۶] فتلک والله النّازلهٔ الکبری [۸۶۷] ، والمصیبهٔ العظمی، لا مثلها نازلهٔ ولا بائقهٔ عاجلهٔ [۸۶۸] أعلن بها کتاب الله ـ جل ثناؤه ـ فی أفنیتکم فی ممساکم ومصبحکم [۸۶۹] هتافاً وصراخاً وتلاوهٔ وإلحاناً [۸۷۰] ، ولقبله ما حلّ بأنبیاء الله ورسله، حکم فصل [۸۷۱] وقضاء حتم [۸۷۲] : «وما محمد إلا رسول قد خلت [۸۷۳] من قبله الرسول أفإن مات أو قتل انقلبتم علی أعقابکم [۸۷۴] ومن ینقلب علی عقبیه فلن یضرّ الله شیئاً وسیجزی الله الشاکرین [۸۷۵] » [۸۷۶] . [صفحه ۴۸۸] أیها بنی قیلهٔ! [۸۷۷] أاهضم تراث أبیه [۸۷۸] وأنتم بمرأی منّی ومسمع [۸۷۹] ، ومبتدأ [صفحه ۴۸۹] ومجمع [۸۸۰] ؟! تلبسکم الدّعوهٔ، وتشملکم الخبرهٔ [۸۸۱] ، وأنتم ذوو العدد والعدّهٔ، والأداهٔ والقوّهٔ، وعندکم السلاح والجنّهٔ؛ توافیکم الدعوهٔ فلا تجیبون، وتأتیکم الصّرخهٔ فلا تغیثون، وأنتم موصوفون بالکفاح [۸۸۲] ، معروفون بالخیر والصّلاح، والنّجبهٔ التی انتجبت [۸۸۳] ، والخیرهٔ التی اختیرت! [۸۸۴] قاتلتم العرب، وتحمّلتم الکدّ والتعب، وناطحتم الامم [۸۸۵] ، وکافحتم البهم [۸۸۶] ، فلا نبرح أو تبرحون [۸۸۷] ، نأمرکم فتأتمرون [۸۸۸] حتی دارت بنا رحی الإسلام [۸۸۹] ، [صفحه ۴۹۰] ودرّ حلب الأیام [۸۹۰] ، وخضعت نعرهٔ الشرک [۸۹۱] ، وسکنت فورهٔ الإفک [۸۹۲] ، وخمدت نیران الکفر [۸۹۳] ، وهدأت دعوهٔ الهرج [۸۹۴]

، واستوسق نظام الدين [۸۹۵] ، فأنّى جرتم بعد البيان [۸۹۶] ، واسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام [۸۹۷] ، وأشركتم بعد الإيمان؟ «ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق ان تخشوه إن كنتم مؤمنين [۸۹۸] » [۸۹۹] . [صفحه ۴۹۱] ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض [۹۰۰] ، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض [۹۰۱] ، وخلوتم بالدعة [۹۰۲] ، ونجوتم من الضيق بالسّعة، فمججتم ما وعيتم [۹۰۳] ، ودسعتم الذى تسوّغتم [۹۰۴] ، «فإن تكفروا [۹۰۵] أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإنّ الله لغنى [صفحه ۴۹۲] حميد» [۹۰۶] ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّى بالخذلة التى خامرتكم [۹۰۷] ، والغدرة التى استشعرتها قلوبكم [۹۰۸] ، ولكنها فيضة النفس [۹۰۹] ، ونفثة الغيظ [۹۱۰] ، وخور القنا [۹۱۱] ، وبثّة الصدور [۹۱۲] ، وتقدمة الحجّة [۹۱۳] . فدونكموها فاحتقبوها [۹۱۴] دبرة الظّهر [۹۱۵] ، نقبة الخفّ [۹۱۶] ، باقية العار [۹۱۷] ، موسومة بغضب الله وشنار الأبد [۹۱۸] ، موصولة بنار الله الموقدة [۹۱۹] التى تطلع على [صفحه ۴۹۳] الأفئدة. فبعين الله ما تفعلون [۹۲۰] «وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب [۹۲۱] ينقلبون [۹۲۲] ». وأنا ابنة نذير لكم [۹۲۳] بين يدى عذاب شديد،، «فاعملوا [۹۲۴] إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون [۹۲۵] . فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان، فقال: يا ابنة رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً: فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الأخلاء، آثره على كل حميم، وساعده فى كل أمر جسيم، لا- يحبّكم إلاكل سعيد، ولا- يبغضكم إلا- كل شقى: فأنتم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنّة مسالكنا، وأنت - يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء - صادقة فى قولك، سابقة فى وفور عقلك، غير مردودةٍ عن حقك، ولا مصدودةٍ عن صدقك، ووالله، ما عدوت رأى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نوّرث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورّث والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولىّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه». وقد جعلنا ما حاولته فى الكراع والسّلاح يقابل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة [۹۲۶] ثم الفجّار. وذلك بإجماع من المسلمين لم أتفرّد به وحدى، ولم [صفحه ۴۹۴] أستبد [۹۲۷] بما كان الرأى فيه عندى، وهذه حالى، ومالى هى لك وبين يديك، لا نزوى عنك [۹۲۸] ولا ندّخر دونك. ونت سيدة أمّة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع ما لك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك؛ [۹۲۹] حكمك نافذ فيما ملكت يداى، فهل ترين [۹۳۰] أن اخالف فى ذلك أباك صلى الله عليه وآله؟ فقالت عليها السلام: سبحان الله! ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفاً [۹۳۱] ، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره [۹۳۲] ، ويقفو سوره [۹۳۳] ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور [۹۳۴] ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل فى حياته [۹۳۵] هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: «يرثنى ويرث من آل يعقوب»، «وورث سليمان داود» فبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع عليه من الأقساط، وشرّع من الفرايض والميراث، وأباح من حظّ الذّكران والإناث ما أزاح علّة المبطلين [۹۳۶] ، وأزال التّظنّى والشبهات فى الغابرين [۹۳۷] ، كلا- «بل سوّلت لكم أنفسكم [۹۳۸] أمراً فصبر جميل [۹۳۹] والله المستعان على [صفحه ۴۹۵] ما تصفون» [۹۴۰] . فقال أبو بكر صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته؛ انت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين وعين الحجّة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك [۹۴۱] هؤلاء المسلمون بينى وبينك، قلّدونى ما تقلّدت، وباتّفاق منهم أخذت ما أخذت [۹۴۲] غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر [۹۴۳] ، وهم بذلك شهود. فالتفتت فاطمة عليها السلام وقالت: معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل [۹۴۴] ، المغضية [۹۴۵] على الفعل القبيح الخاسر «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها [۹۴۶] » [۹۴۷] كلا بل ران على قلوبكم [۹۴۸] ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم [۹۴۹] ، وساء ما به أشرتم [۹۵۰] ، وشرّ ما عنه اعتضتم [۹۵۱] ، لتجدنّ - والله - محمله ثقيلاً- [۹۵۲] ، وغبّه وبيلاً- [۹۵۳] إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه [صفحه ۴۹۶] الضراء [۹۵۴] «بدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون [۹۵۵] » [۹۵۶] و «خسر هنالك المبطلون [۹۵۷] » [۹۵۸] . ثم عطفت على قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: [۹۵۹] . قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكبر الخطب إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشهدهم وقد نكبوا [۹۶۰] . وكل أهل له قربى ومنزلة عند الإله على الأدنين مقترب [۹۶۱]

. [صفحه ۴۹۷] أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لمّا مضيت وحالت دونك التّرب [۹۶۲] . تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا لمّا فقدت وكل الأرض مغتصب [۹۶۳] . وكنت بدراً وقوراً يستضاء به عليك تنزل من ذى العزة الكتب وكان جبريل بالآيات يونسنا فقد فقدت فكل الخير محتجب [۹۶۴] . فليت قبلك كان الموت صادفنا لمّا مضيت وحالت دونك الكتب [۹۶۵] . إنّا رزئنا بما لم يرز ذو شجن من البريّة لا عجم ولا عرب [۹۶۶] . ثم انكفأت عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه، ويتطلع طلوعها عليه [۹۶۷] فلما استقرت بها الدار [۹۶۸] قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: يابن أبى طالب! اشتملت شملة الجنين [۹۶۹] . [صفحه ۴۹۸] وقعدت حجرة الظنين [۹۷۰] نقضت قادمة الأجدل [۹۷۱] ، فخانك ريش الاعزل [۹۷۲] ؛ هذا ابن أبى قحافة [۹۷۳] يبتزنى نحيلة أبى وبلغة ابنى [۹۷۴] ، لقد أجهر فى خصامى [۹۷۵] ، وألفيته ألدّ فى كلامى [۹۷۶] ، حتى حبستنى قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها [۹۷۷] ، وغضّت الجماعة [صفحه ۴۹۹] دونى طرفها [۹۷۸] ؛ فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمةً، وعدت راغمةً [۹۷۹] ، أضرعت خدّك [۹۸۰] يوم أضعف حدّك [۹۸۱] ، افترست الذئاب، افترشت التراب [۹۸۲] ، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً [۹۸۳] ، ولا- خيار لى. ليتنى مت قبل هنيتى [۹۸۴] ودون زلّتى [۹۸۵] عذيرى الله منك عادياً ومنك حامياً [۹۸۶] . [صفحه ۵۰۰] ويلاى فى كل شارقٍ [۹۸۷] ، مات العمد [۹۸۸] ، ووهت العضد. شكواى إلى أبى، وعدو أى إلى ربّى [۹۸۹] . اللهم أنت أشدّ قوة وحولاً [۹۹۰] ، وأحدّ بأساً وتنكيلاً [۹۹۱] . فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل عليك، الويل لشانئك [۹۹۲] ، نهنهى عن وجدك يا ابنة الصّفوة [۹۹۳] وبقيّة النبوة، فما ونيت عن دينى، ولا- أخطأت مقدورى [۹۹۴] ، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون، كفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك [۹۹۵] . [صفحه ۵۰۱] فاحتسبى الله [۹۹۶] ؛ فقالت: حسبى الله؛ وأمسكت [۹۹۷] .

كلامها مع نساء المهاجرين والأنصار عند ما يعدنها

روى العلامة المجلسى رحمه الله عن الشيخ الثقة الصدوق رحمه الله: حدّثنا أحمد بن الحسن القطّان، قال: حدثنا عبد الرحمان بن محمد الحسينى، قال: حدثنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن حميد اللخمى، قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن زكرياً، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمان المهلّبى، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبدالله بن الحسن، عن امه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغلبها، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلت لها، يا بنت رسول الله: كيف أصبحت عن علّتك؟ فقالت عليها السلام: أصبحت والله عائفة لدنياكم [۹۹۸] ، قالية رجالكم [۹۹۹] ، لفظتهم قبل أن عجمتهم [۱۰۰۰] ، وشنئتهم بعد أن سبرتهم [۱۰۰۱] ، فقبحاً [صفحه ۵۰۲] لفلول الحد [۱۰۰۲] ، وخور القناة [۱۰۰۳] ، وخطل الرأى [۱۰۰۴] ، «بئس قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون» [۱۰۰۵] لا جرم لقد قلدتهم ربقتها، وشننت عليهم غارها [۱۰۰۶] ، فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين [۱۰۰۷] . ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسى الرسالة [۱۰۰۸] ، وقواعد النبوة، ومهبط الوحى الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين [۱۰۰۹] ، ألا- ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبى الحسن [۱۰۱۰] ، نقموا والله منه نكير سيفه [۱۰۱۱] ، وشدّة وطئه [۱۰۱۲] ، ونكال وقعته [۱۰۱۳] ، وتنمّره فى ذات الله عزّ وجلّ [۱۰۱۴] . [صفحه ۵۰۳] والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه لا عتلقه [۱۰۱۵] ، ولسار بهم سيراً سجحاً [۱۰۱۶] ، لا- يكلم خشاشه [۱۰۱۷] ، ولا- يتعتع راكبه [۱۰۱۸] ، ولأوزدهم منهلاً نميراً فضفاضاً [۱۰۱۹] تطفح ضفّتاه [۱۰۲۰] ولأصدرهم بطاناً [۱۰۲۱] ، قد تحيّر بهم الرىّ [۱۰۲۲] غير متحل منه بطائل إلا- بغمر الماء [۱۰۲۳] وردعة شررة الساغب [۱۰۲۴] ، ولفتحت عليهم بركات من [صفحه ۵۰۴] السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلمّ فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب [۱۰۲۵] ، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث! إلى أىّ سناد استندوا، وبأىّ عروة تمسّكوا، استبدلوا الذّنابى والله بالقوادم [۱۰۲۶] ، والعجز بالكاهل [۱۰۲۷] ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون [۱۰۲۸] ، (أفمن يهدى إلى

الحقّ أحق أن يتبع أمّن لا يهدّى إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) [۱۰۲۹] أما لعمر إلهك [۱۰۳۰] لقد لقحت [۱۰۳۱] فنظرة ريث ما [صفحه ۵۰۵] تنتج [۱۰۳۲] ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً [۱۰۳۳] ، وذعافاً ممقراً [۱۰۳۴] ، هناك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما سنّ الأولون [۱۰۳۵] ، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً [۱۰۳۶] وطأمنوا للفتنة جأشاً [۱۰۳۷] ، وأبشروا بسيف صارم [۱۰۳۸] ، وهرج شامل [۱۰۳۹] ، واستبداد من الظالمين [۱۰۴۰] ، يدع فيئكم زهيداً [۱۰۴۱] ، وزرعكم حصيداً [۱۰۴۲] فياحسرتى لكم وأنّى بكم [۱۰۴۳] ، وقد عمّيت [قلوبكم] عليكم أنلزمكموها [۱۰۴۴] وأنتم لها كارهون [۱۰۴۵] . [صفحه ۵۰۶] إن هذه الخطبة الفاطمية والدرة البيضاء لفى غاية الفصاحة ونهاية البلاغة من ناحية عذوبة ألفاظها وجميل محتواها وعظيم مضمونها الذى لابد للموالى والمخالف من الوقوف على مضمونها وطبيعة أهدافها التى أنشدتها الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام والتى لم تخرج فيها عن حد الشرع المقدس بل سارت مع كل ما دعى إليه الرسول وأهل بيته الأطهار، ففيها من الجلالة والنور بحيث لا بد من الإستضاءة من نورها الذى لو عرض على الظلمات لأضاءت منه، ولو خوطب بها الجبال الشامخات لرأيتها خاشعة من بهاءها وجلالها، وان كانت لم تترك الأثر الواضح على القلوب القاسية التى لم تمل إلى هداية بل كانت كالحجارة بل أن الحجارة لما يتفجر منها الماء الذى فيه حياة القلوب والنفوس، فكانت سلام الله عليها فى هذه الخطبة مظهرة لنور ثمار النبوة وعبق أرج الرسالة فهى عصن الدوحة المحمدية وحليلة العصمة العلوية ومجمع الأنوار الولائية فهى كلمة الله التامة وأم أبيها التى يفرغ لسانها عنه صلى الله عليه وآله وسلم، وهى الصديقة الكبرى التى فطمت الخلق عن م معرفتها فضلاً عن معرفة أنوارها وكلامها الذى لا بد من الوقوف معه وتجلية أنواره، ومعرفة أركانه وأهدافه فلذا لا بد من التعرض لأهداف هذه الخطبة لكى يتضح لنا برهانها الظاهر، وكلامها المؤثر الذى ينبع م مشكاة النبوة المحمدية وظهر على لسان الأسرار الفاطمية. [صفحه ۵۰۷]

اهداف خطبة الزهراء

هناك مجموعة أهداف لتصلّب الزهراء فى مواقفها: أوّلاً ـ أرادت الزهراء استرجاع حقها المغصوب، وهذا أمر طبيعى لكل إنسان غصب حقّه أن يطالب به بالطرق المشروعة. ثانياً ـ كان الحزب الحاكم قد استولى على جميع الحقوق السياسية والإقتصادية لبنى هاشم، وألغى جميع امتيازاتهم المادية والمعنوية، فهذا عمر بن الخطاب يقول لابن عباس: أتدرى ما منع قومكم (أى قريش) منكم بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت [۱۰۴۶] ، هذا بالنسبة للخلافة، وبالنسبة للأموال فقد منعوا بنى هاشم فدك والميراث والخمس ـ أى سهم ذوى القربى ـ واعتبروهم كسائر الناس. وكان بنو هاشم وفى مقدّمتهم على عليه السلام لا يقدرون على المطالبة بحقوقهم المغصوبة بأنفسهم، فجعلت الزهراء من نفسها مطالبة بحق بنى هاشم وحقها، ومدافعة عنهم اعتماداً على فضلها وشرفها وقربها من رسول الله، واستناداً إلى أنوثتها حيث النساء أقدر من الرجال فى بعض المواقف. ومعلوم أن الزهراء إذا استردّت حقوقها استردّت حينئذ حقوق بنى هاشم معها. ثالثاً ـ استهدفت الزهراء من مطالبتها الحثيثة بفدك فسح المجل أمامها للمطالبة بحق زوجها المغلوب على أمره، والواقع أنّ فدك صارت تتمشّى مع الخلافة جنباً إلى جنب، كما صار لها عنوان كبير وسعة فى المعنى، فلم تبق فدك قرية زراعية محدودة بحدودها فى عصر الرسول، بل صار معانها الخلافة والرقعة الإسلامية بكاملها. ومما يدل على هذا تحديد الأئمة لفدك، فقد حدها على عليه السلام فى زمانه بقوله: حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل [۱۰۴۷] وهذه الحدود التقريبية للعالم الإسلامى آنذاك. [صفحه ۵۰۸] أما الإمام الكاظم عليه السلام فقد حدها للرشيد بعد أن ألحّ عليه الرشيد أن يأخذ فدكاً، فقال له الإمام: ما آخذها إلا بحدودها، قال الرشيد: وما حدودها؟ قال: الحدّ الأول عدن، والحدّ الثانى سمرقند، والحدّ الثالث أفريقيّة، والحدّ الرابع سيف البحر مما يلى الخزر وأرمينية، فقال له الرشيد: فلم يبق لنا شىء فتحوّل فى مجلسى [۱۰۴۸] ، أى أنّك طالبت بالرقعة الإسلامية فى العصر العباسى بكاملها. فقال الإمام: قد أعلمتك أنى إن حدّدتها لم تردّها. ففدك تعبير ثانٍ عن الخلافة

الإسلامية، والزهراء جعلت فدكاً مقدمة للوصول إلى الخلافة، فأرادت استرداد الخلافة عن طريق استرداد فدك. ومما يدل على هذا تصريحات الزهراء في خطبتها بحق علي وكفاءته وجهاده، فهي القائلة في خطبتها الكبيرة التي ألقتها في مسجد رسول الله: «فأنقذكم الله بأبي محمد بعد بعد اللّتيا والّتي، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومرده أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه (أي عليّاً) في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيد أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، وأنتم في رفاهيةٍ من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر ووتركّفون الأخبار، وتنكصون عن النزال، وتفرّون من القتال». وتقول أيضاً: «ألا وقد أرى والله أن قد أخلدتم إلى الخفض، وبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض». وهو أمير المؤمنين. وكان لإشادة الزهراء بفضل علي عليه السلام في خطبتها أثر بالغ في نفوس الأنصار حتى هتف قسم منهم باسمه، فاستشعر أبوبكر الخطر من هذه البادرة، وشقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال: «أيها الناس ما هذه الرعة إلى كلّ قالة، أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فيلتكلّم، إنّما هو ثعالة: [صفحه ۵۰۹] شهيده ذنبه، مربّ لكلّ فتنة. هو الذي يقول كرّوها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء كأمّ طحال أحبّ أهلها اليها البغي، ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لحبت،إنّي ساكت ما تركت». ثم التفت إلى الأنصار فقال: «قد بلغني يا معشر الانصار مقالة سفهائكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا إنّي لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا». ثم نزل [۱۰۴۹] . قال ابن ابي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصريّ وقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح، قلت: لو صرّح لم أسألك، فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام. قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ يقوله؟ قال: نعم إنّه الملك يا بنّي، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم ـ انتهى. لهذا قلت: إن الزهراء اتّخذت من فدك ذريعةً للوصول إلى استرداد خلافة علي عليه السلام، وإلاـ فما الذي حداها وهي تطالب بميراثها أن تشيّد بمواقف الإمام وأحقّيته بالخلافة حتى أثارت الأنصار، فهتفوا بذكر علي؟ وما الذي حدا أبابكر أن يذكر عليّاً بسوء في خطبته كقوله: إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه، مربّ لكل فتنة. رابعاً: أرادت الزهراء عليها السلام بمنازعة أبي بكر إظهار حاله وحال أصحابه للناس، وكشفهم على حقيقتهم، ليهلك من هلك عن بيّنةٍ، ويحيى من حيّ عن بيّنة، وإلاّ فبضعة الرسول أجل قدراً وأعلى شأناً من أن تقلب الدنيا على أبي بكر حرصاً على الدنيا، ولا سيّما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرها بقرب موتها وسرعة لحاقها به، ولذا لم ينهها عليّ عليه السلام عن منازعة أبي بكر في فدك وهو القائل: «وما أصنع بفدك وغير فدك، [صفحه ۵۱۰] والنفس مكانها في غد جدث» [۱۰۵۰] ، ولم تكن الزهراء أقلّ من علي تقيً وزهداً في الدنيا. ثم إنّ عليّاً عليه السلام كان بإمكانه أن يعوّض الزهراء عن ما غصب منها بما يملكه من الأموال، ويمنعها من الهوان، فإنّ ممّا يملك إرثي البغيبغة وأبي نيزر، وهما أكثر قيمة من فدك، وقد جعلهما عليه السلام قبل وفاته وقفاً على الفقراء، وكنا واردهما السنويّ ۴۷۰ ألف درهم. وأيضاً هذا هو السبب في حمل عليّ الزهراء على بغلة، والمرور بها على دور المهاجرين والانصار، ومطابتهم بنصرتها مع علمها بخذلانهم، كلّ ذلك لاطلاع الناس أبد الدهر على حقيقة الأمر، وإظهار حال الغاصبين وحال أصحابهم... قال ابن أبي الحديد: قلت لمتكلّم من متكلّمي الإماميّة يعرف بعليّ ابن تقي من بلدة النيل: وهل كان فدك إلاـ نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير؟ فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلةً جدّاً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن. (أي في القرن السادس الهجري)، وما قصد أبوبكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألاّ يتقوّى بحاصلها وغلّتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطّلب حقّهم في الخمس، فإنّ الفقير الذي لا مال له تضعف همّته، ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرئاسة [۱۰۵۱] . وقال الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر: «لمّا بويع أبو بكر أشار عليه عمر أن يمنع علياً وأهل بيته الخمس والفي وفدكاً، فإنّ شيعته إذا عملوا ذلك تركوه، وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا، فصرفهم أبو بكر عن جميع ما هو لهم». وثمّة سبب آخر وهو إرادة التظاهر بالقوّة أمام أهل البيت، وسدّ

الطريق أمامهم، وقطع أيّ أملٍ فى نفوسهم للوصول إلى غايتهم [۱۰۵۲] . قال العلامة المجلسى رحمه الله: إنّ طلب الحقّ والمبالغة فيه وإن لم يكن منافياً للعصمة لكنّ زهدها صلوات الله عليها وتركها للدنيا، وعدم اعتدادها بنعيمها ولذّتها، وكمال عرفانا [صفحه ۵۱۱] ويقينها بفناء الدنيا، وتوجّه نفسها القدسيّة وانصراف همّتها العالية دائماً إلى اللذات المعنويّة والدرجات الاخروية، لا تناسب مثل هذا الاهتمام فى أمر فدك، والخروج إلى مجمع الناس، والمنازعة مع المنافقين فى تحصيله. والجواب عنه من وجهين، الأوّل: أن ذلك لم يكن حقّاً مخصوصاً لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحاباة وعدم المبالاة فى ذلك ليصير سبباً لتضييع حقوق جماعة من الأئمة الأعلام والأشراف الكرام. نعم لم كان مختصاً بها كان تركه والزهد فيه وعدم التأثر من فوته. والثانى: إنّ تلك الامور لم تكن لمحبّة فدك وحبّ الدنيا، بل كان الغرض إظهار ظلمهم وجورهم وكفرهم ونفاقهم، وهذا كان من أهمّ امور الدين وأعظم الحقوق على المسلمين، ويؤيّده أنّها صلوات الله عليها صرّحت فى آخر الكلام حيث قال: «قلت ما قلت على معرفةٍ منّى بالخذلة...»، وكفى بهذه الخطبة بيّنة على كفرهم ونفاقهم... [۱۰۵۳] . قال المحقق الفاضل الألمعى عبدالزهراء عثمان محمد: ربما يعترض البعض على موقف فاطمة فيقول: لماذا إذن تقف فاطمة هذا الموقف الصلب فى مطالبتها بفدك، فلو لم يكن هناك هدف آخر تبتغيه من ورائه، لما طالبت هذه المطالبة الحقيقيّة به. ولأجل أن نبرز الحقائق التى دفعت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام للمطالبة بفدك نضع أمامنا النقاط الآتية: ۱ ـ إنّها عليها السلام رأت أنّ تأميم فدك قد هيّأ لها فرصة ذهبيّةً فى الإدلاء برأيها حول الحكومة القائمة، وكان لا بدّ لها أن تدلى بتصريحاتها أمام الجماهير، وقد هيّأت لها قضيّة فدك هذه الملابسات المناسبة، فحضرت دار الحكومة فى المسجد النبوى صلى الله عليه وآله وسلم، وألقت بتصريحاتها التى لا تنطوى على أىّ لبس أو غموض. ۲ ـ تبيان أحقيّة علىّ فى قيادة الامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تجلّى ذلك فى خطبتها التى ألقتها فى مسجد [صفحه ۵۱۲] أبيها صلى الله عليه وآله وسلم على مسمع ومرأى من المسلمين، وبضمنهم الحكومة الجديدة، فكان من بعض أقوالها: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟» وقولها: «وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض». حيث أو ضحت أنّ عليّاً عليه السلام أعلم الناس بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بمعرفة الرسالة وأحكامها وقوانينها، وهو ذلك أحقّ برعاية شئون الامّة التى صنعها الوحى المقدّس. ۳ ـ كشف ألاعيب الحكومة الجديدة على الشرع المقدّس، واجتهاداتهم التى لا علاقة لها بأهداف الرسالة... وهذه النقاط الثلاث هى التى استهدفتها فاطمة عليها السلام فى مطالبتها الحثيثة بفدك، ليس غير، وليس لها وراء ذلك هدف مادىّ رخيص، كما يعتقد البعض من مورّخى حياتها، فهى ـ لعمر الحقّ ـ قد تصرّفت ما من شأنه أن يحفظ الرسالة من شبح الإنحراف الذى تتبأت بوقوعه بعد انتخاب الحكومة الجديدة، فاتّخذ من فدك خير فرصةٍ لخدمة المبدأ، وإلقاء الحجّة وإلقاء الحجّة على الامّة تأديةً للمسؤوليّة، ونصراً للرسالة، وحفظاً لبيضة الإسلام [۱۰۵۴] . قال المحقق المتتبع السيد كاظم القزوينى: من الممكن أن يقال: إنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الزاهدة عن الدنيا وزخارفها، والتى كانت يمعزل عن الدنيا ومغريات الحياة، ما الذى دعاها إلى هذه النهضة وإلى هذا السعى المتواصل، والجهود المستمرّة فى طلب حقوقها؟ وما سبب هذا الإصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأراضى والنخيل، مع ما كانت تتمتّع به السيّدة فاطمة من علوّ النفس وسموّ المقام؟ وما الداعى إلى طلب الدنيا التى كانت أزهد عندهم من عفطة عنز، وأحقر من عظم خنزير فى فم مجذوم، وأهون من جناح بعوضة؟ وما الدافع بسيّدة نساء العالمين أن تتكلّف هذا التكليف وتتجشّم هذه الصعوبات المجهدة للمطالبة بأراضيها، وهى تعلم أنّ مساعيها تبوء بالفشل، وأنّها لا تستطيع التغلّب على الموقف، ولا تتمكّن من انتزاع تلك الأراضى من المغتضبين؟ هذه تصوّرات يمكن أن تتبادر إلى الأذهان حول الموضوع. [صفحه ۵۱۳] أوّلاً: إنّ السلطة حينما صادرت أموال السيدة فاطمة الزهراء، وجعلتها فى ميزانيّة الدولة (بالاصطلاح الحديث) كان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت، أرادوا أن يحاربوا عليّاً محاربة اقتصاديّة، أرادوا أن يكون على فقيراً حتّى لا يلتفّ الناس حوله، ولا يكون له شأن على الصعيد الاقتصادى [۱۰۵۵] . وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها فى حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قالوا: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا» [۱۰۵۶] . ثانياً: لم تكن أراضى فدك قليلة الإنتاج، ضئيلة

الغلّات، بل كان لها وارد كثير يعبأ به، بل ذكر ابن أبى الحديد أن نخيلها كانت تمثل نخيل الكوفة فى زمان ابن أبى الحديد؛ وذكر الشيخ المجلسى عن «كشف المحجّة» أنّ وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار فى كلّ سنة؛ وفى رواية اخرى: سبعين ألف دينار، ولعلّ هذا الاختلاف فى واردها بسبب اختلاف السنين. وعلى كلّ تقدير فهذه ثروة طائلة واسعة لا يصحّ التغاضى عنها. ثالثاً: إنّها كانت تطالب من وراء المطالبة بفدك الخلافة والسلطة لزوجها علىّ بن أبى طالب، تلك السلطة العامّة والولاية الكبرى التى كانت لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقد ذكر ابن أبى الحديد فى شرحه، قال: سألت عليم بن الفارقى مدّرس مدرسة الغربيّة ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم قلت: فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدك وهى عنده صادقة؟ فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه؛ ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشىء، لأنّه يكون قد أسجل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعى كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا [صفحه ۵۱۴] شهود. وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه الدعابة والهزل [۱۰۵۷] . ... لهذه الأسباب قامت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وتوجّهت نحو مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأجل المطالبة بحقّها، إنّها لم تذهب إلى دار أبى بكر ليقع الحوار بينها وبينه فقطّ، بل اختارت المكان الأنسب وهو المركز الإسلامى يومذاك، ومجمع المسلمين حينذاك، وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما وأنّها اختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصّاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار؛ ولم تخرج وحدها إلى المسجد بل خرجت فى جماعة من النساء، وكأنّها فى مسيرة نسائية، وقبل ذلك تقرر اختيار موضع من المسجد الجلوس بضعة رسول الله وحبيبته، وعلّقوا ستراً لتجلس السيدة فاطمة خلف الستر، إذ هى فخر المخدّرات، وسيدة المحجّبات. كانت هذه النقاط مهمّة جدّاً واستعدّ أبوبكر لاستماع احتجاج سيدة نساء العالمين، وابنة أفصح من نطق بالضاد، وأعلم امرأة فى العالم كلّه. خطبت السيدة فاطمة الزهراء خطبة ارتجاليّة منظّمة منسّقة بعيدة عن الاضطراب فى الكلام، و منزّهة عن المغالطة والمراوغة والتهريج والتشنيع، بل وعن كلّ ما لا يلائم عظمتها وشخصيّتها الفذّة، ومكانتها السامية، وتعتبر هذه الخطبة معجزة خالدة للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وآية باهرة تدلّ على جانب عظيم من الثقافة الدينيّة التى كانت تتمتّع بها الصدّيقة فاطمة الزهراء. وأمّا الفصاحة والبلاغة، وحلاوة البيان، وعذوبة المنطق، وقوة الحجة، ومتانة الدليل، وتنسيق الكلام، وإيراد أنواع الإستعارة بالكناية، وعلوّ المستوى، والتركيز على الهدف، وتنوّع البحث... [۱۰۵۸] . [صفحه ۵۱۷]

فاطمة و علاقتها بالحسين

اشاره

الشيخ محمد على اليعقوبى أى برق حزوى فاستهلت دموعه وهاج بمن يهواه فيها ولوعه خليلّى مالى كلّما صنت فى الحشا هوايّ بدا دمع الشوون يذيعه أحنّ لعهدٍ قد خلا بعدما حلى هيهات يرجى عوده ورجوعه لىّ الله كم نهنهت قلبّى عن هوى تحمّل منه فوق ما يستطيعه وكفكفت من طرفى الدموع فلم تكن لغير بنى الزهراء تهمى دموعه وخطب جرى بالطف لم ينس وقعه ولم تلتئم طول الزمان صدوعه عشية أمسى منزل البغّى اهلاً ومنزل وحّى الله أقوت ربوعه لقد كان من يوم السقيفة أصله وكلّ الرزايا الحادثات فروعه فما عذرهم عند النبّى ولم يزل يرى كلّ آن منهم مايروعه أفى غصبهم حقّ الوصىّ وظلمهم لبضعته الزهراء يجزى صنيعه لو أنّ رسول الله ينظر فاطماً تنوح ولم تهجع لعزّ هجوعه فلولا جنين أسقطوه لما هوى صريعاً على صدر الحسين رضيعه ومن رضّهم ضلع البتولة قد غدت ترض بجرى الصافنات ضلوعه [صفحه ۵۱۹] فاطمة وعلاقتها بالحسين للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام عدة أولاد منهم الحسن والحسين عليهم السلام، علما ان علاقتها كانت بهذين الولدين تفوق علاقة أكثر الامهات فى تاريخ البشرية وذلك نابع من كونهم

ذريـة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم اضافـة إلى كونهم النسل الطاهر لها، وبمقتضـى علاقـة الام بأبنائها ولقـد حدثنا التاريخ عن نشوء هذه العلاقة بين الام من جهة وبين ابنائها ومن خلال الاحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام من جهة اخرى، والذى نريد التركيز عليه هنا فى هـذا الموضوع الختامى لكتابنا هـذا هو علاقـة الصديقـة الطاهرة فاطمة عليها السـلام بولدها الحسـين عليها السـلام ريحانـة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، الذى كان يلقمه حباً وحجراً دافأ خلال حياته الشـريفة، كيف لا وكان الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم ينظر إلى الحسـين بأنه حامل فكره على مدى الزمن حياةً وشـهادةً لكى يضىء من خلال ذلك للناس حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسـية عبر مرّ العصور، وعلى أى حال فان رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم استمد من وراء الغيب علمه بأن بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السـلام سوف يتفرع منها الغصن والثمرة الطيبة لأئمة أهل البيت عليهم السـلام والذين يعملون اعباء الإمامة ويدعون الناس عبر مرّ الالسـنين والاعوام إلى طريق الهداية والتقوى والصـلاح فى الدين والدنيا والاخرة لذا كان الرسول يولى اهتماماً بالغاً ببضـعته الطاهرة عليها السلام وبولديها الحسن والحسين عليهم السلام، وفى الموضوع وعلى هذا الاساس سوف نولى اهتماما بارزاً من خلال النصوص بحياة الصديقة الشـهيدة وعلاقتها انذاك بولدها الحسـين عليه السـلام مسـتمدين ذلك من آثار الرسول وأهل بيته وكلمـاتهم النورانيـة التى نشـروها خلال سـيرة حيـاتهم الشـريفة والتى كلها دروس وعبر للمؤمنين على مر العصور والازمان، [صـفحه ۵۲۰]

الولادة الميمونة

مضت عدة ايام على ولادة الإمام الحسن عليه السلام وامتلأ البيت النبوى سروراً وفرحاً ولم تمض الايام القليلة حددها المؤرخين باثنين وخمسـين يومـاً حتى علقت سـيدة النساء بحمل جديـد ظل يتطلع إليه الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وسائر المسـلمين بفارغ الصبر وكلهم رجاء وأمل فى أن يشـفع الله ذلك الكوكب بكوكب آخر ليضىء فى سماء الأمة الاسلامية ويكون امتداداً لحياة المنقذ العظيم [۱۰۵۹] ورأت السيدة ام الفضل بنت الحارث [۱۰۶۰] فى منامها رؤية غريبة لم تهتد إلى تأويلها، فهرغت إلى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم قائلة له: «إنى رأيت حلماً منكراً كأن قطعة من جسدك قطعت ووضـعت فى حجرى؟...» فأزاح النبى مخاوفها وبشرها بخير قائلاً: «خيراً رأيت، تلد فاطمة ان شاء الله غلاماً فيكون فى حجرك...» ومضت الايام سـريعاً فوضـعت سيدة النساء فاطمة ولدها الحسين فكان فى حجر أم الفضل كما أخبرها النبى صلى الله عليه وآله وسلم [۱۰۶۱] .

اخبار فاطمة بقتل الحسين

عن ابى عبدالله عليه السلام: ان جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام، ويبشـرك بمولود يولد من فاطمة عليها السلام تقتله أمتك من بعدك. فقال: يا جبرئيل، وعلى ربى السلام، لاحاجة لى فى مولود تقتله امتى من بعـدى، قال: فعرج جبرئيل إلى السـماء، ثم هبط فقال له مثل ذلك. فقال: يا جبرئيل وعلى ربى السـلام، لاحاجة لى فى مولود تقتله أمتى من بعـدى، فعرج جبرئيـل إلى السـماء، ثم هبط فقال له: يا محمـد إن ربك يقرؤك السـلام، ويبشـرك انه جاعل فى ذريته الإمامة والولاية والوصـية، فقال: قد رضـيت، ثم أرسل إلى [صفحه ۵۲۱] فاطمة عليها السـلام أن الله «تبارك وتعالى» يبشرك بمولود يولـد منك تقتله أمتى من بعـدى، فأرسك إليه: أن لاحاجة لى فى مولود يولد منى تقتله أمتك، من بعدك. فأرسل اليها ان الله جاعل فى ذريته الإمامة والولاية والوصـية فأرسـلت: أنى قد رضيت، «حملته أمه كرها ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشـده وبلغ أربعين سـنة قـال رب أوزعنى أن اشـكر نعمتـك التى أنعمت على وعلى والـدى وان أعمل صالحاً ترضـيه وأصـلح لى فى ذريتى إنى تبت اليك وانى من المسـلمين» [۱۰۶۲] . وايضا عن ابى عبدالله عليه السـلام قال: كان الحسـين مع أمه صـلى الله عليه وآله وسلم تحمله، فأخذه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك واهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله

بينى وبين من اعان عليك. قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة، أىّ شىء تقول؟ قال: يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدى وبعدك من الاذى والظلم والغدر والبغى وهو يومئذ فى عصبة، كأنهم نجوم السماء يتهاوون إلى القتل، وكأنى أنظر بالى معسكرهم وإلى موضع رحالهم، وتربتهم، قالت يا أبة، وأبة، واين الوضع الذى تصف؟ قال الموضع يقال له: «كربلاء» وهى دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة. يخرج عليهم شرار امتى، ولو أن أحدهم شفع له من فى السماوات والأرضين ما شفعوا فيه وهم المخلدون فى النار. قال يا أبة، فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضين والملائكة والوحش والنباتات والبحار والجبال، ولو يؤذن لها ما بقى على الأرض منقذ، ويأتيه من محبينا ليس فى الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، اولئك مصابيح فى ظلمات الجور، وهم الشفعاء وهم واردون حوضى غداً، أعرفهم ـ إذا وردوا على ـ بسيماهم. وكل أهل دين يطلبون ائمتهم وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قوّام الأرض وبهم ينزل الغيث. [صفحه ۵۲۲] فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة إنا لله، وبكت. فقال لها: يا بنتاه، إن أفضل أهل الجنان هم الشهداء فى الدنيا بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً، فما عندالله خير من الدنيا وما فيها، قتلة أهون من ميتة ومن كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه ومن لم يقتل سوف يموت. يا فاطمة محمد، أما تحبين أن تأمرين غداً بأمر، فتطاعين فى هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض، فيسقى منه أوليائه ويذود عنه أعدائه؟.. أما ترضين أن يكون بعلك مشيم النار بأمر النار، فتطيعه يخرج منها من يشاء، ويترك من يشاء. أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وما تأمرين به وينظرون إلى بعلك، قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله، فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتلك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجته على الخلائق وامرت النار أن تطيعه؟ اما ترضين ان تكون الملائكة تبكى لأبنك ويأسف عليه كل شىء؟ اما ترضين ان يكون من أتاه زائراً فى ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله واعتمر ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وأن بقى لم تزل الحفظة تدعو له ما بقى ولم يزل فى حفظ الله وأمنه، حتى يفارق الدنيا. قال يا أبة، سلمت ورضيت وتوكلت على الله فمسح على قلبها ومسح على عينيها وقال: إنّى وبعلك وانت وابنيك فى مكان تقرّ عيناك ويفرح قلبك [۱۰۶۳] . [صفحه ۵۲۳]

اول مأتم للحسين

عندما بشر جبرئيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم بولادة الحسين من ابنته الزهراء عليها السلام فرح فرحاً شديداً ولكن سرعان ما تبدد هذا الفرح وتحول إلى حزن وذلك عندما أخبر جبرئيل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن ولده هذا سوف يقتل من قبل امته فى أرض تسمى كربلاء فى العراق، ولكن الله سبحانه وتعالى على أثر شهادته وكرامةً له يجعل من صلبه تسعة من الأئمة الطاهرون المطهرون آخرهم قائمهم «عج» يملأ الله به الأرض عدلا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ولذلك كان أول مأتم عزاء حقيقى فى تأريخ هذه الأمة عندما ولد الحسين عليه السلام حيث بكته أمه الزهراء وأباه أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى ذلك أشار التأريخ عبر رواياته وتاريخه الحافل، حيث يقول الشيخ التسترى فى كتابه الخصائص الحسينية «ان أول مأتم للحسين اقيم فى عهد هذه الأمة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» فلو نظرنا إلى قوله هذا نجد هناك قرينة واضحة البيان وهى «فى عهد هذه الأمة» دالة على انه كانت هناك مآتم فى غير عهد هذه الأمة. اذن كانت هناك مآتم عزاء على الحسين عليه السلام من قبل الأنبياء والرسل الذين سبقوا خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن كيف اقاموا هؤلاء الأنبياء المآتم على الحسين، وكيف بكواعليه؟ هذا ما نجده واضحاً من خلال استقراء التاريخ حيث يخبرنا التاريخ أن ذلك كان ناتج من أخبار الله تعالى لهم بما يجرى على الحسين وان يجعلوه وسيلة لقربة وان يدعوا على قاتليه باللعنة وسوء العذاب وهذا ما تراه فى كتاب عوالم الإمام الحسين واضحاً وجلياً، اذن كان أول مأتم فى عهد امه الزهراء حيث بكت عليه وناحت لأجله لذا لابد لنا ان نقوى علاقتنا مع الحسين

لما له من تأثير كبير فى زيادة علاقتنا بالصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام. [صفحه ۵۲۴]

حب فاطمة للحسين

روى أنه دخل الحسن والحسين عليهما السلام على النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فشم الحسن فى فمه الشريف وشم الحسين فى نحره فقام الحسين واقبل إلى أمه فقال لها: اماه شمى فمى هل تجدين فيه رائحة يكرهها جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشمته فى فمه فإذا هو أطيب من المسك ثم جاءت به إلى ابيها فقالت له: ابه لم كسرت قلب ولدى الحسين فقال صلى الله عليه وآله وسلم مم؟ قالت: تشم اخاه فى فمه وتشمه فى نحره فلما سمع بكى وقال: بنيه اما ولدى الحسن فإنى شممته فى فمه لأنه يسقى السم فيموت مسموماً واما الحسين عليه السلام فإنى شممته فى نحره لأنه يذبح منالوريد إلى الوريد فلما سمعت فاطمة بكت بكاء شديداً وقالت: أبه متى يكون ذلك؟ فقال: بنية فى زمان خال منى ومنك ومن أبيه وأخيه فأشتد بكاؤها ثم قالت: ابه فمن يبكى عليه ومن يلتزم بأقامة العزاء عليه؟ فقال لها: بنية فاطمة أن نساء أمتى يبكين عل نساء أهل بيتى ورجالهم يبكون على ولدى الحسين وأهل بيته ويجددون عليه العزاء جيلاً بعد جيل فاذا كان يوم القيامة انت تشفعين للنساء وانا اشفع للرجال وكل من يبكى على ولدى الحسين أخذنا بيده وادخلناه الجنة.

الحسين وحجر فاطمة

وعنت سيدة نساء عليها السلام بتربية وليدها الحسين فغمرته بالحنان والعطف لتكون له بذلك شخصيته الإستقلالية والشعور بذاتياته كما غذته بالآداب الإسلامية، وعودته على الإستقامة والإتجاه المطلق نحو الخير والصلاح، كيف لا، وهى ربيبة الوحى وسليلة التقوى فهى أم أبيها، وزوجة أمير المؤمنين، كيف لا ـ ونحن نعلم ان الأم الطاهرة هى المدرسة الأولى للطفل فيها ينشأ وإليها يغدوا وعليها يربوا، وكما قيل: الأم مدرسة إذا اعددتها اعددت شعباً طيب الأعراق الأم روض تعهده الحيا بالرى أورق ايما ايراق الأم استاذ الأساتذة الالى شغلت مآثرهم مدى الآفاق [صفحه ۵۲۵] هكذا هى الام فهى شمعة مقدسة تضيء ليل الحياة بتواضع ليل الحياة بتواضع ورقة وفائدة،فهى التى تصنع الحياة وهى الكنز الحقيقى الذى لا اضمحلال له، وكما قيل: مدرستى الأولى على صدر امى، وإنى مدين بكل ما وصلت إليه وما أرجوا أن أصل إليه من الرفعة إلى أمى الملاك فالأم التى تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها، وهكذا كانت الزهراء الام المثالية التى تربى فى حجرها الحسين عليه السلام وغذته بالاخلاق الحميدة والخصال الرفيعة وإلى ذلك يقول العلائلى فى كتابه الإمام الحسين ص ۲۸۹: «والذى انتهى إلينا من مجموعة أخبار الحسين ان امه عنيت ببث المثل الإسلامية الإعتقادية لتشييع فى نفسه فكره الفضيلة على أتم معانيها، وأصح أوضاعها ولا بدع فأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أشرف على توجيهه أيضاً فى هذا الدور الذى يشعر الطفل فيه بالإستقلال، فالسيدة فاطمة نمت فى نفسها فكرة الخير، والحب المطلق والواجب ومددت فى جوانحه وخوالجه افكار الفضائل العليا بأن وجهت المبادىء الأدبية فى طبيعته الوليدة، من أن تكون هى نقطة دائرتها إلى الله الذى هو فكرة يشترك فيها الجميع، وبذلك يكون الطفل قد رسم بنفسه دائرة محدودة قصيرة حين أدار هذه المبادىء الأدبية على شخص والدته وقصرها عليها وما تجاوز بها إلى سواها من الكوائن، ورسمت له والدته دائرة غير متناهية حينجعلت فكرة الله نقطة الارتكاز، ثم أدارت المبادىء الأدبية والفضائل عليها فاتسعت نفسه لتشمل وتستغرق العالم بعواطفها المهذبة، وتأخذه بالمثل الأعلى للخير والجمال...» لقد نشأ الحسين فى تلك الأسرة الطبيعية الأعراف الطاهرة من الأدناس وفى حجر سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وقد صار بهذه التربية المثل الأعلى للأجيال حيث رسم الشهادة فى جبين الإسلام كتضحية من أجل الأهداف التربوية التى تغذاها من حجر امه ومن ضمير جده ورعاية أبيه المرتضى، أجل إنّه الحسين الكبير ذلك الفذ من الأفذاذ الذى علموا البشرية وعلموا الأجيال كل طرق الخير والصلاح لا خير فى أن يقول غاندى محرر الهند «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر». [صفحه

[۵۲۶]

فاطمة يوم القيامة

للصديقة فاطمة عليها السلام يوم القيامة مواقف عديدة تقف فيها ضد قتلة الحسين وأنصارهم، فمنها عندما تأتى يوم القيامة وتقف فى عرصات المحشر، فيأتيه الخطاب من البارى عزوجل... يا فاطمى: سلى حاجتك، فتقول يا رب... يارب أرنى الحسين... فيأتيها الحسين عليه السلام وأوداجه تشخب دماً، وهو يقول: يا رب، خذ لى اليوم حقى ممن ظلمنى، عند ذلك تقف سلام الله عليها مؤقتا موقفا شريفا من مواقف يوم القيامة، ثم تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين عليه السلام بيدها ملطخا بدمه: لابد ان ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ ويل لمن شفعاؤه خصمائه والصور فى القيامة ينفخ وتقول يا رب، هذا قميص ولدى، وقد علمت ماصنع به، يا عدل، احكم بينى وبين قاتل ولدى... أنت الجبار العدل اقضى بينى وبين من قتل ولدى... فيغضب عند ذلك الجليل، وتغضب لغضبه جهنم والملائكة اجمعون... فيأتيها النداء من قبل الله عزوجل: يا فاطمة! لك عندى الرضا فتقول يا رب انتصر لى من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقا من النار فتخرج من جهنم، فتلتقط من جهنم قتلة الحسين بن على عليه السلام كما يلتقط الطير الجيد من الحب الردىء، ثم يعود العنق بهم إلى النار فيعذبون فيها بأنواع العذاب، ولها مواقف آخر مع انصار الحسين واصحابه وشيعته وفيمن بكى عليه فى الدنيا وأقام العزاء لمصابه الجليل حيث ورد فى الأخبار الشريفة، انها تأتى يوم القيامة، فتقول ى رب حاجتى أن تغفر لى، ولمن نصر ولدى الحسين عليه السلام. اللهم اشفعنى فيمن بكى على مصيبته... الهى أنت المنى وفوق المنى، أسألك أن لا تعذب محبى ومحب عترتى بالنار... إلهى وسيدى ذريتى من النار ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد... فيأتيها الخطاب... يا فاطمة قد غفرت لشيعتك... وشيعة ولدك الحسين... يا فاطمة وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لقد آليت على نفسى من قبل أن اخلق السماوات والأرض بألفى عام أن لا أعذب محبيك ومحبى عترتك بالنار... فعند ذلك يود الخلائق أنهم كانوا فاطميين، فتسير فاطمة ومعها شيعتها، وشيعة ولدها [صفحه ۵۲۷] الحسين عليه السلام وشيعة آمير المؤمنين عليه السلام آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس وهم لا يخافون، ويظمأ الناس وهم لا يظمأون... عند ذلك تصر فاطمة عليها السلام وتسير إلى الجنة... فتكون أول من تكسى ويستقبلها من الفردوس، اثنتا عشر ألف حوراء لم يستقبل أحداً قبلها ولا أحد بعدها على نجائب من ياقوتة اجنحتها وأزمتها اللؤلؤ عليها، حائل من درّ... فيجوزون بها الصراط حتى ينتهون بها إلى الفردوس... فيباشر بها أهل الجنان... فتجلسى على كرسى من نور ويجلس حولها، ويبعث إليها ملك لم يبعث إلى أحد بعد فتقول: قد أتم على نعمته، وهنأنى كرامته، وأباحنى جنته، أسأله ولدى وذريتى ومن ودهم بعدى، وحفظهم من بعدى، فيوحى الله إلى الملك من غير أن يزول من مكانه: أن سرّها وبشرها أنى قد شفعتها فى ولدها ومن ودّهم بعدها وحفظهم فيها... فتقول عليها السلام: الحمد لله الذى أذهب عنى الحزن وأقر عينى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بأيمانهم ألحقنا بهم ذريتهم) [۱۰۶۴] . [صفحه ۵۲۸] يابن العسكرى لا صبر يابن العسكرى فشرعة الهادى النبى استنصرت أنصارها هدمت قواعدها وطاح منارها فأقم بسيفك ذى الفقار منارها فالام تغضى والطغاة تحكمت فى المسلمين وحكمت أشرارها مولاى ماسن الضلال سوى الالى هجموا على الطهر البتولة دارها منعوا البتول عن النياحة اذ غدت تبكى أباها ليلها ونهارها قالوا لها قرى فقد آذيتنا انّا وقد سلب المصاب قرارها قطعوا اراكتها ومن أبناها قطعت امىّ يمينها ويسارها جمعوا على بيت النبى محمدٍ حطباً وأوقدت الضغائن نارها رضوا سليلة أحمد بالباب حتى أنبتوا فى صدرها مسمارها عصروا ابنة الهادى الامين واسقطوا منها الجنين وأخرجوا كرارها قادوه والزهراء تعدو خلفهم منها الجنين وأخرجوا كرارها والعبد سود متنها فاستنصرت أسفاً فليتك تسمع استنصارها فقضت وآثار الصياد بمتنها ياليت عينك عاينت آثارها تم الإنتهاء من تأليف ووضع اللمسات الآخيرة لهذا الكتاب فى ذكرى تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام فى يوم الغدير المبارك، نسأل الله تعالى أن

يتقبله منّا بأحسن القبول ويجعله فى الباقيات الصالحات، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون. محمّد فاضل المسعودى

پاورقى

[۱] الأحزاب: ۳۳. [۲] الأحزاب: ۳۳. [۳] البحار ۳: ۱۴. [۴] الكافى ۱: ۴۴. [۵] ميزان الحكمة: الحديث رقم ۷۴۲۱. [۶] البحار ۴۲: ۱۰۵، عن تفسير الفرات. [۷] لقد سبقنى فى هذا المعنى والفتوى شيخنا الأُستاذ آية الله الشيخ حسن زاده الآملى دام ظلّه فى (حكمة عصمتيّة فى كلمة فاطميّة: ۱۴) قائلاً: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ذات عصمة بلا دغدغة ووسوسة، وقد نصّ كبار العلماء كالمفيد والمرتضى وغيرهما بعصمتها عليها السلام بالآيات والروايات، والحقّ معهم، والمكابر محجوج ومفلوج، وكانت عليها السلام جوهرة قدسيّة فى تعيّن إنسىّ، فهى إنسيّة حوراء، وعصمة الله الكبرى، وحقيقة العصمة، إنّها قوّة نوريّة ملكوتيّة تعصم صاحبها عن كل ما يشينه من رجس الذنوب والادناس والسهو النسيان ونحوها من الرذائل النفسانيّة... وإذا دريت أنّ بقيّة النبوّة وعقيلة الرسالة ووديعة المصطفى وزوجة وليّ الله وكلمة الله التامّة فاطمة عليها السلام ذات عصمة، فلا بأس بأن تشهد فى فصول الأذان والإقامة بعصمتها وتقول مثلا:(أشهد أنّ فاطمة بنت رسول الله عصمة الله الكبرى)، ونحوها. [۸] إذا أردت تفصيل ذلك فراجع (حكمة عصمتية فى كلمة فاطميّة). [۹] وردت فى مفاتيح الجنان، فى قسم الزيارات، فراجع. [۱۰] كما من معانيه سيّدنا محسن الشهيد بقرينة (وبنيها)، كما جاء فى الدعاء: (اللهمّ إنّى أسألك بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها)، فكان المراد من البنين الحسن والحسين لولادتهما وظهورهما فى الدعاء، والسرّ المستودع سيّدنا المحسن الشهيد عليه السلام الذى سقط بين الباب والجدار. وليت الكاتب الجليل أشاره إلى هذا المعنى فى فصل بيان أسرار الدعاء. [۱۱] فرائد السمطين ۲: ۶۶. [۱۲] سماحة آية الله العلاّمة الأستاذ السيّد عاجل العلوى. ولد فى مدينة الكاظميّة المقدّسة بين الطلوعين فى السادس من شهر رمضان المبارك عام ۱۹۵۵ م ـ ۱۳۷۵هـ ويتصل نسبه بـ (۳۸) واسطة إلى مولانا الإمام على بن الحسين (زين العابدين عليه السلام). والده العلاّمة آية الله السيد على بن الحسين العلوى، من علماء الكاظميّة والنجف وبغداد، تلقّى دروسه فى العراق على يد والده المرحوم وعلى غيره، وفى قم المقدّسة على يد كبار المراجع العظام والعلماء الأجلاء أمثال السيّد المرعشى النجفى قدس سره والسيّد محمد رضا الكلبايكانى قد سره والشيخ محمد فاضل اللنكرانى (دام ظله) والشيخ جواد التبريزى (دام ظله) وغيرهم. يُعد اليوم من المدرسين الكبار فى حوزة قم المقدّسة، يقوم بتدريس الكفاية إضافة إلى دروسه فى خارج الفقه وكذلك المكاسب والفلسفة والكلام، مضافاً إلى محاضرات فى التفسير والأخلاق، وكتب رسالته (زبدة الأفكار فى نجاسة أو طهارة أهل الكتاب) التى نال عليها درجة الدكتوراه فى الشريعة الإسلامية، مضافاً إلى شهادات الاعلام باجتهاده فى الفقه والأصول، وقد اشتهر بكثرة تأليفاته المتنوعة، فهو يسعى إلى تأسيس موسوعة إسلاميّة بقلمه الشريف فى شتّى العلوم والفنون تقع فى (۱۲۰) كتاب ورسالة، وقد طبع منها (۶۴) كتاب ورسالة، فضلاً عن المقالات، هذا وقد عُرف بخدماته الثقافية والإجتماعيّة، مثل تأسيس مستوصف الإمام السجاد الخيرى والمؤسسة الإسلاميّة العامّة للتبليغ والإرشاد، وجماعه العلماء والخطباء فى الكاظمية وبغداد، ومكتبات عامّة، وحسينيّات كحسينيّة الإمامين الجوادين عليها السلام فى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، ولقد أجازه فى الرواية ما يقرب عن عشرين من مشايخ الرواية كالآيات العظام: السيد المرعشى النجفى قدس سره والسيد الكلبايكانى قدس سره والشيخ الاراكى قدس سره والشيخ اللنكرانى (حفظه الله) والسيد عبدالله الشيرازى (حفظه الله) والسيد محمد الشاهرودى (حفظه الله) وغيرهم. [۱۳] من اللطائف الجميلة والصدف الحميدة التى شاهدناها خلال الإنتهاء من العمل فى هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى، أننا تفألنا بالقرآن الكريم فى يوم الإنتهاء من وضع اللمسات الأخيرة عليه وذلك يوم الغدير الإفعم، فخرجت لنا الآية المباركة المختصّة بيوم الغدير ويوم تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية العظمى، وهى قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس). [۱۴] فاطمة بهجة قلب المصطفى ۲۵۲. [۱۵] قبسات من حياة سيّدنا الأستاذ المرعشى النجفى رحمه الله: ص ۱۲۴. ولقد ذكر مؤلّف هذا الكتاب السيد العلوى: إنّ هذا الدعاء قد تلقّاه السيد المرعشى فى

ضمن الوصايا المهمة التى أعطاها الإمام المهدى (عج) للسيّد المرعشى فى إحدى تشرفاته بلقاء الإمام (عج). [۱۶] البقرة: ۳۷. [۱۷] البرهان: ۱: ۸۶، مجمع البيان ۱: ۸۹. [۱۸] المائدة: ۲۵. [۱۹] يوسف: ۹۷. [۲۰] الوهابية فى الميزان: ۱۶۳. [۲۱] سنن ابن ماجة: ۱: ۴۴۱، الوهابية فى الميزان ۱۶۴. [۲۲] كشف الأرتياب: ۳۱۲، حلية الأولياء: ۱۲۱، وفاء الوفا ۳: ۸۹۹. [۲۳] شرح نهج البلاغة ۱۵: ۸۰، السيرة الحلبية: ۳: ۲۶۳. [۲۴] الدرر السنية: ۲۷ زمينى دحلان، التوصل إلى حقيقة التوسل: ۳۰۰. [۲۵] تاريخ أُسد الغابة فى معرفة الصحابة: ۳: ۱۱۱. [۲۶] البحار: ۱۲: ۲۴۷. [۲۷] البلد الأمين: ۱۵۹، البحار: ۱۰۲: ۲۵۴ ح ۱۳، مستدرک الوسائل: ۶: ۳۳۱ ح ۳ مثله. [۲۸] دلائل الإمامة: ۲۸. [۲۹] طه آية ۱۰۹. [۳۰] سبأ آية ۲۳. [۳۱] مريم آية ۸۷. [۳۲] النحل: ۱۹. [۳۳] الملک ۱۳. [۳۴] الفرقان ۶. [۳۵] النساء: آية ۵۸. [۳۶] الأحزاب: آية ۷۲. [۳۷] راجع تفسير الميزان: ۱۶: ۳۵۶، حيث فيه القول الفصل لهذا الموضوع. [۳۸] بصائر الدرجات: ۱: ۴۸. [۳۹] بصائر الدرجات: ۱: ۴۸. [۴۰] راجع التقية بين الأعلام، بقلم سيّد عادل العلوى. [۴۱] بصائر الدرجات ۱: ۴۵. [۴۲] اصول الكافى: ۱: ۴۶۷ ح ۵. [۴۳] ينابيع المودة: ۴۳۶، منتخب الاثر: ۱۹۲. [۴۴] من سنن أبى داود عن العوالم: ۱۰۳۱. [۴۵] احقاق الحق ۵: ۴۰. [۴۶] النصوص على الأئمة الأثنى عشر: ۶۷، ح ۵ عن أمالى الطوسى، وعيون أخبار الرضا عليه السلام. [۴۷] الزيارة الجامعة الكبيرة. [۴۸] بصائر الدرجات: ۳: ۱۷۰ ح۱. [۴۹] بصائر الدرجات: ۳: ۱۷۲ ح۳. [۵۰] الكافى: ۱: ۴۶۷ ح ۵. [۵۱] الجنة العاصمة: ۱۴۸: كشف اللآلى: ۵، مستدرک سفينة البحار: ۳: ۳۳۴ عن مجمع النورين: ۱۴ عن العوالم: ۱: ۴۴. [۵۲] الكافى: ۱: ۲۸۶ ح ۱، بصائر الدرجات: ۴: ۲۲۸. [۵۳] نفس المصدر السابق. [۵۴] راجع بصائر الدرجات: ۵: ۲۳۷. [۵۵] بصائر الدرجات: ۴: ۲۳۰. [۵۶] تفسير العياشى: ۲: ۶۶ ح ۷۶، البرهان: ۲: ۹۳ ح ۴، الاختصاص: ۱۸۱. [۵۷] الشهد: العسل والصاب: شجر مر. [۵۸] آه: اسم فعل للتوجع بمعنى المضارع أى اتوجع من هذا الأمر. [۵۹] سادة القوم. [۶۰] نوابى: غير قاطعة. [۶۱] تفسير أطيب البيان: ۱۳: ۲۲۶. [۶۲] لسان العرب مادة حجة. [۶۳] أُصول المظفر: ۲: ۱۸. [۶۴] هذا التقسيم استفدناه من درس استاذنا اية الله السيد عادل العلوى حفظه الله (خارج الفقه) ـ الاجتهاد والتقليد. [۶۵] النساء: آية ۱۶۳ ـ ۱۶۵. [۶۶] غافر: آية ۴۷. [۶۷] آل عمران: آية ۶۱. [۶۸] كشف الغمة: ۱: ۳۵۵. [۶۹] الانوار القدسية: للمرحوم الشيخ محمد حسين الاصفهانى. [۷۰] الجنة العاصمة: ۱۴۸، مستدرک سفينة البحار: ۳: ۳۳۴، عن مجمع النورين: ۱۴. [۷۱] البحار: ۴۳: ۱۰۵. [۷۲] ملتقى البحرين: ۴۰. [۷۳] البحار: ۴۳: ۱۹. [۷۴] البحار: ۴۳: ۱۰ و۱۱. [۷۵] البحار: ۴۳: ۱۰ ـ ۱۱. [۷۶] دلائل الإمامة: ۲۸. [۷۷] مصباح الانوار: ۱۳۳، كشف الغمة ۱: ۴۷۲، فردوس الأخبار: ۳: ۴۱۸ ح ۵۱۷. [۷۸] ينابيع المودة: ۱۷۷، ۱۸۱. [۷۹] ينابيع المودة: ۴۳۶، منتخب الاثر: ۱۹۲. [۸۰] البحار: ۴۳: ۱۴۳. [۸۱] شرح نهج البلاغة: ۱: ۱۰. [۸۲] فاطمة الزهراء ليلة القدر «للسيّد عادل العلوى». [۸۳] الشيخ حبيب شعبان من شعراء أهل البيت يمتاز شعره بالمتانة والسلاسة. ولد فى النجف سنة ۱۲۹۰ هـ تقريباً. أما وفاته فقد سافر إلى الهند فى سنة ۱۳۲۵ وانقطعت اخباره إلى سنة ۱۳۳۶هـ وردت اخبار وفاته هناک. ترجمه السيد جواد شبر فى ادب الطف وعلى الخاقانى فى شعراء الغرى. [۸۴] الحجى: العقل والفطنة. [۸۵] نوائب الدهور: ۳: ۱۹۴، الهداية الكبرى: ۴۱۷. [۸۶] دلائل الإمامة: ۲۸. [۸۷] المناقب: ۳: ۱۰۶. [۸۸] كنز الفوائد: ۱: ۱۵۰. [۸۹] سفينة البحار: ۲: ۳۷۵. [۹۰] ملتقى البحرين: ۱۴، فاطمة بهجة قلب المصطفى: ۹، عن كشف اللآلى. [۹۱] تأويل الآيات: ۱: ۱۳۷: ح ۱۶، البرهان: ۱: ۳۹۲ ح ۵. [۹۲] كشف الغمة: ۱: ۴۶۷، الفصول المهمة: ۱۲۸، نور الأبصار: ۵۲، ونزهة المجالس: ۲: ۲۲۸. [۹۳] كشف الغمة: ۱: ۴۹۸. [۹۴] تفسير أطيب البيان: ۳: ۲۲۶. [۹۵] البحار: ۵۳: ۱۷۹ و ۱۸۰، غيبة الطوسى: ۱۷۲، الاحتجاج: ۲: ۲۷۷، الزام المناصب: ۱: ۴۳۹. [۹۶] الفصول المهمة: ۱۴۳. [۹۷] الزهراء: ۱۲ ـ ۱۳. [۹۸] يعنى قوله تعالى: قل تعالوا نَدْع أبناءنا وأبناءَكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكُم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين: (آل عمران: ۶۱). [۹۹] مطالب السؤول: ۶ و ۷. [۱۰۰] حلية الأولياء: ۲: ۴۹. [۱۰۱] شرح نهج البلاغة: ۹: ۱۹۳. [۱۰۲] أهل البيت: ۱۳۲، ۱۳۳. [۱۰۳] أهل البيت لتوفيق أبو علم: ۱۲۸. [۱۰۴] فاطمة الزهراء عليها السلام للعلامة دخيل: ۱۷۱. [۱۰۵] كشف الغمة: ۱: ۴۸۴. [۱۰۶] الذُّبالة: الفتيلة. [۱۰۷] علّبه: أثّر فيه وخدشه. [۱۰۸] التأنيب: المبالغة فى التوبيخ. [۱۰۹] المأفون: الضعيف الرأى. [۱۱۰] المصدر: ۴۵۴. [۱۱۱] أى سيّدتهنّ. [۱۱۲] المناقب: ۳: ۳۵۷، ۳۵۸. [۱۱۳] الارومة: أصل الشجرة. [۱۱۴] الرّعونة: الاسترخاء، الحمق، والمراد هنا

الأول. [۱۱۵] الخصائص الفاطمية: ۱. [۱۱۶] فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: ۱۳ و ۱۴. [۱۱۷] النساء: ۴۰. [۱۱۸] الحج: ۷۱. [۱۱۹] هود: ۱۱۳. [۱۲۰] لسان العرب لابن منظور: ۱۵: ۲۲۶. [۱۲۱] المفردات فی غریب القرآن للراغب الاصفهانی: ۳۱۵. [۱۲۲] بصائر ذوی التمییز للفیروز ابادی: ۴: ۲۳۰. [۱۲۳] صحیح البخاری بشرح العسقلانی: ۵: ۹۵. [۱۲۴] عمدة القاری شرح صحیح البخاری للعینی: ۱۲: ۲۳۸. [۱۲۵] الدمعة الساکبة: ۶۹، کامل الزیارات: ۳۳۲، البحار: ۲۸: ۶۱. [۱۲۶] الاحتجاج: ۱: ۱۰۵، الإمامة والسیاسة: ۱۲، بلاغات النساء: ۴: ۱۱۴. [۱۲۷] ۱: ۱۰۶ الاحتجاج عن سلیم بن قیس الهلالی. [۱۲۸] کتاب سلیم بن قیس: ۳: ۵۸۳. [۱۲۹] نهج الحق وکشف الصدق: ۲۷۱. [۱۳۰] الأعراف: ۱۵۰. [۱۳۱] الأنفال: ۶۵. [۱۳۲] تفسیر العیاشی: ۲: ۶۶ ح ۷۶، البرهان: ۲: ۹۳ ح ۴، الاختصاص: ۱۸۱. [۱۳۳] لسان المیزان: ۴: ۱۸۹، ۱۷ ج ۲۸، الإمامة والسیاسة: ۱: ۱۸ مثله. [۱۳۴] کتاب سلیم بن قیس: ۲: ۸۲۰ [۱۳۵] دلائل الإمامة: ۲۶. [۱۳۶] البحار: ۵۳: ۱۸، بهجة قلب المصطفی: ۵۲۸ ح ۲۳، اعلموا أنی فاطمة: ۸: ۷۱۶. [۱۳۷] علم الیقین فی اصول الدین: ۶۸۶ للفیض الکاشانی. [۱۳۸] ۱: ۵۷ للشهرستانی. [۱۳۹] ۵: ۳۴۷، عنه اعلموا أنی فاطمة: ۸: ۷۱۵. [۱۴۰] ۱: ۲۶۸. [۱۴۱] ۵: ۱۲، عنه البحار: ۲۸: ۳۳۹. [۱۴۲] عنه المناقب لابن شهر اشوب: ۳: ۱۳۲. [۱۴۳] ۱۴۳، عنه البحار: ۲۸: ۳۰۸ ضمن ح ۵۰. [۱۴۴] ۱۶۰. [۱۴۵] ۴۱۸. [۱۴۶] العوالم: ۲: ۵۸. [۱۴۷] الأحزاب: ۵۷. [۱۴۸] البرهان: ۱: ۸. [۱۴۹] زعیم أسرة آل سمیسم من أصحاب الفضل والأدب والسخاء وله دیوان شعر مخطوط أکثره فی أهل البیت. ولد شاعرنا سنة ۱۲۷۹ هـ و توفی ۱۳۴۳ هـ [۱۵۰] سورة النجم: ۲۳. [۱۵۱] الاسراء: ۳۶. [۱۵۲] الانعام: ۱۶. [۱۵۳] تفسیر علی بن إبراهیم ۵۳۳. عنه البحار ۴۳: ۲۵ ح ۲۳ فی تفسیر الآیة ۵۷ من الأحزاب، وجاء فی المناقب ۳: ۲۱۰ فی روایة مقاتل: «الذین یؤذون المؤمنین» یعنی علیاً. «والمؤمنات» یعنی فاطمة «فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبیناً». [۱۵۴] معانی الأخبار: ۳۰۳؛ ح ۲. [۱۵۵] کشف الغمة: ۱: ۴۶۷، الفصول المهمة ۱۲۸۱، نور الابصار: ۵۲، نزهة المجالس ۲: ۲۲۸، ائمة الهدی: ۸۲، الاحقاق: ۱۰: ۲۱۲، ۲۱۳. [۱۵۶] المناقب: ۳: ۱۰۶ ومثله عن الحسین «ع» کشف الغمة ۱: ۴۵۸. [۱۵۷] ولقد روی هذا الحدیث فی کتب مختلفة واسانید معتبرة ومن هذا الکتب مقتل الخوارزمی ۱: ۵۱، ومجالس المفید ۹۴ وروضة الواعظین ۱۸۰، تاریخ دمشق ۱: ۱۵۹، وسیلة النجاة ۲۱۲، وکنز العمال ۱۲: ۱۱۱، میزان الاعتدال ۱: ۵۳۵ ح ۲۰۰۲، غایة المرام: ۲۹۴، صحیفة الرضا ۹۰: ح ۲۳. [۱۵۸] کنز العمال: ۱۳: ۶۷۴ ح ۳۷۷۲۵، الحاکم فی مستدرکه: ۳: ۱۵۳ میزان الاعتدال: ۱: ۵۳۵ ح ۲۰۰۲، التذکرة لابن الجوزی: ۳۲۰، کفایة الطالب ۳۶۳ أسد الغابة: ۵: ۵۲۲، ذخائر العقبی: ۳۹: ینابیع المودة: ۱۷۳، ۱۹۸ الاصابة: ۴: ۳۷۸، خصائص السیوطی: ۲: ۲۶۵، الکامل فی الرجال: ۲: ۷۶۲، اسعاف الراغبین: ۱۸۷ عنهم، العوالم: ۱: ۱۵۴. [۱۵۹] شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید والقول کله له: ۹: ۱۹۳، عنه اعلموا انی فاطمة: ۴: ۵۵. [۱۶۰] مجالس المفید: ۲۵۹، أمالی الطوسی: ح ۱، ۲۴، بشارة المصطفی: ۸۵. [۱۶۱] الخصائص: ۳۵. [۱۶۲] مسند أحمد ۴: ۳۳۲. [۱۶۳] کشف الغمة ۱: ۴۶۷. [۱۶۴] مسند أحمد ۴: ۵، صحیح الترمذی ۵: ۶۹۸ ح ۳۸۶۹، الصواعق المحرقة: ۱۱۴، لسان العرب: ۱: ۷۵۸، النهایة: ۵: ۶۲. [۱۶۵] آل عمران: آیة ۱۸. [۱۶۶] الرحمن: آیة ۷. [۱۶۷] الحدید: آیة ۲۵. [۱۶۸] البقرة: آیة ۱۲۴. [۱۶۹] العدل الالهی: ۴۶. [۱۷۰] لسان العرب مادة عدل. [۱۷۱] العدل الالهی: ۷۱. [۱۷۲] شواهد التنزیل للحافظ الاسکافی الحنفی ۱: ۵۸، ۵۹. [۱۷۳] شواهد التنزیل للحافظ الحسکانی الحنفی ۱: ۵۸، ۵۹. [۱۷۴] البقرة: آیة ۳۷. [۱۷۵] «الدر المنثور» ۱: ۱۴۷. [۱۷۶] آل عمران: آیة ۶۱. [۱۷۷] «ذخائر العقبی»: ۲۵، ۲۴. [۱۷۸] «ذخائر العقبی» ۲۵، ۲۴. [۱۷۹] ابراهیم: آیة ۲۴. [۱۸۰] کذا، والصواب «محبّوهم» [۱۸۱] شواهد التنزیل: ۱: ۳۱۲ ـ ۳۱۳. [۱۸۲] شواهد التنزیل: ۱: ۳۱۲، ۳۱۳. [۱۸۳] الاسراء: آیة ۵۷. [۱۸۴] شواهد التنزیل: ۱: ۳۲۴. [۱۸۵] المؤمنون: آیة ۱۱. [۱۸۶] المصدر: ۴۰۸. [۱۸۷] النور: آیة ۳۵. [۱۸۸] المناقب لابن المغازلیّ: ۳۱۷. [۱۸۹] طه: آیة ۱۳۲. [۱۹۰] شواهد التنزیل: ۱: ۳۸۱. والآیة فی الأحزاب: آیة ۳۳. [۱۹۱] الفرقان: آیة ۵۴. [۱۹۲] المصدر: ۴۱۴. [۱۹۳] الفرقان: آیة ۷۴. [۱۹۴] شواهد التنزیل: ۱: ۴۱۶. [۱۹۵] الأحزاب: آیة ۳۳. [۱۹۶] ذخائر العقبی: ۲۴. [۱۹۷] الشوری: آیة ۲۳. [۱۹۸] الکّشاف: ۳: ۴۶۷. [۱۹۹] محمد صلّی الله علیه وآله: آیة ۱۱. [۲۰۰] شواهد التنزیل: ۲: ۱۷۴، ۱۹۴، ۱۹۷. [۲۰۱] الذاریات: آیة ۱۷. [۲۰۲] شواهد التنزیل: ۲: ۱۷۴، ۱۹۴، ۱۹۷. [۲۰۳] الطور: آیة ۲۱. [۲۰۴] شواهد التنزیل: ۲: ۱۷۴، ۱۹۴، ۱۹۷. [۲۰۵] الرحمن: آیة ۱۹ ـ

۲۲. [۲۰۶] الـدر المنثور: ۷: ۶۹۷. [۲۰۷] الحشر: آیة ۸. [۲۰۸] شواهد التنزیل: ۲: ۲۴۶ ـ ۲۴۷. [۲۰۹] شواهد التنزیل: ۲: ۲۴۶ ـ ۲۴۷. [۲۱۰] الدهر: آیة ۸. [۲۱۱] روح المعانی: ۲۹: ۱۵۸. [۲۱۲] القدر: آیة ۳ ـ ۴. [۲۱۳] تأویل الآیات: للعلامهٔ السیّد شرف الدین النجفّی: ۲: ۸۱۸. [۲۱۴] کـذا. [۲۱۵] فرائد السـمطین: ۱: ۳۶. [۲۱۶] بحـار الانوار: ۱۵: ۱۰. [۲۱۷] تأویـل الآیات: ۱: ۹۸. [۲۱۸] مسند فاطمهٔ الزهراء علیها السـلام للسـیوطیّ: ۴۵، ۴۶. [۲۱۹] مسـند فاطمهٔ الزهراء علیها السـلام: للسـیوطی: ۴۵، ۴۶. [۲۲۰] تأویـل الآیات: ۱: ۹۸. [۲۲۱] المصدر السابق: ۶۹. [۲۲۲] ذخائر العقبی: ۵۶. [۲۲۳] البحار: ۴۳: ۴۴. [۲۲۴] بحر المعارف: للمولی عبدالصمد الهمدانی: ۴۲۸. [۲۲۵] زین الفتی: للحافظ العاصـمیّ، کمـا فی «فاطمـهٔ الزهراء» للعلاّمـهٔ الأـمینی ص ۴۳. [۲۲۶] تاریـخ بغداد: ۱: ۲۵۹. [۲۲۷] دلائل الإمامهٔ: للطبریّ، ص ۲۸. [۲۲۸] مرق من الدین: خرج منه بضلالهٔ أو بدعهٔ. [۲۲۹] بحار الانوار: ۱۵: ۱۹. [۲۳۰] مرآهٔ العقول: ۵: ۱۹۰ ـ ۱۹۲. [۲۳۱] ۷۵. [۲۳۲] تأویـل الآیات: ۲: ۵۰۹. [۲۳۳] کنز العمّـال: ۶: ۱۹۳، کما فی فضائل الخمسـهٔ: ۳: ۱۶۳. [۲۳۴] روض الفائق: للعلاّمهٔ الشـیخ شعیب الحریفش، مطبعهٔ المصطفی البابی الحلبی، ص ۲۵۵ وهذا الاشتراک مع ابنها الحسـین علیه السلام حیث یکلّمها فی بطنها. [۲۳۵] کفایـهٔ الطالب: الباب ۸۵:۳۱۱. [۲۳۶] المنـاقب: لابن المغازلیّ: ۳۶۳. [۲۳۷] ملحقات إحقاق الحقّ: ۱۰: ۱۳۴. [۲۳۸] البحار: ۲۲: ۵۰۴. [۲۳۹] مسند أحمد: ۲: ۴۴۲. [۲۴۰] نور الأبصار للشبلنجی: ۵۲. [۲۴۱] الحذیهٔ من اللحم ما قطع طولاً. [۲۴۲] البحار: ۴۳: ۵۴. [۲۴۳] أهـل البیت توفیق أبو علم: ۱۲۴. [۲۴۴] الطبقات لأبن سعد: ۸: ۲۶۲. [۲۴۵] «کنز العمّال» ۱۲: ۱۱۱، «مجمع الزوائد» ۹: ۲۰۳. [۲۴۶] کنز العمّال: ۱۲: ۱۱۱، مجمع الزوائد: ۹: ۲۰۳. [۲۴۷] صحیح البخاری: ۵: ۲۶. [۲۴۸] صحیح مسلم: ۷: ۱۴۱، ۱۴۲، باب الفضائـل، ورابنی الأمر وأرابنی إذا رأیت منه ماتکره. [۲۴۹] «صحیح البخاری» ۵: ۱۴۱ و ۱۴۲، باب الفضائل، ورابنی الأمر وأرابنی إذا رأیت منه ما تکره. [۲۵۰] صحیح مسلم: ۷: ۱۴۱ و ۱۴۲. بـاب الفضائل. ورابنی الأمر وأرابنی إذا رأیت منه ما تکره. [۲۵۱] «مستدرک الصحیحین»: ۳: ۱۵۹. [۲۵۲] مستدرک الصحیحین: ۳: ۱۵۹. [۲۵۳] کنز العمّال: ۱۲: ۱۱۱. والاسعاف: القرب والإعانهٔ وقضاء الحاجهٔ. [۲۵۴] کنز العمال: ۱۲: ۱۱۱. [۲۵۵] مقتل الحسین الخوارزمی: ۱۰۷. [۲۵۶] النداوهٔ: البلل. [۲۵۷] القمر: آیهٔ ۱۳. [۲۵۸] عبقات الأنوار: حدیث السفینهٔ: ۱۰۸۱. [۲۵۹] البهرهٔ: تتـابع النفس وانقطاعه. [۲۶۰] مریم: ۱. [۲۶۱] البحار: ۵۲: ۸۴. [۲۶۲] مقتل الحسین للخوارزمی: ۹۵. [۲۶۳] المناقب المرتضویّهٔ للعلامهٔ الکشفی: ۹۷. [۲۶۴] الأحزاب: آیهٔ ۵۶. [۲۶۵] ینابیع المودّهٔ: ۲۹۵. [۲۶۶] احقاق الحق: ۹: ۲۳۷، عن عبد الوهاب الشـعرانی فی کشف الغمّهٔ: ۱: ۱۱۰. [۲۶۷] شرح إرشاد الأذهان: ۲: ۲۷۶، ۲۷۷. [۲۶۸] الغدیر: ۲: ۳۰۴. [۲۶۹] التفسیر الکبیر: ۲۷: ۱۶۶. [۲۷۰] الصواعق: ۱۴۶. [۲۷۱] البحار: ۵۳: ۱۷۹ ـ ۱۸۰. [۲۷۲] تفسیر فرات: ۱۶۹، دلائل الإمامهٔ: ۵۷ تأویل الآیات: ۲: ۶۱۸: ح ۷. [۲۷۳] مسـتدرک الحاکم: ۳: ۱۶۱، الخصائص: ۲: ۲۶۵، الفصول المهمـهٔ ۱۲۷ فضائل الصـحابهٔ: ۲: ۷۶۳ ح ۱۳۴۴، میزان الاعتدال: ۲: ۵۳۸، کفایـهٔ الطالب: ۳۶۴، تفسـیر فوات الکوفی: ۹۷. [۲۷۴] الثـاقب فی المناقب: ۲۹۳: ح ۲۵۰. [۲۷۵] کشف الغمهٔ: ۱: ۵۰۶. [۲۷۶] اخبار الدول: ۸۸، الاحقاق: ۱۰: ۳۶۷، وسیلهٔ النجاهٔ: ۲۱۷. [۲۷۷] هود: آیهٔ ۷۳. [۲۷۸] لسان العرب: ۱۱: ۲۹ «أهل». [۲۷۹] معجم مقاییس اللغهٔ: ۱: ۱۵۰. [۲۸۰] هود: آیهٔ ۷۳. [۲۸۱] القصص: آیهٔ ۳۰. [۲۸۲] التبیان فی تفسـیر القرآن للشیخ الطوسی: ۸: ۳۳۹. [۲۸۳] علل الشرائع: ۱۹۱ باب ۱۵۱. [۲۸۴] وفاهٔ الصدیقهٔ الزهراء: ۵۵ للمقرم. [۲۸۵] الفصول المختارهٔ من العیون المحاسن: ۸۸. [۲۸۶] الأحزاب: آیهٔ ۵۷. [۲۸۷] التوبهٔ: آیهٔ ۶۱. [۲۸۸] الأحزاب: آیهٔ ۵۳. [۲۸۹] الأحزاب: آیهٔ ۵۷. [۲۹۰] وفاهٔ الصدیقهٔ الزهراء: ۵۴. [۲۹۱] قص حکمهٔ عصـمتیهٔ فی کلمهٔ فاطمیهٔ ۱۴. [۲۹۲] السّری: السـیّد الشریف السّخی، الأبسل: الموطّن نفسه علی الموت. [۲۹۳] القصیدهٔ للمرحوم الشـیخ محسن أبو الحب الکبیر. قال السیّد جواد شبّر فی «أدب الطفّ» ج ۸: ص ۵۶: الشیخ محسن خطیب بارع وشاعر واسع الآفاق خصب الخیال. ولد سـنهٔ ۱۲۳۵ ه ونشأ بعنایـهٔ أبیه وتربیته، وتحـدّر من أسـرهٔ عربیـهٔ تعرف بآل أبی الحب تمتّ بنسـبها الی قبیلهٔ خثعم. تدرّج علی نظم الشـعر ومحافل الأدب وندوات العلم، ولا سـیّما مجالس أبی الشـهداء علیه السلام مدارس سیّارهٔ وهی من أقوی الوسائل لنشـر الأدب وقرض الشّـعر، وشاعرنا الشـیخ محسن نظم فأجاد وأکثر من النوح والبکاء علی سـیّد الشـهداء علیه السـلام وصوّر بطوله شـهداء الطفّ تصویراً شـعرّیا لا زالت الأدباء ومجالس العلماء تترشّـفه وتسـتعیده وتتذوّقه. کتب عنه الشـیخ محمّد السـماوی فی

كتاب «الطليعة» فقال: محسن بن محمّد الحويزى الحائرى المعروف بأبى الحب كان خطيباً ذاكراً بليغاً متصرّفاً فى فنون الكلام اذا ارتقى الأعواد تنقّل فى المناسبات. [۲۹۴] ۵/۶۶۰ ح ۷۳۸۱، عنه ذخائر العقبى: ۱۲۹، ومفتاح النجا: ۱۱۷، وجامع الأصول: ۱۰: ۸۲ وتيسير الوصول: ۲: ۱۵۴، وكنز العمّال: ۱۲: ۹۶ ح ۳۴۱۵۸ و ص ۱۰۲ ح ۳۴۱۹۲ وص ۱۰۷ ح ۳۴۲۱۷ وص ۱۱۰ ح ۳۴۲۳۰ وفى ج ۱۳: ۶۴۰ ح ۳۷۶۱۷ وفى ص ۱۸۹، والفتح الكبير: ۱: ۲۸ وص ۲۴۹ وص ۴۲۶. وسعد الشموس: ۲۰۳، والإدراك: ۴۹، وحسن الأسوة: ۲۹۰، وينابيع المودّة: ۱۶۵ وص ۲۶۴، ومرقاة المفاتيح: ۱۱: ۳۹۳، وأحمد فى مسنده: ۵: ۳۹۱، عنه الفصول المهّمة: ۱۲۷، وتاريخ دمشق: ۵۱ ح ۷۳، والخصائص: ۱۱۸، ومقتل الحسين: ۱: ۸۰ و ۱۳۰، وروى فى ص ۵۵ «صدره»، وكفاية الطالب: ۴۲۲، وحلية الأولياء: ۴: ۱۹۰، عنه المنتخب من صحيح البخارى ومسلم: ۲۱۹ «مخطوط»، وتاريخ الاسلام: ۲: ۹۰ وص ۲۱۷، وفوائد السمطين: ۲: ۲۰ ح ۳۶۳. وأخرجه فى الحبائك: ۱۰۵ و ۱۰۶، وتوضيح الدلائل: ۳۴۸، ووسيلة المآل: ۱۶۱. ورواه فى مصابيح السنّة: ۱۰۸، ومرآة المؤمنين: ۱۸۴، ومنال الطالب: ۲۲، وغالية المواعظ: ۲: ۷۳، والبداية والنهاية: ۳: ۲۰۶ ووسيلة النجاة: ۲۰۷، وابتسام البرق على مافى الإحقاق: ۱۹: ۳۲، والتاج الجامع للأصول: ۳: ۲۰۶ ووسيلة النجاة: ۲۰۷، وابتسام البرق على مافى الإحقاق: ۱۹: ۳۲، والتاج الجامع للأصول: ۳: ۳۱۷، والمطالب العالية: ۴: ۶۷، وأشعة اللمعات: ۴: ۷۰۵، وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ۹۲ ح ۴۱۸ وأخرجه فى ص ۱۴۵ ح ۶۶۲، والروض الأزهر: ۲۰۰، والحاوى للفتاوى: ۲: ۲۶۷، وأسد الغابة: ۵: ۵۷۴، وجمع الوسائل: ۱: ۲۶۹، وجامع الأحاديث: ۴: ۵۱۵ ح ۱۴۱۲۰. والحاكم فى المستدرك: ۳: ۱۵۱، عنه جواهر البحار: ۱: ۳۶۰ والخصائص الكبرى: ۲: ۲۲۶، وسير أعلام المستدرك: ۳: ۱۵۱، عنه جواهر البحار: ۱: ۳۶۰ والخصائص الكبرى: ۲: ۲۲۶، وسير أعلام النبلاء: ۲: ۱۲۳، وأرجح المطالب: ۲۴۱، والجامع الصغير: ۱: ۷۱، والمختار: ۵۶، أخرجه عن بعضها الإحقاق: ۱۰: ۶۹ ح ۱ وج ۱۹: ۳۱، وج ۱۸: ۳۸۴. ورواه مرسلاً فى طرح التثريب: ۱: ۱۴۹، ورسالة المفاضلة: ۲۱۶، وفى جمع الوسائل: ۱: ۲۷۰، وشرح الفقه: ۱۲۰، عنها الإحقاق: ۱۰: ۱۰۲. ورواه مرسلاً أيضاً فى تاريخ الإسلام: ۲: ۸۸، عنه الإحقاق ۱۰: ۱۱۰، وفى ج ۱۹: ۲۵، عن سير أعلام النبلاء: ۲: ۱۲۰ عن العوالم ج ۱ ص ۱۳۷. [۲۹۵] الخصائص: ۲۲۵، وسائل الشيعة: ۱: ۲۲۵ ح ۵۸، البحار: ۱۴: ۲۰۱ ح ۱۱. [۲۹۶] الفصول المهمة ص ۱۲۷، مطالب السؤول ص ۱۰: شرح ثلاثيات مسند أحمد ۲: ۵۱۱. احقاق الحق ۱۰: ۱۰۰، ۱۹: ۴۹. [۲۹۷] قلائد الدرر على مافى الاحقاق: ۱۰: ۹۹. [۲۹۸] مسند احمد ج ۱: ۲۹۳، رواه مثله فى الاسيتعاب: ۴: ۳۷۶، ومستدرك الحاكم: ۲: ۴۹۷، وج ۳: ۱۶۰ من طريقين والإصابة: ۴: ۳۷۸، وتهذيب التهذيب: ۱۲: ۴۴۱، ومرآة المؤمنين: ۱۸۴، وسير أعلام النبلاء: ۲: ۱۲۶، وتهذيب الكمال: ۲۲، وجامع الأحاديث: ۶۸۵، وتفسير القرآن لابن كثير: ۹: ۴۶۷، وكنز العمّال: ۱۲: ۱۴۳، ومنتخب كنز العمّال: ۵: ۲۸۴، والفتح الكبير: ۱: ۲۱۴، وقصص الأنبياء: ۲: ۳۷۷، وينابع المودة: ۱۷۲ و ۱۹۸ من ثلاث طرق، ومجمع الزوائد: ۹: ۲۲۳، وتهذيب التهذيب: ۱۳۴، وأرجح المطالب: ۲۴۰ و ۲۴۳، وآل محمّد: ح ۱۰۶، ومشكل الآثار: ۱: ۴۸، وأسد الغابة: ۵: ۴۳۷، والبداية والنهاية: ۲: ۶۰، وتأريخ الخميس: ۱: ۲۶۵، وذخائر العقبى: ۴۲، ووسيلة المآل: ۸۰، وإرشاد السارى: ۶: ۱۶۸، وطرح التثريب: ۱۴۹، وخصائص السيوطى: ۳: ۳۶۲، ومسنده ص ۵۷ ح ۱۳۹، والجامع الصغير: ۱: ۱۶۸، والإعتقاد: ۱۶۵، وروضة الاجباب: ۶۲۶ «مخطوط» والسراج المنير: ۲۷۱، ومفتاح النجا: ۱۰۲ «مخطوط» وحسن الأسوة: ۳۱، والبيان والتعريف: ۱: ۱۲۳، وضوء الشمس: ۹۱، وتأريخ الإسلام: ۲: ۹۲ من قوله: أفضل...، عن بعضها الإحقاق: ۱۰: ۵۲، وفى ج ۱۹: ۴۱ عن ضوء الشمس، ورواه فى ذخائر العقبى: ۴۲، وفى سير أعلام النبلاء: ۲: ۱۲۴ عنه فى الإحقاق: ۱۹: ۵۱،وفى وسيلة المآل: ۸۰، عنه الإحقاق: ۱۰: ۵۷، وذكره فى الدرة اليتيمة على مافى الإحقاق: ۱۹: ۲۵، وكذا فى الأنوار المحمّدية على ما فى الإحقاق: ۱۰: ۸۵ عن العوالم ص ۱۱۹: ج ۱. [۲۹۹] تفسير الكاشف: ۲: ۵۹. [۳۰۰] آل عمران: آية ۴۲. [۳۰۱] أمالى الصدوق: ۳۹۳: ح ۱۸، عنه البحار: ۴۳: ۲۴ ح ۲۰: تأويل الآيات: ۱: ۱۱۱ ح ۱۷ نور الثقلين: ۱: ۲۸۱ ح ۱۳۵. اثبات الهداة: ۱: ۵۳۸ ح ۱۶۶. بشارة المصطفى: ۲۱۸ روضة الواعظين ۱۸۰، غاية المرام ۵۲ ح ۳۲. [۳۰۲] الانعام: آية ۸۶. [۳۰۳] البقرة: آية ۶۱. [۳۰۴] النساء: ۱۵۵. [۳۰۵] الخرائج والجرائح: ۵۲۸ ح ۳، البحار: ۴۳: ۲۷ ح ۳۰، الثاقب فى المناقب: ۲۹۵ تفسير الثعلبى: ۲۰۲، فرائد السمطين: ۲: ۵۱، ابن كثير البداية والنهاية: ۶: ۱۱۱ وروح المعانى: ۳: ۱۲۴، الدرر

المنثور: ۲: ۲۰، واحقاق الحق: ۳: ۵۳۸. [۳۰۶] ذخائر العقبى: ۴۵، كفاية الطالب: ۳۶۷، ووسيلة المآل: ۸۹، ينابيع المودة: ۱۹۹، كشف الغمة: ۱: ۴۶۹، أمالى الطوسى: ۲: ۲۲۸ البحار: ۴۳: ۵۹ ح ۵۱. [۳۰۷] دلائل الإمامة: ۲۸. [۳۰۸] البحار: ۴۳: ۱۰۵. [۳۰۹] البحار: ۸: ۵۱. [۳۱۰] «شرح النهج»: ۹: ۱۹۳. [۳۱۱] تفسير روح المعانى: ۳: ۱۵۵. [۳۱۲] هامش النصّ والاجتهاد: المورد، ۱۱۴. [۳۱۳] إنما قال «عالمها» لأنّ عالمها أفضل من عالم مريم كما صرّح به المؤلف آنفاً. «فاطمة مهجة قلب المصطفى ۹۵. [۳۱۴] «السيرة الحلبيّة»: ۲: ۶. [۳۱۵] العوالم: ۱۱: ۴۶، ۴۹. [۳۱۶] العوالم: ۱۱: ۴۶، ۴۹. [۳۱۷] نفس المصدر السابق. [۳۱۸] «العوالم»: ۱۱: ۴۹، ۵۱. [۳۱۹] نفس المصدر السابق. [۳۲۰] نفس المصدر السابق. [۳۲۱] البقرة: آية ۱۵۰. [۳۲۲] «مصابيح الأنوار» ۲: ۳۹۳، ۳۹۴. [۳۲۳] السيف: الصقيل. [۳۲۴] الجنة العاصمة: ۱۴۸، مستدرک سفينة البحار: ۳: ۳۳۴ عن مجمع النورين: ۱۴، عن العوالم: ۴۴. [۳۲۵] فرائد السبطين: ۱: ۳۶ ح ۱، عنه غاية المرام: ۵ ح ۱، ح ۱۵ ح ۱ أرجح الطالب: ۴۶۱. [۳۲۶] راجع حديث الكساء الشريف. [۳۲۷] سورة الذاريات: الآية ۵۶. [۳۲۸] سورة طه: الآية ۱۰۵. [۳۲۹] راجع فاطمة ليلة القدر: ۱۴. [۳۳۰] اعلموا انى فاطمة: ۸: ۵۲۲. [۳۳۱] هو العلامة المحقق السيد حسن الهمدانى فى رسالته فى شرح الاسماء الحسنى: ۱۰۳. [۳۳۲] صاحب كتاب هداية المسترشد: ۲۲۶. [۳۳۳] شرح الزيارة الجامعة: ۱: ۳۰۵. [۳۳۴] الأعراف: ۱۹۶. [۳۳۵] وهو الملا عبدالرزاق الكاشانى على مافى عقائد الإيمان. [۳۳۶] توحيد الصدوق: ۱۳۹. [۳۳۷] الاعراف: ۱۸۰. [۳۳۸] الكافى ـ كتاب التوحيد: ۲: ۱۱۵. [۳۳۹] شرح الزيارة الجامعة: ۳۲۶. [۳۴۰] آل عمران: آية ۴۹. [۳۴۱] المائدة: آية ۱۱۰. [۳۴۲] تفسير الميزان: ۳: ۲۰۰. [۳۴۳] النمل: آية ۳۸، ۴۰. [۳۴۴] تفسير الميزان: ۱۵: ۳۶۳. [۳۴۵] البقرة: آية ۲۶۰. [۳۴۶] سورة ص: آية ۳۶. [۳۴۷] الرعد: آية ۳۱. [۳۴۸] البقرة: آية. [۳۴۹] أى لا يقع من هذه الامور او غيرها إلا بارادة الله وقدرته سبحانه. [۳۵۰] الكافى: ۱: ۲۸۶، بصائر الدرجات ۴: ۲۲۸ ح ۱. [۳۵۱] بصائر الدرجات: ۴: ۲۲۹. [۳۵۲] راجع بصائر الدرجات: ۶: ۲۸۹، ۲۹۳. [۳۵۳] المناقب: ۳: ۱۱۸. [۳۵۴] الحكومة الاسلامية: ۵۲. [۳۵۵] الجنة العاصمة: ۶۶ ـ ۶۸، عنه بهجة قلب المصطفى: ۲۹. [۳۵۶] مقاتل الطالبيين: ۲۹، المناقب لابن المغازلى: ۳۴۰ ح ۳۹۲، أُسد الغابة: ۵: ۵۲۰، الإستيعاب: ۴: ۳۸۰، تهذيب التهذيب: ۱۲: ۴۴۰. [۳۵۷] فاطمة بهجة قلب المصطفى: ۲۰۴. [۳۵۸] اللمعة البيضاء: ۵۰. [۳۵۹] مجمع البحرين: مادة شجر. [۳۶۰] ميزان الأعتدال: ۱: ۲۳۴، على ما فى إحقاق الحق: ۹: ۱۵۲. [۳۶۱] البقرة: ۲۶۱. [۳۶۲] تفسير نور الثقلين: ۱: ۲۸۲. [۳۶۳] القطرة للسيد أحمد المستنبط: ۱۵۸. [۳۶۴] اعلموا أنى فاطمة: ۲: ۷۲۳ ـ ۷۳۱. [۳۶۵] التحريم: ۱. [۳۶۶] طه: ۸۱. [۳۶۷] الأحزاب: ۵۳. [۳۶۸] الأحزاب: ۵۳. [۳۶۹] الأحزاب: ۶. [۳۷۰] هذه القصيدة العصماء للشاعر المرحوم الشيخ صالح الكواز الحلى. [۳۷۱] النور: ۴۱. [۳۷۲] الحديد: ۱. [۳۷۳] الحشر: ۲۴. [۳۷۴] ق: ۳۱. [۳۷۵] الأعلى: ۱. [۳۷۶] النمل: ۱۸ ـ ۱۹. [۳۷۷] الكافى: ۳: ۳۴۳: ح ۱۴، الوسائل: ۴: ۱۰۲۴: ح ۱، التهذيب: ۲: ۱۰۵. [۳۷۸] ثواب الأعمال: ۱۹۶: ح ۲، الوسائل: ۴: ۱۰۲۳ ح ۳. [۳۷۹] أمالى الصدوق: ۴۶۴ ح ۱۶، ثواب الأعمال: ۱۹۵، الكافى: ۳: ۳۴۳ ح ۱۳. [۳۸۰] قرب الإسناد: ۱۶۵. [۳۸۱] صفوة الصفوة: ۲: ۶ و كتاب فاطمة الزهراء لمحمد على دخيل: ۶۳. [۳۸۲] أعلام النساء لعمر كحالة ۳: ۲۱۶ وكتاب فاطمة الزهراء لمحمد على دخيل: ۶۳. [۳۸۳] سفينة البحار: ۱: ۵۷۱ وكتاب فاطمة الزهراء لمحمد على دخيل: ۶۵. [۳۸۴] شرح خطبة الزهراء للشيخ نزيه: ۲۹. [۳۸۵] مجلة يداها أى ظهر فيها المجل وهو ماء يكون بين الجلد واللحم من كثرة العلم الشاق. والمجلة القشرة الرقيقة التى يجتمع فيها ماء من أثر العمل الشاق. [۳۸۶] الدكنة: لون يضرب إلى السواد. [۳۸۷] من لا يحضره الفقية: ۱: ۳۲۰ ـ ۳۲۱. [۳۸۸] آل عمران: ۹۲. [۳۸۹] للاطلاع اكثر راجع كتاب اعلموا أنى فاطمة: ۲: ۶۶۱ ـ ۶۷۲. [۳۹۰] هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن مهاجر الحارث بن زهرة. راجع «تهذيب التهذيب: ۹: ۴۴۵». [۳۹۱] هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوى، أبو عبدالله المدنى روى عن أبيه وعن أبى هريرة، وعنه ابنه أبوبكر والزهرى. راجع فى ذلك «تهذيب التهذيب: ۳: ۴۳۶». [۳۹۲] ۱۰۳، عنه الإحقاق: ۲۵: ۳۴۶. [۳۹۳] ۵: ۱۰۷، عنه الإحقاق: ۲۵: ۳۴۵. [۳۹۴] ۶: ۲۹۸، كنز العمال: ۲۰: ۵۵. [۳۹۵] جامع الإحاديث: ۴: ۶۱۴، كنز العمال: ۲: ۵۷. [۳۹۶] مشكاة الأنوار: ۲۷۸ ح ۱۴، البحار: ۸۵: ۳۳۴ ح ۲۱. [۳۹۷] فقه الرضا: ۱۱۵، مستدرک الوسائل: ۵: ۵۱ ح ۱. [۳۹۸] الإحتجاج: ۱: ۳۱۵، الوسائل: ۴: ۱۰۳۹ ح ۴. [۳۹۹] التهذيب: ۳: ۶۷ ح ۲۱. [۴۰۰] سورة العلق: الايات من ۱ ـ ۵. [۴۰۱] سورة

الحج: الآية ۳۲. [۴۰۲] المزار الكبير: ۱۴۹: ح ۲۰۷، مستدرک الوسائل: ۴: ۱۲ ح ۲. [۴۰۳] سورة الصف: الايتان ۲ و ۳. [۴۰۴] سورة الحج: الآية ۳۲. [۴۰۵] سورة الحشر: الآية ۷. [۴۰۶] اعلموا انى فاطمة: ۲: ۶۸۱ ـ ۶۹۸. [۴۰۷] شرح السنة: ۵: ۱۰۷، مسند احمد: ۶: ۲۹۸ وكنز العمال: ۲۰: ۵۵. [۴۰۸] حلية الأولياء: ۱: ۶۹، نظم درر السمطين: ۱۹۲ فتح البارى فى شرح البخارى: ۱۱: ۱۰۲، اعلام النساء: ۳: ۱۲۰۲. [۴۰۹] كنز العمال: ۲: ۵۸. [۴۱۰] الكافى: ۳: ۳۴۳ ح ۱۴، الوسائل: ۴: ۱۲۰۴ ح ۱. [۴۱۱] ثواب الاعمال: ۱۹۶ ح ۲، البلد الامين: ۹ قطعة ـ الوسائل: ۴: ۱۰۲۳ ح ۳. [۴۱۲] امالى الصدوق: ۴۶۴ ح ۱۶، ثواب الاعمال: ۱۹۵. [۴۱۳] فلاح السائل: ۱۶۵، ثواب الاعمال: ۱۹۶ ح ۴. [۴۱۴] المصدر السابق. [۴۱۵] مشكاة الانوار: ۲۷۸ ح ۱۴. [۴۱۶] التهذيب: ۳: ۶۷ ح ۲۱. [۴۱۷] كشف الغمة: ۱: ۴۷۱. [۴۱۸] معانى الأخبار: ۱۹۳ ح ۵، تفسير العياشى: ۱: ۶۸. [۴۱۹] البحار: ۸۵: ۳۴۰ ح ۳۲. [۴۲۰] البحار: ۴۲: ۱۰۵. [۴۲۱] البحار: ۲: ۱۸۲. [۴۲۲] معانى الأخبار: ۲. [۴۲۳] البحار: ۲: ۱۶۰. [۴۲۴] البحار: ۲: ۱۶۰. [۴۲۵] البحار: ۳: ۱۴. [۴۲۶] الكافى: ۱: ۴۴. [۴۲۷] البحار: ۳: ۱۵۹. [۴۲۸] مسار الشيعة: ۲۱. [۴۲۹] حدائق الرياض: نقلا عن الاقبال: ۶۲۱، عن البحار: ۴۳: ۸ ح ۱۲. [۴۳۰] مصباح المتهجد: ۷۳۳، عن البحار: ۴۳: ۹ ح ۱۵. [۴۳۱] دلائل الإمامة: ۱۰ عن البحار: ۴۳: ۹ ح ۱۶. [۴۳۲] الكافى: ۱: ۴۵۷ ح ۱۰، عن البحار: ۴۳: ۹ ح ۱۳. [۴۳۳] اثبات الوصية: ۱۵۴، وذهب المسعودى فى ذكر تاريخ ولادة الإمام الحسن عليه السلام ونسبه له إلّا ان هذا التاريخ لفاطمة عليها السلام علما بان ولادة الإمام الحسن المشهورة سنة ۲ للهجرة. [۴۳۴] مسار الشيعة: ۳۱. [۴۳۵] مصباح المتهجد: ۷۳۳، عن البحار، ۴۳: ۹ ح ۸. [۴۳۶] كشف الغمة: ۱: ۴۴۹،عن البحار: ۴۳: ۷ ح ۸. [۴۳۷] دلائل الإمامة: ۷۹ ح ۱۸. [۴۳۸] الكافى: ۱: ۴۵۷ ح ۱۰. [۴۳۹] لم نعثر عليه فى السيرة. [۴۴۰] حلية الأولياء. [۴۴۱] مقاتل الطالبين: ۴۸. [۴۴۲] تواريخ النبى والال: ۲۵. [۴۴۳] الروم: ۴. [۴۴۴] «البحار» ۴۳: ۱۸. [۴۴۵] قيل انها صفوراء. [۴۴۶] «البحار» ۱۶: ۸۰. [۴۴۷] الوامق: المحب. [۴۴۸] أجفت الباب: رددته. [۴۴۹] البحار: ۱۶: ۷۸ ـ ۸۰. [۴۵۰] انظر «مجمع البحرين». [۴۵۱] روضة الكافى: ۳۴۰، الرقم ۵۳۶. [۴۵۲] البحار: ۴۳: ۹. [۴۵۳] «البحار» ج ۴۳، ص ۹. [۴۵۴] «كشف الغمة» ج ۱، ص ۳۳۹. [۴۵۵] القصيدة للمرحوم الخطيب السيد خضر القزوينى، ديوان شعراء الحسين عليه السلام: ص ۲۳۰. [۴۵۶] دلائل الإمامة ۴۵، البحار ۴۳ ص ۱۷۰. [۴۵۷] الاحتجاج للطبرسى: ۱: ۱۴۷، البحار: ۴۳: ۱۶۱، شرح ابن ابى الحديد: ۱۶: ۲۳۳، بلاغات النساء: ۱۹. [۴۵۸] البحار: ۴۳: ۲۱۸. [۴۵۹] البحار: ۴۳: ۱۹۸. [۴۶۰] البحار: ۴۳: ۱۹۱. [۴۶۱] مناقب ابن شهر اشوب: ۳: ۳۶۲. [۴۶۲] البحار: ۴۳: ۱۷۸. [۴۶۳] البحار: ۴۳: ۱۹۲. [۴۶۴] المصدر السابق. [۴۶۵] دلائل الإمامة: ۴۲. [۴۶۶] دلائل الإمامة: ۴۲. [۴۶۷] البحار: ۴۳: ۲۱۴. [۴۶۸] دلائل الإمامة: ۴۴. [۴۶۹] البحار: ۴۳: ۱۸۶. [۴۷۰] البحار: ۴۳: ۱۹۲. [۴۷۱] البحار: ۴۳: ۱۹۹. [۴۷۲] البحار: ج ۴۳: ص ۱۷۹. [۴۷۳] البحار: ۴۳: ۱۸۳. [۴۷۴] البحار: ۴۳: ۲۱۱، ۱۹۳. [۴۷۵] البحار: ۴۳: ۱۸۳. [۴۷۶] البحار: ۴۳: ۱۹۹. [۴۷۷] دلائل الإمامة: ۴۶، عن البحار: ۴۳: ۱۷۱ ح ۱۱. [۴۷۸] مسار الشيعة: ۳۱. [۴۷۹] مصباح المتهجد: ۷۳۳، عنه البحار، ۴۳: ۲۱۵ ح ۴۶. [۴۸۰] الاقبال: ۶۳۳، عنه البحار: ۴۳: ۱۹۶ ح ۲۶. [۴۸۱] كشف الغمة: ۱: ۵۰۳ عنه البحار: ۴۳: ۱۸۹. [۴۸۲] ونقل البحار عن العاصمى: ۴۳: ۲۱۳ ح ۴۴. [۴۸۳] مصباح المتهجد: ۷۴۸، عنه البحار: ۴۳: ۲۱۵ ح ۴۷. [۴۸۴] مقاتل الطالبيين: ۴۹، عنه البحار: ۴۳: ۲۱۵. [۴۸۵] كشف الغمة: ۱: ۵۰۲، عنه البحار: ۴۳: ۱۸۸ ح ۱۹. [۴۸۶] المعارف لابن قتيبة: ۱۴۲. [۴۸۷] كشف الغمة: ۱: ۵۰۳. [۴۸۸] الاحتجاج: عن كتاب سليم بن قيس الهلالى: ۲۱۲، عنه البحار: ۴۳: ۱۹۹ ضمن ح ۲۹. [۴۸۹] الكافى: ۴۵۸: ۱. [۴۹۰] كشف الغمّة: ۱: ۴۴۹، عن ابن الخشّاب. [۴۹۱] عينم المعجزات: ۵۵، عه البحار: ۴۳: ۲۱۲ ح ۴۱. [۴۹۲] الكافى: ۱: ۲۴۱ ح ۵، عنه البحار: ۴۳: ۱۹۴ ح ۲۲. [۴۹۳] الكافى: ۴: ۵۶۱ ح ۴، عنه البحار، ۴۳: ۱۹۵ ح ۲۴. [۴۹۴] الكافى: ۳: ۲۲۸ ح ۳، عنه البحار: ۴۳: ۱۹۵ ذح ۲۴. [۴۹۵] كشف الغمّة: ۱: ۵۰۳. [۴۹۶] كشف الغمة: ۱: ۵۰۳. [۴۹۷] كلام المؤلف (ره) هنا فى ثبوت وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من صفر من كونه الثامن والعشرين وعدم ثبوته، وعلى قول أنه الثانى عشر من ربيع الأول والمقصود هنا وقع التحريف والتصحيف للتشابه وفى أكثر من هذا من الأقوال وهو غير بعيد من التحريف. [۴۹۸] تواريخ النبى والآل: ۵۵ ـ ۵۷. [۴۹۹] الخرائج والجرائح: ۵۳۰: ح ۶. [۵۰۰] الثاقب فى المناقب: ۲۹۱ ح ۲۴۹. [۵۰۱] البقبقة: حكاية صوت القدر فى غليانه (تاج العروس: ۶: ۲۹۷). [۵۰۲] العوالم: ۱: ۱۹۸. [۵۰۳] آل

عمران: ۳۷. [۵۰۴] الخرائج والجرائح: ۵۲۸ ح ۳، عنه البحار، ۴۳: ۲۷ ح ۳۰. ورواه فی الثاقب فی المناقب: ۲۹۵ بإسناده عن زینب، والعرائس: ۵۷، ومقتل الحسین: ۱: ۵۷، وفرائد السمطین: ۲: ۵۱، وابن کثیر فی البدایة والنهایة: ۶: ۱۱۱ وفی تفسیره: ۲: ۲۲۲، والدرّ المنثور: ۲: ۲۰، وروح المعانی: ۳: ۱۲۴، عن بعضها الإحقاق: ۳: ۵۳۸، و ۱۰: ۳۱۴. [۵۰۵] القتار: هو ریح القدر والشواء ونحوهما (النهایة: ۴: ۱۲). [۵۰۶] آل عمران: ۳۷. [۵۰۷] البحار: ۴۳: ۶۹، وقد قال فی البحار بعد هذه الروایة: أقول: وجدت هذا الحدیث فی کتاب قدیم من مؤلفات العامّة، قال: حدّثنا أبو بکر أحمد بن علی الطرشیشی ببغداد سنة ۸۴؛ قال: حدّثتنا کریمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزی بمکّة حرسها الله بقراءتها علینا فی المسجد الحرام فی ذی الحجة ۴۳۱، قالت: أخبرنا أبو علی زاهر بن أحمد الفقیه ـ الخ. یراجع البحار. ورواه فی مقتل الحسین: ۱: ۷۱، وفی نزهة المجالس: ۱: ۲۲۴ (نحوه)، عنه الإحقاق: ۱۰: ۳۱۸، المستدرک: ۱۰: ۳۱۰ ح ۱ (قطعة). [۵۰۸] قوله: رمیا شحیحا، الشح: البخل مع حرص، وهو لا ـ یناسب المقام إلاّ ـ بتکلف. ویحتمل ان یکون اصله سحیحا، بالسین المهملة من السح بمعنی: السیلان، کنایة عن المبالغة فی النظر والتحدیق بال بالبصر وعلی ما فی النسخ یحتمل ان یکون من الحرص کنایة عن المبالغة فی النظر، او البخل کنایة عن النظر بطرف البصر علی وجه الغیظ. [۵۰۹] کشف الغمة: ۱: ۴۶۹، أمالی الطوسی: ۲: ۲۲۸، عنها البحار: ۴۳: ۵۹ ح ۵۱. تأویل الایات: ۱: ۱۰۸ ح ۱۵، والبحار: ۹۶: ۱۴۷ ح ۲۵، واخرجه فی ذخائر العقبی: ۴۵، وکفایة الطالب: ۳۶۷ وینابیع المودة: ۱۹۹، ملخصا عن الاربعین الطوال الدمشقی، ورواه فی أهل البیت: ۱۲۲، والاحقاق: ۱۰: ۳۲۳ وج ۱۹: ۱۲۰. ورواه فی المعیار والموازنة: ۲۳۶، وتوضیح الدلائل عنهما الاحقاق: ۱۸: ۵۰. [۵۱۰] مدینة المعاجز: ۲۳۹. [۵۱۱] البحار: ۸۹: ۳۶۵ ح ۵۹، البلد الامین: ۵۲۳، الجنة الواقیة: ۱۷۹. [۵۱۲] ینابیع المودة: ۳۶۷. [۵۱۳] الملاءة ـ بالضم والمد ـ: الازار والریطة. [۵۱۴] المناقب: ۳: ۱۱۷، والخرائج والجرائح: ۳۵۷ ح ۱۳. [۵۱۵] المناقب: ۳: ۱۱۸. [۵۱۶] کشف الغمة: ۱: ۴۶۶، مقتل الخوارزمی: ۱: ۶۲، حلیة الأولیاء: ۲: ۴۰ أرجح المطالب: ۲۴۴، اسعاف الراغبین: ۱۸۷. [۵۱۷] نوادر الراوندی: ۱۳. [۵۱۸] البحار: ۴۳: ۹۲. [۵۱۹] المرأة فی فکر الإمام الخمینی: ۲۳ ـ ۲۴. [۵۲۰] امالی الصدوق: ۳۹۴ ح ۱۸ بشارة المصطفی: ۲۱۸. [۵۲۱] علل الشرایع: ۱: ۱۸۱ ح ۱، دلائل الإمامة (۵۶). [۵۲۲] المناقب: ۳: ۱۱۹، ربیع الابرار: ۲: ۱۰۴. [۵۲۳] البحار: ج ۴۳: ص ۲۱۶، عن الدیوان المنسوب لأمیر المؤمنین انشدها بعد وفاة الصدیقة فاطمة الزهراء علیها السلام ولم یذکر الجامع للدیوان المنسوب لامیر المؤمنین علیه السلام من هذه القصیدة سوی ثلاثة ابیات فقط. [۵۲۴] السفینة: ۵ «الشیخ جعفر الباقری». [۵۲۵] الکافی: ۱: ۱۸۱ ح ۴. [۵۲۶] عن الإمام علی ع من حبه عنوان الصحیفة ۳۸ نقلها عن عبقات الانوار. [۵۲۷] القصیدة للمرحوم الشیخ محمد علی الیعقوبی: الذخائر: ص ۱۲. [۵۲۸] راجع فاطمة الزهراء لیلة القدر ـ لآیة الله السید عادل العلوی حفظه الله. [۵۲۹] سورة النور: آیة ۶۶. [۵۳۰] المناقب لابن المغازلی: (من علماء العامة): ۳۱۷. [۵۳۱] عوالم العلوم والمعارف ۶: ۷. [۵۳۲] فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفی: ۲۴: عن الخصائص الحسینیة: ۱. [۵۳۳] سورة آل عمران: الآیة ۱۸۵. [۵۳۴] فرائد السمطین: ۲: ۵۸. [۵۳۵] البحار ۴۳: ۱۶. [۵۳۶] نور الابصار: ۵۲. [۵۳۷] البحار: ۴۳: ۵۴. [۵۳۸] فرائد السمطین: ۲: ۶۷. [۵۳۹] تفسیر البرهان: ۳: ۴۸۷ ح ۲۴. [۵۴۰] امالی الصدوق: ۴۷۴، ح ۱۸، علل الشرائع: ۱: ۱۷۸، الخصال: ۴۱۴، ح ۳، روضة الواعظین: ۱۷۹. [۵۴۱] راجع کتابنا العبد الصالح الإمام موسی بن جعفر. [۵۴۲] الکافی: ۲: ۱۸، باب الأسماء والکنی. [۵۴۳] الکافی: ۶: ۱۹، باب الأسماء والکنی. [۵۴۴] الکافی: ۶: ۱۹، باب الأسماء والکنی. [۵۴۵] أمالی الصدوق: ۴۷۴ ح ۱۸، علل الشرائع: ۱: ۱۷۸، الخصال: ۴۱۴ ح ۳، روضة الواعظین: ۱۷۹، دلائل الإمامة: ۱۰. [۵۴۶] المراد م الأسماء المعنویة أی المعانی التی تدل علیها الأسماء الظاهریة لفاطمة (علیها السلام). [۵۴۷] امالی الصدوق: ۴۷۴، ح ۱۸، علل الشرائع: ۱: ۱۷۸، الخصال: ۴۱۴، ح ۳، روضة الواعظین: ۱۷۹. [۵۴۸] وسائل الشیعة: ۱۵: ۱۰۰ باب ۸۷. [۵۴۹] نوع من التمر سمی به لشدة حلاوته تشبیهاً بالسکر الطبرزد. [۵۵۰] الجلواز الشرطی الذی یخف فی المجیء والذهاب بین یدی الأمیر. [۵۵۱] البحار: ۴۷: ۳۷۹ ـ ۳۸۱. [۵۵۲] سفینة البحار: ۱: ۶۶۲. [۵۵۳] البحار: ۲۲: ۴۷۷. [۵۵۴] کشف الغمة: ۱: ۴۶۳. [۵۵۵] البحار: ۴۳: ۱۳ ح ۷، علل الشرائع: ۱: ۱۷۸ ح ۲. [۵۵۶] البحار: ۴۳: ۶۵. [۵۵۷] البحار: ۴۳: ۱۵. [۵۵۸] البحار: ۴۳: ۱۶، المناقب لابن شهر اشوب: ۳: ۱۱۰. [۵۵۹] البحار: ۴۳: ۱۶. [۵۶۰] البحار: ۴۳: ۱۴ ـ ۱۵، الجواهر

السنية: ۲۴۷، المختصر: ۱۳۲. [۵۶۱] البحار: ۴۳: ۱۳ ـ ۱۴، الكافي: ۱: ۴۶ ح ۶، المحجة البيضاء: ۴: ۲۱۲. [۵۶۲] اللمعة البيضاء: ۳۷ ـ ۳۹. [۵۶۳] فاطمة بهجة قلب المصطفى: ۱۵۲. [۵۶۴] البحار: ۴۳: ۶۵. [۵۶۵] ما تكاملت النبوّة لنبيّ حتى أقرّ بفضلها ومحبّتها، ملتقى البحرين، للمرندى: ۳۹. [۵۶۶] راجع فرائد السمطين: ۱: ۳۸. [۵۶۷] بيت الأحزان: ۱۰۰. [۵۶۸] سورة الحديد: ۱۹. [۵۶۹] المائدة: ۷۵. [۵۷۰] البحار: ۲۲: ۴۹۱. [۵۷۱] الوسائل: ۲: ۷۱۴ ـ ۷۱۵. [۵۷۲] الرياض النضرة: ۲: ۲۰۲ على ما فى الغدير: ۲: ۳۰۵. [۵۷۳] مرآة العقول: ۵: ۳۱۵. [۵۷۴] البحار: ۴۳، ۱۰۵. [۵۷۵] لسان العرب: مادة برك. [۵۷۶] تاج العروس: مادة البركة. [۵۷۷] البحار: ۴۳: ۲۲. [۵۷۸] الميزان: ۲۰: ۳۷۰ ـ ۳۷۱. [۵۷۹] التفسير الكبير: ۳۲: ۱۲۴. [۵۸۰] التفسير الكبير: ۳۲: ۱۲۸. [۵۸۱] روح المعانى: ۳۰: ۲۴۷. [۵۸۲] فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: ص ۸۶ ـ ۸۷. [۵۸۳] الأنعام: ۸۴ ـ ۸۵. [۵۸۴] كفاية الطالب: ۳۷۹. [۵۸۵] البحار: ۴۳: ۱۰۱. [۵۸۶] نهج البلاغة: الخطبة ۲۰۵. [۵۸۷] آل عمران: ۶۱. [۵۸۸] الأحزاب: ۴۰. [۵۸۹] شرح النهج: ۱۱: ۲۶. [۵۹۰] تاريخ بغداد: ۱: ۳۱۶ ـ ۳۱۷. [۵۹۱] الأنعام: ۳۸. [۵۹۲] الأنعام: ۸۴. [۵۹۳] آل عمران: ۶۱. [۵۹۴] الأنبياء: ۶۰. [۵۹۵] البحار: ۴۸: ۱۲۷. [۵۹۶] النساء: ۲۳. [۵۹۷] البحار: ۴۳: ۲۳۳. [۵۹۸] البحار: ۴۳: ۲۲۹. [۵۹۹] البحار: ۴۳: ۱۹، ۱۶. مصباح الأنوار على ما فى العوالم: ۲۲۲ مخطوط. [۶۰۰] الماقب: ۳: ۱۱۰. التهذيب: ۷: ۴۷۵. بشارة المصطفى: ۳۰۶. [۶۰۱] اللمعة البيضاء: ۲۴. [۶۰۲] الغدير: ۳: ۲۱۱. [۶۰۳] سنن البيهقى: ۷: ۶۵. [۶۰۴] سنن البيهقى: ۷: ۶۵. [۶۰۵] منتقى الجمان: ۱: ۲۲۴. [۶۰۶] مسند أحمد: ۶: ۴۶۱، وكذلك ورّد هذا الخبر فى كتب مختلفة للعامّة والخاصّة، منها «الاصابة» لابن حجر فى ترجمتها عليها السلام، و «حليةالأولياء»: ۲: ۴۳، و «كشف الغمّة»: ۱: ص ۵۰۲، و «الماقب» لابن شهر آشوب: ۳: ۳۶۴، و «المستدرك» للمحدث النوريّ: ۱: ۱۰۴ فى نوادر الغسل. [۶۰۷] اصول الكافى: ۲: ۶۶. [۶۰۸] اصول الكافى: ۲: ۶۶. [۶۰۹] اصول الكافى: ۲: ۶۸. [۶۱۰] مسند فاطمة عليها السلام للحافظ البوطى: ۱۱۰. [۶۱۱] اللمعة البيضاء: ۹۲. [۶۱۲] سورة مريم: آية ۱۶ ـ ۲۱. [۶۱۳] آل عمران: ۴۳. [۶۱۴] هود آية: ۷۱ ـ ۷۳. [۶۱۵] القصص: ۷. [۶۱۶] سورة مريم: آية ۱۱. [۶۱۷] فصلت: ۱۲. [۶۱۸] المائدة: ۱۱۱. [۶۱۹] الأنفال: ۱۲. [۶۲۰] النحل: ۶۸. [۶۲۱] القصص: ۷. [۶۲۲] طه: ۳۸. [۶۲۳] موجز علوم القرآن: ۱۱۰. [۶۲۴] النساء: ۱۶۳. [۶۲۵] الشورى: آية ۵۱. [۶۲۶] إشارة إلى الآية: ۴۲ من سورة آل عمران. [۶۲۷] البحار: ۴۳: ۷۸. [۶۲۸] الحج: ۵۲. [۶۲۹] البحار: ۴۳: ۷۹. [۶۳۰] الغدير: ۵: ۴۲. [۶۳۱] الغدير: ۵: ۴۹. [۶۳۲] فيض القدير: ۴: ۵۰۷. [۶۳۳] بصائر الدرجات: ۱۵۶. [۶۳۴] أعيان الشيعة: ۱: ۹۷. [۶۳۵] فاطمة من المهد إلى اللحد: ۸۳. [۶۳۶] راجع بصائر الدرجات: ۱۵۱ ـ ۱۶۱. [۶۳۷] بصائر الدرجات: ۱۵۱ ـ ۱۶۱. [۶۳۸] نفس المصدر السابق. [۶۳۹] نفس المصدر السابق. [۶۴۰] البحار: ۴۳: ۸۰. [۶۴۱] البحار: ۴۳: ۸۰. [۶۴۲] دلائل الإمامة للطبرى: ۲۷ ـ ۲۸. [۶۴۳] فاطمة بهجة قلب المصطفى: ص ۱۷۶. [۶۴۴] البحار: ۴۰: ۴۴، ارشاد القلوب، ۴۰۳، الفضائل لابن شاذان: ۱۷۲. [۶۴۵] البحار: ۴۳: ۱۱ ح ۲، علل الشرائع ۱: ۱۸۰ ح ۲. [۶۴۶] البحار: ۴۳: ۱۶، المناقب: ۳: ۱۱۰. [۶۴۷] البحار: ۴۳: ۱۶، المناقب: ۳: ۱۱۱. [۶۴۸] معانى الأخبار: ۶۴ ح ۱۵، دلائل الإمامة: ۵۴. [۶۴۹] البحار: ۴۳: ۱۲. [۶۵۰] البحار: ۴۳: ۵۲. [۶۵۱] وفاة الزهراء: ۱۵. [۶۵۲] لسان العرب: مادة بتل. [۶۵۳] النهاية: مادة بتل. [۶۵۴] مجمع البحرين: مادة بتل. [۶۵۵] احقاق الحق: ۱۰: ۲۵، المناقب المرتضوية ۱۱۹. [۶۵۶] ينابيع المودة: ۲۶۰. [۶۵۷] معانى الأخبار: ۶۴. [۶۵۸] أخبار الدول: ۸۷، احقاق الحق: ۱۰: ۲۴۴. [۶۵۹] ذخائر العقبى: ۲۶. [۶۶۰] تاريخ بغداد: ۳: ۳۳۱. [۶۶۱] التاريخ الكبير لابن عساكر: ۱: ۳۹۱. [۶۶۲] نزهة المجالس: ۲۲۷. [۶۶۳] البحار: ۴۳: ۱۶. [۶۶۴] البحار: ۴۳، ص ۷. [۶۶۵] البحار: ۴۳: ۱۹. [۶۶۶] فاطمة بهجة قلب المصطفى: ۱۶۰ ـ ۱۶۱. [۶۶۷] نهج البلاغة: خطبة ۷۸. [۶۶۸] البحار: ۴۳: ۱۶. [۶۶۹] يقول السيد الأمين فى المجالس السنية ص ۱۰۱ ج ۵ وجدت هذه القصيدة بخط الشهيد الأول محمد بن مكى العاملى ويظهر أنها لبعض أشراف مكة. [۶۷۰] الكرى: النعاس. [۶۷۱] معجم البلدان: ۴: ۲۳۸، لسان العرب: ۱۰: ۲۰۳. [۶۷۲] الحشر: آية ۶ ـ ۷. [۶۷۳] ج ۱: ص ۴۷۶. [۶۷۴] ۲: ۲۸۷ ح ۵۰. [۶۷۵] ۱: ۴۳۵ ح ۵، البرهان: ۳: ۲۶۴ ح ۳. [۶۷۶] ۶: ۴۱۱. [۶۷۷] ۲۳۹: ح ۳۲۳، ۳۲۲: ح ۴۳۷. [۶۷۸] عيون أخبار الرضا: ۱: ۲۳۳ ضمن ح ۱، البرهان: ۲: ۴۱۵ ح ۲، غاية المرام: ۳۲۳ ح ۲۱۹، نور الثقلين: ۵: ۲۷۵. [۶۷۹] نهج البلاغة: ۴۱۷ ضمن كتاب: ۴۵. [۶۸۰] العوالم: ۷۰۷ الخاصة بفاطمة عليها السلام. [۶۸۱]

شرح نهج البلاغة: ۱۶: ۲۱۰. [۶۸۲] فی الشرح: ما أقام بالمدینة. [۶۸۳] أقول: إنّ فدک کانت فی أیدیهم، وتحت تصرّفهم، وعلی هذا فلم یکن للخلیفة الغاصب مطالبتهم بالبینة، فإنّها خلاف موازین القضاء، ولم یکن إقطاع الرسول صلی الله علیه وآله لفاطمة علیها السلام وأهلها أمراً فریداً یخصّ ها: ففی فتوح البلدان للبلاذری: ۳۱: انه صلی الله علیه وآله أقطع من أرض بنی النضیر أبا بکر وعبد الرحمن بن عوف وأبا دجانة، وغیرهم، وفی ص ۳۴: وأقطع الزبیر بن العوام أرضاً من أرض بنی النضیر ذات نخل. وفی ص ۲۷: وأقطع بلالا ـ أرضاً فیها جبل ومعدن، وقال مالک بن أنس: أقطع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بلال بن الحارث معادن بناحیة الفرع؛ وأقطع علیاً علیه السلام أربع أرضین: الفقیرین وبئر قیس والشجرة. وفی ص ۳۴: وأبو بکر نفسه أقطع الزبیر الجرف، وعمر أقطعه العقیق، أجمع. فما أدری لماذا أخذوا من فاطمة نحلة أبیها صلی الله علیه وآله؟ وهل کانت هی فقط من الأموال العامة للمسلمین؟ نعم، کان سبب ابتزازها نحلة فاطمة وأبنیها تکون دعماً لبیت الإمامة ملازمة. [۶۸۴] أی ملقیاً نفسه علی الرمال لا حاجز بینهما، ورمال السریر ـ بالکسر: ما رمل أی نسج، جمع رمل بمعنی مرمول کالخلق بمعنی المخلوق، والمراد به أنّه کان السریر قد نسج وجهه بالسعف ولم یکن علی السریر وطا سوی الحصیر. [۶۸۵] الوسادة: المخدّة. [۶۸۶] ودفّ أهل أبیات: أی دخلوا المصر، یقال: دفّ دافّة من العرب. [۶۸۷] الرضخ ـ بالضاد والخاء المعجمتین ـ: العطاء القلیل. [۶۸۸] یرفأ ـ بالراء والفاء والهمز علی صیغة المضارع ـ: کینع، علم مولی عمر بن الخطاب. [۶۸۹] اتئدوا: امر من التؤدة أی التانی والتثبت. [۶۹۰] أی مسنداً. [۶۹۱] جامع الاصول: ۳: ۳۱۱. [۶۹۲] ۳: ۳۱۱. [۶۹۳] کذا فی البحار. [۶۹۴] قال العلامة المجلسی رضی الله عنه فی البحارج ۸: ص ۱۱۴، ط الکمبانی: ولنوضح الخطبة الغّراء عن سیدّة النساء صلوات الله علیها، الّتی تحیّر من العجب منها والاعجاب بها أحد الفصحاء والبلغاء، ونبنی الشرح علی روایة، «الاحتجاج» ونشیر أحیاناً إلی الروایات الأخر. [۶۹۵] أی أحکم النیّة والعزیمة علیه. [۶۹۶] أی عصبته وجمعته یقال: لاث العمامة علی رأسه یلوثها لوثاً، أی شدّها وربطها. [۶۹۷] الجلباب، بالکسر: یطلق علی الملحفة والرداء والازارة، والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة والثوب کالمقنعة تغطّی بها المرأة رأسها وصدرها وظهرها. والأول هنا أظهر. [۶۹۸] اللمة، بضم اللام وتخفیف المیم: الجماعة. قال فی النهایة: «فی حدیث فاطمة علیها السلام أنّها خرجت فی لمة من نسائها، تتوطّأ ذیلها إلی أبی بکر فعاتبته، أی فی جماعة من نسائها. قیل: هی ما بین الثالثة إلی العشرة، وقیل: اللمة: المثل فی السن والترب». وقال الجوهری: «الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه، وهو مما اخذت عینه کسهٍ ومذ، وأصلها فعلة من الملائمة وهی الموافقة». انتهی. أقول: ویحتمل أن یکون بتشدید المیم، قال الفیروز آبادی: «اللّمّة بالضم: الصاحب والاصحاب فی السفر والمونس، للواحد والجمع». [۶۹۹] الحفدة، بالتحریک: الأعون والخدم. [۷۰۰] أی کانت أثوابها طویلة تستر قدمیها وتضع علیها قدمها عند المشی. وجمع الذیل باعتبار الأجزاء أو تعدد الثیاب. [۷۰۱] فی بعض النسخ «من مشی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم». والخرم: الترک والنقص والعدول. المشیة بالکسر: الاسم من مشی یمشی مشیا، أی لم تنقص مشیتها من مشیته صلی الله علیه وآله وسلم شیئاً کأنّه هو بعینه. قال فی النهایة: «فیه: ما خرمت من صلاة رسول الله شیئاً، أی ما ترکت. ومنه الحدیث: لم أخرم منه حرفاً، أی لم أدع». [۷۰۲] الحشد، بالفتح وقد یحرّک: الجماعة. وفی الکشف: «إنّ فاطمة علیها السلام لمّا بلغها إجماع أبی بکر علی منعها فدکاً لاثت خمارها، وأقبلت فی لمیمه من حفدتها ونساء قومها، تجرّ أدراعها، وتطأ فی ذیولها، ما تخرم من مشیة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حتّی دخلت علی أبی بکر وقد حشد المهاجرین والأنصار، فضرب بینهم بریطة بیضاء ـ وقیل: قبطیّة ـ فأنّت أنّه أجهش لها القوم بالبکاء، ثمّ أمهلت طویلاً حتی سکنوا من فورتهم، ثمّ قالت: ابتدیء بحمد من هو أولی بالحمد والطول والمجد، الحمد لله علی ما أنعم». [۷۰۳] الملاءة، بالضم والمدّ: الریطة والازار، ونیطت بمعنی علّقت، أی ضربوا بینها علیها السلام وبین القوم ستراً وحجاباً. والریطة، بالفتح: الملاءة إذا کانت قطعة واحدة ولم تکن لفقین، أوهی کلّ ثوب لیّن رقیق، والقبطّیة، بالکسر: ثیاب بیض رقاق من کتّان تتّخذ بمصر، وقد یضمّ لأنّهم یغیّرون فی النسبة. [۷۰۴] الجهش أن یفزع الإنسان إلی غیره وهو مع ذلک یرید البکاء کالصبیّ یفزع إلی امه وقد یتهیّا للبکاء یقال: جهش إلیه ـ کمنع ـ وأجهش. [۷۰۵] الارتجاع: الاضطراب. [۷۰۶] أی صبرت زماناً قلیلاً. [۷۰۷] النشیج: صوت معه توجع وبکاء کما یردد الصبیّ بکاءه فی صدره. [۷۰۸] هدأت ـ

كمنعت ـ أى سكنت. وفورة الشيء: شدته، وفارالقدر أى جاشت. [۷۰۹] أى بنعم أعطاها العباد قبل أن يستحقوها. ويحتمل أن يكون المراد بالقديم الإيجاد والفعل من غير ملاحظة معنى الابتداء فيكون تأسيساً. [۷۱۰] السبوغ: الكمال. والآلاء: النعماء، جمع ألى، بالفتح والقصر وقد يكسر الهمزة. وأسدى وأولى وأعطى بمعنى واحد. [۷۱۱] والاها، أى تابعها بإعطاء نعمة بعد اخرى بلافصل. [۷۱۲] جمّ الشيء أى كثر. والجم: الكثير، والتعدية بعن لتضمين معنى التعدى والتجاوز. [۷۱۳] الأمد بالتحريك: الغاية «و» المنتهى، أى بعد عن الجزاء بالشكر غايتها. فالمراد بالأمد إمّا الأمد المفروض إذلا أمد لها على الحقيقة، أو الأمد الحقيقى لكل حد من حدودها المفروضة، يحتمل أن يكون المراد بأمدها ابتداؤها، وقد مر فى كثير من الخطب بهذا المعنى. وقال فى النهاية: «فى حديث الحجّاج قال للحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر. أراد أنه ولد لسنتين من خلافته. وللإنسان أمدان: مولده وموته» انتهى. وإذا حمل عليه يكون أبلغ. ويحتمل على بعد أن يقرأ بكسر الميم، قال الفيروز آبادى: «الآمد: المملوّ من خير وشرّ، والسفينة المشحونة». [۷۱۴] التفاوت: البعد. والأبد: الدهر، والدايم، والقديم الازلىّ. وبعده عن الإدراك لعدم الانتهاء. [۷۱۵] يقال: ندبه لإمر وإليه فانتدب، أى دعاه فأجاب. واللام فى قولها «لا تصالها» لتعليل الندب، أى رغّبهم فى استزاده النعمة بسبب الشكر لتكون نعمة متصلة لهم غير منقطعة عنهم. وجعل اللام الاولى للتعليل والثانية للصلة بعيد. وفى بعض النسخ: «لإفضالها» فيحتمل تعلقه بالشكر. [۷۱۶] أى طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، يقال: أجزلت له من العطاء، أى أكثرت، وأجزاك النعم، كأنه طلب الحمد، أو طلب منهم الحمد حقيقة لإجزال النعم. وعلى التقديرين التعدية بإلى لتضمين معنى الانتهاء أو التوجه؛ وهذه التعدية فى الحمد شايع بوجه آخر، يقال: أحمد إليك الله، قيل، أى أحمده معك، وقيل: أى أحمد إليك نعمة الله بتحديثك إياها. ويحتمل أن يكون «استحمد» بمعنى تحمّد، يقال: فلان يتحمّد علىّ، أى يمتن، فيكون إلى بمعنى على، وفيه بعد. [۷۱۷] أى بعد أن أكمل لهم النعم الدينوية ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الاخروية أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيوية. ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى أمثالها أمر العباد بالإحسان والمعروف وهو إنعام على المحسن إليه، وعلى المحسن أيضاً، لأنه به يصير مستوجباً للأعواض والمثوبات الدنيوية والاخروية. [۷۱۸] المراد بالاخلاص جعل الأعمال كلها خالصة لله تعالى، وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى فى شيء من الامور؛ فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأن من أيقن بأنه الخالق والمدبر وبأنه لا شريك له فى الالهية فحق له أن لا يشرك فى العبادة غيره، ولا يتوجه فى شيء من الامور إلى غيره. [۷۱۹] هذه الفقرة تحتمل وجوهاً. الأول: أن الله تعالى الزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركيبه تعالى وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشباه ذلك مما يؤول إلى التوحيد. الثانى: أن يكون المعنى: جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكملة مدرجاً فى القلوب بما أراهم من الآيات فى الآفاق وفى أنفسه، أو بما فطرهم عليه من التوحيد. الثالث: أن يكون المعنى لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقايق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنما كلف عامة القلوب بالإذعان بظاهر معناها وصريح مغزاها، وهو المراد بالوصول. الرابع: أن يكو الضمير فى «موصولها» راجعاً إلى القلوب، أى لم يلزم القلوب إلاّ ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة والدقايق المستنبطة منها، أو مطلقاً؛ ولولا التفكيك لكان أحسن الوجوه بعد الوجه الأوّل، بل مطلقاً. [۷۲۰] أى أوضح فى الاذهان ما يتعقل من تلك الكلمة بالتفكر فى الدلايل والبراهين. ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب. والفكر بصيغة الجمع، أى أوضح بالتفكر ما يعقلها العقول. هذا يؤيّد الوجه الرابع من وجوه الفقرة السابقة. [۷۲۱] يمكن أن يقرأ «الأبصار» بصيغة الجمع، والمصدر، والمراد بالرؤية العلم الكامل والظهور التامّ. [۷۲۲] الظاهر أنّ الصفة هنا مصدر، ويحتمل المعنى المشهور بتقدير، أى بيان صفته. [۷۲۳] «لا من شيء» أى مادة. [۷۲۴] احتذى مثاله: اقتدى به. «وامتثلها» أى تبعها ولم يتعدّ عنها، أى لم يخلقها على وفق صنع غيره. [۷۲۵] لأن ذوى العقل ينتبهون بمشاهدة مصنوعاته بأن شكر خالقها والمنعم بها واجب وأنّ خالقها مستحق للعبادة، أو بأنّ من قدر عليها بقدر على الإعادة والانتقام. [۷۲۶] أى خلق البرّية ليتعبدّهم، أو خلق الأشياء ليتعبد البرايا بمعرفته والاستدلال بها عليه. [۷۲۷] أى خلق الأشياء ليغلب ويظهر دعوة الأنبياء إليه بالاستدلال بها. [۷۲۸] الذود والذياد، بالذال المعجمة: السوق والطرد والدفع والإبعاد. [۷۲۹] حشت الصيد أحوشه: إذا جئته من حوإليه لتصرفه على الحبالة، ولعل

التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عما يوجب دخول الجنة. [۷۳۰] الجبل: الخلق، يقال: جبلهم الله أى خلقهم، وجبله على الشيء أى طبعه عليه، وعلى المعنى أنّه تعالى سماه لأنبيائه قبل أن يخلقه -؛ ولعل زيادة البناء للمبالغة تنبيها على أنه خلق عظيم. وفى بعض النسخ بالحاء المهملة، يقال: احتبل الصيد، أى أخذه بالحبالة، فيكون المراد به الخلق أو البعث مجازاً، وفى بعضها «قبل أن اجتباه» أى اصطفاه بالبعثة، وكلّ منها لا تخلو من تكلف. - قال السيوطى فى «الاتقان» ج ۲: ص ۱۴۱ اخرج ابن أبى حاتم عن عمرو بن مرة قال: خمسة سموا قبل أن يكونوا: محمد: ومبشراً برسول يأتى من بعدى آسمه أحمد... [۷۳۱] لعل المراد بالستر ستر العدم، أو حجب الأصلاب والأرحام. ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء فى تلك الاحوال من موانع الوجود وعوائقه ويحتمل ان يكون المراد انها كانت مصونة عن الأهاويل بستر العدم إذ هى إنّما تلحقها بعد الوجود. وقيل: التعبير بالأهاويل من قبيل التعبير عن درجات العدم بالظلمات. [۷۳۲] على صيغة الجمع أى عواقبها، وفى بعض النسخ بصيغة المفرد. [۷۳۳] أى لمعرفته تعالى بم يصلح وينبغى من أزمنة الامور الممكنة، المقدورة وأمكنتها ويحتمل أن يكون المراد بالمقدور المقدر، بل هو أظهر. [۷۳۴] أى للحكمة التى خلق الأشياء لأجلها. [۷۳۵] الإضافة فى «مقادير حتمه» من قبيل اضافة الموصوف إلى الصفة، أى مقاديره المحتومة. [۷۳۶] تفصيل وبيان للفرق بذكر بعضها، يقال: عكف على الشيء ـ كضرب ونصر ـ أى أقبل عليه مواظباً ولازمه فهو عاكف، ويجمع على عكّف بضم العين وفتح الكاف المشددة كما هو الغالب فى فاعل الصفة نحو شهّد وغيّب. والنيران جمع نار وهو قياس مطرد فى جمع الأجوف نحو تيجان وجيران. [۷۳۷] لكون معرفته تعالى فطرية، أو لقيام الدلائل الواضحة الدالة على وجوده سبحانه. [۷۳۸] الضمير فى «ظلمها» راجع إلى الامم، والضميران التاليان له يمكن ارجاعهما اليها وإلى القلوب والابصار. والظلم بضم الظاء وفتح اللام: جمع ظلمة، استعيرت هنا للجهالة. [۷۳۹] البهم: جمع بهمة بالضم، وهى مشكلات الامور. [۷۴۰] جلوت الأمر: أوضحته وكشفته، والغمم: جمع غمة. يقال: أمر غمّة، أى مبهم ملتبس، قال الله تعالى: «ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة» قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق، وتقول غممت الشيء إذا غطيته وسترته. [۷۴۱] العماية: الغواية واللجاج، ذكره الفيروز آبادى. [۷۴۲] واختيار، أى من الله له ماهو خير له، أو باختيار منه صلى الله عليه وآله ورضاً، وكذا الايثار، والأول أظهر فيهما. [۷۴۳] لعلّ الظرف متعلق بالايثار بتضمين معنى الضنة أو نحوها، وفى بعض النسخ: «محمد» بدون الباء بتكون الجملة استينافيه، أو مؤكدة للفقرة السابقة أو حالية بتقدير الواو. وفى بعض كتب المناقب القديمة «فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم» وهو أظهر. وفى رواية كشف الغمّة: «رغبة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن تعب هذه الدار» وفى رواية أحمد بن أبى طاهر: «بأبى عزّت هذ الدار» ولعّل المراد دار القرار، ولو كان المراد الدنيا تكون الجملة معترضة. وعلى التقادير لايخلو من تكلف. [۷۴۴] قال الفيروز آبادى: «النصب بالفتح: العلم المنصوب، ويحرك. وهذا نصب عينى، بالضم والفتح» انتهى. أى نصبكم الله لأوامره ونواهيه وهو خير الضمير. و «عباد الله» منصوب على النداء. [۷۴۵] أى تؤدون الأحكام إلى ساير الناس لأنكم أدركتم صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. [۷۴۶] أى زعمتم أن ما ذكر ثابت لكم، وتلك الأسماء صادقة عليكم بالاستحقاق. ويمكن أن يقرأ على الماضى المجهول. وفى إيراد لفظ الزعم إشعار بأنهم ليسوا متصفين بها حقيقة وإنما يدّعو ذلك كذبا. ويمكن أن يكون «حق لكم» جملة اخرى مستانفة، أى زعمتم أنكم كذلك وكان يحق لكم وينبغى أن تكونوا كذلك لكن قصرتم. وفى بعض النسخ: «وزعمتم حق له فيكم وعهد» وفى كتاب المناقب القديم: «زعمتم أن لا حق لى فيكم، عهداً قدمه إليكم» فيكون «عهداً» منصوباً باذكروا ونحوه - وفى الكشف: «إلى الامم حولكم، لله فيكم عهد». - وفى الإحتجاج المطبوع: «زعيم حقّ له فيكم وعهد...» فلا يحتاج إلى التكلف. [۷۴۷] العهد: الوصية. وبقية الرجل: ما يخلفه فى أهله. والمراد بهما القران، أو بالاوّل ما أوصاهم به فى أهل بيته وعترته، وبالثانى القرآن، وفى رواية أحمد بن أبى طاهر: «وبقيّة استخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله» فالمراد بالبقية أهل البيت عليهم السلام، وبالعهد ما أوصاهم به فيهم. [۷۴۸] البصائر: جمع بصيرة وهى الحجّة. [۷۴۹] المراد بانكشاف السرائر وضوحها عند حملة القرآن وأهله. [۷۵۰] الغبطة أن يتمنى المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زولها منه، تقول: غبطته فاغتبط. والباء للسببية أى أشياعه مغبوطون بسبب اتباعه. وتلك الفقرة غير موجودة فى ساير الروايات. [۷۵۱] على بناء الافعال، أى تلاوته. وفى بعض نسخ الاحتجاج

وسایر الروایات: «استماعه». [۷۵۲] المراد بالعزائم: الفرائض، وبالفضائل: السنن، وبالرخص: المباحات بل ما یشمل المکروهات، وبالشرایع ما سوی ذلک من الاحکام کالحدود والدیات والأعم، وأما الحجج والبینات والبراهین فالظاهر أن بعضها مؤکدة لبعض، ویمکن تخصیص کل منها ببعض ما یتعلق باصول الدین لبعض المناسبات. وفی روایة أبی طاهر: «وبیناته الجالیة وجمله الکافیة» فالمراد بالبینات: المحکمات وبالجمل: المتشابهات، ووصفها بالکافیة لدفع توهم نقص فیها لاجمالها فإنها کافیة فیما ارید منها، ویکفی معرفة الراسخین فی العلم بالمقصود منها فإنهم المفسرون لغیرهم. ویحتمل أن یکون المراد بالجمل العمومات التی یستنبط منها الأحکام الکثیرة. [۷۵۳] أی من دنس الذنوب، أو من رذیلة البخل، إشارة إلی قوله تعالی: (تطهرهم وتزکیهم بها). [۷۵۴] إیماء إلی قوله تعالی (وما آتیتم من زکوة تریدون وجه الله فاولئک هم المضعفون)، علی بعض التفاسیر. [۷۵۵] أی لتشید الإخلاص وإیقائه أو لا- ثباته وبیانه. ویؤید الأخیر أن فی بعض الروایات: «تبیینا». وتخصیص الصوم بذلک لکونه أمراً عدمیاً لا یظهر لغیره تعالی، فهو أبعد من الریاء وأقرب الی الاخلاص. وهذا أحد الوجوه فی تفسیر الحدیث المشهور: «الصوم لی وأنا أجزی به» وقد شرحناه فی حواشی الکافی وسیاتی فی کتاب الصوم إن شاء الله تعالی. [۷۵۶] إنما خص التشید به لظهوره ووضوحه وتحمل المشاق فیه وبذل النفس والمال له؛ فالاتیان به أدل دلیل علی ثبوت الدین؛ أو یوجب استقرار الدین فی النفس لتلک العلل وغیرها مما لا- نعرفه. ویحتمل أن یکون إشارة إلی ما ورد فی الأخبار الکثیرة من أن علة الحج التشرف بخدمة الإمام وعرض النصرة علیه وتعلم شریع الدین منه، فالتشیید لا یحتاج إلی تکلف. وفی العلل وروایة ابن أبی طاهر: «تسلیةً للدین» فلعل المعنی تسلیة للنفس بتحمل المشاق وبذل الأموال بسبب التقید بالدین؛ أو المراد بالتسلیة الکشف والأیضاح فإنها کشف الهم؛ أو المراد بالدین أهل الدین. أو اسند إلیه مجازاً. والظاهر أنه تصحیف «تسنیة» وکذا فی بعض نسخ العلل، أی یصبیر سبباً لرفعة الدین وعلوّه. [۷۵۷] التنسیق: التنظیم. وفی العلل: «مسکاً للقلوب» أی ما یمسکها. وفی القاموس: «المسکة بالضم: ما یتمسک به وما یمسک الأبدان من الغذاء والشراب، والجمع کصرد. والمسک محرکة: الموضع یمسک الماء». وفی روایة ابن أبی طاهر والکشف: «تنّسکا للقلوب» أی عبادةً لها، لأن العدل أمر نفسانی تظهر آثاره علی الجوارح. [۷۵۸] إذ به یتم فعل الطاعات وترک السیئات. [۷۵۹] أی سخطهما أو سخط الله تعالی، والأول أظهر. [۷۶۰] المنماة: اسم مکان أو مصدر میمی أی بصیر سبباً لکثرة عدد الأولاد والعشایر، کما أن قطعها یذر الدیار بلاقع من أهلها. [۷۶۱] فی سایر الروایات: «للبخسة»، أی لئلا ینقص مال من ینقص المکیال والمیزان إذ التوفیة موجبة للبرکة وکثرة المال؛ أو لئلا ینقصوا أموال الناس، فیکون المقصود أن هذا أمر یحکم العقل بقبحه. [۷۶۲] إی النجس أو ما یجب التنزه عنه عقلاً- والأوّل أوضح فی التعلیل، فیمکن الاستدلال علی نجاستها. [۷۶۳] أی لعنة الله، أو لعنة المقذوف، أو القاذف، فیرجع إلی الوجه الأخیر فی السابقة، والأول أظهر، إشارة إلی قوله تعالی: (لعنوا فی الدنیا والآخرة). [۷۶۴] أی لاولة عن التصرف فی أموال الناس مطلقاً، أو یرجع الی ما مر، وکذا الفقرة التالیة. وفی الکشف بعد قوله «للعفة»: «والتنزه عن أموال الأیتام، والإستیثار بفیئهم إجارة من الظلم، والعدل فی الاحکام إیناساً للرعیة، والتبری من الشرک إخلاصاً للربوبیة». [۷۶۵] أی أوّلاً وآخراً، وفی روایة أبن أبی الحدید وغیره «أقول عوداً علی بدء». والمعنی واحد. [۷۶۶] الشطط بالتحریک: البعد عن الحقّ ومجاوزة الحدّ فی کل شیء. وفی الکشف: «ما أقول ذلک سرفاً ولا شططاً». [۷۶۷] أی لم یصبه شیء من ولادة الجاهلیة، بل عن نکاح طیب، کما روی عن الصادق علیه السلام. وقیل: أی من جنسکم من البشر، ثمّ من العرب، ثمّ من بنی إسماعیل. [۷۶۸] أی علی إیمانکم وصلاح شانکم. [۷۶۹] التوبة: آیة ۱۲۸. [۷۷۰] أی رحیم بالمؤمنین منکم ومن غیرکم، والرأفة: شدة الرحمة، والتقدیم لرعایة الفواصل. وقیل: رؤوف بمن رآه، رحیم بمن لم یره. فالتقدیم للاهتمام بالمتعلق. [۷۷۱] یقال: «عزوته إلی أبیه» أی نسبته إلیه، أی لن ذکرتم نسبه وعرفتموه تجدوه أبی وأخا بن عمّی، فالاخوة ذکرت استطراداً، ویمکن ان یکون الانتساب أعمّ من النسب ومما طرأ أخیراً، ویمکن ان یقرأ «وآخا» بصیغة الماضی، وفی بعض الروایات: «فإن تعزّروه وتوقروه». [۷۷۲] الصدع: الإظهار تقول: صدعت الشیء، أی أظهرته، وصدعت بالحقّ إذا تکلمت به جهاراً، قال الله تعالی: «فاصدع بما مؤثر». والنذارة بالکسر: الإنذار وهو الإعلام علی وجه التخویف. [۷۷۳] المدرجة: المذهب والمسلک. وفی الکشف: «ناکباً عن سنن مدرجة

المشركين» وفى رواية ابن أبى طاهر «مائلاً على مدرجة» أى قائماً للرد عليهم، وهو تصحيف. [۷۷۴] الثبج بالتحريك: وسط الشىء ومعظمه، والكظم بالتحريك: مخرج النفس من الحلق، أى كان صلى الله عليه وآله لا يبالى بكثرة المشركين واجتماعهم ولا يداريهم فى الدعوة. [۷۷۵] كما أمره سبحانه: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن». وقيل: المراد بالحكمة: البراهين القاطعة، وهى للخواص وبالموعظة الحسنة: الخطابات المقنعة والعبر النافعة، وهى للعوام، وبالمجادلة التى هى أحسن: إلزام المعاندين والجاحدين بالمقدمات المشهورة والمسلمة، وأمّا المغالطات والشعريات فلا يناسب درجة أصحاب النبوات. [۷۷۶] النكت: إلقاء الرجل على رأسه، ويقال: طعنه فنكته. والهام جمع الهامة، بالتخفيف فيهما، وهى الرأس والمراد قتل رؤساء المشركين، وقمعم وإذلا لهم، أو المشركين مطلقاً وقيل: أريد به إلقاء الأصنام على رؤوسها، ولا يخفى بعده لا سيما بالنظر إلى ما بعده. وفى بعض النسخ: «ينكس الهام» وفى الكشف وغيره: «يجذّ الاصنام» ومن قولهم: جذذت الشىء: كسرته. ومنه قوله تعالى: «فجعلهم جذاذا». [۷۷۷] الواو مكان حتى كما فى رواية ابن أبى طاهر أظهر: و «تفرّى الليل» أى انشق حتى ظهر ضوء الصباح. [۷۷۸] يقال: «أسفر الصبح» أى أضاء. [۷۷۹] زعيم القوم: سيّدهم والمتكلم عنهم. والزعيم أيضاً الكفيل. والإضافة لاميّة، ويحتمل البيانية. [۷۸۰] خرس بكسر الراء. والشقاشق جمع شقشقة بالكسر، وهى شىء كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج. وإذا قالوا للخطيب: ذو شقشقة فإنما يشبّه بالفحل. وإسناد الخرس إلى الشقاشق مجازىً. [۷۸۱] يقال: طاح فلان يطوح، إذا هلك أو أشرف على الهلاك وتاه فى الارض وسقط. والوشيظ المعجمتين: الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: إياكم والوشايظ. وقال الجوهرى: «الوشيظ: لفيف من الناس «ليس» أصلهم واحد «أ» أو بنو فلان وشيظة فى قومهم أى هم حشو فيهم. والوسيط بالمهملتين: أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً: وكذا فى بعض النسخ وهو أيضاً مناسب. [۷۸۲] يقال: فاه فلان بالكلام ـ كقال ـ أى لفظ به، كتفوّه. وكلمة الإخلاص كلمة التوحيد. وفيه تعريض بأنه لم يكن إمانهم عن قلوبهم. [۷۸۳] البيض: جمع أبيض وهو من الناس خلاف الاسود. والخماص بالكسر: جمع خميص؛ والخماصة تطلق على دقة البطن خلقة وعلى خلوّه من الطعام، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس، أى عفيف عنها. وفى الحديث: «كالطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً». والمراد البيض الخماص إما أهل البيت عليهم السلام ويؤيده ما فى كشف الغمة: «فى نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، ووصفهم بالبيض لبياض وجودهم، أو هو من قبيل وصف الرجل بالاغر؛ وبالخماص لكونهم ضامرى البطون بالصوم وقلّة الاكل ولعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل. أو المراد بهم من آمن من العجم لسلمان ـ رضى الله عنه ـ وغيره، وياقل لأهل فارس: بيض، لغلبة البياض على الوانهم وأموالهم، إذا الغالب فى أموالهم الفضة، كما يقال لأهل الشام: حمر، لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب فى أموالهم؛ والأول أظهر. ويمكن اعتبار نوع تخصيص فى المخاطبين فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين فى الإيمان، وبالبيض الخماص الكمل منهم. [۷۸۴] شفا كل شىء: طرفه وشفيره، أى كنتم على شفير جهنم مشرفين على دخولها لشرككم وكفركم. [۷۸۵] مذقة الشارب: شربته. والنهزة بالضم: الفرصة، أى محل نهزته. أى كنتم قليلين أذلاء يتخطفكم الناس بسهولة. [۷۸۶] القبسة بالضم، شعلة من نار يقتبس من معظمها. والإضافة إلى العجلان لبيان القلة والحقارة. [۷۸۷] وطى الاقدام مثل مشهور فى المغلوبية والمذلة. [۷۸۸] الطرق بالفتح: ماء السماء الذى تبول فيه الإبل وتعبر. [۷۸۹] الورق بالتحريك: ورق الشجر. وفى بعض النسخ: «تقتاتون القد» وهو بكسر القاف وتشديد الدال: سير يقد من جلد غير مدبوغ. والمقصود وصفهم بخباثة المشرب وجشوبة المأكل لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم فى دينهم، ولفقرهم وقلة ذات يدهم، وخوفهم من الاعادى. [۷۹۰] الخاسىء: المبعد المطرود. [۷۹۱] التخطف: استلاب الشىء وأخذه بسرعة؛ اقتبس من قوله تعالى: «واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فآويكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون». وفى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام إن الخطاب فى تلك الآية لقريش خاصة، والمراد بالناس ساير العرب أو الاعم. [۷۹۲] اللتيا بفتح اللام وتشديد الياء: تصغير التى، وجوز بعضه فيه ضم اللام، وهما كنايتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة. [۷۹۳] يقال: منى بكذا ـ على صيغة المجهول ـ أى ابتلى. وبهم الرجال ـ كصرد ـ: الشجعان منهم، لأنهم لشدة بأسهم لا يدرى من أين يؤتون. وذؤبان العرب:

لصوصهم وصعاليكهم الذين لامال لهم ولا اعتماد عليهم. والمردة: العتاة المتكبرون المجاوزون للحد. [۷۹۴] نجم الشيء ـ كنصر ـ نجوماً: ظهر وطلع. والمراد بالقرن: القوّة. وفسر قرن الشيطان بامته ومتابعيه. [۷۹۵] فغر فاه، أى فتحه، يتعدى ولا يتعدى. والفاغرة من المشركين: الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحية أو السبع. ويمكن تقدير الموصوف مذكراً على أن يكون التاء للمبالغة. [۷۹۶] القذف: الرمى، ويستعمل فى الحجارة، كما أن الحذف يستعمل فى الحصا؛ يقال: هم بين حاذف وقاذف. واللهوات بالتحريك: جمع لهاة وهى اللحمة فى أقصى سقف الفم.وفى بعض الروايات: «فى مهواتها» بالميم وهى بالتسكين: الحفرة وما بين الجبلين ونحو ذلك. وعلى أى حالٍ المراد أنه صلى الله عليه وآله كلما أراده طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة بعث علياً عليه السلام لدفعها وعرضه للمهالك. وفى رواية الكشف وابن أبى طاهر: «كلما حشوا ناراً للحرب ونجم قرن للضلال». قال الجوهرى: «حششت النار: أوقدتها». [۷۹۷] انكفأ، بالهمزة: أى رجع؛ من قولهم: كفأت القوم كفأ: إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره فانكفؤا، أى رجعوا. [۷۹۸] الصماخ، بالكسر، ثقب الاذن، والاذن نفسها، وبالسين كما فى بعض الروايات لغة فيه. والاخمص: مالا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشى. ووطى الصماخ بالاخمص عبارة عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا اخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شايعة. [۷۹۹] المكدود: من بلغه التعب والأذى. وذات الله: أمره ودينه وكلّ ما يتعلق به سبحانه. وفى الكشف: «مكدوداً دؤوباً فى ذات الله». [۸۰۰] بالجر صفة الرسول، أو بالنصب عطفاً على الأحوال السابقة، ويؤيد الأخير ما فى رواية ابن أبى طاهر «سيداً فى أولياء». [۸۰۱] التشمير فى الأمر: الجدّ والإهتمام فيه. [۸۰۲] الكدح: العمل والسعى. [۸۰۳] قال الجوهرى: «الدعة: الخفض، تقول منه: ودع الرجل فهو وديع أى ساكن، ووادع أيضاً، يقال: نال فلان المكارم وادعاً من غير كلفة». وقال: «الفكاهة بالضمّ: المزاح، وبالفتح مصدر فكه الرجل ـ بالكسر ـ فهو فكه: إذا كان طيب النفس مزاجاً والفكه أيضاً: الاشر والبطر» وقرىء «ونعمة كانوا فيه فاكهين» أى أشرين، وفاكهين أى ناعمين. والمفاكهة: الممازحة. وفى رواية ابن أبى طاهر: «وأنتم فى بلهنية وادعون آمنون» قال الجوهرى: «هو فى بلهنيةٍ من العيش أى سعة ورفاهية، وهو ملحق بالخماسى بألف فى آخره، وإنّما صارت ياء لكسرة ماقبلها» وفى الكشف: «وأنتم فى رفهنية» وهى مثلها لفظاً ومعنى. [۸۰۴] صروف الزمان وحوادث الأيام والعواقب المذمومة، وأكثر ما تستعمل الدائرة فى تحول النعمة إلى الشدة. أى كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا، وزوال النعمة عنا. [۸۰۵] التوكّف: التوقع. والمراد إخبار المصائب والفتن. وفى بعض النسخ: «تتواكفون الإخيار»، يقال: واكفه فى الحرب أى واجهه. [۸۰۶] النكوص: الإحجام والرجوع عن الشئ. والنزال بالكسر: أن ينزل القرنان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا. والمقصود من تلك الفقرات أنّهم لم يزالوا منافقين لم يؤمنوا قطّ. [۸۰۷] الحسيكة: العداوة. قال الجوهرى: «الحسك: حسك السعدان، الواحدة: حسكة وقولهم: فى صدره علىّ حسيكة وحساكة أى ضغن وعداوة». وفى بعض الروايات «حسكة النفاق» فهو على الاستعارة. [۸۰۸] سمل الثوب ـ كنصر ـ صار خلقاً. والجلباب بالكسر: الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو إزار ورداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطّى به المرة رأسها وظهرها وصدرها. [۸۰۹] الكظوم: السكوت. [۸۱۰] نبغ الشى ـ كمنع ونصر ـ أى ظهر، ونبغ الرجل: اذا لم يكن فى ارث الشعر ثم قال وأجاد. والخامل: من خفى ذكره وصوته وكان ساقطاً لانباهة له. والمراد بالأقلين: الأذلون. وفى بعض الروايات: «الأوّلين» وفى الكشف: «فنطق كاظم، ونبغ خامل». [۸۱۱] الهدير: ترديد البعير صوته فى حنجرته. والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله. [۸۱۲] يقال: خطر البعير بذنبه يخطر ـ بالكسر ـ خطراً و خطراناً: إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخديه، ومنه قول الحجاج لما نصب المنجنيق على الكعبة: «خطّارة كالجمل الفنيق»، شبه رميها بخطران الفنيق. [۸۱۳] مغرز الرأس، بالكسر: ما يختفى فيه. وقيل: لعل فى الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ، فإنه انما يطلع رأسه عند زوال الخوف؛ أو بالمرجل الحريص المقدم على أمر، فانه يمد عنقه إليه. والهتاف: الصياح. «وأللفاكم» أى وجدكم. [۸۱۴] الغرة، بالكسر: الاغترار والانخداع. والضمير المجرور راجع إلى الشيطان. وملاحظة الشيء: مراعاته؛ وأصله من اللحظ وهو النظر بمؤخر العين، وهو اينما يكون عند تعلق القلب بشيء، أى وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للإنخداع كالذى كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله. ويحتمل أن يكون «للعزة» بتقدم المهملة على المعجمة. وفى الكشف: «واللعزة ملاحظين» أى وجدكم طالبين للعزة. [۸۱۵] النهوض:

القيام، واستنهضه لأمر أى امره بالقيام إليه. [۸۱۶] أى مسرعين إليه. [۸۱۷] أحمشت الرجل: أغضبته، وأحمشت النار: ألهبتها. أى حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند انفسكن. وفى المناقب القديم: «عطافاً بالعين المهملة والفاء، من العطف بمعنى اليل والشفقة، ولعلة أظهر لفظاً ومعنى. [۸۱۸] الوسم: أثر الكى، يقال: وسمته ـ كوعدته ـ وسماً. [۸۱۹] الورود: حضور الماء للشرب، والايراد: الاحضار. والاحضار. والشرب بالكسر: الحظّ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة. وفى الكشف: «وأوردتموها شرباً ليس لكم». [۸۲۰] الجرح بالضم، الاسم، وبالفتح المصدر. و «لما يندمل» أى لم يصلح بعد. [۸۲۱] قبرته: دفنته. [۸۲۲] «ابتداراً» مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل. وفى بعض الروايات: «بداراً زعمتم خوف الفتنة» أى ادعيتم وأظهرتم لناس كذباً وخديعة أنا اجتمعنا فى السقيفة دفعاً لفتنة، مع أن الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها وهو علين الفتنة. والالتفات فى «سقطوا» لموافقة الآية الكريمة. [۸۲۳] التوبة: ۴۹. [۸۲۴] «هيهات» للتبعيد، وفيه معنى التعجب كما صرح به الشيخ الرضى، وكذلك «كيف» و «أنى» تستعملان فى التعجب. وأفكه ـ كضربه ـ: صرفه عن الشى وقلبه، أى إلى أين يصرفكم الشيطان وأنفسكم والحال أن كتاب الله بينكم! وفلان بين أظهر قوم وبين ظهرانيهم أى مقيم بينهم محفوف من جانبيه أو من جوانبه بهم. [۸۲۵] الزاهر: المتلألئ المشرق. وفى الكشف: «بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيرة شرائعه. [۸۲۶] الكهف: ۵۰. [۸۲۷] «بدلاً» أى من الكتاب ما اختاروه من الحكم الباطل. [۸۲۸] آل عمران: ۸۵. [۸۲۹] ريث ـ بالفتح ـ بمعنى قدر، وهى كلمة يستعملها أهل الحجاز كثيراً، وقد يستعمل مع ما، يقال: لم يلبث إلا ريثما فعل كذا، وفى الكشف هكذا: «ثم لو تبرحوا ريثاً» وقال بعضهم: هذا ولم تريثوا حتها إلا ريث. وفى رواية ابن أبى طاهر: «ثم لم تريثوا اختها» وعلى التقديرين ضمير المؤنث راجع إلى فتنة وفاة الرسول صلى الله عليه وآله. وحتّ الورق من الغصن: نثرها، أى لم تصبروا إلى ذهاب أثر تلك المصيبة. ونفرة الدابة، بالفتح: ذهابها وعدم انقيادها. والسلس، بكسر اللام: السهل اللّين المنقاد، ذكره الفيروز آبادى، وفى مصباح اللغة: سلسل سلساً من باب تعب: سهل ولإن. والقياد بالكسر: ما يقاد به الدابة من خبل وغيره. [۸۳۰] فى الصحاح: «ورى الزّند يرى وريا: إذا خرجت ناره. وفى لغة اخرى: «ورى الزند يرى، بالكسر فيهما، وأوريته أنا وكذلك وريته توريةً. وفلان يستورى زناد الضلالة». ووقده النار بالفتح: وقودها، ووقدها: لهبها. [۸۳۱] الجمرة: المتوقد من الحطب، فاذا برد فهو فحم. والجمر بدون التاء جمعها. [۸۳۲] الهتاف، بالكسر: الصياح، وهتف به أى دعاه. [۸۳۳] إهماد النار ك: إطفاؤها بالكلية. والحاصل أنكم انما صبرتم حتى استقرت الخلافة المغصوبة عليكم، ثم شرعتم فى تهييج الشرور والفتن واتباع الشيطان وإبداع البدع وتغيير السنن. [۸۳۴] الإسرار: ضد الإعلان. والحسو بفتح الحاء وسكون السين المهملتين: شرب المرق وغيره شيئاً بعد شى: والارتغاء: شرب الرغوة وهو زبد اللبن، قال الجواهرى: «الرغوة مثلثة: زبد البن. وارتغيت: شربت الرغوة. وفى المثل: «يسر حسواً فى ارتغاء» يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره. قال الشعبى لمن سأله عن رجل قبل أم امرأته [قال]: يسر حسواً فى ارتغاء، وقد حرمت عليه امرأته». وقال الميدانى: قال أبو زيد والأصمعى: أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها فيشربها وهو فى ذلك ينال من اللبن؛ يضرب لمن يريك أنه يعينك وإنما يجر النفع إلى نفسه. [۸۳۵] الخمر، بالتحريك ما واراك من شجر وغيره، يقال: نوارى الصيد عنى فى خمر الوادى؛ ومنه قولهم: دخل فلان فى خمار الناس ـ بالضم ـ أى ما يواريه ويستره منهم. والضراء الضاد المعجمة المفتوحة والراء المخففة: الشجر الملتفت فى الوادى؛ ويقال لمن ختل صاحبه وخاده: يدب له الضراء ويمشى له الخمر. وقال الميدانى: قال ابن الأعرابى: الضراء ما انخفض من الأرض. [۸۳۶] الحزّ، بفتح الحاء المهملة: القطع أو قطع الشى من غير إبانة. والمدى بالضم: جمع مدية وهى السكّين والشفرة. [۸۳۷] الوخز: الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر. [۸۳۸] المائدة: ۵۰. وفيها «يبغون». [۸۳۹] أى الظاهرة البيّنة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية أى علانية. [۸۴۰] فى رواية ابن أبى طاهر: «وبها معشر المهاجرة ابتز إرث أبيه» قال الجوهرى: «إذا أغريته بالشى قلت: ويها يا فلان، وهو تحريض» انتهى. ولعل الانسب هنا التعجب. والهاء فى «أبيه» فى الموضعين «وإرثيه» ـ بكسر الهمزة بمعنى الميراث ـ للسكت، كما فى سورة الحاقة، «كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانية» تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل. وقرئ بإثباتها فى الوصل أيضاً. وفى الكشف:

«ثم أنتم أولاء تزعمون أن لا إرث ليه» فهو أيضاً كذلك. [۸۴۱] اقتباس من سورة مريم: ۲۷. [۸۴۲] أى أمراً عظيما بديعا، وقيل: أى أمراً منكراً قبيحاً. وهو مأخوذ من الافتراء بمعنى الكذب. واعلم أنه قد وردت الروايات المتظافرة ـ كما ستعرف ـ فى أنها عليها السلام ادّعت أن فدكاً كانت نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فلعل عدم تعرضها ـ صلوات الله عليها ـ فى هذه الخطبة لتلك الدعوى ليأسها عن قبولها إياها، إذ كانت الخطبة بعد ما ردّ أبو بكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ومن شهد معه، وقد كان المنافقون الحاضرون معتقدين لصدقه، فتمسكت بحديث الميراث لكونه من ضروريات الدين. [۸۴۳] النمل: ۱۶. [۸۴۴] مريم: ۶. [۸۴۵] الأنفال: ۷۵. [۸۴۶] النساء: ۱۱. [۸۴۷] البقرة: ۱۸۰. [۸۴۸] بكسر الحاء وضمّها وسكون الظاء المعجمة: المكانة والمنزلة، ياقل: حظيت المرأة عند زوجها: إذا دنت من قبله. [۸۴۹] فى الكشف: «فزعمتم أن لا ـ حظ لى ولا إرث لى من أبيه. أفحكم الله بآية أخرج أبى منها، أم تقولون أهل ملّتين لا ـ يتوارثان، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى؟ أفحكم الجاهليّة (الآية). إيها معاشر المسلمة أأبتزّ إرثيه؟ الله أن ترث أباك ولا ـ ارث أبيه؟ لقد جئتم شيئاً فرياً». [۸۵۰] الضمير راجع إلى فدك المدلول عليها بالمقام، والأمر بأخذها للتهديد، والخطام، بالكسر: كل ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به، والرحل ـ بالفتح ـ للناقة كالسرج للفرس، ورحل البعير ـ كمنع ـ شد على ظهره الرحل. شبهتها عليها السلام فى كونها مسلمة لايعارضه فى أخذها احد بالناقة المنادة المهياة للركوب. [۸۵۱] فى بعض الروايات: «والغريم» أى طالب الحق. [۸۵۲] كلمة «ما» مصدرية، أى فى القيامة يظهر خسرانكم. [۸۵۳] «ولكل نبأ مستقر» أى لكل خبر ـ يريد نبأ العذاب او الايعاد به ـ وقت استقرار ووقوع «وسوف تعلمون» عند وقوعه «من ياتيه عذاب يخزيه». [۸۵۴] الاقتباس من موضعين: احدهما سورة الانعام، والاخر فى سورة هود قصة نوح عليه السلام حيث قال: «ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم» فالعذاب الذى يخزيهم الغرق والعذاب المقيم عذاب النار. [۸۵۵] الطرف بالفتح: مصدر طرفت عين فلان: اذا نظرت، وهو ان ينظر ثم يغمض. والطرف أيضا: العين. [۸۵۶] المعشر: الجماعة، والفتية بالكسر: جمع فتى وهو الشاب والكريم السخى. وفى المناقب «يا معشر البقية، وأعضاد الملة وحصنة الاسلام» وفى الكشف: «يا معشر البقية، ويا عماد الملة وحصنة الاسلام». [۸۵۷] الأعضاد: جمع عضد بالفتح: يقال: عضدته كنصرته لفظار ومعنى. [۸۵۸] قال الجواهرى: «ليس فى فلان غميزة، أى مطعن»، ونحوه ذكر الفيروز آبادى وهو لا ـ يناسب المقام إلاّ ـ بتكلف، وقال الجواهرى: «رجل غمز، أى ضعيف». وقال الخليل فى كتاب العين: «الغميزة بفتح العين المعجمة والزاى: ضعفة فى العمل وجهلة فى العقل، ويقال: سمعت كلمة فاغتمزتها فى عقله، أى علمت انه احمق» وهذا المعنى انسب. وفى الكشف: «ما هذه الغميزة» بالفاء المفتوحة وسكون التاء، وهو السكون، وهو أيضا مناسب، وفى رواية ابن ابى طاهر بالراء المهملة، ولعله من قولهم: غمر على اخيه، أى حقد وضغن، او من قولهم،غمز عليه، أى اغمى عليه، أو من الغمر، بمعنى الستر، ولعله كان بالضاد المعجمة فصحف، فان استعمال اغماض العين فى مثل هذا المقام شايع. [۸۵۹] السنة بالكسر: مصدر وسن يوسن ـ كعلم يعلم ـ وسنا وسنة، والسنة: اول النوم او النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو. والظلامة بالضم كالمظلمة بالكسر: ما اخذه الظالم منك فتطلبه عنده. والغرض تهييج الانصار لنصرتها، او توبيخهم على عدمها. وفى الكشف بعد ذلك،: «ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحفظ». [۸۶۰] سرعان مثلثة السين: وعجلان بفتح العين كلاهما من أسماء الأفعال بمعنى سرع وعجل، وفيهما معنى العجب، أى ما اسرع واعجل. وفى رواية ابن ابى طاهر: «سرعان ما اجديتم فاكديتم» يقال: اجدب القوم أى أصابهم الجدب. واكدى الرجل: اذا قل خيره، والاهالة بكسر الهمزة: الودك وهو دسم اللحم. وقال الفيروز آبادى: «قولهم: سرعان اذا اهالة، اصله ان رجلا كانت له نعجة عجفاء وكانت رغامها يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذى يسيل؟ فقال السائل: سرعان ذا اهالة. ونصب «اهالة» على الحال: وذا اشارة إلى الرغام او تميز على تقدير نقل الفعل كقولهم: تصبب زيد عرقا، والتقدير: سرعان اهاله هذه، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشىء قبل وقته» انتهى. والرغام بالضم: ما يسيل من انف الشاة والخيل، ولعل المثل كان بلفظ عجلان، فاشتبه على الفيروز ابادى او غيره. او كان كل منهما مستعملا فى هذا المثل. وغرضها صلوات الله عليها التعجب من تعجيل الانصار ومبادرتهم إلى احداث البدع، وترك السنن والاحكام، والتخاذل

عن نصرة سيد الانام، مع قرب عهدهم به، وعدم نسيانهم ما اوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتها واخذ حقها ممن ظلمها ولا يبعد ان يكون المثل اخبارا مجملا بما يترتب على هذه البدعة من المفاسد الدنيوية وذهاب الاثار النبوية. [۸۶۱] الخطب، بالفتح: الشان والأمر عظم أو صغر. والوهى كالرمى: الشق والخرق يقال: وهى الثوب: اذا بلى وتخرق واستوسع. [۸۶۲] استنهر: استفعل من النهر ـ بالتحريك ـ بمعنى السعة، أى اتسع، والفتق: الشق، والرتق ضده. انفتق أى انشق. والضمایر المجرورات الثلاثة راجعة إلى الخطب بخلاف المجرورين بعدهما فانهما راجعان إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. [۸۶۳] كسف النجوم: ذهاب نورها، والفعل منه يكون متعديا ولازما، والفعل كضرب. وفى رواية ابن ابى طاهر مكان الفقرة الاخيرة: «واكتأبت خيرة الله المصيبة» والاكتئاب: افتعال من الكآبة بمعنى الحزن. وفى الكشف: «واستنهز فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض، وأكتأبت لخيرة الله ـ إلى قولها ـ واديلت الحرمة ـ» من الادالة بمعنى الغلبة. [۸۶۴] يقال: اكدى فلان أى بخل او قل خيره. [۸۶۵] حريم الرجل: ما يحميه ويقاتل عنه. [۸۶۶] الحرمة: ما لا يحل انتهاكه. وفى بعض النسخ: «الرحمة» مكان «الحرمة». [۸۶۷] النازلة: الشديدة. [۸۶۸] البائقة: الداهية. [۸۶۹] فناء الدار، ككساء: العرصة المتسعة امامها. والممسى والمصبح. بضم الميم فيها ـ مصدران وموضعان من الاصباح والامساء. [۸۷۰] الهتاف: بالكسر: الصياح، والصراخ، كغراب: الصوف او الشديد منه، والتلاوة، بالكسر: القراءة والالحان: الافهام يقال: ألحنه القول أى افهمه اياه، ويحتمل ان يكون من اللحن بمعنى الغناء والطرب، قال الجوهرى: «اللحن واحد الالحان واللحون، ومنه الحديث: اقرأوا القرآن بلحون العرب، وقد لحن قرائته اذا طرد به وغرد، وهو الحن الناس اذا كان احسنهم قراءة او غناء» انتهى. ويمكن ان يقرأ على هذا بصيغة الجمع ايضا، والأوّل اظهر. وفى الكشف: «فتلك نازلة اعلن بها كتاب الله فى قبلتكم ممساكم ومصبحكم هتافا هتافا». [۸۷۱] الحكم الفصل: هو المقطوع به الذى لا ريب فيه ولا مرد له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحق والباطل. [۸۷۲] والحتم فى الاصل: احكام الامر، والقضاء الحتم هو الذى لا يتطرق إليه التغيير. [۸۷۳] مضت. [۸۷۴] الانقلاب على العقب: الرجوع القهقرى، اريد به الارتداد بعد الإيمان. [۸۷۵] آل عمران: ۱۴۴. [۸۷۶] الشاكرون: المطيعون المعترفون بالنعم الحامدون عليها. قال بعض الامائل: واعلم ان الشبهة العارضة للمخاطبين، بموت النبى صلى الله عليه وآله وسلم اما عدم تحتم العمل بأوامره وحفظ حرمته فى أهله، فان العقول الضعيفة مجبولةعلى رعاية الحاضر اكثر من الغايب وانه اذا غاب عن ابصارهم ذهب كلامه عن اسماعهم ووصاياه عن قلوبهم، فدفعها اشارة إليه صلوات الله عليه واله ـ من اعلان الله جل ثناؤه واخباره بوقع تلك الواقعة الهايلة قبل وقوعها وان الموت مما قد نزل بالماضين من انبياء الله ورسله ـ تثبيتا واخباره بوقوع تلك الواقعة الهايلة قبل وقوعها وان الموت مما قد نزل بالماضين من انبياء الله ورسله ـ تثبيتا للامة على الإيمان، وازالة لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم. ويمكن ان يكون معنى الكلام. اتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد موته ليس لنا زاجر ولامانع عما، نريد ولانخاف احدا فى ترك الانقياد للاوامر وعدم الانزاجار عن النواهى. ويكون الجواب ما يستفاد من حكاية قوله سبحانه «افأن مات او قتل» الآية لكن لايكون حينئذ لحديث اعلان الله سبحانه واخباره، بموت الرسول مدخل فى الجواب إلاّ بتكلف. ويحتمل ان يكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبى صل الله عليه وآله وسلم كما افصح عنه عمر بن الخطاب، وسيأتى فى مطاعنه، فبعد تحقق موته عرض لهم شك فى الأيمان، ووهن فى الاعمال، فلذلك خذلوها وقعدوا عن نصرتها، وحينئذ مدخلية حديث الاعلان وما بعده فى الجواب واضح. وعلى التقادير لا يكون قولها ـ صلوات الله عليها ـ «فخطب جليل» داخلا فى الجواب ولا مقولا لقول المخاطبين على استفهام التوبيخى، بل هو كلا مستأنف لبث الحزن والشكوى، بل يكون الجواب ما بعد قولها «فتلك والله النازلة الكبرى» ويحتلم ان يكون مقولا لقوهم، فيكون حاصلا شبهتهم ان موته صلى الله عليه وآله والذى هو اعظم الدواهى قد وقع، فلا يبالى بما وقع بعده من لمحظورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها، والانتصاف ممن ظلمها. ولما تضمن ما زعموه كون مماته صلى الله عليه وآله أعظم المصائب سلمت عليها السلام اولا فى مقام تلك المقدمة لكونها محض الحق ثم نبهت على خطابهم فى انها مستلزمة لقلة المبالاة بما وقع والقعود عن نصرة الحق وعدم اتباع اوامره صلى الله عليه و آله بقولها اعلن بها كتاب الله إلى اخر الكلام، فيكون حاصل الجواب: ان الله قد اعلمكم بها قبل الوقوع واخبركم بانها سنة

ماضية فى السلف من انبيائه وحذركم الانقلاب على اعقابكم كيلا تتركوا العمل بلوازم الإيمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصرة الحق وقمع الباطل، وف تسليمها ما سلمته اولا دلالة على ان كونها اعظم المصائب مما يؤيد وجوب نصرتى، فانى انا المصاب بها حقيقة وان شاركنى فيها غيرى، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية احق واحرى. ويحتمل ان يكون قولها عليها السلام «فخطب جليل» من اجزاء الجواب، فتكو شبهتهم بعض الوجوه المذكورة او المركب من بعضها مع بعض، وحاصل الجواب حينئذ انه اذا نزل بى مثل تلك النازلة وقد كان الله عزوجل اخبركم بها وامركم ان لا ترتدوا بعدها على اعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضيم عنى والقيام بنصرتى. ولعل الانسب بهذا الوجه ما فى رواية ابن ابى طاهر من قولها «وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله» بالواو دون الفاء. ويحتمل ان لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على احد الوجوه المذكورة بل تكون الشبهة لبعضهم بعضا وللآخرى اخرى، ويكون كل مقدمة من مقدمات الجواب اشارة إلى دفع واحدة منها. أقول: ويحتمل ان لا تكون هناك شبهة حقيقية، بل يكون الغرض انه ليس لهم فى اتكاب تلك الامور الشنيعة حجة ومتمسك إلّا ان يتمسك احد بامثال تلك الامور الباطلة الواهية التى لا يخفى على احد بطلانها. وهذا شايع فى الاحتجاج. [۸۷۷] ايها ـ بفتح الهمزة والتنوين ـ بمعنى هيهات. وبنو قيلة: الاوس والخزرج قبيلتا الانصار. وقيلة بالفتح: اسم ام لهم قديمة وهى قيلة بنت كاهل. [۸۷۸] الهضم: الكسر يقال: هضمت الشيء أى كسرته، وهضمته: اذا ظلمه وكسر عليه حقه. والتراث، واصل التاء فيه الواو. [۸۷۹] أى بحيث اراكم واسمعكم (اسمع ظ) كلامكم. وفى رواية ابن ابى طاهر: «منه» أى من الرسول صلى الله عليه واله و سلم. [۸۸۰] والمبتدأ فى اكثر النسخ بالباء الموحدة مهموزاً، فلعل المعنى انكم فى مكان يبتدأ منه الامور والاحكام، والاظهر أنه تصحيف المنتدا بالنون غير مهموز بمعنى المجلس، وكذا فى المناقب القديم، فيكون «المجمع» كالتفسير له. والغرض الاحتجاج عليهم بالاجماع (بالاجماع ـ خ ل) الذى هو من اسباب القدرة على دفع الظلم. واللفظان غير موجودين فى رواية ابن ابى طاهر. [۸۸۱] «تلبسكم» على بناء المجرد أى تغطيكم وتحيط بكم. والدعوة: المرة من الدعاء أى النداء كالخبرة ـ بالفتح ـ من الخبر بالضم بمعنى العلم، او الخبرة بالكسر بمعناه. والمراد بالدعوة نداء المظلوم للنصرة، وبالخبرة علمهم بمظلوميتها صلوات الله عليها. والتعبير بالاحاطة والشمول للمبالغة او للتصريح بان ذلك قد عمهم جميعاً. وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض او الاكثر. وفى رواية ابن ابى طاهر: «الحيرة» بالحاء المهملة، ولعلة تصحيف، ولا يخفى توجيهه. [۸۸۲] الكفاح: استقبال العدو فى الحرب بلا ترس ولا جنة، ويقال: فلا يكافح الامور أى يباشرها بنفسه. [۸۸۳] النجبة، كهمزة: النجيب الكريم. وقيل: يحتمل ان يكون بفتح الخاء المعجمة او سكونها بمعنى المنتخب المختار، ويظهر من ابن الاثير انها بالسكون تكون جمعا. [۸۸۴] الخيرة، كعنية: المفضل من القوم المختار منهم. [۸۸۵] أى حاربتم الخصوم ودافعتموها بجد واهتمام كما يدافع الكبش قرنه بقرنه. واليهم: الشجعان كما مر ومكافحتها: التعرض لدفعها من غير توانٍ وضعف. [۸۸۶] فى المناقب: «لنا هل البيت قاتلتم وناطحتم الامم وكافحتم البهم». [۸۸۷] «أو تبرحون» معطوف على مدخول النفى، فالمنفى احد الأمرين، ولا ينتفى إلّا بانتفائهما معاً، فالمعنى لا نبرح ولا تبرحون. [۸۸۸] أى كما لم نزل آمرين، وكنتم مطيعين لنا فى اوامرنا، وفى كشف الغمة: «وتبرحون بالواو، فالعطف على مدهول النفى ايضا ويرجع إلى مامر. وعطفه على النفى اشعارا بأنه قد كان يقع منهم براح عن الاطاعة كما فى غزوة احد وغيرها بخلاف أهل البيت عليهم السلام اذا لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية، بعيد عن المقام. والاظهر ما فى رواية ابن ابى طاهر من ترك املعطوف رأسا: «لانبرح نأمركم» أى لم نزل عادتنا الأمر، وعادتكم الايتمار، وفى المناقب «لا نبرح ولا تبرحون نأمركم» فيحتمل ان يكون «أو» فى تلك النسخة ايضا بمعنى الواو، أى لانزال نأمركم ولا تزالون تأتمرون، ولعل ما فى المناقب اظهر النسخ واصوبها. [۸۸۹] دوران الرحى كناية عن انتظام امرها، والباء للسببية. [۸۹۰] در اللبن: جريانه وكثرته. والحلب بالفتح: استخراج ما فى الضرع من اللبن،وبالتحريك: اللبن المحلوب، والثانى اظهر للزوم ارتكاب تجوز فى الاستناد، او فى المسند إليه على الأوّل. [۸۹۱] والنعرة بالنون والراء المهملتين مثال همزة: الخيشوم والخيلاء والكبر او بفتح النون من قولهم نعر العرق بالدم أى فار. فيكون الخضوع بمعنى السكون، او بالغين المعجمة من نغرت القدر أى فارت. وقال الجوهرى «نغر الرجل ـ بالكسر ـ أى اغتاض. قال الاصمعى: هو الذى

يغلى جوفه من الغيظ. وقال ابن السكيت: يقال: ظل فلان يتنعر على فلان أى يتذمر عليه». وفى اكثر النسخ بالثاء المثلثة المضمومة والغين المعجمة وهى نقرة النحر بين الترقوتين. فخضوع ثغرة الشرك كناية عن محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظيره قول امير المؤمنين ـ صلوات الله عليه وسلامه عليه ـ: «انا وضعت كلكل العرب» أى صدورهم. [۸۹۲] الافك بالكسر: الكذب وفورة الافك: غليانه وهيجانه. [۸۹۳] خمدت النار: أى سكن لهبها ولم يطفأ جمرها. ويقال: همدت ـ بالهاء ـ اذا طفى جمرها. وفيه اشعار بنفاق بعضهم وبقاء مادة الكفر فى قلوبهم. وفى رواية ابن ابى طاهر: «وباخت نيران الحرب» قال الجوهرى: «باخ الحر والنار والغضب والحمى أى سكن وفتر». [۸۹۴] هدأت أى، سكنت، والهرج، الفتنة والاختلاط. وفى الحديث: الهرج القتل. [۸۹۵] استوسق أى اجتمع وانضم، من الوسق بالفتح وهو ضم الشىء إلى الشىء، واتساق الشىء: انتظامه. وفى الكشف: «فناويتم العرب، وبادهتم الامور (إلى قولها عليها السلام) حتى دارت لكم بنا رحى الاسلام، ودر حلب البلاد وخبت نيران الحرب» يقال: بدهه بأمر أى استقبله به، وبادهه: فاجاه. [۸۹۶] كلمة «انى» ظرف مكان بمعنى «أين» وقد يكون بمعنى «كيف» أى من اين حرتم وما كان منشأه؟ و «جرتم» اما بالجيم من الجور وهو الميل عن القصد والعدول عن الطريق، أى لماذا تركتم سبيل الحق بعد ما تبين لكم. او بالحاء لمهملة المضمومة من الحور بمعنى الرجوع او النقصان، يقال: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أى من النقصان بعد الزيادة، واما بكسرها من الحيرة. [۸۹۷] النكوص: الرجوع إلى الخلف. [۸۹۸] التوبة: ۱۳. [۸۹۹] نكث العهد، بالفتح: نقضه والإيمان جمع يمين وهو القسم. المشهور بين المفسرين ان الآية نزلت فى اليهود الذين نقضوا عهودهم، وخرجوا مع الاحزاب، وهموا باخراج الرسول من المدينة، وبدأوا بنقض العهد والقتال. وقيل: نزلت فى مشركى قريش وأهل مكة حيث نقضوا ايمانهم التى عقدوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم اعدائهم، فعاونوا بنى بكر على خزاعة، وقصدوا اخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكة حين تشاوروا بدار الندوة وأتاهم ابليس بصورة شيخ نجدى ـ إلى اخر مامر فى القصة ـ فهم بدأوا بالمعاداة والمقاتلة فى هذا الوقت، أو فى يوم بدر، او بنقض العهد، والمراد بالقوم الذين نكثوا ايمانهم فى كلامها ـ صلوات الله عليها ـ اما الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض بيان وجوب قتال الغاصبين للامامة ولحقها، الناكثين لما عهد اليهم الرسول صلى الله عليه وآله فى وصيه عليه السلام وذوى قرباه وفى أهل بيته كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم. او المراد بهم الغاصبون لحق هل البيت عليهم السلام، فالمراد بنكثهم ايمانهم نقض ما عهدوا إلى الرسول حين بايعوه من الانقياد له فى اوامره والانتهاء عند نواهيه وان لا يضمروا له العداوة، فنقضوه وناقضوا ما امرهم به، والمراد بقصدهم بقصدهم اخراج الرسول عزمهم على اخراج من كنفس الرسول وقائم مقامه بامر الله وامره عن مقام الخلافة، وعلى ابطال اوامر ووصاياه فى أهل بيته النازل منزلة اخراجه من مستقره وحينئذ يكون من قبيل الاقتباس، وفى بعض الروايات: «لقوم نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة اتخشو نهم». فقوله «لقوم» متعلق بقوله «تخشونهم». [۹۰۰] الرؤية هنا بمعنى العلم أو بالنظر بالعين، وأخلد إليه: ركن ومال. والخفض بالفتح: سعة العيش. [۹۰۱] المراد بمن هو احق بالبسط والقبض امير المؤمنين صلوات الله عليه، وصيغة التفضيل مثلها فى قوله تعالى: «قل اذلك خير ام جنة الخلد». [۹۰۲] خلوت الشىء: انفردت به واجتمعت معه فى خلوة. والدعة: الراحة والسكون. [۹۰۳] مج الشراب من فيه: رمى به. و «وعيتم» أى حفظتم. [۹۰۴] الدسع، كالمنع: الدفع والقىء واخراج البعير جرته إلى فيه. وساغ الشراب يسوغ سوغا: اذا سهل مدخله فى الحلق، وتسوغه: شربه بسهولة. [۹۰۵] صيغة «تكفروا» فى كلامها عليها السلام اما من الكفران وترك الشرك كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد حيث قال تعالى: «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لا زيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى بالمعنى الاخص. والتغيير فى المعنى لاينافى الاقتباس، مع ان فى الآية ايضا يحتمل هذا المعنى. والمراد ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا من الثقلين فلا يضر ذلك إلا انفسكم فانه سبحانه غنى عن شكركم وطاعتكم، مستحق للحمد فى ذاته، او محمود تحمده الملائكة بل جميع الموجودات بلسان الحال، وضرر الكفران عائد اليكم حيث حرمتم من فضله تعالى ومزيد انعامه واكرامه. والحاصل انكم انما تركتم الإمام بالحق، وخلعتم بيعته من رقابكم، ورضيتم ببيعة ابى بكر لعلمكم بأن امير المؤمنين عليه السلام لايتهاون ولا يداهن فى دين الله ولا تأخذه فى الله لومة لائم، ويأمركم بارتكاب الشدائد فى الجهاد وغيره،

وترک ما تشتهون من زخارف الدنيا، ويقسم الفيء بينكم بالسويۀ، ولايفضل الرؤساء والأمراء، وان ابابكر رجل سلس القياد، مداهن فی الدين لارضاء العباد، فلذا رفضتم الإيمان، وخرجتم عن طاعته سبحانه إلی طاعۀ الشيطان، ولا يعود وباله إلّا اليكم. وفی الكشف: «إلّا وقد أری ـ ان قد اخلدتم إلی الخفض وركنتم إلی الدعۀ فمججتم الذی أوعيتم، ولفظتم الذی سوغتم» وفی روايۀ ابن ابی طاهر: «فعجتم عن الدين». يقال: ركن إليه ـ بفتح الكاف ـ وقد يكسرت أی مال إليه وسكن. وقال الجوهری: «وعجت بالمكان اعوج أی أقمت به. وعجت غيری، يتعدی ولا يتعدی. وعجت البعير: عطفت رأسه بالزمام. والعايج: الواقف. وذكر ابن الاعرابی: فلان ما يعوج عن شی أی ما يرجع عنه». [۹۰۶] إبراهيم: ۸ وفيها «إن تكفروا». [۹۰۷] الخذالۀ: ترک النصر. و«خامرتكم» أی خالطتكم. [۹۰۸] الغدر: ضد الوفاء. واستشعره أی لبسه، والشعار: الثوب الملاصق اللبدن. [۹۰۹] الفيض فی الاصل كثرۀ الماء وسيلانه، يقال: فاض الخبر أی شاع، وفاض صدره بالسر أی باح به واظهره، ويقال: فاضت نفسه أی خرجت روحه، والمراد به هنا اظهار المضمر فی النفس لاستيلاء الهم وغلبۀ الحزن. [۹۱۰] النفث بالضم شبيه بالنفخ، وقد يكون للمغتاط تنفس عال تسكينا لحر القب واطفاء لناثرۀ الغضب. [۹۱۱] الخور، بالفتح والتحريک: الضعف. ولاقنا: جمع قناۀ وهی الرمح، وقيل: كل عصا مستويۀ او معوجۀ قناۀ. ولعل المراد بخور القنا ضعف النفس عن الصبر علی الشدۀ وكتمان الضر او ضعف ما يعتمد عليه فی النصر علی العدو، والأوّل انسب. [۹۱۲] البث: النشر والاظهار والهم الذی لا يقدر صاحبه علی كتمانه فيبثه أی يفرقه. [۹۱۳] تقدمۀ الحجۀ: اعلام الرجل قبل وقت الحاجۀ قطعا لاعتذاره بالغفلۀ والحاصل ان استصاری منكم وتظلمی لديكم واقامۀ الحجۀ عليكم لم يكن رجاء للعون والمظاهرۀ، بل تسليۀ للنفس وتسكينا للغضب واتماما للحجۀ، لئلا تقولوا يوم القيامۀ «انا كنا عن هذا غافلين». [۹۱۴] الحقب، بالتحريک: حبل يشد به الرحل إلی بطن البعير، يقال: احقبت البعير، أی شددته به، وكل ماشد فی مؤخر رحل او قتب فقد احتقب، ومنه قيل: احتقب فلان الاثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه، فظهر ان الانسب فی هذا المقام «أحقبوها» بصيغۀ الافعال، أی شدوا عليها ذلک، وهيأواها للركوب، لكن فيما وصل الينا من الروايات علی بناء الافتعال. [۹۱۵] الدبر، بالتحريک: الجرح فی ظهر البعير، وقيل: جرح الدابۀ مطلقاً. [۹۱۶] النقب، بالتحريک: رقۀ خف البعير. [۹۱۷] العار الباقی: عيب لا يكون فی معرض الزوال. [۹۱۸] وسمته وسما وسمۀ: اذا اثرت فيه بسمۀ وكی: والشنار: العيب والعار. [۹۱۹] نار الله الموقدۀ: المؤججۀ علی الدوام. والاطلاع علی الفئدۀ: اشرافها علی القلوب بحيث يبلغ المها، كما يبلغ ظواهر البدن. وقيل: معناه ان هذه النار تخرج، الباطن إلی الظاهر بخلاف نيران الدنيا، وفی الكشف «انها عليهم مؤصدۀ» والمؤصدۀ: المطبقۀ. [۹۲۰] أی متلبس بعلم الله اعمالكم ويطلع عليها كما يعلم احدكم ما يراه ويبصره. وقيل فی قوله تعالی: «تجری باعيننا» ان المعنی تجری بأعين اولياؤنا من الملائكۀ والحفظۀ. [۹۲۱] المنقلب: المرجع والمنصرف. «أیّ» منصوب علی انه صفۀ مصدر محذوف والعامل فيه «ينقلبون» لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه وانما يعمل فيه ما بعده والتقدير: «سيعلم الذين ظلموا ينقلبون انقلابا أی انقلاب». [۹۲۲] الشعراء: آيۀ ۲۲۷. [۹۲۳] أی انا ابنۀ من انذركم بعذاب الله علی ظلمكم، فقد تمت الحجۀ عليكم. [۹۲۴] الأمر فی «اعلموا» و «انتظروا» للتهديد. واما قول الملعون: «الرائد لا يكذب اهله» – فهو مثل استشهد به فی صدق الخبر الذی افراه علی النبی صلی الله عليه وآله وسلم. الرايد: من يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث. جعل نفسه لاحتماله الخلافۀ التی هی الرياسۀ العامۀ بمنزلۀ الرائد للامنۀ الذی يجب عليه ان ينصحهم ويخبرهم بالصدق. – هذه الفقرۀ غير موجودۀ فی الخطبۀ. [۹۲۵] اقتباس من سورۀ هود: ايۀ ۱۲۱، و ۱۲۲. [۹۲۶] المجالدۀ: المضاربۀ بالسيوف. [۹۲۷] استبد فلان بالرأی، أی انفرد به واستقل. [۹۲۸] أی لانقبض ولانصرف. [۹۲۹] أی لانحط درجتك ولا ننكر فضل اصولك واجدادك وفروعك واولادك. [۹۳۰] ترين: من الرأی بمعنی الاعتقاد. [۹۳۱] الصادف عن الشیء: المعرض عنه. [۹۳۲] الاثر، بالتحريک وبالكسر، اثر القدم. [۹۳۳] القفو: الاتباع والسور بالضم: كل مرتفع عال، ومنه سور المدينۀ، ويكون جمع سورۀ وهی كل منزلۀ من البناء، ومنه سورۀ القرآن، لأنها منزلۀ بعد منزلۀ، وتجمع علی سور بفتح الواو، وفی العبارۀ يحتملها، والضمايرالمجرورۀ تعود إلی الله تعالی أو إلی كتابه والثانی اظهر. [۹۳۴] الاعتدال: ابداء العلۀ والاعتذار، والزور: الكذب. [۹۳۵] البغی: الطلب، والغوايل: المهالک والدواهی اشارات عليها السلام بذلک إلی مادبروا ـ لعنهم الله ـ فی اهلاک النبی صلی الله

علیه وآله وسلم واستیصال أهل بیته علیهم السلام فی العقبتین وغیرهما مما أوردناه متفرقا. أقول: سیأتی الکلام فی مواریث الأنبیاء فی باب المطاعن ان شاء الله تعالی. والتوزیع: التقسیم، والقسط بالکسر: والحصة ولنصیب. [۹۳۶] الازاحة: الاذهاب والابعاد. [۹۳۷] التظنی: اعمال الظن واصله التظنن، والغابر، الباقی: وقد یطلق علی الماضی. [۹۳۸] التسویل: تحسین مالیس بحسن وتزیینه وتحبیبه إلی الإنسان لیفعله او یقوله: وقیل: هو تقدیر معنی فی النفس علی الطمع فی تماهه. [۹۳۹] أی فصبری جمیل أو الصبر الجمیل اولی من الجزع الذی لا یغنی شیئا. وقیل: انما یکون الصبر جمیلا اذا قصد به وجه الله تعالی وفعل للوجه الذی وجب، ذکره السید المرتضی رضی الله عنه. [۹۴۰] یوسف: آیة ۱۸. [۹۴۱] من المصدر المضاف إلی الفاعل. [۹۴۲] مراده بما تقلدوا ما اخذ فدک او الخلافة، أی اخذت الخلافة بقول المسلمین واتفاقهم فلزمنی القیام بحدودها التی من جملتها اخذ فدک، للحدیث المذکور. [۹۴۳] المکابرة: المغالبة والاستبداد والاستیثار: الانفراد بالشیء. [۹۴۴] القیل بمعنی القول:، وکذا القال، وقیل: القول فی الخیر، والقیل والقال فی الشر، وقیل: القول مصدر، والقیل والقال اسمان له. [۹۴۵] الاغضاء: ادناء الجفون، واغضی علی الشیء، أی سکت ورضی به. [۹۴۶] روی عن الصادق والکاظم علیهما السلام فی الآیة: ان المعنی: أفلا یتدبرون القرآن فیقضوا بما علیهم من الحق؟ وتنکیر القلوب لا رادة قلوب هؤلاء ومن کان مثلهم من غیرهم. [۹۴۷] محمد: آیة ۲۴. [۹۴۸] الرین: الطبع والتغطیة، واصله الغلبة. [۹۴۹] التأول والتاویل: التصییر والارجاع ونقل الشیء عن موضعة، ومنه تأویل الالفاظ أی نقل اللفظ عن الظاهر. [۹۵۰] الاشارة: الأمر بأحسن الوجوده فی أمر. [۹۵۱] شرّ ـ کفرّ ـ بمعنی ساء ـ ولاعتیاض: أخذ العوض والرضاء به، والمغنی: ساء ما اخذتم منه عوضا عما ترکتم. [۹۵۲] المحمل ـ کمجلس ـ مصدر. [۹۵۳] الغب، بالکسر:العاقبة، والوبال، فی الاصل: الثقل والمکروه، ویراد به فی عرف الشرع عذاب الاخرة، والعذاب الوبیل: الشدید. [۹۵۴] الضراء، بالفتح والتخفیف: الشجر الملتف کما مر، یقال: توارى الصید منی فی ضراء، والوراء یکون بمعنی خلف، وبالاول فسر قوله تعالی: «وکان وراءهم ملک یأخذ کل سفینة غصبا». ویحتمل ان تکون الهاء زیدت من النساخ، او الهمزة، فیکون علی الاخیر بتشدید الراء من قولهم «وری الشی توریة» أی اخفاه، وعلی التقادیر فالمعنی: وظهر لکم ما ستره عنکم الضراء. [۹۵۵] اقتباس من سورة الزمر، ۴۷. [۹۵۶] أی ظهر لکم من صنوف العذاب ما لم تکونوا تنتظرونه ولا تظنونه واصلا الیکم ولم یکن فی حسبانکم. [۹۵۷] الغافر: آی ۷۸. [۹۵۸] المبطل: صاحب الباطل، من ابطل الرجل: اذا اتی بالباطل. [۹۵۹] فی الکشف: «ثم التفتت إلی قبر ابیها متمثلة بقول هند ابنة اثاثة» ثم ذکر الابیات. [۹۶۰] قال فی النهایة: «الهنبثة: واحدة الهنابث، وهی الامور الشداد المختلفة، والهنبثة: الاختلاط فی القول، والنون زائدة» وذکر «فیه: ان فاطمة علیها السلام قالت بعد موت النبی صلی الله علیه وآله: «قد کان بعدک انباء» إلی اخر البیتین، إلاّ انه قال: «اشهدهم ولا تغب». والشهود: الحضور، والخطب، بالفتح: الأمر الذی تقع فیه المخاطبة، والشأن والحال، والوابل: المطر الشدید ونکب فلان عن الطریق ـ کنصر وفرح ـ أی عدل ومال. [۹۶۱] القربی، فی الاصل: القرابة فی الرحم، والمنزلة: المرتبة والدرجة، ولا تجمع، والادنین: هم الاقربون. واقترب أی تقارب. وقال فی مجمع البیان: «فی اقترب زیادة مبالغة علی قرب. کما ان فی اقتدر زیادة مبالغة علی قدر» ویمکن تصحیح ترکیب البیت وتأویل معناه علی وجوه: الأوّل، وهو الاظهر: ان جملة «له قربی» صفة لاهل، والتنوین فی «منزلة» للتعظیم، والظرفان متعلقان بالمنزلة لما فیها من معنی الزیادة والرجحان، و«متقرب» خبر لکل، أی ذو القرب الحقیقی، اوعند ذی الاهل کل أهل کانت له مزیة وزیادة علی غیره من الاقربین عنه الله تعالی. والثانی: تعلق الظرفین بقولها «متقرب» أی کل له قرب ومنزلة من ذی الاهل فهو بین عند الله تعالی مقترب مفضل علی سایر الادنین. والثالث: تعلق الظرف الأوّل بالمنزلة، والثانی بالمقترب، أی کل أهل اتصف بالقربی بالرجل وبالمنزلة عند الله، فهو مفضل علی من هو أبعد منه. الاحتمالات: ان یکون جملة «له قربی» خبرا للکل، و «مقترب» خبرا ثانیا، وفی الظرفین یجری الاحتمالات السابقة، والمعنی، ان کل أهل نبی من الأنبیاء له قرب ومنزلة عند الله ومفضل علی سایر الاقارب عند الامة. [۹۶۲] بدا الأمر بدواً: ظهر، وابداه: أظهر.والنجوی: الاسم من نجوته. اذا سررته؛ ونجوی صدورهم: ما أضمروه فی نفوسهم من العداوة ولم یتمکنوا من اظهاره فی حیاته صلی الله علیه وآله وسلم. وفی بعض النسخ: «فحوی صدورهم»، وفحوی القول: معناه؛ ولم یسمع لسایرها بجمع» انتهی. فیمکن ان یکون بصیغة

المفرد، والتأنيث بتأويل الأرض، كما قيل، والاظهر انه بضم التاء وفتح الراء: جمع تربة، قال فى مصباح اللغة: «التربة: المقبرة، والجمع: ترب، مثل غرفة وغرف». وحال الشيء بيني وبينك أى منعنى من الوصول اليك، ودون الشيء: قريب منه، يقال: دون النهر جماعة، أى قبل ان تصل إليه. [۹۶۳] التهجم: الاستقبال بالوجه الكريه، والمغتصب على بناء المفعول: المغصوب. [۹۶۴] المحتجب على بناء الفاعل. [۹۶۵] صادفه: وجده ولقيه. والكثب، بضمتين: جمع كثيب وهو التل من الرمل. [۹۶۶] الرزء، بالضم مهموزا: المصيبة بفقد الاعزة، ورزيتا على بناء المجهول، والشجن بالتحريك: الحزن. وفى القاموس: «العجم، بالضم وبالتحريك، خلاف العرب». أقول: وجدت فى نسخة قديمة لكشف الغمة منقولة من خط المصنف مكتوبا على هامشها بعد ايراد خطبتها ـ صلوات الله عليها ـ ما هذا لفظة: وجد بخط السيد المرتضى علم الهدى الموسوى ـ قدس الله روحه ـ انه لما خرجت فاطمة عليها السلام من عند أبى بكر ردها عن فدك استقبلها امير المؤمنين عليه السلام فجعلت تعنفه ثم قالت: اشتملت إلى اخر كلامها عليها السلام. [۹۶۷] الانكفاء: الرجوع. وتوقعت الشيء واستوقته، أى انتظرت وقوعه. وطلعت على القوم: اتيتهم. وتطلع الطلوع. انتظاره. [۹۶۸] أى سكنت كانها اضطربت وتحركت لخروجها، أو على سبيل القلب، وهذا شايع، يقال: استقرت نوى القوم واستقرت بهم النوى، أى اقاموا. [۹۶۹] اشتمل بالثوب أى اداره على جسده كله. والشملة، بالفتح: كساء يشتمل به. والشملة، بالكسر، هيئة الاشتمال، فالشملة اما مفعول مطلق من غير الباب كقوله تعالى: «نباتا» او فى الكلام حذف وايصال. وفى رواية السيد: «مشية الجنين» وهى محل الولد فى الرحم؛ ولعلة اظهر. والجنين: الولد مادام فى البطن. [۹۷۰] الحجرة، بالضم: حظيرة الابل، ومنه حجرة الدار، والظنين، المتهم؛ والمعنى: اختفيت عن الناس الجنين، وقعدت عن طلب الحق ونزلت منزلة الخائف المتهم. وفى رواية السيد: «الحجزة» بالزاء المعجمة. وفى بعض النسخ: «قعدت حجزة الظنين». وقال فى النهاية: «الحجزة: موضع شد الازار، ثم قيل للازار حجزة، للمجاورة». وفى القاموس: «الحجزة، بالضم: معقد الازار، ومن الفرس: مركب مؤخر الصفات بالحقو.» وقال: «شدة الحجزة كناية عن الصبر». [۹۷۱] قوادم الطير: مقاديم ريشه، وهى عشر فى كل جناح، واحدتها: قادمة. والاجدل: الصقر. [۹۷۲] الاعزل الذى لاسلاح معه. قيل: لعلها ـ صلوات الله عليها ـ شبهت الصقر الذى نقضت قوادمه. بمن لا سلاح له. والمعنى: تركت طلب الخلافة فى أول الأمر قبل ان يتمكنوا منها ويشيدوا أركانها، وظننت ان الناس لا يرون غيرك اهلا للخلافة، ولا يقدمون عليك احدا، فكنت كمن يتوقع الطيران من صقر منقوضة القوادم. اقول: يحتمل ان يكون المارد انك نازلت الابطال، وخض الاهوال، ولم تبال بكثرة الرجال حتى نقضت شوكتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والارذال، وسلمت لهم الأمر ولاتنازعهم. وعلى هذا، الاظهر انه كان فى الاصل «خاتك» بالتاء المثناة الفوقانية فصحف. قال الجوهرى: «خات البازى واختات، أى انقض لياخذه» وقال الشاعر: «يخوتون اخرى القوم خوت الاجادل». والخائتة: العقاب اذا انقضت فسمعت صوت انقضاضها. والخوات: دوى جناح العقاب. والخوات، بالتشديد: «الرجل الجرىء». وفى رواية السيد: «نفضت» بالفاء، وهو يؤيد المعنى الأوّل. [۹۷۳] قحافة بضم القاف وتخفيف المهملة. [۹۷۴] الابتزار: الاستلاب واخذ الشيء بقهر وغلبة، من البز بمعنى السلب. والنحلة: فعلية مفعول، من النحلة ـ بالكسر ـ بمعنى الهبة والعطية عن طيبة نفس من غير مطالبة او من غير عوض. والبلغة بالضم: ما يتبلغ به من العيش يكتفى به. وفى اكثر النسخ: «بليغة» بالتصغير، فالتصغير فى النحيلة ايضا انسب. وابنى اما تبخفيف الياء، فالمراد به الجنس، او تشديدها على التثنية. [۹۷۵] اجهاز الشيء: اعلانه. والخصام: مصدر كالمخاصمة، ويحتمل ان يكون جمع خصم، أى اجهر العداوة او الكلام لى بين الخصام، والأوّل اظهر. [۹۷۶] «الفيته» أى وجدته. والالد: شديد الخصومة، وليس فعلا ماضيا، فان فعله على بناء المجرد. – والاضافة فى «كلامى» اما من قبيل الاضافة إلى المخاطب او إلى المتكلم. و«فى» للظرفية او السببية. وفى رواية السيد «هذا بنى ابى قحافة ـ إلى قوله ـ لقد اجهد فى ظلامتى، والد فى خصامتى». قال الجزرى: «يقال جهد الرجل فى الأمر، اذا جد وبالغ فيه. واجهد دابته، اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها». – قد اتى فعله على بناء الافعال ايضا كما فى القاموس وغيره. [۹۷۷] قلية، بالفتح: اسم ام قديمة لقبيلتى الانصار، والمراد بنو قيلة. وفى رواية السيد: «حين منعتنى الانصار نصرها» وموصوف المهاجرة الطائفة او نحوها. والمراد بوصلها عونها. [۹۷۸] الطرف، بالفتح: العين. وغضه: حفظه. [۹۷۹] فى رواية السيد بعد قولها «ولا مانع ولا ناصر ولا شافع» خرجت كاظمة،

وعـدت راغمـة» كظم الغيـظ: تجرعه والصبر عليه، ورغم فلاـن، بالفتـح: إذا ذل وعجز عن الإنتصـاف ممن ظلمه. والظاهر من الخروج، الخروج من البيت وهو لا يناسب «كاظمة» إلّا ان يراد بها الامتلاء من الغيظ فانه من لوازم الكظم، ويحتمل أن يكون المراد الخروج من المسجد المعبر عنه ثانيا بالعود، كما قيل فى رواية السيد مكان «عدت» «رجعت». [۹۸۰] ضرع الرجل، مثلثة: خضع وذل. وأضرعه غيره. واسناد الضـراعة إلى الخـد، لأـنّه أظهر أفرادهـا وضع الخـد على التراب، أو لأنّ الـذل يظهر فى الوجه. [۹۸۱] اضاعة الشـىء وتضييعه: اهماله واهلاكه. وحد الرجل، بالحاء المهملة: بأسه وبطشه. وفى بعض النسخ بالجيم، أى تركت اهتمامك وسـعيك. وفى رواية السيد: «فقد أضعت جدك يوم اصرعت خدك». [۹۸۲] فرس الأسد فريسـته ـ كضرب ـ وافترستها: دق عنقها، ويستعمل فى كل قتل. ويمكن أن يقرأ بصـيغة الغايب، فالذئاب مرفوع، والمعنى: قعدت عن طلب الخلافة ولزمت الأرض مع انك اسد الله والخلافة كانت فريسـتك، حتى افترسـها واخـذها الـذئب الغـاصب لها. ويحتمل ان يكون بصـيغة الخطاب، أى كنت تفترس الـذئاب واليوم افترشت التراب. وفى بعض النسـخ: «الـذباب» بالبائين الموحـدتين، جمع ذبابـة، فيتعين الأوّل. وفى بعضـها: «افترست الذئاب، وافترسك الذئاب». وفى رواية السـيد مكانهما: «وتوسـدت الوراء كالوزع، ومسـتك الهناة والنزع»، والوراء بمعنى خلف والهناة: الشدة والفتنة. والنزع: الطعن والفساد. [۹۸۳] الكف: المنع. والاغنـاء: الصـرف والكف، يقـال: اغن غنى شـرك، أى اصـرفه وكفه و «و» به فسـر قوله سـبحانه: «انهم لن يغنوا عنـك من الله شـيئا» وفى روايـة السـيد: «ولاـ أغنيت طائلاـ» وهو أظهر. قال الجوهرى: «يقال: هـذا امر لا طائل فيه، اذا لم يكن فيه غناء ومزيـة» انتهى. فـالمراد بالغنـاء: النفع، ويقـال: مـا يغنى عنـك هـذا، أى ما يجـديك وما يفعك. [۹۸۴] الهنيـة بالفتـح: العادة فى الرفق والسـكون، ويقال: امش على هنيتك، أى على رسلك، أى ليتنى مت قبل هذا اليوم الذى لابد لى من الصبر على ظلمهم ولامحصيص لى عن الرفق. [۹۸۵] الزلـة، بفتـح الزاى كما فى النسـخ: الإسم من قولك: زللت فى طين أو منطق، إذا زلقت، ويكون بمعنى السـقطة، والمراد بها عـدم القدرة على دفع الظلم، ولو كانت الكلمة بالذال المعجمة كان أظهر واوضح كما فى رواية السـيد، فان فيها: «والهفتاه! ليتنى مت قبـل ذلتى ودون هنيتى». [۹۸۶] العـذير بمعنى العاذر كالسـميع، أو بمعنى العذر كالأليم. وقولها «منك» أى من أجل الإساءة إليـك وايـذائك. و«عـذيرى الله» مرفوعان بالإبتدائيـة والخبريـة. و«عادياً» أما من قولهم: عـدوت فلانا عن الأمر أى صـرفته عنه، أو من العـدوان بمعنى تجـاوز الحـد، وهو حـال عن ضـمير المخـاطب، أى الله يقيم العـذر من قبلى فى إسـاءتى اليك حال صـرفك المكارة ودفعك الظلم عنى، أو حال تجاوزك الحـد فى القعود عن نصـرى، أى عـذرى فى سوء الأدب إنك قصـرت فى إعانتى والذب عنى. والحمايـة عن الرجـل: الـدفع عنه. ويحتمـل ان يكون «عـذيرى» منصوبـا كما هو الشايع فى هـذه الكلمـة، و«الله» مجروراً بالقسم، يقال: عـذيرك من فلاـن أى هـات من يعـذرك فيه. ومنه قـول امير المؤمنين عليه السـلام حين نظر إلى ابن ملجم ـ لعنه الله ـ: «عـذيرك من حليلـك من مراد». والأوّل أظهر. [۹۸۷] قـال الجوهرى: «ويل» كلمـة مثل ويـح إلّا انها كلمـة عـذاب، يقال: ويله وويلك وويلى، وفى الندبـة ويلاه». ولعله جمع بين الف الندبـة وياء المتكلم. ويحمتل ان يكون بصـيغة التثنية، فيكون مبتدأ والظرف خبره، والمراد به تكرر الويل. وفى روايـة السـيد: «ويلاه فى كل شارق، ويلاه فى كل غارب، ويلاه مات العمـد، وذل العضـد ـ إلى قولها عليها السـلام ـ اللّهمّ أنت أشد قوة وبطشا». والشارق: الشمس، أى عند كل شروق شارق وطلوع صباح كل يوم. قال الجوهرى: «والشرق: المشرق، والشرق: الشـمس، يقال: طلع الشـرق، ولا آتيك ما ذر شارق، وشـرقت الشـمس تشـرق شـروقا، وشـرقا، أيضا، أى طلعت اشرقت أى أضاءت». [۹۸۸] العمـد، بالتحريك وبضـمتين: جمع العمود. ولعل المراد هنا ما يعتمـد عليه فى الامور. [۹۸۹] الشـكو: الإسم من قولك: شكوت فلانـا شـكاية. والعـدوى: طلبـك إلى وآل لينتقم لـك ممن ظلمك. [۹۹۰] الحول: القوة والحيلـة والـدفع والمنع، والكـل هنـا محتمل. [۹۹۱] البـأس: العـذاب. والتنكيـل: العقوبـة، وجعل الرجل نكالا وعبرة لغيره. [۹۹۲] العذاب والشـر لمبغضك، والشـناءة: البغض. وفى رواية السيد: «لمن احزنك». [۹۹۳] نهنهت الرجل عن الشىء فتنهنه، أى كففته وزجرته فكف. والوجد: الغضب أى امنعى نفسك عن غضـبك، وفى بعض النسـخ: «تنهنهى» وهـو أظهر. والصـفوة، مثلثـة: خلاصـة الشـىء وخيـاره. [۹۹۴] الـونى، كفـتى: الضـعف والفتور والكلاـل، والفعـل كوقى يقى، أى مـاعجزت عن القيـام بما أمرنى به ربىء وما تركت ما دخل تحت قـدرتى. [۹۹۵] البلغة: بالضم: ما

يتبلغ به من العيش، والضامن والكفيل للرزق هو الله تعالى. وماأعد لها هو ثواب الاخرة. [۹۹۶] الاحتساب: الاعتداد. ويقال لمن ينوى بعمله وجه الله تعالى: احتسبه. أى اصبرى وادخرى ثوابه عند الله تعالى. وفى رواية السيد: «فقال لها امير المؤمنين عليه السلام: لاويل لك، بل الويل لمن احزنك؛ نهنهى عن وجدك يابنية الصفوة وبقية النبوة، فما ونيت عن حظك، ولا اخطات (مقدرتى)، فقد ترين. فان ترزئى حقك، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما عند الله خير لك مما قطع عنك. فرفعت يدها الكريمة وقالت: رضيت وسلمت». قال فى القاموس: «رزأه ماله ـ كجعله وعلمه ـ رزءاً بالضم: اصاب منه شيئاً». [۹۹۷] «بحار الانوار» ج ۸، ص ۱۰۹ ـ ۱۱۲، ط الكمبانى. وانما اوردنا الخطبة من نفس المصدر لامن «الاحتجاج» لأن الالفاظ المفسرة كانت على نسخة المؤلف (ره)، ولها اختلاف معتد به مع النسخة المطبوعة من «الاحتجاج» وقد اشير إلى موارده فى ضمن الشرح. [۹۹۸] عائفة: أى كارهة، يقال: عاف الرجل الطعام يعافه عيافاً أذا كرهه. [۹۹۹] القالية: المبغظة، قال تعالى: «ما ودعك ربك وما قلى». [۱۰۰۰] لفظت الشيء من فمى: أى رميته وطرحته، العجم: العض، تقول: عجمت العود اعجمه ـ بالضم ـ اذا عضضته. [۱۰۰۱] شنأة، كمنعه وسمعه: أبغضه، وسبرتهم: أى اختبرتهم. فعلى ما فى اكثر الروايات المعنى: طرحتهم وأبغضتهم بعد امتحانهم ومشاهدة سيرتهم واطوارهم. وعلى رواية الصدوق المعنى: انى كنت عالمة بقبح سيرته وسوء سريرتهم فطرحتهم ثم لما اختبرتهم شنأتهم وأبغضتهم، أى تأكد انكارى بعد الاختبار. ويحتمل ان يكون الأوّل اشارة إلى شناعة اطوارهم الظاهرة، والثانى إلى خبث سرائرهم الباطنة. [۱۰۰۲] قبحا، بالضم، مصدر حذف فعله، اما من قولهم: قبحه الله قبحا، او من قبح بالضم قباحة، فحرف الجر على الأوّل داخل على المفعول، وعلى الثانى على الفاعل. والفلول بالضم: جمع فل بالفتح، وهو الثلمة والكسر فى حد السيف، وحكى الخليل فى «العين» انه يكون مصدراً، ولعله انسب بالمقام، وحد الشيء: شباته، وحد الرجل باسه. [۱۰۰۳] الخور بالفتح وبالتحريك: الضعف. والقناة: الرمح. [۱۰۰۴] الخطل بالتحريك: المنطق الفاسد المضطرب، وخطل الرأى: فساده واضطرابه. [۱۰۰۵] المائدة: ۸۰. [۱۰۰۶] الشن: رش الماء رشا متفرقا والسن بالمهملة: الصب المتصل، ومنه قولهم: شنت عليهم الغارة اذا فرقت عليهم الغارة اذا فرقت عليهم من كل وجه. [۱۰۰۷] الجدع قطع الانف او الاذن او الشفة، وهو بالانف اخص، ويكون بمعنى الحبس، والعقر بالفتح: الجرح، ويقال فى الدعاء على الإنسان: عقراً له وحلقا، أى عقر الله جسده وأصابه بوجع فى حلقه، واصابه بوجع فى حقله، واصل العقر: ضرب قوائم البعير او الشاة بالسيف ثم اتسع فيه فاستعمل فى القتل والهلاك، وهذه المصادر يجب حذف الفعل منها. والسحق بالضم: البعد. [۱۰۰۸] ويح كلمة تستعمل فى الترحم والتوجع والتعجب، والزحزحه، التنحية والتعبيد. والزعزعة: بالتحريك. والرواسى من الجبال: الثوابت الرواسخ. وقواعد البيت: اساسه. [۱۰۰۹] الطبين: هو بالطاء المهملة والباء الموحدة: الفطن الحاذق. [۱۰۱۰] فى كشف الغمة: «وما الذى نقموا من ابى الحسن». يقال: نقمت على الرجل كضربت، وقال الكسائى: كعلمت لغة، أى عتبت عليه وكرهت شيئا منه. [۱۰۱۱] التنكير: الانكار، والتنكير: التغير عن حال يسرك إلى حال تكرهما، والاسم: النكير، وما هنا يحتمل المعنين، والأوّل اظهر أى انكار سيفه فانه عليه السلام كان لا يسل سيفه إلّا لتغيير المنكرات. [۱۰۱۲] الوطأة: الأخذة الشديدة والضغطة، وأصل الوطىء: الدوس بالقدم ويطلق على الغزو والقتل لأنّ من يطأ الشيء فقد استقصى فى هلاكه واهانته. [۱۰۱۳] النكال: العقوبة التى تنكل الناس. والوقعة: صدمة الحرب. [۱۰۱۴] تنمر فلان: أى تغير وتنكر واوعد، لأنّ النمر لا تلقاه ابداً إلّا متنكراً غضبان. «فى ذات الله»، قال الطيبى: ذات الشيء: نفسه وحقيقته، والمراد ما اضيف إليه، وقال الطبرسى فى قوله تعالى:: «واصلحوا ذات بينكم»: كناية عن المنازعة والخصومة، والذات: هى الخلقة والبينة، يقال: فلان فى ذاته صالح: أى فى خلقته وبينته، يعنى اصلحوا نفس كل شيء بينكم، او اصلحوا حال كل نفس بينكم، وقيل: معناه: واصلحوا حقيقة وصلكم، وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين: أى اصلح الحال التى بها مجتمع المسلمون. انتهى. أقول فالمراد بقولها: فى ذات الله، أى فى الله ولله، بناء على ان المراد بالذات الحقيقة، او فى الامور والاحوال التى تتعلق بالله من دينه وشرعه وغير ذلك كقوله تعالى: «انه عليم بذات الصدور» أى المضمرات التى فى الصدور. [۱۰۱۵] التكاف، تفاعل من الكف: هو الدفع والصرف، والزمام ككتاب: الخيط الذى يشد فى البرة والخشاش ثم يشد فى طرفه المقود، وقد يسمى المقود زماماً، ونبذه: أى طرحه. وفى «الصحاح»: «اعتلقه: أى

احبه» ولعله هنا بمعنى تعلق به وان لم اجد فيم عندنا من كتب اللغة. [۱۰۱۶] السجح، بضمتين: اللين السهل. [۱۰۱۷] الكلم: الجرح والخشاش بكسر الخاء المعجمة: ما يجعل فى انف البعير من خشب ويشد به الزمام ليكون اسرع لا نقياده. [۱۰۱۸] تعتعت الرجل: أى اقلقته وازعجته. [۱۰۱۹] المنهل: المورد، وهو عين ماء ترده الابل فى المراعى، وتسمى المنازل التى فى المفاوز على طرق السفار: مناهل، لأنّ فيه ماء، قاله الجوهرى، وقال: ماء نمير: أى ناجع، عذبا كان او غيره. وقال الصدوق نقلا عن الحسين بن عبدالله بن سعيد العسكرى: النمير: الماء النامى فى الجسد (فى الحشد ـ ظ). وقال الجوهرى: «الروى سحابة عظيمة القطر، شديدة الوقع ويقال: شربت شربا رويا» والفضفاض: الواسع، يقال: ثوب فضفاض، وعيش فضفاض، ودرع فضفاضة. [۱۰۲۰] تطفح: أى تمتلىء حتى تفيض. وضفتا النهر بالكسر وقيل: وبالفتح ايضاً: جانباه. [۱۰۲۱] بطن كعلم: عظم بطنه من الشبع، ومنه الحديث: تغدو خماصاً وتروح بطاناً، والمراد عظم بطنهم من الشرب. [۱۰۲۲] تحير الماء: أى اجتمع ودار كالمتحير، يرجع اقصاه إلى ادناه، ويقال: تحيرت الأرض بالماء، اذا امتلأت، ولعل الباء بمعنى فى، أى تحير فيهم الرى، او للتعدية، أى صاروا حيارى لكثرة الرى. والرى بالكسر والفتح: ضد العطش. وفى رواية الشيخ: «قد خثر» بالخاء المعجمة والثاء المثلثة: أى اثقلهم، من قولك: اصبح فلا خاثر النفس أى ثقيل النفس غير طيب ولا نشيط. [۱۰۲۳] حلى منه بخير: كرضى: أى اصاب خيراً، وقال الجوهرى: «قولهم: لم يحل منها بطائل، أى يستفاد منها كثير فائدة». والتحلى: التزين، والطائل: الغناء والمزية والسعة والفضل. [۱۰۲۴] الردع: الكف والدفع. والردعة: الدفعة منه، وفى جميع الروايات سوى معانى: الاخبار: «سورة الساغب» وفيه شررة الساغب»، ولعله من تصحيف النساخ. والشرر: ما يتطاير من النار، ولا يبعد ان يكون من الشره بمعنى الحرص، وسورة الشىء بالفتح: حدته وشدته. والسغب: الجوع. [۱۰۲۵] فى رواية ابن ابى الحديد: «ألا هلمن فاسمعن، وما عشتن اراكن الدهر عجبا، إلى أى لجأوا واستندوا، وبأى عروة تمسكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير ولبئس للظالمين بدلا». قال الجوهرى: «هلم يا رجل، بفتح الميم: بمعنى تعال، يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث، فى لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين: هلما، وللجمع هلموا، وللمرأة: هلمى، وللنساء هلممن، والأوّل افصح، واذا ادخلت عليه النون الثقيلة قلت: هلمن يا رجل، وللمرأة هلمن بكسر الميم، وفى التثنية هلمان للمؤنث والمذكر جميعا، وهلمن يا رجال بضم الميم، وهلممنان يا نسوة» انتهى، وعلى الروايات الاخر الخطاب عام. وما عشتن: أى اراكن الدهر شيئا عجيبا لا يذهب عجبه وغرابته مدة حياتكن، او يتجدد لكن كل يوم امر عجيب متفرع على هذا الحادث الغريب. [۱۰۲۶] الذنابى: بالضم: ذنب الطائر، ومنبت الذنب، والذنابى، فى الطائر اكثر استعمالا من الذنب، وفى الفرس والبعير ونحوهما الذنب اكثر، وفى جناح الطائر اربع ذنابى بعد الخوافى، وفى الفرس والبعير ونحوهما الذنب اكثر، وفى جناح الطائر اربع ذنابى بعد الخوافى وهى مادون الريشات العشر من مقدم الجناح التى تسمى قوادم، والذنابى من الناس: السفلة والاتباع. [۱۰۲۷] العجز كالعضد: مؤخر الشىء، يؤنث ويذكر، وهو للرجل والمرأة جميعا، والكاهل: الحارك، وهو ما بين الكتفين، وكاهل القوم: عمدتهم فى المهمات وعدتم للشدائد والملمات. [۱۰۲۸] رغما، مثلثة: مصدر رغم انفه أى لصق بالرغام، بالفتح، وهو التراب، ورغم الانف يستعمل فى الدل والعجز عن الانتصار، والانقياد على كره. والمعاطس جمع معطس بالكسر والفتح وهو الآنف، وقال الجوهرى: «شعرت بالشىء أشعر به شعرا أى فطنت له ومنه قولهم: ليت شعرى، أى ليتنى علمت». واللجا محركة: الملاذ والمعقل كالملجأ، ولجأت إلى فلان اذا استندت إليه واعتضدت به. والسند: ما يستند إليه. [۱۰۲۹] يونس: ۳۵. [۱۰۳۰] فى بعض نسخ ابن ابى الحديد: «اما لعمر الله» وفى بعضها: «اما لعمر الهكن»، والعمر بالفتح والضم بمعنى: العيش الطويل، ولا يستعمل فى القسم الا العمر بالفتح، ورفعه بالابتداء، أى لعمر الله قسمى، ومعنى عمر الله بقاؤه ودوامه. [۱۰۳۱] لقحت كعلمت: أى حملت، والفاعل فعلتهم، او فعالهم، او الفتنة، او الازمنة. [۱۰۳۲] النظرة بفتح النون وكسر الظاء: التأخير، واسم يقوم مقام الانظار، ونظرة اما مرفوع بالخبرية والمبتدأ محذوف كما فى قوله: «فنظرة إلى ميسرة» أى فالواجب نظرة ونحو ذلك، واما منصوب بالمصدرية، أى انتظروا «او انظروا» نظرة قليلة، والاخير اظهر كما اختاره الصدوق. وريثما تنتج، أى قدرما تنتج، يقال: نتجت الناقة ـ على مالم يسم فاعله ـ تنتج نتاجا وقد نتجها اهلها نتجا ـ وانتجت الفرس: اذا حان نتاجها. [۱۰۳۳] القعب: قدح من خشب يروى الرجل، او قدح ضخم. واحتلاب

طلاع القعب: هو ان يمتلىء من اللبن حتى يطلع عنه ويسيل. والعبيط: الطرى. [۱۰۳۴] الذعاف كغراب: السم. والمقر بكسر القاف: الصبر، وربما يسكن، وأمقر أى صار مرا. [۱۰۳۵] غب كل شيء: عاقبته. [۱۰۳۶] طاب نفس فلان بكذا: أى رضى به من دون ان يكرهه عليه احد، وطابت نفسه عن كذاء أى رضى ببذله، ونفسا، منصوب على التميز. [۱۰۳۷] فى كتاب ناظر عين الغريبين: «طأمنته: سكنته فاطمان». والجأش مهموزا: النفس والقلب، أى اجعلوا قلوبكم مطمئنة لنزول الفتنة. [۱۰۳۸] الصارم: القاطع. والغشم: الظلم. [۱۰۳۹] الهرج: الفتنة والاختلاط. وفى رواية ابن ابى الحديد: «وقرح شامل» فالمراد بشمول القرح، اما للافراد او للاعضاء. [۱۰۴۰] الاستبداد بالشيء: التفرد به. [۱۰۴۱] الضمير المرفوع فى «يدع» راجع إلى الاستبداد. والفيء: الغنيمة والخراج وما حصل المسلمين من اموال الكفار من غير حرب. والزهيد: القليل. [۱۰۴۲] الحصيد: المحصود، وعلى رواية «زرعكم» كناية عن اخذ اموالهم بغير حق، وعلى رواية «جمعكم» يحتمل ذلك، وان يكون كناية عن قتلهم واستنصالهم. [۱۰۴۳] أى وانى تلحق الهداية بكم. [۱۰۴۴] عميت عليكم، بالتخفيف: أى خفيف والتبست، وبالتشديد على صيغة المجهول أى، لبست، وقرىء فى الآية بهما، والضمائر فيها، قيل: هى مراجعة إلى الرحمة المعبر عن النبوة بها، وقيل إلى البينة وقى المعجزة، او اليقين والبصيرة فى امر الله، وفى المقام يحتمل رجوعها إلى رحمة الله الشاملة للامامة والاهتداء إلى الصراط المستقيم بطاعة امام العدل، او إلى الإمامة الحقة، وطاعة من اختاره الله وفرض طاعته، او إلى البصيرة فى الدين ونحوها. [۱۰۴۵] «البحار» ۴۳: ۱۵۸ ـ ۱۵۹. وقد اخذنا الشرح منه مع حذف الزوايد والمكررات واوردناه كالتعليقة كما فعلنا ذلك بشرح الخطبة الفدكية، وقد اورد هذا الكلام جمع من الافذاذ من الخاصة والعامة وهم: ۱ ـ ابن ابى الحديد المعتزلى المتوفى ۶۵۵ فى «شرح النهج»: ۱۶: ۲۳۴. ۲ ـ ابن ابى طيفور احمد بن طاهر المتوفى ۲۸۰ فى «بلاغات النساء» ۱۹. ۳ ـ ابن جرير بن رستم الطبرى، من اعلام القرن الرابع فى «دلائل الإمامة»: ۴۰ ـ ۴۱. ۴ ـ الشيخ الثقة الصدوق ابن بابويه المتوفى ۳۸۱ فى «معانى الأخبار»: ۳۵۴ ـ ۳۵۵. ۵ ـ العلامة على بن عيسى الاربلى قدس سره المتوفى ۶۹۳ فى «كشف الغمة»: ۱: ۴۹۲ ـ ۴۹۴. ۶ ـ الشيخ الجليل أبو منصور الطبرسى من اعلام القرن السادس، فى «الاحتجاج»: ۱: ۱۴۷ ـ ۱۴۹. [۱۰۴۶] ذكره ابن ابى الحديد فى شرح النهج: ۱۲: ۵۳، والطبرى فى تأريخه: ۵: ۳۱. [۱۰۴۷] مجمع البحرين: مادة فدك. [۱۰۴۸] أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: القسم الثالث من الجزء الرابع: ۴۷، عن ربيع الأبرار، للزمخشرى. [۱۰۴۹] شرح ابن ابى الحديد: ۱۶: ۲۱۴ ـ الرعة: بالتخفيف أى الاستماع والاصغاء، القالة: القول، فعالة: اسم الثعلب تحكم غير معروف، شهيده ذنبه: أى لا شاهد له على ما يدعى إلّا بعضه وجزء منه، واصله مثل، قالوا: ان الثعلب اراد ان يغرى الاسد بالذئب فقال الثعلب: انه قد اكل الشاة التى كنت قد اعددتها لنفسك وكنت حاضرا قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الاسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب. [۱۰۵۰] نهج البلاغة: قسم الكتب، ۴۵. [۱۰۵۱] شرح نهج البلاغة: ۱۶: ۲۳۶. [۱۰۵۲] فدك: ۱۶۶ ـ ۱۷۴. [۱۰۵۳] البحار: ۸: ۱۲۷ ـ ۱۲۸. [۱۰۵۴] الزهراء عليها السلام: ۱۱۸ ـ ۱۲۰. [۱۰۵۵] قال العلامة المجلسى رحمه الله: روى العلامة فى كشكوله المنسوب إليه عن المفضل بن عمر قال: قال مولاى جعفر الصادق عليه السلام: لما ولى أبو بكر بن أبى قحافة، قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا، لا يريدون غيرها، فامنع عن على وأهل بيته الخمس والفيء وفدكا، فإنّ شيعته إذا عملوا ذلك تركوا عليّا، وأقبلوا إليك رغبة فى الدنيا وإيثاراً ومحاماة عليها... (البحار: ج ۸، ص ۱۰۴، ص الكمبانى). [۱۰۵۶] المنافقون: ۷. [۱۰۵۷] شرح النهج: ۱۶: ۲۸۴. [۱۰۵۸] فاطمة الزهراء من المهد اللحد: ۳۵۳ ـ ۳۵۹. [۱۰۵۹] حياة الإمام الحسين للشيخ القرشى: ۱: ۲۵. [۱۰۶۰] راجع ترجمتها فى الطبقات الكبرى: ۸: ۲۷۸، والاصابة: ۴: ۴۶۴. [۱۰۶۱] مستدرك الصحيحين: ۳: ۱۲۷ عن حياة الإمام الحسين للقريشى: ۲۶. [۱۰۶۲] كامل الزيارات: ۵۶: الكافى: ۱: ۴۶۴ ح ۴، اثبات الهداية: ۱: ۴۱۴ ح ۱۳. [۱۰۶۳] تفسير فرات الكوفى: ۱۷۱، عنه البحار: ۴۴: ۲۶۴ ح ۲۲. [۱۰۶۴] هذه المضامين ملخص احاديث من الكتب التالية: تفسير فرات: ۱۶۹، ينابيع المودة: ۲۶۰، مجالس المفيد: ۸۴، عيون اخبار الرضا: ۲: ۸ ح ۱۲، امالى الصدوق: ۲۵ ح ۴، علل الشرائع ۱: ۱۷۹ ح ۶، دلائل الامامة: ۵۷، تأويل الايات: ۲: ۴۸۳ ح ۱۲، روضة الواعظين: ۱۷۹، مناقب ابن شهر آشوب: ۳: ۱۰۷ بشارة المصطفى: ۲۲.